من تراث الأندلس

٢

قضاة قرطبة
و
علماء افريقية

للمؤرخ الأديب . والمحدث الفقيه
أبي عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشني
القيرواني الأندلسي المتوفى سنة ٣٦١ هجرية

عنى بنشره ، وصححه ، وراجع أصله
السيد عزت العطار الحسيني

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

الطبعة الأولى

١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م

الطبعة الثانية

١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

الأصل مأخوذ عن النسخة الخطية الوحيدة المحفوظة بأكسفورد

رقم الإيداع / ١٦٧٠ / ٩٤

الترقيم الدولي

I.S.B.N

977-505-099-6

١

قضاة قرطبة

[ما جاء فى أصلِ الكتابِ عن ملكية النسخة]

« مَلَكه وكَتَبَه محمدُ بن محمدِ بن محمد بن عبد الرحمن اللَّواتىُّ »
« الشهيرُ فى طنجة : بابن بَطوطة ؛ عفا الله عنه ، وتاب »
« عليه . ثم مَلَكه وكتبه بأرض بُرتقال (أعادها الله) »
« عمرُ بن أحمدَ بن يوسفَ المقْدِسِىُّ . ثم ملكه بعدَه ابنُه »
« إبراهيمُ بن عُمَرَ بنِ أحمدَ بنِ يوسف الفقيهُ ، الشهيرُ : »
« بصغرط ؛ غفر الله [له] عامَ خمسةٍ وسبعينَ بعد ثمانمائةٍ »

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

[ربِّ : يسّرْ ، ولا تُعَسِّرْ ؛ يا كريمُ]

الحمدُ لله العليِّ الكبيرِ ، اللطيفِ الخبيرِ ؛ الملكِ القديرِ : فكلٌّ مافى العالَم من أثرَ قدرتِه ؛ المقدّسِ المنزّهِ عن التغييرِ ؛ مُصَرِّفِ الخلائقِ : بيْنَ رَفعٍ وخَفضٍ ، وبَسطٍ وقَبضٍ ، وإبرامٍ ونقضٍ ؛ وإماتةٍ وإحياء ، وإيجادٍ وإفناء ؛ وإعزازٍ وإذلالٍ ؛ يُؤْتِى المُلكَ مَن يشاء ، ويَنزِعُ المُلكَ ممَّن يشاء ، ويُعِزُّ مَن يشاء ، ويُذِلُّ مَن يشاء ؛ إنه على كلِّ شىءٍ قديرٌ .

والصلاةُ والسلام على سيدِ العَربِ والعَجمِ ، المبعوثِ إلى جميع الطوائفِ والأُممِ ؛ سيدِنا ومولانا : محمدِ بن عبد الله ؛ وعلى آله وأصحابه الأعلامِ الهُداةِ .

***

أما بعدُ : فلا يختلفُ اثنانِ فى أنّ علمَ التراجمِ الذى يَبحثُ عن أحوالِ الفقهاء والعلماء ، والقُضاةِ والأمراء ، والكُتّابِ والشعراء ؛ علمٌ : جَليلُ الفائدةِ ، جَزيلُ العائدةِ ؛ خليقٌ : بأن ترغبَ فيه الأنفسُ ، وتُصرفَ إليه الهِممُ .

وقد ألّف فى ذلك كثيرٌ : من علماء الإسلامِ الأعلامِ ، فى كل عصرٍ وزمان .

وقد عُنيتُ بالبحثِ عن الكتبِ النادرةِ من هذا النوعِ ــ بعدَ أنْ وفقنى اللهُ سبحانه وتعالى ، لنشرِ الكثيرِ : من الكتبِ العلميةِ المفيدةِ ؛ من آثار السلفِ الصالحِ . ــ : فوُفِّقتُ لتزويدِ المكتبةِ العربيةِ ، بكتابَىْ : « تراجم رجالِ القرنين السادس والسابع ؛ المعروف : بذَيلِ الرَّوضَتَينِ ؛ لأبى شامة المقدسى » ، و « جَذوة المُقتَبِسِ ، فى ذِكرِ وُلاةِ الأندلسِ ، وأسماء رُواة الحديثِ وأهلِ الفقهِ والأدبِ ،

وذَوِى النَّبَاهةِ والشعر ؛ لأبى عبدِ الله : محمدِ بن فتوح بن عبدِ الله الْحُمَيْدِىِّ » .

* * *

والآنَ قد اعتزمتُ (بفضلِ اللهِ) نشر كتابَيْنِ آخَرَيْنِ لمحمد بن حارثٍ الْخُشَنِىِّ :

(أولُهما) : « قُضاةُ قُرْطُبَةَ » ؛ الذى ألفه ، بطلبٍ من الْحَكَمِ الثانى : الْمُسْتَنْصِرِ بالله . والذى يَختصُّ بمنزلةٍ ممتازةٍ ، بيْنَ الوثائقِ : التى تُخبِرُ عن الحياةِ الاجتماعيَّةِ بالأندلُسِ ، فى أيام الإمَارَةِ ، ثم الخلافةِ الأُمَوِيَّةِ .

وقد سَبقَ : أنْ نشَر هذا الكتابَ ، العلامةُ الْمُستَشرِقُ الإسْبانِىُّ : « خولْيان ربيرة » ؛ فى عام ١٩١٤ . معتمداً فى طبعته : على النسخةِ الخطيةِ الوحيدةِ ، المحفوظةِ بأكسْفُرْدْ .

بيْد أن الطبعة المذكورة : قد نفدتْ وأصبحت نادرة ، بل مفقودة . وستمتاز طبعتُنا عنها : بملْء فراغ الكلماتِ التى أشكلتْ على الناشرِ ؛ وبالرجوع ببعضِ الأسماء إلى مَظَانِّها ، والإشارة – فى الهامشِ – إلى موقعها .

(وثانيهما) : « علماء إفْرِيقية » ؛ الذى قام بنشره — فى عام ١٩١٤ — العالمُ الفاضلُ ، الشيخ محمد بن أبى شَنَبٍ ؛ مرْفقاً بكتابِ أبى العربِ ؛ تحتَ عُنوانِ : «طبقات علماء إفريقية » .

وقد ورد فى التاجِ الْمُذْهب ، باسمِ : « تاريخ علماء إفريقيةَ » ؛ وفى جَذوةِ الْمُقْتَبِس ، باسمِ : « أخبار الفقهاء والمحدِّثين بإفريقية » . وقد آثرنا الاختصار فى اسمه : مراعاةً لاسم الكتاب الأول . وذلك أمر : يُتَسَاهَلُ فيه ، ولا يَسْتَوْجِبُ نقداً . خصوصاً : بعدَ أنْ رأيْنا المتقدمين لم يتفقوا على تَسْميته .

* * *

أما المؤلفُ ، فهو : أبو عبد الله محمدُ بن حارثٍ بن أسَدٍ الْخُشَنِىُّ .

تَفَقَّه بالقَيْرُوانِ علَى : أحمدَ بنِ نصرٍ ، وأحمدَ بنِ زيادٍ ، وأحمدَ بن يوسُفَ ،

وابنِ اللبَّادِ . وسمِعَ من غيرِ واحـدٍ : من شيوخ إفريقية . وقدِم الأندلُسَ حدَثاً : وسنُّه اثنتا عشرة سنة . فسمع من ابن أيْمَنَ ، وقاسمِ بن أصْبَغَ ، وأحمدَ بن عُبادةَ ، وأحمدَ بن يحيَي بن لُبَابَةَ ، وأحمـدَ بن زيادٍ ، والحسن بن سعدٍ ؛ وغيرِهم : من القُرْطُبيِّينَ .

اسْتَوْطَن « قُرْطُبةَ » ؛ وقد دخَل « سَبْتةَ » قبل العشرين وثلاثمائة : فحبَسه أهلُها عندَهم ، وتَفقَّه عليه قومٌ منهم . وقيل : إنه حَقَّق قِبلةَ جامعِهم إذ ذاك ، فوجَد فيها تغْريباً : فامتَثلوا رأيَه وشرَّقُوها . ثم دخل الأندَلسَ ، وتَرَدَّدَ فى كُورِ الثُّغُورِ ؛ واسْتَقرَّ أخيراً بقُرطُبةَ .

كان (رحمه الله) : حافظاً للفقه مُتقدِّماً فيه ؛ نَبيهاً ذَكيًّا ، فقيهاً فَطِناً ؛ مُتقِناً عالماً بالفُتْيَا ؛ حَسنَ القياسِ فى المسائلِ .

ولِّىَ المواريثَ ببجَّانة ، والشُّورَى بقرطبـة ؛ وتَمـكَّن من ولىِّ عهدِها : الأميرِ الحـكَمِ ؛ وألَّفَ له تآليفَ حسنةً .

منها : كتابٌ فى الاتفاقِ والاختلافِ فى مذهبِ مالكٍ ؛ وكتابٌ فى المحاضِرِ ؛ وكتابُ رأىِ مالكٍ : الذى خالفه فيه أصحابُه ؛ وكتابُ الفُتْيَا ؛ وكتابٌ فى تاريخ علماءِ الأندَلُسِ ؛ وتاريخُ قُضاةِ الأندلُسِ ؛ وتاريخ الإفْرِيقيِّينَ ؛ وكتابُ التعريف؛ وكتابُ المولِدِ والوفاةِ ؛ وكتاب النَّسبِ ؛ وكتاب الرُّواةِ عن مالكٍ ؛ وكتابُ طبقاتِ فقهاءِ المـالـكيةِ ؛ وكتاب مناقب سحْنُون ؛ وكتابُ الاقتباس ؛ وغيرُ ذلك .

كان : عالمًا بالأخبار ، وأسماءِ الرجالِ ؛ وكان حكيماً : يعْمَلُ الأدْهانَ ، ويَتصرَّفُ فى الأعمالِ اللطيفةِ ؛ شاعراً بليغاً ، إلا : أنه يَلحَنُ . وآلَتْ به الحالُ – بعدَ موتِ الحـكَمِ ، وتَقصيرِ ابن أبى عامرٍ بصَنائعِ الحـكَمِ – إلى الجلوس فى حانُوتٍ : لبيعِ الأدهانِ .

حدَّث عنه : أبو بكرِ بنُ حوبيل ، وغيرُه .

قال أحمدُ بن عُبادةَ : « رأينَا ابنَ حارثٍ فى مجلسِ أحمدَ بنِ نصرٍ (يَعنى : وقتَ طلبِه) : وهو شُعلةٌ يتَوَقَّدُ فى المناظرةِ ». وتوفى سنة ٣٦١ ﻫ .

وقال الْحميدىُّ فى (جَذْوَةِ الْمُقتَبِسِ) : « محمدُ بن حارثٍ الْخُشَنىُّ : من أهلِ العلمِ والفضلِ ، فقيهٌ مُحدِّثٌ . رَوى عن ابن وَضَّاحٍ ، ونحوِه ، جَمع كتابَ : أخبار القُضاةِ بالأندَلُسِ ؛ وكتاباً آخرَ : فى أخبارِ الفقهاء والمحدِّثينَ ؛ وكتاباً : فى الاتفاقِ والاختلافِ لمالك بن أنسٍ وأصحابه . ذكره أبو عُمَرَ بنُ عبْدِ البَرِّ ، وأبو محمدٍ : علىُّ ابن أحمدَ . وأوْرَد عنه أبو سعيدِ بنُ يونُسَ – فى تاريخِهِ – :وفيَاتِ جماعةٍ من أهلِ الأندلُسِ : ممَّن مات قبلَ الثلاثمائة ، و بعدَها بمدةٍ . وقد أَفصَح أبو سعيدٍ باسمِه ونسبه، فى موضعين من التاريخ : فى باب السينِ ، وفى باب النونِ . وما أراهُ : لَقيَه ، ولكنه : عاصرَه ، وكان فى زمانه ، ووقفَ عَلَى كتابِهِ . وإنما يقولُ فيما يُورِدُه عنه — : من ذلك . — : ذكرَه الْخُشَنِىُّ فى كتابِه . كان : حيًّا فى حُدودِ الثلاثينَ وثلاثمائةَ . » .

* * *

هذا ما أكتَفِى بذكرِه : من ترجمةِ مؤلِّفِ هذيْنِ السِّفْرَيْنِ اللذَيْنِ هما : وَثيقتان عظيمتاَ الْخطرِ ، جَليلتاَ الأثرِ ؛ عن تاريخ الحياة العلمية والاجتماعية : فى قرطبةَ وإفريقيةَ . راجياً أن لا يُنْكَبَا : بدجَلِ الدجَّالين ، وحسدِ الحاسدين ؛ دكاترةِ الحىِّ اللاَّتِينِى بباريسَ وأعوانهم ؛ وأن لا ينالا — من قلةِ إنصافهم ، وحقيرِ افترائهم . — ما نَالَ كتابَ : (جَذْوَةِ الْمُقْتَبِسِ) ؛ الذى خَرَجَ من المعركةِ : عالىَ الهامةِ ، وافِرَ الكرامةِ .

* * *

ولمَّا كان الواجبُ : يُحتِّمُ علىالإنسانِ الاعترافَ بالجميلِ ؛ فلا يَسَعُنِى إلا الإشادةَ بذكرِ بعض أسماء مَنْ يتكرَّمُون : بتشجيعِنا على نشرِ الكُتُبِ العلميَّةِ المفيدةِ ؛ ويُسْدُون إلى (مَكْتَبِ نَشْرِ الثَّقافةِ الإسلاميَّةِ) — : من المعونة الصادقة . — ما كان أكبر دافع له : على الاستمرارِ فى خدمة العلمِ والأدبِ .

فمنهم: اللُّغوىُّ الأديبُ ، الشيخ : إبراهيم مرونى ؛ ناظرُ مدرسةِ المعلمين العُموميَّة .

والشيخ : عبدُ الغنىِّ عبد الخالق ؛ المدرسُ بكُلِّيَّةِ الشريعةِ الإسلاميَّة .
والمحقِّقُ القديرُ ، السيدُ : عبدُ القوىِّ الحلبىُّ .
والشيخ : محمد عيسى منون ؛ المدرس بمعهد القاهرة الأزهرى .
والأستاذ البحاثة : سيد صقر : المدرس بالأزهر .
والدكتور المحقق الكبير : سامى الدهان ؛ عضو المعهد العلمى الفرنسى .
والدكتورُ : محمد صادق ؛ مديرُ الشركةِ التجاريةِ للأدوية .
والأستاذُ الكبيرُ ، السيدُ : أحمد خيرى .
والأستاذُ الفاضل : فؤاد افندى السيد ؛ بقسم المخطوطات بدار الكتُبِ المصريةِ .

كما يجب : أنْ أُنَوِّهَ بفضلِ أصحاب أكبرِ دُورِ النشرِ للعلومِ والمعارف ، فى الشرق الأوسطِ ، وأصْدقِها معاملةً وأمانةً ، وهم : الأستاذُ الأديب ، السيدُ : قاسمُ الرجب ببغدادَ ؛ والأستاذ الفاضل : محمد نجيب أمين الخانجى بمصر ؛ والعلامةُ الجليلُ الشيخُ : محمد الثمينى بتونس ؛ والأديبُ الفاضلُ : الهادى بن عبد الغنىِّ بتونس ؛ والعالم الفاضل : الحاج محمد نمنكانى بالمدينة المنورة .

هذا ؛ وفى الختام ، أدعو اللهَ : أن يُوفقَنا إلى ما يحبُّه ويرضاه ؛ إنه سميعٌ مجيبٌ ؟

فى ١٦ ذو الحجة ١٣٧٢ — السيد عزت العطار الحسينى

بسم الله الرحمن الرحيم

صلَّى الله على محمد وآله وسلَّم تسليما

حدثنا أبو محمد بن عتاب ، عن أبيه ، عن أبى بكر التجيبيّ

قال أبو عبد الله محمدُ بن حارثٍ الخُشَنيُّ رحمه الله : وصل الله بالأمير الحكَمِ المستنصِرِ (رحمه الله) ولىِّ عهد المسلمين ، أسبابَ السعادةِ ، ومدّ له فى مدة العز ؛ وزاده من نعمة التوفيق : أنه لما حسُن [رأى][1] الأمير أبقاه الله ، واستحكمتْ بصيرتُه (سدده الله) فى حفظ العلوم ومطالعةِ الأخبارِ ، وفى معرفة النَّسَبِ وتقييد الآثارِ ؛ وفى الإشادة لفضائل السلفِ ، والتقليدِ لمناقب الخلَفِ ؛ وفى التذكير بالمنسىِّ من الأنباء ، والإشارة للسالف من القَصَص وبخاصة : ما كان فى مِصره قديماً ، وفى عصره حديثاً ـ : جعل الله ذلك سبباً قوياً لحياة القلوب ، وعلَّةً ظاهرةً لنباهة النفوس ؛ فتحرك أهل ال[علوم[2]] بما حركهم إليه الأمير الموفَّقُ : فاستحفظوا ما أضاعوا : من غُرر الأخبارِ ؛ وقيدوا ما أهملوا : من عيون المعارفِ ، واتصلت بجميعهم بركةُ الأميرِ (أبقاه الله) فى ذلك ؛ وكذلك خيرُ الفضائل : ماسطع نورُه ، وانتشر ذكره ، وكان علة لفضائلَ وسبباً لمفاخرَ .

فالحمدُ لله الذى جعل الأمير (أيده الله) : إماماً فى الخير ، ودليلا فى طرائقِ الرشدِ ، وهادياً[3] إلى جميل المذاهبِ ، وأُسْوةً فى الُحسنى ، ومِفتاحاً إلى حميد الأمورِ ، وبابا إلى الفضل . هنأه الله نعمتَه ، وأدام غِبْطتَه ، و[أسبغَ][4] عليه فضلَه ، ووفَّر من المكارم حظَّه .

---

(١) و (٢) بياض : فى الأصل .

(٣) فى الأصل : ومهادياً (٤) بياض : فى الأصل .

فإنه لما أمر الأمير (أبقاه الله) : بتأليف كتابِ : (القُضاة) : مقصوراً على مَنْ قَضى للخلفاء (رضى الله عنهم) بأرض المغرب ، فى الحاضِرة العُظمى : (قُرْطُبَة) ، ذاتِ الفخر الأعظم ؛ ولعُمَّالهم بها مِنْ قبلُ — : هززتُ رواةَ الأخبارِ ، فى أخبارهم ، وكاشفتُ أهلَ الحفظِ عن أفعالهم ؛ وسألتُ أهلَ العلمِ عما تَقدم : من سيرهم قولاوفعلا . فألفَيْتُ من ذلك، فصولا : تَرُوقُ المستفهمين ؛ وقِصصاً : تُبهِجُ السامعين ؛ وأخباراً : تدُلُّ الناظرينَ المُتعقّبين : على حَصافة العقولِ ، وسَعةِ العلومِ ؛ وعلى رَجاحةِ الأحلامِ ، وثقافةِ الأفهام ؛ وعلى صِدْقِ البصائر ، وصحةِ العزائم ؛ وعلى [حُسن[1]] مآلِ الفضلِ ، [واستقرارِ[2]] العدلِ ؛ وعلى استقامة الطريقة ، و [سلامة المعاملة[3]] ؛ وعلى ما لِمَن اسْتَقْضاهم — : من الخلفاء رضى الله عنهم . —: من الأوصاف الرضيَّةِ[4] : فى حُسن الارتيادِ ، وجميل الاختيار ؛ وفى [نُصْحِ[5]] القُضاةِ ؛ بحميد[6] العِظات ؛ وفى إيثار الصدقِ ، وتأييدِ [الحقِّ[7]] ؛ وذلك جديرٌ بقضاة مثلِ هذا المصر الأكبر : بَيْضةِ [الخلافة[8]] ، ودارِ الإمامة ، وحاضرةِ الجماعةِ ؛ ومعدِنِ الفضائلِ ، ومَسكَنِ الأفاضل ؛ وكَمِينِ العلومِ ، ومَجمعِ العلماء ، وقاعدة الأرض .

فأدام الله فضلَها ، وأكملَ حُسنَها : بالإمام العادلِ ، والمَلِكِ الفاضلِ ؛ أميرِ المؤمنين عبد الرحمن (أطال الله بقاءه) ؛ ثم : بالمصطَفَى لعهده ، الممثلِ[9] لمجده جعله الله إماماً فى الخيرات ؛ وعَلَماً فى الصالحات .

* * *

قال محمد : لمَّا كان القاضى أعظمَ الولاة خطَراً ؛ بعدَ الإمامِ الذى جعله اللهُ :

---

(١) بياض : فى الأصل . (٢) فى الأصل : واستفزاز .
(٣) بياض : فى الأصل . (٤) فى الأصل : وعلى أوصاف .
(٥) بياض : فى الأصل . (٦) فى الأصل : بحمين .
(٧) و (٨) بياض : فى الأصل . (٩) فى الأصل : المثل .

زِماماً للدِّين ، وقِواماً للدنيا؛ . ــ : لما يتقلَّده القاضى : من تنفيذِ القضايا ، وتخليدِ الأحكام : فى الدماء ، والفروجِ ، والأموالِ ، والأعراض ؛ وما يتصلُ بذلك : من ضُروبِ المنافعِ ، ووجوه المضار . وكانت العقبى من الله فى ذلك : فظيعةَ المقامِ ، هائلةَ الموْقِفِ ، مَخُوفَةَ المَطْلَعِ ، . ــ : اختلفتْ فى ذلك الهِمَمُ من عُقلاء الناسِ وعُلمائهم ، فقَبِل كثيرٌ منهم القَضاءَ : رغبةً فى شَرَفِ العاجِلةِ ؛ ورجاءً لمعونةِ اللهِ عليه ، واتكالاً على سَعةِ عفوه فيه ، ونَفَر آخَرُون منه : رهبةً من مكروه الآجِلَةِ ، وحِذاراً من الله : فيما قد يكونُ منهم ، وعلى أيديهم .

قال محمد : وقد سَلَف من رجال الأندَلُسِ ــ : من أهلِ حاضرتِها العظمى . ــ رجالٌ دُعوا إلى القضاء : فلم يُجيبوا؛ ونُدِبُوا إليه : فلم يَنْتَدِبُوا ؛ رهبةً [فى صميم[1]] أنفسهم من مُنْتَظَرِ العاقبةِ .

وقد رأيت . أن [أُدوِّنَ[2]] ذِكْرهم ، وأصِفَ[3] . مَقاماتِهم بيْنَ يَدَىْ خُلفائهم ، و إشفاقهم مما دعاهم إليه أمراؤهم ؛ وأنْ أجعلَ لذلك باباً فى صَدْرِ الكتابِ ؛ ثم أصِيرَ إلى ذِكرِ وُلاةِ القضاء : قاضياً فقاضياً ؛ على ما كانتْ عليه دُوَلُهم ؛ إن شاء الله ؛ وأسئلُ اللهَ : جميلَ المعُونةِ : على صوابِ القولِ ، ومحمودِ الفِعلِ ؛ فإنه الهادى إلى سَواء السبيلِ .

---

(١) و (٢) بياض : فى الأصل .

(٣) فى الأصل : ووصف .

« باب : مَن عُرِض عليه القضاءُ : من أهل قرطبة ؛ « فأبَى من قبوله »

قال محمد : استشار الأميرُ عبدُ الرحمن بنُ معاوية (رضى الله عنهما) أصحابَه : فيمن يُوَلِّيهِ القضاء بقُرْطُبَة ؛ فأشار عليه ابنُه هِشامٌ (رحمة الله عليه) ، وابن مُغيثٍ الحاجبُ : بالمُصْعب بن عِمْرَانَ[1] ، فقَبِلَ الأميرُ عبدُ الرحمن رأيَهما ، وأمَر بالإرسال إلى مُصْعَبٍ ؛ فلمَّا قدِم : أدخلَه عَلَى نفسِه بحضرة ابنِه هِشامٍ ، وأحمدَ بن مُغيث ، وجماعةِ أصحابِه . فعرَض عليه وِلايةَ القضاء : فأبَى من قَبولها ، وذكَر أعذاراً له فى ذلك . فردَّد عليه الأميرُ عبدُ الرحمن القولَ ، وأظهرله العزيمة ، ولم يُوسِعْه العُذرَ فى ترك القبولِ ؛ فأصَرَّ عَلَى الإبايةِ لها ، وتمادَى على النفورِ منها . فلما يئس الأميرُ عبدُ الرحمن (رحمه الله) منه : أطْرَق ؛ وجعل يَفْتِلُ شاربَه ، وكان : إذا غضب فتَلَ شاربَه ؛ فالوَيْلُ للمغضوب عليه ، حتى خاف من حضَرَ ، عَلَى مُصْعَبٍ ، من بادِرةٍ تكونُ من الأمير فيه : لهَوْل مَقامِه ؛ وجعل بعضُ الحاضرين : ينظرُ إلى هشامِ بن عبد الرحمن ، وإلى أحمدَ بنِ مَغيثٍ : كالقائلين لهما : [لما][2] عرَّضْتُما بالرجل ؟ فرفَعَ الأميرُ رأسَه ، فقال لمصعب : اذهبْ فعلَيك كذا وكذا ؛ وعلى اللذَيْن أشارا بك . ولم يكن — : من عقوبته له فى حُمَيَّا الغضبِ أكثر من ذلك . وخرج مُصعبٌ : فلَحِق بمكانه . فلم يَزَلْ به : حتى أفْضَتْ الخلافةُ إلى هشامٍ (رحمه الله) ؛ فأرسل فيه ، وعزَم عليه : فى القضاءِ . وسنذكرُ ذلك : مبيَّناً إن شاء الله .

* * *

---

(١) انظر ترجمته فى «تاريخ قضاة الأندلس ٤٤ – ٤٧» .

(٢) فى الأصل : ماذا .

قال محمدٌ : وذكر أبو مَرْوانَ عبيدُ الله بنُ يحيى ، عن أبيه : أن الأميرَ هِشاماً ، أراد زِيادَ بن عبد الرحمن[1] للقضاء؛فخرج هاربا بنفسه فقال هشامُ بن عبد الرحمن ـ عند ذلك ـ : « ليتَ الناسَ كزيادٍ : حتى أُكْفَى حبَّ أهلِ الرغبةِ » ؛ وأمَّنه. فرجع إلى مَسكَنه .

٢

قال محمدٌ : قال لى عثمانُ بن محمد : سمعتُ محمدَ بن غالبٍ ، يقول : لمَّا بَعث الوزراء فى زياد بن عبد الرحمن ، وعَرضوا عليه القضاءَ عن الأمير هشامٍ (رحمه الله) ـ قال لهم : « أما إن أكرَهتمُونى على القضاء : فزوجتى طالقٌ ثلاثاً ؛ لئن أتى [لى[2]] مُدعٍ فى شىء : مما فى أيديكم ؛ لأُخْرِجنَّه عنكم ، ثم لأجعلَنَّكم فيه : مدعين. » . فلما سمِعوا ذلك منه : عمِلوا فى مُعَافاته .

***

قال محمدٌ : وأخبرنى بعضُ رُواةِ الأخبارِ ، قال : لمَّا مات القاضى محمدُ بن بشيرٍ : ذكر الأميرُ الحَكَمُ القَضاءَ ، ومَن يَصلُحُ أن يُوَلِّيَه ؛ فقال : « ما أرى غيرَ فقيهِ البلدِ : محمدِ بن عيسى الأعْشَى[3] ؛ وما يَغُمُّنِى منه غيرُ إفراطِ الدُّعابةِ التى فيه . » . وعزَم على ذلك من أمره . فقال له بعضُ الوزراء : لو امتحنتَ أمْرَه قبلَ المُشافهةِ : كان ذلك رأياً حسناً ؛ فأرسَل إليه بعضَ وزرائه : فنزَل عليه ، وذاكرَه الأمرَ ، وأعلَمه بما عابه به الأميرُ : من إفراط دُعَابتِه . فقال : « أمَّا القضاء : فإنى (والله) لا أقبلُه البَتَّةَ : ولو فُعِل بى وفُعِل ؛ فلا يَحتاجُ الأميرُ (أبقاه الله) : أن يَكْشِفَ إلىَّ وجْهَه فى ذلك ؛ وأما الدُّعابةُ : فعَلىُّ بنُ أبى طالبٍ (رضى الله عنه) لم يَدَعْها للخلافة ؛ أأدعها للقضاء ؟!. » . فلمَّا بلَغ الأميرَ قولُه : عافاه ، ونظر فى غيره.

٣

***

(١) انظر « تاريخ قضاة الأندلس ١٧ » .

(٢) فى الأصل : بى .

(٣) انظر « جذوة المقتبس ٦٩ ؛ ١٠٦ » .

٤ قال محمدٌ : « وكان للأمير الحكمِ (رضى الله عنه) قاض بكُورةِ جَيَّانَ فتظلَّمَ أهلُ الكُورةِ منه : فعَهِدَ الأميرُ الحكمُ إلى سعيد بن محمد بن بشيرٍ ـ قاضى الجماعةِ بقُرطبة ـ : أنْ ينظُرَ عَلَى قاضى جَيَّانَ ؛ فإن ظهر بريئاً : أقرَّه على قضائه ؛ وإن ظهر عليه ما رُفع إلى الأمير فيه : عزَلَه عن الكُورةِ . فنَظَرَ قاضى الجماعةِ : فألفاه بريئاً ؛ فقال له : انصرف إلى قضائك . فقال : « امرأتى طالق ـ وعلىَّ من الأيْمان كذا وكذا : أبَرُّ وأوْفى من أيمان أبيك التى حَلَف بها . ـ : لا نَظرتُ بين اثنين : حتى ألقَى اللهَ . » . وكان محمدُ بن بشيرٍ : قد عزله الأميرُ ، فحَلَف أن لا يلى القضاءَ أبداً ؛ بطلاق زوجتِه . وعِتْقِ رقيقِه ؛ فلما عزَم عليه الأمير ـ بعد ذلك ـ فى صرفه أُحْنِثَ فى أيمانه ، وطَلَّقَ الزوجةَ ، وأعتَق الرقيقَ ؛ وأخلَفَ له الأميرُ كلَّ ذلك : إذ أعلَمه به .

* * *

قال محمدٌ : وحدثنى عثمانُ بن محمد ، قال : حدثنى أبو مَرْوانَ عبيدُ الله بن يحيى ، عن أبيه يحيى ، قال : « لما وَلِيَ الأميرُ عبدُ الرحمن بن الحكمِ (رضى الله عنهما) ٥ ألحَّ [عَلَىَّ[1]] فى القضاء ـ وكان صاحبَ الرسالةِ فى ذلك طَرَفةُ ـ فقلت له : المكانُ الذى أنا به ـ لما تريدون ـ خيرٌ لكم : إنه إذا تَظلَّمَ الناسُ من قاضٍ أجْلَسْتُمُونى فنظَرْتُ عليه ؛ وإن كنتُ القاضىَ فتَظَلَّمَ الناسُ منى : مَن تُجلِسُون للنظر عَلَيَّ ؟ : مَن هو أعلم منى ؟ أو مَن هو دُونى فى العلم ؟ ! . فقبِلَ ذلك منى ، وعافانى[2] .» .

قال محمدٌ : قال خالدُ بن سعدٍ : كان أحمدُ بن خالدٍ يحدِّثُ : أنه لما مات يحيى بنُ يَعْمُرَ : بقِيَ الناسُ بلا قاض ، حتى خَطَر بهم يوماً زرْيابٌ : راكباً إلى البلاطِ ؛ فسألوه : أنْ يُخبرَ الأميرَ عنهم ، بما هم عليه : من سوء الحال ؛

(١) فى الأصل : عليه . (٢) فى الأصل : وعافى بى .

إذ ليس لهم قاضٍ ؛ فلمّا دخل زرْيَابُ عَلَى الأمير : ذكر ذلك له ؛ فقال له الأمير : « يازرياب ؛ واللهِ : ما منعنى من تَوْلِيةِ قاضٍ ، إلاَّ أنى لستُ أجد أحداً أرضاه ، غيرَ رجلٍ . » ؛ قال زرياب : فقلت : أصلح اللهُ الأميرَ ؛ ومَن هو ؟ قال : « يحيى بن يحيى[1]؛ غير أنه يأبَى عليَّ من ذلك » . فقال له زريابُ : فإذ تَرْضاه للقضاء ، فاسأله : أنْ يَدُلَّك على قاضٍ . فقال له الأمير : « قلتَ قولاً سديداً » فأرسل فى يحيى ، وسأله : أن يُشيَر بقاضٍ يَرْضاه : إذا لم يقبل هوالقضاء فى نفسه . فأشار : بإبراهيمَ بن العباس ؛ فولاَّه الأميرُ .

قال محمد : قال خالد بن سعد : وأخبرنى بعضُ أهلِ العلمِ : أنَّ يحيى أبَى : أنْ يَقبلَ القضاءَ ، وأبى أن يُشيرَ بأحدٍ .

قال محمدٌ : قال خالدُ بن سعدٍ : حدثنى مَن أثِقُ به ، عن يحيى بن زكرياءَ ، عن محمد بن وَضَّاح ، قال : لمَّا عزَم الأميرُ علَى يَحيى : على تَوْلِيةِ القضاء ، فأبى ولج عليه — قال : فأشِرْ علىّ برجلٍ . قال : « لستُ أفعلُ : لأنى إن فعلتُ : شَرِكْتُه فى جَوْره : إن جار » . فأحفَظَ ذلك الأميرَ عبدَ الرحمن : فأمر صاحبَ رسائله : أن يكون رقيباً علَى يَحيى ، وغدا به إلى الجامعِ ، ودَفَع إليه الديوانَ ، وقال للخصوم : هذا قاضِيكم . فلَبِث فى ذلك ثلاثاً ، فلما ضاق الأمرُ على يَحيى : أشار بإبراهيمَ بن العباس .

* * *

٦ قال محمدٌ : وكان عثمانُ بن أيوبَ بن أبى الصَّلْتِ[2] : من أهل العلمِ بقُرطُبَة ؛ وكان : : ممَّن بُسِطَتْ له الدنيا ؛ فأبى أنْ يَقبلَها ، وأعرَضَ عنها .

قال خالدُ بن سعدٍ : سمعتَ ابنَه إسماعيلَ ، يقولُ : عُرِضَتْ على أبى وِلايةُ

---

(١) انظر « تاريخ قضاة الأندلس ١٥ وجذوة المقتبس ٣٥٩ ، ٩٠٨ » .

(٢) انظر : «جذوة المقتبس ٢٨٥ ، ٦٩٦» .

القضاء ، فأبَى أنْ يَقبلَها ، واسْتَعْفَى منها .

* * *

قال محمدٌ : وممَّن عُرِض عليه القضاء : من شيوخ قُرطُبةَ ، فأبَى من قبوله — :

٧ إبراهيمُ بن محمد بن بازٍ[1] ، وكان السببُ فى ذلك — فيما أخبرنى بعضُ وُلاةِ الأخبارِ — : أن الأميرَ محمدَ بن عبد الرحمن ، (رحمه الله) أدخَل على نفسه هاشمَ ابن عبد العزيز يوماً ، فقال له : ياهاشم ؛ كنتُ أرَى رُؤْيا عجيبةً فى رجــل ، لاأدرى : من هو ؟ كنتُ أرَى نفسى فى المصارة ، حتى لقِيتُ أربعةً : من الرجال ؛ رُكباناً على دَوابَّ لهم ؛ لم أرَ فى الرجال : أصبَحَ منهم وُجوهاً ، ولا أبْهَى مَنظَراً ؛ فجعلتُ أتعجبُ منهم ؛ وإنهم طلَعوا إلى الحرف : فتبعتُهم ؛ فأخذوا عَلَى جهةِ اليمينِ : حتى انْتهَوْا إلى مسجدٍ تُقابلُه دارٌ ؛ فقرَعُوا بابَ تلك الدار : فخرج إليهم رجلٌ منها ، فصالحوه ودَعَوْا له ، وناجَوْه ساعةً ؛ ثم زالوا عنه . فقلتُ : مَن هؤلاء ؟ فقيل لى : محمدٌ النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) ، وأبو بكرٍ ، وعمرُ ، وعثمانُ ؛ أتوْا لهذا الرجلِ : عائدِينَ فى مرضه . ثم قال لهاشم : قد عرَّفْتُك بالمسجد والدار : حتى كأنى وَقَفْتُ بك إليها ؛ فاذهبْ فاعرِف : مَن صاحبُ تلك الدارِ ؟ .

فقال له هاشمٌ : قد عرفتُها دونَ أنْ أتعَرَّفَها ؛ هى : دارُ إبراهيمَ بن محمد بن بازٍ .

فقال له الأمير : عزَمتُ عليك : لتذهبن متعرفاً بحاله .

ففعَل هاشمٌ ؛ ثم أتاه : بتصحيحِ ما قال له مِن قبلُ ؛ وأعلمه : أن الرجــلَ مريضٌ . فكان ذلك سبباً : لأنْ عرَض عليه الأميرُ قضاءَ الجماعة ؛ وأرسَل إليه بذلك هاشمَ بن عبد العزيز : فأبَى من قبولها ؛ فأعاد عليه الأمير هاشماً : إذ لم تَقبلْ القضــاءَ ، فكنْ أحدَ الداخلين علينا ، الذين نُشاوِرُهم فى أمورنا . فقال إبراهيمُ لهاشم : يا أبا خالدٍ ؛ إنْ ألحَّ عَلَيَّ الأميرُ فى شىء من هذا : هرَبتُ بنفسى عن هذا البلد ؛ فأعرَضَ الأميرُ محمدٌ (رحمه الله) عنه وعن خبره .

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ١٢ .

قال لى أحمدُ بن عُبادَةَ الرُّعَيْنِيُّ : كان المنذر بن محمد — إذ كان ولَداً — هو : الذى خاطبه فى القضاء ، فأبَى من قبوله ؛ فكان المنذرُ يقولُ : لو قبِل منى الأميرُ لأكرَهتُه عليه .

* * *

٨ قال محمدٌ : وممَّن جاهدَ بالإصرار على الإبابة عن القضاء ؛ محمدُ بن عبد السلام الخُشَنِىُّ(١) فإنه أمر الأمير محمد بن عبد الرحمن (رحمه الله) : أنْ يُبعثَ فى الخُشَنِىِّ ، و يُستَقضَى على كُورة جَيَّانَ .

فأرسَل فيه الوزراء ، وقالوا : إن الأميرَ يَسْتَقْضِيك على كُورة جَيَّانَ . فأبَى ونفَر من ذلك نُفوراً شديداً ؛ فعُولِجَ ولُوطِفَ : فلم يزدد إلا نُفوراً وإبايةً ، فكتبُوا إلى الأمير : بخبره ، وأنه لَجَّ فى أن لا يَقبلَ ، فوقَّع إليهم الأميرُ توْقيعاً غليظاً ؛ معناه : إنْ عانَدَنا فقد عرض بنفسه ودمه ؛ فلمَّا سمع ذلك الخُشنِىُّ : نزعَ قَلَنْسُوَةً من رأسه ، ومَدَّ عُنقَه ، وجعل يقولُ : أبَيْتُ ، أبيتُ : كما أبَتْ السماواتُ والأرضُ ؛ إبَايَةَ إشفاقٍ ، لا : إبايةَ عِصيانٍ ونفاقٍ ، فكتبُوا إلى الأمير بلفظه ؛ فكتَب إليهم : أنْ سَلِّلُوا أمْرَه ، وأخرِجوه عن أنفسكم ؛ فقال له الوزراء : تَنظرُ فى أمرك ليلتَك هذه ، وتَستَخيرُ الله فيما دُعيتَ إليه . وخَرَج عن القوم .

* * *

قال محمدٌ : قال خالدُ بن سعدٍ : ذكَر لى محمدُ بن فُطَيْسٍ : أن الأميرَ محمداً أمرَ

٩ الوزراء : أنْ يُرسِلوا فى أبَانَ بنِ عيسى بن دينار(٢) ، وأنْ يُوَلُّوه قضاء جَيَّانَ .

فلمَّا أرسَلُوا فيه ، وعرَضُوا ذلك عليه — : اسْتَعْفَى وأبى ؛ فأمرَ الأميرُ محمدُ بن عبدِ الرحمن : أنْ يُوَكَّلَ عليه الحَرَسُ ، حتى يَبْلُغَ جَيَّانَ ، ويَجْلِسَ بها : مَجلِسَ القضاء والحُكمِ بيْن الناسِ ؛ فوكَّل عليه الوزراء الحرسَ ، وسارُوا به

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ١٣ ، و«جذوة المقتبس ٦٣ ، ١٠٠ »

(٢) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ١٢ — ١٣ ، و «جذوة المقتبس ١٦١ ، ٣١٨ »

واقْعدُوه ؛ فحكَمَ بيْنَ الناس يوماًواحداً ؛ فلمّا آن الليلُ : هرَب ؛ فأصبح الناسُ يقولون : هرَبَ القاضى . فَرجَع الخبرُ إلى الأمير (رحمه الله) ، فقال : هذا رجلٌ صالحٌ ؛ ولكنْ : يُطْلَبُ حتى يُعرَفَ مَوضعُهُ ؛ فطُلِب ؛ فلمّا عُرِف مكانُه : رضِيَ الأميرعنه . فلمّا قدِم قُرطبةَ : ولاَّه الأميرُ صلاةَ الجماعةِ بقُرطبةَ .

قال محمدٌ : قال بعضُ أهلِ العلمِ : فكان – إذْ وُلِّيَ الصلاةَ — : ظاهرَ الخشوعِ ، كثيرَ البُكاء ؛ إذا سَلَّم من صلاة الجُمُعةِ : لم يَلبَثْ ساعةً فى المسجد ؛ اتِّباعاً للسنة .

* * *

١٠ قال محمدٌ : كان المُنذرُ بن محمدٍ (رحمه الله) : شديدَ الإعظامِ لبَقِيِّ بن مَخْلَدٍ[1] ؛ دَخَل عليه — يوم البُروزِ — فى المُصَلَّى : فمنَعه من تَقبيل يدِه ، وأجلَسَه على جانبٍ من فِراشه على رُءوس الناس ؛ وكان له :خاصاً وصنيعةً ؛ قبلَ وِلايةِ المُلكِ ؛ وكان قد قَدَّم إليه بَقِيُّ بن مَخْلَدٍ البُشْرَى بالخلافة . فلما صارتْ إليه الخلافةُ : وَفَّى له ، وتمادَى عَلَى ما كان له : من الإجلال والإكرام .

فلمَّا عُزِلَ سُليمانُ بن أسودَ عن القضاء ، أمرَ الأميرُ المنذرُ : فى بَقِيِّ بن مَخْلدٍ ؛ فعُرِض عليه القضاء : فأبى من ذلك ؛ فذَهب : إلى استكراهه على ذلك ؛ فقال له : ما هذا جزاءُ محبّتِي وانقطاعى ، فقال المنذرُ : أمَا إذا أبيْتَ ، فما ترى فيمَن أشار به الوزراءُ ؟ فقال : ومن هو ؟ قال : زيادُ بن محمد بن زيادٍ . فقال له : نعم المُحْدَثُ . فقال له المنذر : فأشِرْ عليَّ بقاضٍ ترضاه المسلمين . فقال : أُشِير عليك برجل من آل زيادٍ ، يُعرفُ : بعامرِ بن مُعاويةَ . فقَبِل منه المنذرُ (رحمه الله) ، وأرسَل فى عامرٍ ، ووَلاَّه قضاءَ الجماعةِ بقُرطُبةَ .

* * *

---

(١) انظر : جذوة المقتبس ١٦٧ ، ٣٣١ ؛ وتاريخ قضاة الأندلس ١٨ .

١١ قال محمد : وممّن عُرِض عليه القضاء ، فأبَى منه — : أبو غالبٍ عبدُ الرءوف ابنُ الفرج [١].

قال لى أبو محمدٍ قاسمُ بن أصبَغ : نزل موسى بن حُديرٍ ، عَلَى أبى غالبٍ بن كِنانةَ ، فعَرَض عليه القضاءَ ، عن الأمير عبدِ الله بن محمدٍ (رحمه الله) : فأبى من قبوله .

قال محمدٌ : قال لى بعضُ أهلِ العلمِ : لمّا قدِم أبو غالبٍ عبدُ الرءوف بن الفرج من الحجِّ — : سَلَكَ طريقَ التقشُّفِ والتَّنَسُّكِ والتَّدَيُّنِ ؛ وكان الأميرُ عبدُ الله ابن محمد : به مُعْجَباً ؛ وكان : ربَّما اشْتَهَى رؤيتَه من غيرِ أن يُدخِلَه على نفسه ؛ فتعرَّض رؤيتَه يومَ الجُمُعةِ ، من السَّاباطِ ، عندَ رَوَاحِه من الجُمُعة .

فذكره الأميرُ يوماً ، وقال : لا بُدَّ من أنْ [نَضُمَّه [٢]] إلى الوزارة ، أو إلى القضاء ، وكان عبدُ الله بن محمد بن أبى عَبْدَةَ : أقْرَبَ الوزراء ، من أبى غالبٍ : محبةً ومكانةً ؛ فقال الأميرُ : ينبغى : أن لا يُهجَمَ على الرجل ، حتى يُتَعَرَّفَ ما عندَه فى ذلك .

قال سَكَنُ الكاتبُ : فأرسلَنى عبدُ الله بن محمد : إلى أبى غالبٍ ، فعرَضتُ عليه مُرادَ الأمير (قال سكنُ) : فتلقَّانى فى ذلك : بالتضاحك والدُّعَابة ؛ حتى أطمَعَنِى فى نفسه ؛ وجعل يقولُ : أنتم أشَحُّ على دُنياكم ، [وأضَنُّ [٣]] بها : من أنْ تُعطُوا منها لأحد شيئاً ، أو تُشرِكوا فى شىء منها صديقاً . (قال سكنُ) : فلمّا سرتُ إلى الاستقصاء عليه ، قال لى : باللهِ لئنْ عاوَدْتَنى بهذا ، أو بَلَّغْتَنى عن الأمير فيه عزيمةً — : لأخرُجَنَّ من الأندَلس .

---

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ١٩ .
(٢) فى الأصل نصفه (٣) فى الأصل واظن

« بابُ : أخبارِ قُرْطُبَةَ وقُضَاتِها قبْلَ الخُلفاءِ . »

***

« ذِكْرُ القاضى مَهْدِىٍّ بن مُسْلِمٍ [1] »

قال محمدٌ : فمِنْ قُدَمَاءِ قُضَاةِ قُرْطُبَةَ ـ : الذين قَضَوْا بها للأمراء ، العُمَّالِ ، الوُلاةِ ، القُوَّادِ ، قَبْلَ دخولِ الخلفاء (رضى الله عنهم) الأندلُسَ : مَهْدِىٌّ ابن مُسْلِمٍ . وهو من أبناء المسالمةِ : من أهل الدينِ والعلمِ والورعِ ؛ اسْتَقْضاه عليها عُقْبَةُ بن الحجَّاجِ السَّلُولِىِّ .

١٢

حدثنى أحمدُ بن فَرَجِ بن منتيلٍ ؛ قال : حدثنى أبو العباسِ أحمدُ بن عيسى ابن محمدٍ المَقَّرِىُّ ـ بمدينة : تنيس [2] ـ قال : وَلِّىَ الأندلسَ عُقْبَةُ بن الحجَّاجِ السَّلُولىُّ ؛ فكان : صاحبَ جهادٍ ورِباطٍ ؛ وذا نَجْدَةٍ و بأسٍ ورَغْبَةٍ فى نِكَايَةِ المشركين ؛ وكان إذا أسَرَ الأسيرَ : لم يقتُله حتى يَعْرِضَ عليه الإسلامَ حِينا ، ويُرَغِّبَهُ فيه ، ويُبَصِّرَه بفضله ، ويُبَيِّنَ له عُيوبَ دينه الذى هو عليه . فيُذْكَرُ : أنه أسلَمَ على يدَيْه بذلك الفعلِ ألفا رجل .

وكان : قد اتَّخَذَ بالأندلُس مَقَرًّا ، مدينةً يقالُ لها : أربونة ؛ وكان : قد عرَف مَهْدِىَّ بن مُسلمٍ : بالعلمِ والدينِ والوَرَعِ ؛ فكان : قد اسْتَخْلَفَه على قُرْطبةَ ، وأمَرَه : بالقضاء بَيْنَ أهلِها ؛ وكان قد عرَفه ـ مع ذلك ـ : بالبلاغة والبيان ؛ فلمَّا أراد تَوْلِيتَه ، قال له : اكتُبْ عهدَكَ عنِّى لنفسك ، فكتَبَ مَهْدِىٌّ :

---

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ص ٤٢ .

(٢) فى جذوة المقتبس : تنس . انظر معجم البلدان ٢ / ٤١٤

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« هذا ما عَهِدَ به عُقبةُ بن الحجّاجِ ، إلى مَهْدِيِّ بن مُسلمٍ : حينَ وَلاَّه القضاء ؛ عَهِدَ إليه : بتقوى الله ، و إيثارِ طاعتِه ، واتِّباعِ مَرْضاتِه : فى سرِّ أمْرِه وعَلانيتِه ؛ مُرَاقِباً له ، مُسْتَشْعِراً لخَشْيةِ الله ؛ مُعْتَصِماً : بحبلِهِ المَتِين ، وعُرْوَتِهِ الوُثْقى ؛ مُوفياً بعَهْدِه ؛ مُتوَكِّلاً عليه ، واثِقاً بهِ ، مُتَّقياً منه ؛ فإن اللهَ مع الَّذينَ اتقوْا والَّذينَ هم مُحْسِنُونَ . »

«وأمَرَه : أنْ يَتَّخِذَ كتابَ اللهِ ، وسُنَّةَ نبيِّه محمد (صلى الله عليه وسلم) — إماماً : يَهْتَدِى بنورِهما ؛ وعَلَماً : يَعْشُو إليهما ؛ وسِرَاجاً : يَسْتَضِيءُ بهما ؛ فإنَّ فيهما : هُدًى من كلِّ ضَلالَةٍ ، وكَشْفاً لكلِّ جَهالَةٍ ؛ وتَفْصِيلاً لكلِّ مُشْكِلٍ ، و إبَانَةً لكلِّ شُبْهَةٍ ؛ و بُرهاناً ساطعاً ، ووكيلاً شافياً ، ومناراً عالياً ، وشفاء لما فى [القلوب [1]] ، وهدًى ورَحمةً للمؤمنين . »

« وأمَرَه : أنْ يَعْلَمَ أنه لم يَخْتَرْه لمصالح العبادِ والبلاد ، وتَوْليةِ القضاء — الذى رَفع اللهُ قدرَه ، وأعلى ذِكرَه ، وشرَّف أمْرَه — إلاَّ : لفضل القضاء عند اللهِ (جل جلاله) ؛ لما فيه : من حياةِ الدِّين ، و إقامةِ حُقوقِ المسلمينَ ؛ و إجراء الْحُدودِ مَجَارِيهَا : على مَن وَجَبَتْ عليه ؛ و إعطاء الْحُقوقِ : مَن وَجَبَتْ له . ولِمَا رجا عنده — : فيما يُمضِيه ، ويَتَقَدَّمُ فيه ، ويَحكمُ به . — : من إيثارِ حقِّ اللهِ (عز وجل) ، وطَلبِ الزُّلْفةِ لدَيْهِ ، والقُرْبةِ إليه ، و : أنْ يُحاسِبَ نفسه — فى يومه وغده — : فيما تقَلَّد : من الأمانةِ : الثَّقيلِ حِمْلُها ، الباهِظِ عِبؤُها [2] ؛ فإنه مُحاسَبٌ ومُوعَدٌ ومَوْعُودٌ . »

---

(١) فى الأصل : السكدوب .

(٢) فى الأصل : الباهض عبوها .

« وأمَرَه : أنْ يُوَاسِيَ بَيْنَ الْخصوم : بنظَرِه واسْتفهـامِه . ولُطفِه ولَحْظِه واسْتِماعِه ؛ وأنْ يَفهمَ من كلِّ أحدٍ : حُجتَه وما يدلى به ، ويَسْتَأْنِى : بكل عيِي اللسان ، ناقصِ البيان . فإن [فى] استقصاءِ[1] الحجة : ما يكونُ به لحقِّ اللهِ (تعـالى) عليه قاضياً ، وللواجب فيه راغباً ؛ فقد يكونُ بعضُ الْخصومِ : أَلْحَنَ بحُجَّتِه ، وأبْلَغَ فى منطقه ؛ وأسْرَعَ فى بُلوغِ المَطْلَبِ ، وألْطفَ حِيلةً فى المَذْهَبِ ؛ وأذكى ذكاءً ، وأحْضَرَ جواباً ؛ من بعض : وإن كان غيرَ الصوابِ مَرْماه ، وخلافَ الحقِّ منهاه ؛ فإن لم يَتَعَاهَدْ القاضى مِثلَ هذا ، ويَجعلْه من القُرُباتِ إلى الله (عز وجل) : بالتَّحَفُّظِ ، والتَّيقُّظِ ؛ والاسْتِرَابةِ ، والاحتِرَاسِ من أهلِ : الخِبِّ واللَّدَدِ ، والعِنَادِ ، والتَّلَبُّسِ بشهاداتِ الزُّورِ ، وتَحَيُّفِ الحقوقِ ـ : أَهْلَكَ القوِىُّ الضَّعيفَ ، واقْتَطَعَ حقَّه ، وغَلَبَ عليه . وفى تَقَدُّمِ القاضى ـ : فى النظرِ فى ذلك ، والمراعاةِ له ؛ واحْتِسابِ ثوابِ اللهِ فيه . ـ : إثباتُ الحقِّ ، [وإزهاقُ] الباطلِ ؛ (إنَّ الباطلَ كان زَهُوقاً : ١٧ — ٨١) ».

« وأمَرَه : أنْ يكونَ وزراؤه وأهلُ مَشُورتِه ، والْمعِينُونَ له عَلَى أمْرِ دُنياه وآخرتِه ـ : أهلَ العلمِ والفقهِ ، والدينِ والأمانةِ : ممَّن قِبلَه ؛ وأنْ يكاتِبَ من كان فى مِثلِ هذه الحالِ المَرْضِيَّةِ : ممن فى غيرِ ناحيتِه ؛ ويُقابِلَ آراءَ بعضِهم ببعضٍ ، ويُجْهِدَ نفسَه فى إصابةِ الحقِّ ؛ فإن اللهَ (جل ثناؤه) يقولُ فى كتابه الناطقِ على لسانِ نبيِّه الصادقِ ؛ محمدٍ عليه السلامُ : (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ؛ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ : ٣ — ١٥٩) . وبأنْ يكونَ حُجَّابُه وأعوانُه ، ومَن يَسْتَظْهِرُ به عَلَى ماهو مابسَبيله ـ : أهلَ الطَّهارةِ والعَفافِ والطَّلبِ لأنفسِهم ، والبُعدِ من الدَّنَسِ . فإنَّ أفعالَهم مَنْسُوبةٌ إليه ، ومَنُوطَةٌ لَدَيْه ؛ فإذا أصْلَحَ ذلك : لم يَلْحَقْه[3] عَيبٌ ، ولم يَعلَقْ به رَيْنٌ ؛ إنْ شاء اللهُ » .

---

(١) فى الأصل : فان استقضاء . (٢) بياض : فى الأصل

(٣) فى الأصل : لم يلحق .

« وأمَرَه : أنْ يُديمَ الجُلوسَ والقُعودَ ، لِمَن : اسْتَرْعاه اللهُ أمْرَه ، وقَلَّدَه شأنَه، وأسْنَد الحكْمَ له عليه ؛ ويُقِلَّ السآمةَ منهم ، والتَّبَرُّمَ بهم ؛ ويَصْرِفَ إليهم قلْبَهُ وذهنه ، وشغْله وفِكْرَه ، وفَهَمه ولِسانَه ـ : بما يُوسِعُهُم به عَدلاً وإنْصافاً وإصلاحاً ؛ فإن فى ذلك : قوَّةً لِمُنَّتِهم ، وإحياءً لتأْمِيلهم،وتحقيقاً لجميل ظُنونِهم ؛ وثِقةً منهم : بورَعِه ونزاهتِه، وطِيبِ طُعْمَتِه . فإنَّ فيهم : الضعيفَ عن التَّوَدُّدِ ، والزَّمِنَ الثَّقِيلَ ؛ وعليه فى كل وقتٍ : التَّعهدُ ،ـ ووَهْنًا ـ لأهلِ التَّلَدُّدِ والفُجُورِ ؛ والتَّقَحُّم فى مُلْتَبِسَاتِ الأمورِ ؛ وأنْ يكونَ قُعودُه لهم ، وتَصرُّفه فى النظرِ بيْنهم : بنشاطٍ وقِلَّةِ فُتُورٍ ؛ ليكونَ ذلك : أقْوَى له ، وأتْقَنَ لما يُحكِمُهُ ويُبْرِمُه[1] : من سِياستِهم وتَدْبيرِهم ؛ إنْ شاء اللهُ . »

« وأمَرَه : أنْ يسمَعَ من الشهود شهاداتِهم: على حَقِّها وصِدقِها ؛ ويستَقْصِيَها: حتى لا يَبْقَى عليه شىءٌ منها؛ ومن المُزَكِّينَ : تزْكِيَتَهم ؛ ويُكثِرَ البَحثَ والفَحصَ عن أمورهم أجمعين ، ويسئلَ عنهم أهل الصلاح والدينِ ، والأمانةِ والثِّقةِ والرِّعةِ : مِمَّن يَعرِفُهم ويُبْطِنُ أحوالَهم ؛ ولا يَعْجَلَ بإمْضاء حُكمٍ ؛ حتى يستقصِيَ حُجَجَ الخُصومِ وبيِّناتِهم ومُزَكِّيهم ؛ ويَضربَ لهم الآجالَ ، ويُوسِعَ فيها عليهم : حتى تَتَجَلَّى له حقائقُ أمورِهم ، وتَنْكَشِفَ له أغْطِيَتُها ؛ فإذا أتَى عليها : علْماً ؛ وأيْقنَها : إيقاناً ؛ لم يؤَخِّره الحُكم بعدَ اتِّضاحه وظُهورِه ، وثُبُوتِه : عندَه مَن يُشاوِرُهُ : مِن فقهائه . »

« وأمَرَه : أنْ يُطالعَ بكتُبه ـ : فى الحوادثِ التى يَحتاجُ فيها إلى المؤامرات : فيما أشْكَلَ عليه ، واسْتَغْلَقَ له ، واحْتاج إليه فى النوازل . ـ إبراهيمَ بنَ حَرْبٍ القاضى : ليَرِدَ عليه منه ، ما يَعملُ به ويَمْتَثِلُهُ ، ويَقتصرُ عليه ، ويَصيرُ إليه ؛ لتكونَ مَوَارِدُ أمورِه ومَصادِرُها : مُبْتَدأَةً[2] فَواتِحُها : بالتَّسديد ؛ مَقْرُونةً خوَاتِمُها بالتأييدِ ، إنْ شاء الله . »

---

(١) فى الأصل ويبره . (٢) فى الأصل : ومبتدا .

«هذا : عهْدى إليك ، وأمْرى إيَّاك ، وإسْنادى إليك ما أسْنَدْتُ(١) ، وتفْويضى إليك ما فوَّضْتُ . فإن تَعْمَلْ به — : مُوثِراً : لرضا اللهِ وطاعته ؛ قائماً : بالحسْبةِ ، مُؤَدِّياً : حقَّ الأمانةِ . — : يكنْ حُجةً بيْنَ يديْك ، وظهيراً لك ؛ وإن لم تَعْمَلْ به : يكن حجة عليك ؛ وأنا أسألُ اللهَ : أنْ يُعينكَ ويُقوِّيَك ، ويُرْشِدَك ، ويُوَفِّقَك ، ويُسدِّدَك ؛ إنه خيرُ مُوَفِّقٍ ومُعِينٍ . وصلَّى اللهُ على محمدٍ . » .

* * *

قال محمدٌ : قال أحمدُ بن فرج : فقلتُ لأحمدَ بن عيسى : لقد عَظُمَتْ هِمَّتُك : إذ حَفِظْتَ مِثلَ هذا ، وشِبْهَه : من الأخبارِ القديمةِ . فقال : حفِظْتُ هذا زمنَ الصِّبا ، عن جَدٍّ لِي ، عَمَّرَ نحوَ عُمْرِى ؛ وكان : من أحفَظِ الناس لأخبارِ المَغرِبِ وافْتِتاحِه ، وأخبارِ بنى أُمَيَّة عندكم ؛ ولقد كان عندى — من كتبه — : أخبارٌ حِسَانٌ غريبةٌ ؛ فذهبَتْ بحريقٍ كان فى مَنزلى . ولقد بلغَنى : أنَّ بعضَ مَن عندكم — : من بنى الأغلب ، أو غيرهم : من الشِّيعةِ . — ادعى هذا العهدَ ، وكتَب به نَصًّا إلى بعض وُلاةِ القضاء . وما هو إلاَّ لمَهْدِىِّ بن مُسلمٍ هذا ، عندى قديماً أحفظُه زمَن الصِّبا عن جدى ؛ فهل عندكم له ذِكْرٌ ؟ فقلتُ له : ماسمعتُ به عندنا ، ولا باسم مَهْدِىٍّ هذا : فقال لى : قد سألتُ غيرَك — : من أهـــلِ بلدك . — فلم يكنْ يعرِفُه . فياعَجَبِى(٢) كيف درسَ خَبَرُه عندكم ؟ ! لـكنى : أظنُّه لم يُعْقِبْ ؛ فاضْمَحَلَّ خَبَرُهُ ؛ بالفِتَنِ التى دارَتْ فى بَلدِكم .

* * *

« ذِكْرُ القاضى عَنْتَرَةَ بنِ فَلاَحٍ(٣) »

(حدثنى) أحمدُ بن فَرج بن مِنْتِيلٍ ؛ قال : حدثنى أبو محمدٍ : مَسْلَمَةُ بن زُرْعَةَ

---

(١) فى الأصل : ماأسنده (٢) فى الأصل : عجمى (٣) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ٤٢ .

ابنِ رَوْحٍ؛ بالعَرِيش بالشام ؛ وكان : شيخاً كبيراً قــــد نَيَّفَ على المائة : فى ما ذكر لى ؛ وأدركَ حَرْمَلَةَ صاحِبَ الشافعىِّ؛ وحدثنى عنه وعن أمثالهِ ؛ وذَكَرَ لى : أنه من مَوَالِى بنى أُمَيَّة ؛ وكان : ذا عِلمٍ بأخبارِهم : القديمةِ والحديثةِ ؛ وأخبارِ بلادِ الأندلسِ ؛ مُحباً لهم ، مُتَشَيِّعاً فيهم ؛ وكنتُ قد نظَرتُ يوماً ، فى بعض جوامعِ بَوَادِيهم ، إلى خُطَبٍ مكتوبة بخط غليظٍ : فى رَقٍّ مُلْصَقٍ فى الحائطِ بحذاء المِنبَرِ الذى يَخْطُبُ عليه ؛ فكان إذا قَعد للخُطبة : نظَر إليها ؛ فلم يَدْخُلْ عليه سَقَطٌ ولا تَلَعْثُمٌ ؛ فتكلَّمْتُ معه : فى ذلك ؛ وعِبْتُ عليهم ، وقلتُ لهم : أنتم أهلُ المشرقِ: المَنسُوبُ إليهم البلاغةُ والخطبُ على البَدِيهةِ؛ وتَفْتَقِرُون إلى مِثلِ هذا ؟! ما رأيتُ مثلَ هذا ، فى شىء : من نَوَاحى المغرب ؛ وهم أضعفُ الناسِ فى البلاغة كما[1] تقولون ؟ فقال لى :

قد كان أَلْطفُ من هذا عندَكم، وفى بَيْضَةِ بلدِكم ، وموضعِ سُلطانِكم . كان يُخبرنى أبى ، عن جدى : أنه كان عنـدكم — بقُرْطُبَة — قاض فى الزمان ، يسمَّى: عَنْتَرَةَ بن فَلَاحٍ ؛ وكان تقياً ورعاً ؛ اُسْتَسْقَى يوما بالناس : فأحسَنَ فى دعائه ، وقيامهِ بالخُطبة ؛ فقام إليه رجلٌ — :من عامَّة الناسِ . — فقال له : أيها القاضى الواعظُ ؛ قد حَسُن ظاهرُك ، فحسَّنَ اللهُ باطنَك . فقال له : آمينَ ، لنا أجمعين ؛ فهل أضمَرتَ شيئاً يا ابنَ أخى ؟ فقال له : نعمْ ؛ بتفريغِ أهْرَايك ؛ يكْمُلُ اسْتِسْقاؤك . فقال القاضى : اللَّهم؛ إنى أُشْهِدُك : أنَّ جميعَ ماحَوَاه مِلْكى -: من المأكولِ . - صدقةٌ لوجهك . ثم آلى : أنلا يَرِيمَ[2] مَقامَه ؛ حتى يَقصِدَ دارَه ، ويُفرِّقَ جميعَ ما ادَّخرَ . (قال) : فأُغِيثوا من يومِهم : غَيثاً عامًّا .

قال لى : وكان هذا القاضى : (عنترةُ) يقول : لَحَظْتُ الناسَ : لم أَصِلْ كلاماً.

١٣

---

(١) فى الأصل : بما .

(٢) أى : أن لا يبرح موضعه .

فكان إذا خطب : سَدَلَ على وجهه من ثوبه ؛ فكان يُذْكَرُ عنه : أنَّ معناه غيرُ ذلك ؛ وأنَّ خُطبتَه : كانتْ مَكتُوبةً فى صحيفة مُشْبَكَةً فى الثَّوبِ المَسْدُولِ على وجهه . فهذا : من نحوِ ما رأيتَ عندنا ؛ وهذه الخُطَبُ لها آلاتٌ واسْتِجْمَاعٌ.

* * *

« ذِكْرُ القاضى: مُهاجِرِ بنِ نَوْفَلٍ القُرَشىِّ[1] »

قال محمدٌ : أخبرنى أحمــدُ بن فرجِ بنِ مِنْتيلٍ ؛ قال : حدثنى مَسْلَمَةُ بن زُرْعَة ؛ قال :

سمعتُ أَبِى : يَذْكُرُ مراراً عن جَده ـ : وكان قد دَخَل الأندلُسَ . ـ يقولُ : لم أرَ مِثْلَ قضاةِ الأندلُسِ : فى العبادةِ والوَرَعِ ؛ (قال) : رأيتُ بها قاضياً ، يُدْعى : مُهاجِرَ بنَ نَوْفَلٍ القُرَشىَّ ؛ كان يَجْتَمعُ عنده الناسُ : للتَّحاكُم ؛ فلا يزالُ يُذَكِّرُهُم ويُخَوِّفُهم : اللهَ ، وما يَلحَقُ المُبْطِلَ : من سَخَطِ اللهِ وعقوبتِه ، ومَوْقِفِه بيْن يديْه فى القيامة ؛ ثم يَذْكُرُ ما يَلزَمُ القاضىَ : من الحساب ؛ بما يَجبُ عليه : من التَّحَرِّى والاجتهادِ ؛ ثم يَأخُذُ فى النَّوْح على نفسِه والبكاء : مُعْلِناً بذلك ؛ حتى كنتُ أرَى الناسَ ، يَنصرِفُون عنه : باكِينَ خائفين ، قد تَعَاطَوْا الحقُوقَ بينهم .

١٤

ولقد بَلَغنى فى موته أعظمُ العَجَبِ : أنه لما مات (رحمــه الله) ـ : وكان لا أهلَ له ولا وَلَدَ . ـ : دُفِن بمَقْبَرَةٍ لهم : بقِبْلِىِّ مدينتِهم ، وبعُدْوَةِ نهرٍ عظيمٍ لهم لَيْلاً ؛ وأظنُّه عَهِد بذلك . فلمَّا هِيلَ الترابُ عليه : سمِعُوا من القَبْرِ كلاماً فاستمعوه ينادِى ويقولُ : أذْكَرْتُكُم ضِيقَ القبرِ ، وسوءَ عاقبةِ القضاء . (قال): فكشَفُوا عنه الترابَ ، وظنُّوه حيًّا ؛ فوجَدُوه : مَكشُوفَ الوجــهِ ، ميِّتاً بحالِه : التى قُبِرَ بها .

* * *

---

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ١١ — ١٢.

« ذِكْرُ القاضى يَحيَى بنِ يَزيدَ التُّجِيبِيِّ[1] »

قال محمدٌ : سمعتُ من أهل العلمِ ، سَماعاً فاشياً : أنَّ عبدَ الرحمن بنَ مُعاويةَ الإمامَ ، دخَل قُرْطُبَةَ ، وقام بالإمامةِ ؛ والقاضى حينئذٍ : يَحيَى بنُ يَزيدَ التُّجِيبِيُّ ؛ فأثبتَه على القضاء ولم يَعزِلْه . وكان من قبلِ ذلك ، يقالُ له وللقضاةِ قَبْلَه : فلانٌ قاضِى الْجُنْدِ ؛ فلمَّا امتنع الفِهْرِىُّ بغِرْناطَةَ ، واضطَرَّه الأميرُ عبدُ الرحمن (رحمه [الله]) إلى النزولِ — : اشتَرَطَ : بحضور القاضى يَحيَى ؛ فحَضَرَ ؛ وكُتِبَ فى كتابِ المُقَاضاةِ : وذلك بمَحْضَرِ يَحْيَى بنِ يَزيدَ قاضى الجماعةِ .

قال محمدٌ : هكذا بَلَغنى ؛ وقد رأيتُ سِجِلاًّ عقَدَه محمدُ بن بَشِيرٍ ، يقولُ فيه : حَكَم محمدُ بن بَشِيرٍ قاضى الجند بقرطبة . وإنَّ تسميةَ القاضى : بقاضى الجماعةِ[2] ؛ اسمٌ مُحْدَثٌ لم يكنْ فى القديمِ .

قال محمدٌ : ولم يَختلِفْ علىَّ أحدٌ كاتبْتُهُ ، فى : أنَّ يحيَى بنَ يَزيدَ التُّجِيبِيَّ إنما اُسْتُقْضِيَ على الأندَلس بالمَشْرِق ؛ فقدِمَها : قاضياً .

واختلفتْ الرِّوَايةُ : فيمَنْ وَلاَّه الأندلسَ . فرأيتُ فى بعضِ الرِّواياتِ عن ابن وَضَّاحٍ ، قال : اُسْتَقْضَى يَحيى بنَ يَزيدَ ، على الأندَلس ، عُمرُ بن عبدالعزيز . قال : وكان يَحيي رجلاً صالحاً ؛ وحُكِيَ عنه : أنه اعتزَل الحربَ عندَ دخولِ عبدِ الرحمن بنِ مُعاويةَ ، ولم يَغْمِسْ يدَه فِي الدِّماء ؛ فلمَّا قامتْ البَيْعةُ لعبد الرحمن : أجابَ إليها طائعاً .

قال محمدٌ : وقال لى بعضُ رُوَاةِ الأخبار : لمَّا قدِم بَلْجُ بنُ بِشْرٍ الأندَلُسَ ؛ وأحدَثَ فى عبدِ الملك بنِ قَطَنَ الفِهْرِىِّ ما أحدَثَ ؛ وانتَصر أبناءُ عبدِ الملكِ بعبدِ الرحمن بنِ عُقْبَةَ اللَّخْمِيِّ ؛ وتَصرَّفتْ الحالُ : بقَتْلِ بَلْجَ بنِ بِشْرٍ — : اتَّصَلَ الْخَبَرُ بحَنْظَلَةَ بنِ صَفْوَانَ الكَلبِيِّ (صاحبِ إفريقية) فوَجَّه إلى الأندَلُس ،

(١) فى تاريخ قضاة الأندلس : يحيى بن زيد . انظر : ص ٤٣ من التاريخ المذكور .
(٢) أنظر : تاريخ قضاة الأندلس ص ٢١

أبا الخطّار : حُسامَ بنَ ضِرارٍ الكَلبيَّ ؛ عاملاً عليها ؛ ووجّه معه: يحيى بنَ يزيدَ التُّجيبيَّ ؛ قاضياً ؛ وكان من عَرَب الشامِ الساكنينَ بإفريقية .

قال محمدٌ : وأخبرني غيرُ واحدٍ — : من أهلِ العلمِ — : أنَّ الأميرَ عبدَ الرحمن (رحمه الله) لمّا دَخَل القصرَ : تلقّاهُ بناتُ يوسُفَ بنِ عبد الرحمن الفِهْرِيِّ ، وبقيّةُ عيالِه . فقال له بعضُهن : أحْسِنْ يا ابنَ عمِّي ؛ فقد ملَكتَ . فأرسَلَ في يحيَى بنِ يزيدَ القاضي ، ودفَع إليه بقيّةَ عيالِ الفِهْرِيِّ ؛ وأمَرَه : بالحفظ لهُنَّ . فلمّا خرج عبدُ الرحمن (رحمه الله) في طلَبِ يوسُفَ بنِ عبد الرحمن ، إلى جهةِ ماردةَ — : خالفَه يوسفُ الفِهْرِيُّ إلى قُرطبَةَ ، وظَفِر له بجاريَتَيْن : كان قد علّقهما . فأتاهُ القاضي يحيى بنُ يزيدَ ، فقال له : يا لئيمُ ؛ عبدُ الرحمن : ظفِر ببناتك وكرائمكَ فتُلُوِّمَ عليهنَّ : حتى نُقِلْنَ إلى دارِك ؛ ولم يعرِضْ لهن ؛ وأنتَ ظفرْتَ بجاريتين له: لم يَستَحِقَّا منه حُرمةً ؛ فأخذْتَهما .؟!. فتكَمَّمَ الفِهْرِيُّ ، وقال : واللهِ ما رأيتُ لواحدة منهما وجهاً ؛ فاقبِضْهما . وبَرَّ بِرَدِّهما إليه[1] .

قال محمدٌ : ورأيتُ في بعض الحكاياتِ : أنَّ محمدَ بن وَضّاح ، ذَكَرَ: أنَّ ولَدَ يحيَى بنَ يَزيدَ التُّجيبيِّ ، كان ممَّن سَعَى في الثَّورةِ — معَ : يحيَى بنِ يزيدَ ابنِ هشامٍ ، وعبدِ الملك بنِ أبَانَ بنِ مُعاويةَ بنِ هشامٍ — على الأمير عبدِ الرحمن ، وأنه قُتِلَ[2] معهما ومع أصحابهما بمِنْيَةِ الرُّصافَةِ .

* * *

(١) في الأصل : وبرى بهما إليه

(٢) في الأصل : قبل

« ذِكْرُ القاضي : مُعاويةَ بنِ صالِحٍ الحَضْرَمِيِّ[1] »

١٦ قال محمدٌ : أبو عمرٍو معاويةُ بن أبي أحمدَ صالِح بن عثمانَ — المعروف : بحُدَيْرٍ ابن سعيدِ بن سعدِ بن فِهْرٍ . — الحَضْرَمِيُّ ؛ كان من أهل الشام من حمص [بمكان] يعرف : بغناة عبس . — دخَلَ الأندلُسَ قبلَ دخولِ الإمام : عبدِ الرحمن بن مُعاوية (رحمه الله) ؛ فنزَل إشْبيلِيَّةَ .

وكان : من جِلةِ أهلِ العلمِ ورُواةِ الحديثِ ؛ شارك مالكَ بنَ أنسٍ ، في بعض رجالِه : يَحيَي بنِ سعيدٍ وغيرِه ؛ ورَوَى عن معاويةَ بنِ صالحٍ ، جُملةٌ : من أئمةِ أهلِ العلمِ ؛ منهم : سُفيانُ الثَّوْرِيُّ ، وسُفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ ، واللَّيثُ . وذُكِر : أنَّ مالكَ بن أنَسٍ رَوى عنه حديثاً واحداً ؛ وذُكِر : أنه أتاه مالكُ بن أنسٍ يوما إلى دارِه ، فانصرَفَ عنه : دُونَ أنْ يَصِلَ إليه .

قال محمدٌ : وذكَرَ محمدُ بن وَضّاحٍ ، قال : قال لى يَحيَي بن مَعينٍ : جَمعتمُ حديثَ مُعاويةَ بنِ صالحٍ ؟ فقلتُ : لا . قال : وما منَعكم من ذلك ؟ قلتُ : قَدِمَ بلَداً لم يكنْ أهلُه يومَئذٍ أهلَ علمٍ . قال : أضَعْتم (واللهِ) عِلْماً عظيماً .

قال محمدُ بنِ عبدِ المَلِكِ بنِ أَيْمَنَ : لمّا وَجَّه الأميرُ : عبدُ الرحمن (رحمه الله) ؛ مُعاويةَ بنَ صالحٍ ؛ إلى الشامِ — : حَجَّ في سَفْرَتِه تلك[2] ، وكتَبَ عنه أهلُ العِراقِ كثيراً : من حديثِه .

قال محمد بن عبدِ المَلِك بنِ أَيْمَنَ : ورأيتُ حديثَ مُعاويةَ بن صالحٍ — بالعراق — : أعزَّ شيءٍ ؛ ولقد قال لى محمدُ بن أحمدَ بنِ أبي خَيْثَمَة : لَوَدِدْتُ أنْ أدخُلَ الأندلُس : حتى أُفَتِّشَ عن أصولِ كتُبِ مُعاويةَ بن صالحٍ . قال ابن أَيْمَنَ : فلمَّا انصرَفْتُ إلى الأندلُسِ : طَلَبْتُ أُمَّهاتِه ، وكُتُبَه ؛ فوجَدْتُها قد ضاعتْ : بسقُوطِ هِمَمِ أهلِها .

---

(١) انظر : جذوة المقتبس ٣١٨، ٧٩٦ وتاريخ قضاة الأندلس ٤٣ .
(٢) في الاصل : ذلك

قال محمدُ بن عبد المَلِكِ بنِ أَيْمَنَ : ولقـد تَتَبَّعْتُ حديثَه فى تاريخِ أحمدَ بن أبى خَيْثَمَةَ — : عندَ ذِكْرِ أهلِ الشامِ ، ونَقْلِه لأخبارِ أهلِ حِمْصٍ . — فلم أجِدْ له فيها إلاَّ : حديثَيْن أو ثلاثةً .

قال أحمدُ بن زيادٍ : وحدثنى محمدُ بن وَضّاحٍ ، قال : حدثنى يَحيَى بنُ يَحيى ، قال : أوّلُ مَن دخَل الأندلُسَ بالحديثِ : مُعاويةُ بن صالحٍ الحِمْصىُّ .

قال محمدٌ : وذكرَ بعضُ أهلِ العلمِ ، قال : كان معاويةُ بن صالحٍ : راويةً لحديثِ أهلِ الشامِ ، فطالَ عُمُرُه ؛ وكان مُنفرِداً به فى زمانِهم . ومن الدليلِ على رِياستِه وانفرادِه به : أنَّ زيدَ بنَ الحُبابِ العُكْلِيَّ ـ وهو : من رجالِ أبى بكرِ ابن أبى شَيْبَةَ ، مَشهورٌ فى أهلِ الحديث . ـ رَحَل إلى الأندلُسِ من العِراق ، وأخَذ عنه كثيراً : من الحديثِ .

قال أحمدُ بن خالدٍ : حدثنا أبو عبدِ الملكِ مَروانُ بن عبدِ الملكِ الفخارُ ؛ قال : سمعتُ أبا سعيدٍ الأشَجَّ . يقولُ : أبو الحُسينِ زَيدُ بنُ الحُبابِ : مولًى لعُكْلٍ . وسمعتُ عَبْدَةَ بنِ عبدِ الله ، يقولُ : سمعتُ زيدَ الحُبابِ ، يقولُ : دخلتُ الأندلسَ ، وكتبتُ عن مُعاويةَ بنِ صالحٍ .

قال محمدٌ : قدِم معاويةُ بن صالحٍ الأندلُسَ : قبْلَ دُخولِ الإمامِ : عبدِ الرحمن ابنِ معاويةَ (رضى الله عنه) ؛ أرضَ الأندلُسِ ؛ فنزَلَ بإشبيليّةَ ؛ فكان بها : حتى قدِمَ الأميرُ : عبدُ الرحمن (رحمه الله) ؛ فلمّا تمّتْ له البيْعةُ ، واتّسقَتْ له الأمورُ ـ : أرسلَ معاويةَ بنَ صالحٍ ، إلى الشام : ليأتيَه بأختِه : أمِّ الأصبَغِ ؛ فأبَتْ عن الانتقالِ ، وقالت : كبِرَتْ سِنِّى ، وأشْرَفْتُ عَلَى انقِضاءِ أجَلى ؛ ولا طاقَةَ لى عَلَى شَقِّ البِحارِ والقِفارِ ؛ وحسبى : أنْ أعلَمَ ماصارَ إليه : من نعمةِ اللهِ .

قال محمدٌ : قال لى محمدُ بن عبدِ الملكِ بن أيْمنَ : وفى سفْرتِه تلْك ، كتَبَ عنه وُجوهُ أهلِ العلمِ . (قال لى) : ثم لمّا صار معاويةُ إلى الأمير عبدِ الرحمن :

أدخَلَ إليه تُحفَ أهل الشام ـ : وكان فى تلك التُّحف من الرُّمّان المعروف اليوم بالأندلس : بالرُّمّانِ السَّفرِى . ـ فجعلَ جُلساء الأمير : من أهل الشام ؛ يَذْكرُون الشّام ، ويَتأسّفُون عليها ؛ وكان فيهم رجلٌ يسمى : سَفرَ ؛ فأخَذ من ذلك الرُّمّان شيئاً : لَطُف به وغرَسَه ، حتى عَلِقَ ونَمى[1] وأثْمرَ فهو اليومَ : الرُّمَّانُ السَّفَرِىُّ ؛ نُسِبَ إليه .

قال محمدٌ : ذكَر أحمدُ بن خالدٍ ، قال : لمَّا وَجَّه الأميرُ : عبدُ الرحمن (رحمه الله) ؛ مُعاويةَ بن صالِح ، إلى الشام ـ : حَجَّ فى سَفْرته تلك ؛ فلمّا دخَل المسجدَ الحرَام فى أيّام المَوْسِم ، [و] نَظر فيه إلى حِلَقِ أهل الحديث : عبدِ الرحمن ابن مَهدىّ ، ويحيى بنِ سعيدٍ القَطّانِ ، وغيرِهما : من نظرائهما . ـ : قصَد إلى سارِيةٍ ، فصلَّى ركعتَين ، ثم : صار إلى مُعارضةِ[2] من كان معه ؛ وذكروا أشياءَ : من الحديثِ ؛ فقال معاويةُ بن صالِح : حدثنى أبوالزّاهِرِيَّةِ : حُدَيْرُ ابنُ كُرَيْبٍ ، عن جُبَيْرِ بنِ نُفيْرٍ ، عن أبى الدَّرْداء ، عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . وسَمِعَ بعضُ أهل تلك الحِلق قوله ، فقالوا :اتَّق اللهَ ـ أيُّها الشيخُ ـ ولا تكذِبْ : فليس على ظهر الأرض أحدٌ ـ : يحدّثُ عن أبى الزّاهِرِيَّةِ ، عن جُبَيْر بنِ نُفيْرٍ ، عن أبى الدَّرْداء . ـ غيرُ رجلٍ : لزِمَ الأندلس ، يقالُ له مُعاويةَ ابن صالِح . فقال لهم : أنا معاويةُ صالِح . فانْفَضّتْ الحِلقُ كلُّها ، واجْتَمعوا إليه ، وكتبُوا عنه ـ فى ذلك المَوْسِم ـ علْماً كثيراً .

قال محمدٌ . لما قدِم معاويةُ بن صالِح من الشامِ ، على الأمير عبدِ الرحمن ـ : ولاّه القضاءَ والصلاةَ ؛ وغزَا الأميرُ سَرَقسطةَ وغزا معه معاوية بن صالِح : فكان يُحيي الليل بالصلاة ، حتى إذا أصبح : لبس قَباءه وسلاحه ، ومضَى إلى الصَّف . حيثُ القتالُ ؛ فوقف فيه .

---

(١) فى الأصل : ونم .

(٢) فى الأصل : معاوضة .

أخبرنى محمدُ بن عمرَ بنِ عبد العزيز، قال: أخبرنى علىٌّ عن ابن أبى شَيْبَةَ، قال: غزا معاويةُ بن صالح — : وهو قاضِى الجماعةِ. — مع الأمير عبد الرحمن، غَزَاةَ سَرَقُسْطَةَ: إذا كان يحاربُ بها ابنَ الأعرابىِّ؛ فكان إذا هَتَف عَلَى الْجُند إلى الخروج: خرج معاويةُ فى كتيبته[1] من جُند مصرَ؛ فلا يزالُ: واقفاً فى مَرْكزِه، متوكئاً على قَوْسِه؛ حتى تَنْجَلِىَ الحربُ.

قال أحمدُ بن زيادٍ: حدثنى محمدُ بن وَضَّاحٍ، قال: حدثنى حَرْبٌ — : رجلٌ من أهلِ شبلار. — قال: كنتُ بقُرطُبةَ، فى مسجدها الجامعِ، فى المقصورة: يومَ جُمُعةٍ؛ وكان فى الجماعةِ رجلٌ يَتَنفَّلُ ويُعلن بالقُرآنِ؛ إلى أنْ دخَل معاويةُ ابن صالح المقصورةَ — : وهو يومئذ القاضى، وصاحبُ الصلاة. — فسَمِع إعلانَ الرجلِ بالقراءةِ: فمضَى إليه، فأخَذ قَلَنْسُوَته من رأسه، ثم رَمَى بها إلى ناحيةٍ: من نَواحى المقصُورةِ؛ والناس مُجتمِعون. ثم قال له عند أذنه: إلى حيث انتهت قَلَنْسُوَتُك ثَمَّ، يَنْتَهِى أذاكَ. ثم انتهى معاويةُ إلى موضِعه. فلمَّا سَلَّم الرجلُ: سُئلَ عما قال له؛ فأخبَرَ به.

قال لى محمدُ بن عبد الملكِ بنِ أَيْمَنَ: كان قد نال معاويةَ خُمولٌ، فى أيامِ الأميرِ عبدِ الرحمن (رحمه الله)؛ فَبَيْنَا الأميرُ جالسٌ فى السَّطْح يوماً: إذ نَظَرَ إلى معايةَ بنِ صالحٍ، خاطِراً فى القَنْطَرَةِ، فذَكَرَه، وذَكَرَ خُمولَه وما صار إليه؛ فأرسَل فيه، ووَصَلَه، وأعادَه إلى حُسْنِ نَظَرِه.

قال محمدٌ: سمِعتُ مَن يقولُ: إن سَعيدَ الخيرِ بنَ الأميرِ، شَفَع له إلى أبيه: عبدِ الرحمن؛ حتى رَضِى عَنه، وأعادَه إلى حُسْنِ رأيِه.

قال محمدٌ: وكان معاويةُ بن صالحٍ: قد عقَد صِهْراً معَ زِيادِ بن عبد الرحمن؛

---

(١) فى الأصل: فى مكتبه.

وذلك : أنه أنكحه ابنةً له تُسَمَّي : حُمَيْدَةَ ؛ ومنها وَلَدُ زيادٍ . فعَرَض لزيادٍ مع خَتْنِه معاويةَ ، عارضٌ : حُفِظَ يومئذٍ ، وتُحُدِّثَ به [بعد[1]] . وذلك : أن زياداً رغب أنْ يَنظُرَ إلى زوجته فى بيتِ أبيها ، قبلَ بنائِه بها — : على ما يَفعله بعضُ الناس . — فتحايلَ[2] النساء عليه فى ذلك ، وأتَيْنَ به عندَ العشاء الآخِرةِ ؛ فصار فى الأُسْطُوَان : فنفرَتْ دابَّةُ معاويةَ منه ، واشْتدَّ قَلَقُها من أجلِه ؛ حتى خَرج معاويةُ إلى الصلاةِ ، فسمع حِسَّ الدَّابةِ : فرابَهُ ذلك ؛ ثم دعا بالمصباح : فوجَد زياداً فى مِزْوَدِ الدابة : فى بعضِ زَوَايَا الأُسْطُوانِ ؛ فما زاد على أنْ قال : اُسْتَوْصَوْا بكم خيراً ؛ ثم خَرج إلى الصلاةِ .

قال أحمدُ بن زِيادٍ : أخبرنى عيسى بن بَكرٍ : المُعلِّمُ ؛ قال : أخبرنى بعضُ مَن أثِقُ به [فى][3] ذلك ، عن عامرِ بن معاويةَ ، وعن غيره ؛ قال : خَرج معاويةُ ابن صالحٍ حاجّاً ، بعد الحَجَّةِ التى تَقَدَّمَتْ له ، من أرض الأندَلسِ ؛ وخرج معه — حينئذٍ — زيادُ بن عبد الرحمن ؛ فلمَّا قدِما المدينةَ : تَوَجَّه زيادُ بن عبد الرحمن ، إلى مالكِ بن أنسٍ ، فدخل عليه — : وقد كان تَقدَّمَ له منه سماعٌ فى غيرِ سَفْرتِه تلك . — وأعلمَه : بقدومِ معاويةَ بنِ صالحٍ ؛ فسألَه : أنْ يَأتيَه؛ فأتاه ، فدخَلا عليه : فسأله معاوية بن صالحٍ عن نحوِ مائتَيْ مسئلةٍ ؛ فأجابه مالكٌ عن جميعها . فكَشَف زيادُ بن عبد الرحمن مالكاً ، وقال له : يا أبا عبدِ الله ؛ كيف رأيْتَ معاويةَ بن صالحٍ؟ فقال له مالكٌ : ما سألَنى أحدٌ قطُّ مِثلَ معاويةَ بن صالحٍ . ثم كَشَف زيادٌ معاويةَ عن مالك ؛ فقال له معاويةُ : ما سألتُ أحداً مِثلَ مالكٍ .

قال محمدٌ : قال لى أحمدُ بن حَزْمٍ : قال لى محمدُ بن عمرَ بن لُبابةَ : كان يوسفُ

---

(١) فى الأصل : وتحدث به وذلك .

(٢) فى الأصل : فتخيل .

(٣) فى الأصل : أثق به ذلك .

الفِهْرِىُّ : قد أعطَى مُعاويةَ ابنَ صالحٍ ، جاريةً ؛ فأَوْلَدَها معاويةُ . فلمَّا وَلِىَ عبدُ الرحمن بنُ معاويةَ : قَوَّم عَلَى معاويةَ بن صالح : فى الجارية ؛ فاسْتُحِقَّتْ عليه . فسئل معاويةُ بن صالح : عن مسئلةِ نفسِه ، وما يَجِبُ عليه : من الحق فيها. فقال : شهِدتُ أبا الزَّاهِرِيَّةِ — : واخْتُصِمَ إليه فى دِعَامَةٍ : فى حائطٍ لرجُلٍ: اسْتَحَقَّها رجلٌ . — فقضَى للمُسْتَحِقِّ : بقيمةِ الدِّعامةِ ؛ وقال : إنَّ فى نَزْعِهِ ضَرراً على الحائط ؛ وأنا[1] أرَى : أنَّ نَزْعَ هذه عن وَلَدِها ، أشَدُّ ضَرَراً من ضَررِ نَزْعِ دِعامةٍ من حائطٍ. فقُبِل ذلك منه : فقُوِّمَتْ هكذا . (وأشار ابنُ لُبابة : فَجَمَع بابَ كُمِّه على كُوعه) ولم يُكشَفْ لها ذِراعٌ . قال محمدُ بن عمرَ بنِ لُبابةَ : وكان اسمُ الجاريةِ : خَـلَّةَ .

قال محمدٌ : قال أحمد بنسعيدٍ : قال لى عبدُ الله بن محمدِ بن أبى الوَلِيدِ الأعرج: وكانت خُـلَّةَ هذه المذكورةُ : قبيحةً ؛ وكان لها خادمٌ فائقة الحُسْنِ ، اسمُها : سُعادُ ؛ فكان الناسُ يقولون : شَتَّانَ ما بيْنَ خُـلَّةَ وسُعادَ .

قال محمدٌ : وقد اختلف قولُ مالكِ بن أنسٍ - فى أمِّ الوَلَدِ : تُسْتَحَقُّ . ـ : . مَرَّةً قال : يُغرَّمُ السيدُ قِيمتَها وقيمةَ ولَدِها . حتى نَزَلَتْ بمالكِ بن أنسٍ فى أمِّ ولدِه ، فأفتَى : أنْ يُغَرَّمَ قيمةَ أمِّ ولدٍ ؛ لا غيرُ .

قال خالدُ بن سعدٍ : أخبرنى محمدُ بن هشامٍ ، عن أحمدَ بن يزيدَ بن عبد الرحمن، عن محمدِ بن وَضَّاحٍ ؛ قال : شَهِدَ الأميرُ هشامُ بن عبد الرحمن (رحمه الله) جِنازةَ معاويةَ بن صالحٍ : فى الرَّبَضِ ، ومشَى فى جِنازتِه .

قال خالدٌ : قال محمدُ بن هشامٍ : وأخبرنى عيسى الزَّاهدُ ؛ قال : سمِعْتُ يَحيي ابن يَحيَى يقولُ : ماتَ معاويةُ بن صالحٍ ها هُنا ؛ ودُفِن بالرَّبَضِ .

---

(١) فى الأصل : وإذا .

(٢) فى الأصل : ضر .

قال محمدٌ : وكان لمعاويةَ بنِ صالحٍ ، أخٌ يُسَمَّى : محمدَ بن صالحٍ ؛ عَقِبُه بالشام كثيرٌ : لم يَدْخُلْ أحدٌ منهم الأنْدَلُسَ .

قال أحمدُ بن محمد بن أيْمَنَ : رأيتُ رسالةً كَتَبَ بها البَقِيَّةُ : من ولَدِه بالشام إلى البَقِيَّةِ : من وَلَدِ معاويةَ بالأنْدَلُسِ ؛ نُسْخَتُهَا :

« بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ ؛ إلى جماعةِ وَلَدِ معاويةَ بن صالحٍ الحَضْرَمِيِّ ، من جماعةِ وَلَدِ محمدِ بن صالحٍ الحَضْرَمِيِّ . »

« تَوَلاَّكُمُ اللهُ : بِحِفْظِه ؛ وحَاطَكُمْ : بصُنْعِه ؛ ومَدَّ لَكُمْ : في نعمتِه ؛ وزادَكُمْ : من إحسانِه ؛ إنَّ اللهَ (جل ثناؤه ، وتَقَدَّسَتْ أسماؤه) ؛ جَعَلَ بَيْنَ الناسِ أنْسَاباً : يَتَعاطَفُون بها ، ويَتَوَاصَلُون عليها ؛ أَوْثَقَ عُرَاها ، وأَتْقَنَ قُوَاها ؛ وأنتم (وَهَبَ اللهُ لكم العافيةَ) : الشَّعْبُ الأدْنَى ، والنَّسَبُ الأوْلَى ؛ يَجْمَعُكُمْ وإيَّانا الجَدُّ المعروفُ : بحُدَيْرٍ ؛ والقَرَابةُ بالقرابة ــ : وإنْ جَرَى القضاءُ : باغْتِرَابِ بَعْضٍ عن بَعْضٍ ، وشَحْطِ دارٍ عن دارٍ . ــ ماسَّةٌ : لا يُوهِنُ أسبابَها تَقَادُمُ الانْتِزَاحِ ، ولا يُعَفِّي عَلَى واجبِ حُقوقِها بُعْدُ التَّزاوُرِ . وما عَدِمْنا (أكرَمكم اللهُ) من أنفُسِنا : تَطَلُّعاً إليكم ؛ ولا تَرَكَ مَنْ رَزَقَه اللهُ الحجَّ ــ : مِنَّا . ــ المَسْئلةَ عنكم في حُجَّاجِ المَغْرِبِ : طَمعاً في مُوَافاة بعضِكم ، وتَشَوُّقاً إلى اسْتِفادة عِلْمِ خَبَرِكم ؛ فلم يَأْذَنْ اللهُ : أنْ يُوافِيَ سائلُنا : دالاًّ عليكم ، ولا مُخْبِراً عنكم ؛ حتى وَقَعَ بظُنوننا ما يَقَعُ مِثلُه بالظُّنونِ ــ على فُرُوطِ الليالي والأيامِ ، ومُرُورِ الشهورِ والأعوامِ ــ : من الانقِرَاضِ والنُّفُورِ ؛ حتى أهْدَى اللهُ لنا عِلْمَ ما كنَّا نَتَطَلَّعُ إليه ، منكم ــ : أبْعَدَ ما كنَّا طَمَعاً فيه ، وأشَدَّ يَأْساً . ــ معَ حاملِ كتابِنا هذا إليكم ؛ وهو : أبو الحارثِ بِشْرُ بن محمدِ بن موسى القُرَشِيُّ ؛ فإنه صار إلى حِمْصٍ ــ : مُنْصَرَفَه من بَغْدَاذَ . ــ نافذاً إليكم ؛ فسأل عنا : بفضلِ ما ألْزَمَ نفْسَه لكم ــ : إذ كنتم ، على ما ذَكَرَ ، أخْوالَه ؛ وكانَتْ أمُّه أمَّ عمرٍو بنتَ محمدِ بن معاويةَ بن صالحٍ . ــ وأحَبَّ . من الانصراف إليكم بخبرنا ؛ فأخبرَ بمكاننا ،

وأُرْشِدَ إلينا؛ وأتانا منه رجلٌ: ظاهرُ الفَضلِ، مَوْسُومٌ بالخير، معَه ـ: مِن خَبَرِكم، وعِـلْمِ أمْرِكم. ـ ما امتلأتْ به الصُّدورُ: سُرُوراً وحُبُوراً؛ وجعلنا لا نَكْشِفُهُ فى مُساءلتِنا إيّاه، وتَقَصِّينا عَلَى ما عندَه؛ إلاَّ يَكْشِفُ لنا عمَّا يَزِيدُ النعمةَ علينا فيكم من الله: عِظَماً فى تَسْنِيةِ أقدارِكم، وتَشْرِيفِ مذاهِبِـكم؛ فالحمدُ للهِ ربِّ العالمين، المنَّانِ الـكريمِ، الذى مَنَّ علينا: بما تَنَاهى إلينا عنكم، وتَقَرَّر عندَنا: من فَضْلِ حالِـكم. ونسألُ اللهَ: إتمام ما حَبِيتُم [وأن] يزيدَكم[1] به؛ من كلِّ خيرٍ؛ ويزيدنا بمَزِيدِكم؛ وأنْ يُعوِّضَـكم وإيَّانامن الفُرْقةِ التى كتبَها علينا: فَبَاعَدَ بَيْنَنا، وشَتَّتَ جمعَنا؛ وأنْ يَجْمَعَ بَيْنَنا: فى جِنـانه، ودارِ رِضْوانِه؛ ومَحَلِّ أوْليائه. إنه قَرِيبٌ مُجِيبٌ.

وكتابُنا إليكم (حَجَبَ اللهُ عنكم كلَّ مَكْرُوهٍ): ونحن من الله: فى نعمة؛ وكلٌّ بلائه عندنا جميلٌ؛ وحالُنا فى خاصَّةِ قَوْمِنا، وكافَّةِ عِتْرَتِنا وجُنْدِنا[2]. ـ: الحالُ التى يحبُّون أنْ نكونَ بها وعليها: فى البَسْطَةِ فيهم، والتَّقَدُّمِ عليهم، وقد شاهد بشرُ بن محمد، من أمْرِنا: ما لَعَلَّه سَيُخْبِرُكم به؛ لحمداً للهِ، وشُـكْراً على إحسانه؛ ورَغْبَةً إليه: فى صالحِ المَزِيدِ والسلامُ عليكم ورحمة اللهِ وبركاتُه».

* * *

«ذِكْرُ الْقَاضِى عُمَرَ بن شَرَاحِيلَ»

١٧ قال محمدٌ: أبوحَفْصٍ عُمرُ بن شَرَاحِيلَ المَعَافِرِىُّ؛ أصلُه من أهلِ باجَةَ، ونَزَلَ بقُرْطُبَةَ: فى دَرْبِ الفَضلِ ابن كاملٍ؛ ولاَّه الأمـيرُ عبدُ الرحمن بنُ معاوية (رحمه الله) القضاءَ بقُرطبةَ: بعدَ مُعاويةَ بنِ صالحٍ؛ ثم عزَلَه وأعاد معاويةَ

(١) فى الأصل: به ويزيدكم.
(٢) أى: الأنصار والأعوان.

ابن صالح : فكانا جميعاً يتداولان القضاء : عاماً معاوية ، وعاماً عمر ؛ وأقاما بذلك مُدةً من الدهر .

قال : ولقد حدثنى محمدُ بن وَضَّاح ، عمَّن أدرك أيَّامهما ؛ قال :

كان إذا أغفلَ الأميرُ (رحمه الله) عزْله عند انقضاء العام — : رَفَع يُذَكِّرُه بأمره ؛ وكان كلٌ واحدٍ منهما : إذاعاقه شُغْلٌ فى يومٍ من الأيامِ ، لم يَقْبِضْ لذلك اليوم رِزقاً .

وأخبرنى مَن أثِقُ به — : من أهلِ العلمِ . — قال : قال لى أبو مَرْوانَ عُبَيْدُ اللهِ بنُ يَحيَى :

كان الأميرعبدُ الرحمن بن معاوية (رحمه الله) : يُديلُ بيْنَ معاويةَ بن صالحٍ، وعُمَرَ بن شَرَاحِيلَ : عاماً هذا ، وعاماً هذا . فوَلَّى عمرَ بنشراحيلَ عاماً من تلك الأعوامِ ؛ فلمَّا انْقضَى العامُ : أقرَّه على القضاء ، ولم يُحرِّكْه .

فكتَب معاويةُ إلى الأميرِ عبدِ الرحمن : يُحَرِّكُه فى وِلايته ، ويُعْلِمُه : أنَّ عامَ صاحبِه قد انْقضَى .

فلما قرأ الأميرُ عبد الرحمن كتابَه : أنكَرَه واسْتَفْظَعَه ؛ وأمرَ بإدْخالِ معاوية على نفسِه ؛ فلمَّا دَخَلَ إليه قال : هذا كتابك ؟ قال : نعم : قال : ومِثْلُكَ يَطلُبُ وِلايةَ القضاء : وقد علِمْتَ ما جاء فى ذلك — : من الأثَرِ . — فيمَنْ طَلَبها وكل إلى نفسه فيها ؟

فقال : أصلَحَ اللهُ الأميرَ ؛ ولَّيْتَنِى القضاءَ فى أوَّل مرَّةٍ — : وأنا كارهٌ . — فتَوَلَّيْتُه ؛ فلمَّا توَلَّى رَأْسُ الشهرِ : رَزَقْتنى رِزْقاً واسعاً : توَسَّعْتُ به ؛ ثم اسْتَمَرَّ الرِّزقُ كلَّ شهرٍ : حتى عَزَلْتَنى عندَ رأْسِ العامِ ؛ فاسْتَقْبلْتُ العامَ الثانى الذى كنتُ فيه مَعزُولا ، بفُضُولٍ : من رِزْقِ العامِ الأوَّلِ ؛ فانْقضَتْ تلك الفُضولُ : بانقضاء العام ؛ ثم وَلَّيْتَنِى : فعاد علىَّ الرِّزْقُ . فكانت هذه حالتى :

إلى هذا الوقتِ . وقد انقضَتْ فضُولى الباقيةُ : من رزقِ العامِ الأوّلِ ؛ وانقضى العامُ ؛ فانتظَرْتُ الولايةَ : التى يكونُ بها الرِّزْقُ ، فأبطأتْ عنّى . فكتبْتُ إلى الأمير : مُذَكِّراً ؛ معَ أنه : إنْ طَلَبْتُ الولايةَ : فقد طَلَبَها مَن هُوَ خَيْرٌ منّى : يوسفُ عليه السلام ؛ قال : ([قال] اجْعَلْنِى عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ : إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيم : ١٢ — ٥٥) .

فقبِلَ الأميرُ قولَه منه ؛ وأمرَ : بعزْلِ عُمَرَ بنِ شَرَاحِيلِ ، وبتَوْلِيَةِ مُعَاوية .

قال محمدٌ : وقد تكرَّرَتْ الأمانةُ ، وقضاءُ الكُورِ : فى نَسْلِ عُمَرَ بن ١٨ شَرَاحِيلَ ؛ وقد وَلِىَ منهم رجلٌ — يُكَنَّى : بأبى سَعيدٍ ؛ واسمُه : محمدُ بن عُمَرْ . — قضاءَ جَيَّانَ ، وأَسْتِجَة . وكان مُقَدَّماً : عند الخاصَّةِ ؛ رفيعَ الدَّرجةِ : عند العامةِ : وعَقِبُه كثيرٌ .

***

« ذِكْرُ القاضى : عبدِ الرحمنِ بنِ طَرِيف اليَحْصُبىِّ »

قال محمدٌ : قال أحمدُ بن خالدٍ : كان من شأنِ الخُلفاء (رحمهم الله) : السؤالُ عن أخبارِ الناسِ ، والكَشْفُ عن أهلِ العلمِ والخيرِ منهم ؛ والتَّعرُّفُ لأماكنِهم : من قُرْطُبَةَ أو غيرِها : من الكُورِ . فكانوا : إذا احتاجوا إلى رجلٍ يَصْلُحُ لخطَّةٍ من خطَطِهم ، اسْتَجْلَبُوهُ .

واحتاج الأميرُ عبدُ الرحمن بن معاويةَ (رحمه الله) ، إلى تَوْلِيةِ قاضى جماعةٍ بقُرْطبةَ ؛ وكان : قد بَلَغَه عن رجلٍ — بماردةَ — : صلاحٌ ، وصَلَابةٌ ، ووَرَعٌ . فاسْتَجْلَبَه وولّاه : فسار فى القضاءِ بأفْضلِ سيرةٍ .

قال محمدُ بن عبدِ الملكِ بنِ أيْمَنَ : وممَّن وَلِىَ القضاءَ لعبدِ الرحمن بنِ معاويةَ ١٩ (رضى الله عنهما) : عبدُ الرحمن بنُ طَرِيفٍ ؛ من ساكِنى مدينةِ : ماردةَ [١] . وكان رجلاً : صالحاً محمودَ السِّيرةِ .

---

(١) انظر الروض المعطار ص ١٧٥ — ١٧٧ .

ولقد قرَأَ علىَّ القاضى: أحمدُ بن محمدِ بن زيادٍ؛ صَكاً فيه: ذِكْرُ مالٍ: وَقَفَه عبدُ الرحمن بن طَرِيفٍ، لأُمِّ العباسِ، وأُمِّ الأَصْبَغِ: أُخْتَىْ الأميرِ عبدالرحمن ابنِ معاويةَ. وكان فى ذلك الكتابِ — عندَ ذِكْرِ التَّوْقيفِ —: إذ كان المُتوَفِّى فلانٌ: مَوْلاَهما؛ ووَجَب لهما مِيراثُه: وهما غائبَتانِ فى الشَّام. قال محمدٌ: قال خالدُ بن سعدٍ: سمِعتُ محمدَ بن إبراهيمَ بن الْحُبَابِ[1]، يقولُ عمَّن حدَّثه:

إن الأميرَ عبدَالرحمن بن معاوية (رحمه الله)، دخَل عليه حَبيبٌ القُرَشِىُّ: فشَكَى إليه القاضىَ[2]: عبد الرحمن بنَ طَرِيفٍ؛ وذَكَرَ: أنه يُرِيدُ: أنْ يُسَجِّلَ عليه فى ضَيْعةٍ: قُيِّمَ فيها عندَه؛ وادَّعَى عليه حَبيبٌ فيها: الغَصْبَ والعِداءَ.

فأرسَلَ الأميرُ (رحمه الله): فى القاضى؛ وتَكَلَّمَ معه: فى ذلك؛ وأمَرَهُ: بالتَّثَبُّتِ؛ ونَهَاهُ: عن العجَلَةِ.

فخرَجَ ابنُ طَرِيفٍ منْ فَوْرِه، وأرسَلَ: فى الفقهاء والعُدُولِ؛ فنَفَّذَ القَضيَّةَ: علَى حَبيبٍ، وسَجَّلَ وأشْهَدَ.

فدخَلَ حَبيبٌ علَي الأميرِ فأغْرَاه: بالقاضى؛ ووَصَفَهُ: بالبُغْضَةِ له، والاسْتِخْفافِ به.

فغَضِبَ الأميرُ غَضَباً شديداً؛ وأرسَلَ إلى القاضى: ابنِ طَرِيفٍ وأدْخَلَه على نفسِه. ثم قال له: مَنْ أَقْدَمك: أن تُنفذَ الْحُكمَ بعدَ أنْ أمَرْتُك: بالتَثَبُّتِ والأَناةِ.؟

---

(٢) فى الأصل: الحباب.

(١) فى الأصل: بالقاضى.

فقال له ابنُ طَرِيفٍ : أقْدَمَنى عليه : الذى أَقعدَكَ هذا المَقْعَدَ ؛ ولَوْلاَ ه : ما قَعَدْتَهُ .

فقال له الأميرُ :قولُك هذا أعْجَبُ مِن فِعلك ؛ ومَن أقْعدَنى هذا المَقْعَدَ ؟.

فقال : رسولُ رَبِّ العالَمِينَ ؛ فلَوْلاَ قَرَابتُك منه : ما قَعدْتَ هذا المَقْعدَ . وإنما بُعِثَ بالحقِّ : لِيُقْضَى عَلَى القَرِيبِ والبَعيدِ .

ثم قال له القاضى : أيُّها الأميرُ ؛ ما الذى يَحْمِلُكَ : عَلَى أنْ تتحامَلَ لبعضِ رَعِيَّتِك ، عَلَى بعضٍ : وأنتَ تَجِد مِن ذلك وَجْهاً : أنْ تُرْضىَ به مَن تُعْنَى به ، مِن مالِكَ .؟.

فقال له الأميرُ : فلَعَلَّ الذين اسْتَحَقُّوا الضَّيْعةَ : أنْ يَبِيعُوها ؛ فأشْتَرِيها لحبيبٍ مِن مالِى ؛ وأُرْضِيَهم : فى ثمَنِها .

فقال له ابنُ طَرِيفٍ : أنا أُرسلُ : فى القَوْمِ ؛ وأُخاطِبُهم : فى ذلك ؛ فإن أجابُوا إلى البَيْع ؛ وإلاَّ : فإنَّ حُكْمِى قد نَفَذَ .

فخَرج القاضى : فأرسَلَ فى القوم ، وتكلم معهم فى الضَّيْعةِ ؛ فأجابُوا إلى البَيْع : إنْ أجْزَلَ لهم الثَّمَن .

فكان حَبيبٌ ، يقولُ بعد ذلك : جَـزا اللهُ عنِّى ابنَ طَرِيفٍ خيراً : كانتْ بيَدِى ضَيْعةٌ : حَرامٌ ؛ فجعَلَها ابنُ طرِيفٍ : حَلاَلاً .

قال محمدٌ : وسمِعتُ بعضَ أهلِ العلمِ ، يقولُ :

إن حَبيباً كانتْ له معَ ابنِ بَشِيرٍ ، قِصَّةٌ : تُشْبِهُ هذه القِصَّةَ ، فكان حَبيب : يَلْقاه من بَعدُ ، فيقولُ : بأبى أنتَ ؛ أرَدْنا : أنْ نأكُلَ الحرامَ ؛ فأبَيْتَ إلاَّ : أنْ تجعلَه حَلالاً .

* * *

« ذِكْرُ القاضى الْمُصْعَبِ بنِ عِمْرَانَ الهَمْدَانِىِّ[1] »

٢٠ قال محمدٌ : هو : المصْعَبُ بن عِمْرانَ بنِ شَفِىٍّ بن كَعبِ بن كَعْبَرَ بن ريدِ بن عمرو ابنِ امرىء القيس بن زيدٍ الهَمْدَانِىُّ ؛ من العرب الشاميِّينَ ؛ ومكتبُه فى جُند حِمْصٍ .

دخَل الأندلسَ قبلَ دخولِ الأميرِ : عبدِ الرحمن بن مُعاويةَ (رضى الله عنهما) فنزَل بكُورَةِ : جَيَّان ؛ بقرية : بادو ؛ ثم رحَل إلى موضعٍ من عملِ قرطُبةَ : بجوفى المدور الأدْنى إليْها ؛ وكان سُكناه بقريةٍ تعرف : بغليار ؛ فى الجبل من إقليم المدورِ .

وكان أبوه عِمرانُ : من جُند هشامِ بن عبدِ الملكِ بالشام ؛ وكان : قد تَزوجَ امرأةً من بنى حاطِبِ بن أبى بَلْتعَةَ ؛ وتَزوجَ الأميرُ عبدُ الرحمن أختَ تلك المرأةِ ، ووُلِدَ له منها سُليمانُ ابنُه والسيدةُ ابنتُه ؛ وقد لحِقَتْ بقُرطبةَ مع أبيه ، ودُفِنَتْ بمَقْبرةِ الربضِ .

قال محمدٌ : ورأيتُ فى بعض الأخبار : أنَّ هشامَ بن عبدِ الرحمن (رحمه الله) لمَّا أدرَكَ ، وخرَجَ من القصر إلى داره — : انتَهَى إليه زُهدُ مُصْعَبِ بنِ عِمرانَ وورَعُه ؛ فاسْتَجْلَبَه إلى نفسه ، واسْتَخْلَصَه ؛ وجعله وزيرَه وسَمِيرَه . فلمَّا احتاجَ الأميرُ إلى قاضى جماعةٍ : أشار هشام بالمُصعَبِ ؛ فقَبِلَ ذلك منه الأميرُ ، فدَعا مَصعباً إلى القضاء : فأبَى منها — على ما وصفتُه فى صدر الكتابِ : فى بابِ مَن عُرِضَ عليه القضاء فأبَى مِن قَبُولِه[2] . — وانصَرَفَ إلى منزله .

قال محمدٌ : قال لى بعضُ رُوَاةِ الأخبار : فلما وَلِىَ الخِلافةَ هشامُ بن

---

(١) انظر تاريخ قضاة الأندلس ٤٥ — ٤٧ . (٢) انظر : ص ١٣ .

عبدِ الرحمن (رحمهما الله) : أرسَل فى مُصْعَبِ بن عِمرانَ إلى ضَيْعتِه ؛ فذُكِرَ : أنه أتاه الرسولُ : وزوجتُه تَنسِجُ فى منسجٍ لها ، والمُصعبُ بيْن يدَىْ المنسج : يعملُ لها الوَشَايِعَ ؛ فَفَتَحْت المرأةُ بإصبَعِها فى المنسجِ ، ثم قالتْ له : تَرُدُّ القضاءَ أيضاً على هذا الأميرِ ، كما رَدَدْتَه على أبيه ؛ ثم تَرجِعُ إلى وَشايعِ المنسجِ ؟ .

فلمَّا قدِم المُصعبُ على هشامٍ ، قال له : قـــد علِمتُ : أنه إنَّما مَنَعك من قَبُولِ القضاء من أبى ، الأخلاقُ التى كانت له ؛ وقد عَرفتَ أخلاقى : فتولَّ القضاءَ . فأبى عليه ؛ فعزَم عليـــه هشامٌ (رحمه الله) عزماً شديداً : حتى وَلِىَ القضاءَ .

وكان : يَخْطُبُ بالناس ، ويُصلِّى بهم : إذا غاب الأميرُ هشامٌ . فاشتَرَطَ عَلَى الأميرِ هشامٍ — : إذ قَبِلَ منه القضاءَ . — : أنْ يَأْذَنَ له فى اطلاعه ضَيعتَه : كلَّ يومِ سبتٍ ويومِ أحدٍ . فَرَضِىَ له بذلك . وكان مسكَنُه بقُرطبةَ — : إذ وَلِىَ قضاءها . — برَحَبةِ عبدِ الله بن عبد الرحمن بن معاوية رحمهم الله .

وكان كاتبُه : محمدَ بن بَشيرٍ المُعَافِرىَّ . وكان مُصعبٌ فى قضائه : من أهـل العدلِ والسِّيرةِ المحمودةِ ، صَلِيباً فى الحق ، مُنَفِّذاً له على الخاصة والعامة . وكان ذلك أيامَ هشام رحمه الله .

ثم تُوفِىَ هشامٌ : فأقَرَّه الحَكَمُ بن هشامٍ (رضى الله عنـه) : عَلَى قضاء الجماعةِ ، وعلى الصـــلاةِ . وكان يَعْرِفُ صلابتَه وتنفيذَه ؛ فكان يُؤَيِّدُه ، ولا يَفتُّ فى عَضُدِه ؛ ويُجيزُ . أفعالَه ، ويُنَفِّذُ أحكامَه ؛ وإن وَقَعَتْ منـه بغير المَحْبُوبِ .

قال محمدٌ : ورأيتُ فى بعض الحِكَايَاتِ : أنَّ العباسَ بن عبد الله المَرْوانِىَّ ، غَصَب ضَيْعة من رجلٍ بجيَّان ؛ وتُوُفِّىَ الرجلُ ، وتَرَكَ أطفالاً . فلمَّا بَلَغُوا ، وانتهَى إليهم عَدْلُ مُصعبِ بن عِمرَان ، — : قَدِموا قرطبةَ ، وأنهَوْا إليـــه

مَظْلَمَتَهم وأثْبَتُوها عنده ؛ فبعثَ القاضى : فى العباس بن عبدالله ؛ وأعلَمَه ماذكَرَه القومُ ؛ وعرَّفَه بالشُّهودِ عليه ؛ وأباحَ له الدفعَ[1] وضَرَبَ له أجلاً بعدَ أجـل . فلمَّا انصَرَمَتْ الآجالُ ، وعَجَزَ عن الدفع[2] — : أعلَمَه : أنه يُنَفِّذُ الحـكمَ عليه . فدَخَل العباسُ عَلَى الأميرِ الحـكَمِ (رحمه الله) وسألَه : أنْ يُوصِىَ إلى القاضى : بالتَّخَلِّى عن النَّظَرِ ؛ وأنْ يكونَ الأميرُ : الناظِرَ بينَه و بيْنَ خَصمِه . فدَعَى الأميرُ بفتى له ، يُسَمَّى : بزنت ؛ وأوْصاه إلى مُصعبِ بن عِمرانَ : بأنْ يَتخَلَّى عن النظرِ . فلمَّا أدَّى الفتى الوصِيَّةَ ، قال له مُصعبٌ : إنَّ القومَ قد أثْبَتُوا حقَّهم ، ولزِمَهم فى ذلك عناءٌ طويلٌ ؛ ونصبٌ شديدٌ : لبُعدِمكانِهم ؛ وقد ثَبَتَتْ دَعْواهم ؛ ولستُ أتخلّي عن النظرِ : حتى أحْكُمَ لهم . فَرَجَع الفتى ، وأدَّى ما قال إلى الأميرِ (رحمه الله) ؛ فجعَل العباسُ ؛ يُغرِيه ، و يقولُ له : قد أعلمتُ الأميرَ باستخفافِه ، وأنه يَرَى : أن الحُكمَ له ، لالِلأمير . فصَرَفَ الأميرُ الحَكَمُ (رحمه الله) الفتى إليه ، يقولُ له : لابُدَّ أن تَكُفَّ عن النظرِ بيْنَهم ، وأنْ أكونَ انا الناظرَ فى ذلك . فلمَّا عاد الفتى إلى مُصعبٍ بذلك ، من عنـد الأميرِ — : أمرَه بالقُعودِ ؛ ثم أخَذَ كتاباً ، فعقَد حُكمَه للقوم : بالضَّيعة ؛ ثم نَفَّذه بالإشهادِ فيه . ثم قال للفتى : أذهب ، فأعلِمْه : أنى أنفَذْتُ ما لَزِمنى إنفاذُه : من الحقِّ ؛ فإن أراد أنْ يَنقُضَه : فذلك إليه ، يَتَقَلَّدُ منه ماشاء : فذَهَب الفتى : فَحَرَّف كلامَ القاضى ، و نَقَل عنه إلى الأميرِ ، أنه قال : قد حَكَمْتُ بحكمِ العَدْلِ ؛ فيَنْقُضُه الأميرُ إنْ قَدَر . فأطْرَق الأمير الحَكَمُ (رحمه الله) ، وجَعَل العباسُ : يُغْرِيه ، ويُوقِدُ غضبَه؛ وثابَ إلى الحَكَم — : من توفيقِ الله وعصمته : التى اكْتَنَفَ بها خُلفاءه . — ما صار به إلى ما هو : أشْبَهُ بخلافتِه ، وألْيَقُ

---

(١) و(٢) فى الأصل : المدفع .

بإمامته فقال للعباس : ما أشقاه مَن لَطَمَه قَلَمُ القاضى ثم رَجَع إلى ما كان فيه ، ولم يَعرِضْ للقاضى ، ونَفَّذ له حكمَه .

وذكَرَ بعضُ أهلِ العلمِ ، قال : أُعْتَلَّ مُصعبٌ فى ضَيعتِه ، فكَشَف عنه الأميرُ الحكم (رحمه الله) : فذُكِرَتْ له عِلَّتُه ؛ فخَرَج مُتنزِّهاً إلى جهةِ المدور ، فقَصَدَه إلى دارِه ، ونَزَل عليه فى منزله . فقال له مُصعبٌ : إنَّ الأميرَ (أعزه الله) قد خرج للتَّرَوُّح ؛ فإن وَلِىَ أنْ يكونَ صدْرُه علَىَّ : فلْيفعَلْ . فاسْتَعَدَّ له بطعامٍ يُصيبُه . فركِب الحَكَمُ (رحمه الله) فقَضَى من تَرَوُّحِه وَطراً ، ثم انصرف إليه ، فأحضَر طعامَه ؛ ثم نظر الحَكَمُ إلى خادِمٍ لمُصعبٍ تُسَمَّى : علة ؛ فاسْتَسْقاها ماءً ؛ فقال لها مُصعبٌ : كُفِى ياعلةُ ؛ ونادَى بابنةٍ له تُسمى : ككوية ؛ فقال لها : أَسقِى مولاكِ ماءً ؛ فقامت الصَّبِيَّةُ وسَقَتْه ، وتولَّتْ خِدمتَه . فقال له الحَكَم (رحمه الله) : هذا لَقَبٌ أو اسم ؟ فقال له : بل اسمُ جَدتى أمِّ حاطِبِ بن أبى بَلْتعَة ؛ فسمَّاها النساء به : على عادتِهِنَّ فى الأسماء .

فقال له الأميرُ الحَكَمُ (رضى الله عنه) : إنْ وهبَنِى اللهُ ابنةً : سَمَّيْتُها باسمِها : فوُلِدَتْ له ابنةٌ : فسماَّها بذلك الاسمِ . وهو أولُ مَن سَمَّى بهذا الاسم : من الخلفاء رضى الله عنهم .

وتُوُفِّىَ مُصعَبٌ من تلك العِلةِ ، وتَرَكَ ولَدَيْنِ . وعَقِبُه باقٍ ؛ ولم تَزَلْ الخلفاء (رضى الله عنهم) على مُحافَظةٍ لهم .

قال محمدٌ : وأخبرنى بعضُ رُواةِ الأخبارِ : أنه تَوافَى على باب الأميرِ الحَكَمِ (رحمه الله) جُملةٌ من الناس شَتَّى : يَذكُرُون كِفايَتَهم فى الخِدمةِ ؛ ويسئلون الأميرَ : أنْ يُشْتَرَوْا له من مَوَاليهم . فأمر : أنْ يَسئلُوا عن أسماء مَواليهم ؛ فكان فيهم : عبدٌ لولَدِ مُصعَبٍ ؛ فأمَرَ الحكَمُ (رحمه الله) : بزجْرِه ؛ وقال : مَن

يَخدُم وَلَدَ القاضى ؟ لومات لهم هذا العبدُ : لأَخْلَفْتُ لهم مكانَه ؛ فكيف أنْ أنزِعَه منهم ؟ !

قال محمدٌ : ولم يكنْ مُصعَبٌ بالمُتَّسِع : فى علم السُّنن ، ولا فى روايةِ الأخبار .

قال أحمدُ بن زيادٍ : حدثنى محمدُ بن وَضَّاح ؛ قال : حدثنى يحيى بن يحيى : أنَّ زِيادَ بنَ عبد الرحمن ، أوَّلُ مَن دخَل الأندلُسَ : بالفقهِ ، والحلالِ والحرام ؛ وهو : أولُ مَن أظهَرَ سُنَّةَ تحويلِ الأرْدِيَةِ فى الاسْتِسْقاء ؛ وصاحبُ الصلاةِ والحكوماتِ يومئذٍ : ابنُ شَفِيٍّ ؛ فقال على الجهل منه : هذا قدرُ نشرة . قال يحيى فخرَجْتُ من هاهنا إلى المشرِقِ ، ولَقيتُ مالكَ بنَ أنسٍ ، واللَّيثَ بن سعدٍ ، ومَن دونهما : فوجَدْتُ سُنةَ تحويلِ الرداء ، معروفةً فاشِيةً .

قال محمدٌ : وذَكَرَ عبدُ الملكِ بنُ الحسن ؛ قال : سمِعتُ محمدَ بن بَشيرٍ ، يقول : سمِعتُ مالكَ بن أنسٍ ، يقولُ : تكادُ أحاديثُ ابنِ عِمرانَ تكون سِيَراً .

قال محمدٌ : فلا أدرى : أىَّ ابنِ عِمرانَ أراد ؟ إن كان مُصعبَ بن عِمرانَ — : لأن ابنَ بشيرٍ كان كاتبَه . — فلعله : كان يَحكى له أخبارَه ؛ أو أرادَ محمد ابن عِمرانَ الطَّلحىَّ قاضى المدينة ؟ والأقربُ : أنْ يكونَ المرادُ مُصعبَ بن عِمرانَ : لمجالستهِ ابنِ بَشيرٍ له ، وأنه كان : كاتبَه ، وأعرَفَ الناسِ بأخبارِه .

* * *

« ذِكرُ القاضى : محمد بن بَشيرٍ المُعافِرِىِّ [(١)] »

٢١ قال محمدٌ : كان محمدُ بن بَشيرِ بن شَرَاحِيلَ المُعَافِرِىُّ ، أصلُه من جُند باجةَ : من عربِ مِصرَ .

قال أحمدُ بن خالدٍ : طلَب محمدُ بن بشيرٍ القاضى العلمَ ، بقُرطبةَ : عندَ شُيوخ أهلِها ؛ حتى أخَذ منه بحظٍ وافرٍ ؛ ثم كتَب لأحدِ أولادِ عبدِ الملِك بن عمرَ المَرْوَانىِّ ، لمَظْلَمةٍ نالته ؛ على وجْهِ الاعتصامِ به ؛ وتَصرّف معه تصرُّفاً لطيفاً ؛ ثم انقَبض عنه ، وخرج حاجًّا .

قال محمدٌ : وكتَب محمدُ بن بشيرٍ ، فى حَدَاثية ، للقاضى : مُصعَبِ بن عِمرانَ ؛ ثم خرج حاجًّا : فلَقِىَ مالكَ بن أنسٍ ، وجالَسَه وسمع منه ؛ وطلب العلمَ أيضاً بمصرَ ؛ ثم انصرف : فلزِم ضَيْعتَه فى باجةَ .

قال محمدٌ : أخبرَنى مَن أثِقُ به من أهلِ العلمِ ؛ قال : لمَّا تُوُفِّىَ المُصْعَبُ ابنُ عِمرانَ شاوَرَ الحكَمُ (رضى الله عنه) العباسَ بن عبد الملِك المَرْوانىَّ : فيمَن يُوَلّيهِ قضاءَ قُرطبةَ ؛ فقال له العباسُ : إنَّ مُصعَبَ بن عِمرانَ — : و إن كان حكَم علىَّ ، فأغضَبَنى : فنافرْتُه ونابَذْتُه . — : فليس ذلك بالذى يُبلغُنى إلى الطعنِ عليه : فى فضلِه ، وحُسنِ اختيارِه ؛ وقد كان اختيارُه : وقَع عَلَى محمدِ ابن بشيرٍ ، فاستَكْتَبه : معرفتى أنا بابن بشير : إذ تَوَلَّى الكتابةَ لأخى إبراهيمَ . فقَبِل الأميرُ (رحمه الله) رأىَ العباسِ ، وأمَر : باستقدامِ محمدِ بن بَشيرٍ .

قال محمدٌ : رأيتُ فى بعضِ الكتُبِ : أنَّ محمدَ بن بَشيرٍ لمَّا أتَى فيه رسولُ الأمير ، أتَى : وهو لا يعلمُ ما يُرادُ به ؛ فلمَّا صار بسهلةِ المدورِ : مالَ إلى صديق له كان بها : من العُبَّادِ ؛ فنزَل عليه ، وتحدَّث معه فى أمرِ نفسِه ؛ وذكَر : أنه يَتوَقعُ : أنْ يُضَمَّ إلى الكتابةِ التى تَخلَّى عنها .

---

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ٤٧ ــ ٥٣ .

فقال له صديقُه العابدُ : ما أُراكَ إلا بُعِثَ فيك : للقضاء ؛ لأنَّ القاضيَ تُوُفِّيَ بقُرطبةَ ، وهي الآنَ بلا قاضٍ .

فقال له ابنُ بَشِيرٍ : إذ قلتَ هذه المقالةَ ، وتَوَهَّمتَ هذه الحالةَ ؛ فاذاً أستَشِيرُك في ذلك ، وأسألُك : أنْ تَنْصَحَ لي ، وتُشِيرَ بالصوابِ عَلَيَّ .

فقال له العابدُ : أسألُك عن أشياءَ ثلاثةٍ ، فأصدِقْني فيها ؛ ثم أشيرُ عليك بعد ذلك .

فقال له محمدُ بن بشيرٍ : ما هيَ ؟

قال له : كيفَ حبُّك لأكلِ الطَّيِّبِ ، ولِباسِ اللَّيِّنِ ، ورُكوبِ الفارِهِ ؟ .

فقال له : واللهِ ما أُبالِي ما رَدَدْتُ به جَوْعَتي ، وسَتَرْتُ به عَوْرَتي ، وحملتُ به رِجْلَتي .

فقال له العابدُ : هذه واحدةٌ . ثم قال له : كيف [حبُّك] للتمتع بالوجوهِ[1] الحِسانِ ، وما يشاكل ذلك : من الشَّهواتِ ؟

فقال له محمدُ بن بَشِيرٍ : هذه حالةٌ واللهِ : ما أستَشرَفَتْ نفسي قطُّ إليها ، ولا خَطَرَتْ ببالي ، ولا اكْتَرَثْتُ لفقْدِها .

فقال له العابدُ : هذه ثانيةٌ . فكيف حبُّك لمدحِ الناسِ وثنائهم عليك ؛ وكراهتُك للعزلِ وحبُّك للولايةِ ؟.

فقال له : واللهِ ما أُبالِي في الحقِّ : مَن مدحَني ، أو من ذمَّني ؛ وما أُسرُّ بالولايةِ ، ولا أستَوْحِشُ للعزلِ .

فقال له العابدُ : فاقبلْ القضاء ؛ فلا بأسَ عليك .

فقدِمَ قُرطبةَ : فولَّاه الحكَمُ (رحمه الله) قضاءَ الجماعةِ والصلاةَ ،

قال محمدٌ : فمِن مُستَفيضِ الأخبارِ — : التي لا يُتَواطأُ على مثلها . — : أنَّ محمدَ بن بَشِيرٍ : من عُيونِ قُضاةِ الأندلُسِ ، ومن وُجُوه أهلِ القضاء بها . كان : شديدَ الشَّكيمةِ ؛ ماضيَ العزيمةِ ، مُؤثراً للصدقِ ، صليباً في الحقِّ ؛

(١) في الأصل : للتمتع الوجوه .

لا هَوَادةَ عنده لأهلِ الحرم[1] ، ولا مُداهنةَ فى أحكامِ السلطانِ ؛ ولا يَعْبأُ على جميعِ أهلِ الخدمةِ ، ولا على من لاذ[2] بالخليفة : من جميع الطبقاتِ .

قال أحمدُ بن خالدٍ : كان أولُ ما أنفذه محمدُ بن بَشيرٍ — : من أحكامه . — التسجيلَ على الأميرِ الحكَمِ (رحمه الله) فى أرْحاء القنطرةِ : إذ قام عنده فيها بعضُ من قام ، فسمع من البيِّنةِ فيها ، ثم أَعْذَرَ إلى الأميرِ (رحمه الله) ، ثم سَجَّل فيها وأَشْهَدَ ؛ ثم ابتاعها الأميرُ الحكَمُ بعد ذلك ابْتياعاً صحيحاً .

فكان الأميرُ الحكَمُ بعد ذلك ، يقولُ : رحِم اللهُ محمدَ بن بَشِيرٍ : فقد أحسن فيما فعَل بنا ؛ كان فى أيدينا شيءٌ مُشْتَبَهٌ : فصحَّحه لنا ، وصار حلالاً طيباً : فطاب لنا مِلكُه .

قال محمدُ بن وَضَّاحٍ : حكَمَ محمدُ بن بَشِيرٍ عَلَى ابنِ فطيسٍ ، ولم يُعرِّفْه بالشهود ؛ فرَفَع ابنُ فطيس بذلك ، إلى الحكَمَ الأميرِ (رحمه الله) ، فأوصى الأميرُ إلى ابن بشير : أنَّ ابن فطيسٍ ذكر : أنك حكَمتَ عليه بشهادةِ قومٍ ، ولم تُعرفْه بهم ؛ وأنَّ أهلَ العلم يقولون : إن ذلك له .

فكتب إليه ابنُ بَشيرٍ : ليس ابنُ فطيسٍ : ممَّن يُعَرَّفُ بمن شهد عليه ؛ لأنه إن لم يجدْ سبيلا إلى تجريحهم ، طلَب أذاهم فى غيرذلك : حتى يجليَهُم من أموالهم .

قال خالدُ بن سعدٍ : أخبرنى محمدُ بن فطيس ؛ قال : حدثنا يَحيَى بن يوسفَ بن يحيى المُعَافِرِىُّ : أنه سمِع عبد الملك بن حبيبٍ — : وذكرَ محمد بن بشيرٍ . — فقال : كان من خيار المسلمين ؛ وذكرعدلَه . قال عبدُ الملك : وكان يُصلى بنا الجُمُعةَ : وعليه قَلَنْسُوَةُ خَزٍّ .

---

(١) هكذا فى الأصل : ولعله يريد آل الأمير .

(٢) فى الأصل : لاث .

قال محمدٌ : ذكر بعضُ أهلِ العلمِ ، قال : كان محمدُ بن بشيرٍ يَقضى فى سقيفةٍ مُعلَّقةٍ بِقِبْلِيِّ مسجدِ أبى عثمانَ ؛ وكانتْ دارُه فى الدَّربِ الذى بقبلِيِّ ذلك المسجدِ ؛ وكان إذا قعَدَ للقضاء ، جلَسَ وحدَه : لا يَجلسُ معه أحدٌ ؛ وخَريطتُه بيْن يدَيْه : يتولَّى أكثر الكِتابِ بيده . فيتقدمُ الخصومُ على كُتُبِه : فيَقِفُ الخصمانِ على أقدامِهما ، فيُدْليانِ بحجَّتِهما ، ثم يفصلُ بينَهما وينصرفان . وكان يقعُدُ لسماعِ الْخُصومةِ من غُدْوة إلى قبلِ الظهرِ بساعةٍ ؛ ثم يقعدُ بعد صلاة الظهرِ إلى صلاةِ العصر: لا يكونُ نظرُه غيرَ السماعِ من البَيِّنات ؛ ولا يسمع من بَيِّنةٍ : فى غيرِ ذلك الوقت ؛ وكان لا يُخاليه أحدٌ فى مجلسِ نظرِه ، ولا فى دارِه ؛ ولا يَقرأُ كتاباً لأحدٍ : فى سببٍ من أسبابِ الْخُصومةِ .

قال محمدُ بن وَضَّاح : ولمَّا وَلِيَ القضاءَ محمدُ بن بشيرٍ ، طَبع طوابعَ[1] عشرةً ؛ فلم تَزَلْ فى خَريطتِه إلى أنْ مات . كان إذا أتاه الرجلُ يسئلُ الطابعَ : كتبه[2] فيمن يُحبُّه ؛ فإن كان قريباً بقرطبةَ : أعطاه طابعاً ، وأمرَ الكاتبَ بزَمِّ اسمه ومسكنه ، وفيمن أخذ الطابعَ ؛ ويقولُ: إياكَ إنْ كنت ظالماً : أن تَقدمَ على أحدٍ بطابعى ؛ ويعهدَ إليه بصرفِ الطابع بعينه . وإن كان بعيداً : أجَّل له بقدرِ ذلك . فلم تَزَلْ تلك الطوابعُ : تَترَدَّدُ على يديه ، حتى تُوُفِّيَ .

وذكر بعضُ الرُّواةِ ، قال : شهِد رجلٌ : من أكابرِ أهل زمانهِ؛ معَ رجلٍ كان رفيقاً للقاضى فى حجِّه ؛ وكان الناس يَعُدُّونه أثيراً عنده ، وأميناً لديْه . فقالَ للمَشهودِ له : زِدْنى بيِّنةً . وشاع ذلك فى الناسِ ، وعلِموا : أن الشاهدَ الأولَ قبِله ؛ وأن صديقه ورفيقه هو المردودُ الشهادةِ . فقال له الخصمُ : يُعرِّفُنى القاضى بِمَن قَبِل : من شاهِدَىَّ ؛ وبمن لم يَقبلْ : لأُعَدِّلَه . ؟

(١) فى الأصل : طابع عشرة .

(٢) فى الأصل : كشفه .

فقال له : الذى لا أقبلُ شهادته عندى : وهو فلان : صاحبى ورفيقى .
قال: فلمَّا حكم بذلك القاضى : أتاه رفيقه ذلك فى مجلس النظر ، على عيون الناس .
فقال : أيها القاضى : قد علمت أنى لا أقدِرُ على مجالستك وسؤالك عما أحبُّ أن أسألك عنه : إلاّ فى هذا الملإ : وقد رأيتُ أن أوقف نفسى بين يديك . هذا الموقفَ وأسألك عن السبب الذى أوجب ردَّك لشهادتى : فقد علمتَ أنه جمعنى بك : المنشأُ والجوارُ ، وطلبُ العلم ، وطريقُ الحجِّ : واطّلعتَ : من باطنى على مثلِ ما اطلعتُ : من باطنك : فعرِّفنى السبب الذى أنكرتَ علىّ : لأعرفه ، وأعترف بخطئى فيه أمام هذا الجماعةِ . فقال له ابن شبرمة : صدقتَ : قد جمعنى بك ما ذكرتَ . وعرفتنى كما وصفتَ : وما أعثرتُ لك من جريمةٍ فى دينك : ولكن صدَرنا عن الحجِّ ، ونزلنا بمصر ، وابتدأنا بالسماعِ من شيوخنا ، وعزمنا على المُقام بها : فقلتَ لى : إن الغربةَ قد أضرت بى ، وإنى أحببتُ أن أبتاعَ جارية : فحسنتُ ذلك لك ، واستعرضتُ الرقيقَ : فقلتَ لى : إنى وجدتُ جارية تساوى على وجهها كذا وكذا ، وبيدِها صنعة ويطلبُ بها صاحبُها من أجل صنعتها . كذا وكذا : أكثر مما تساويه بغير صنعة : فقلتُ لك : لا حاجة بك إلى صناعتها ، وإنما تبتاعها لمتعة : فدعها ، وابتع غيرها : فإنها تقومُ لك مقامها : فلا معنى للزيادة فيها . فأظهرتَ منى القبول ، ومضيت فابتعتها ، وزدت فيها على قدرها : فلمّا رأيتُ الشهوة قد غلبتك : فى ابتياع تلك الجارية ، وإتلافك المال فى المغالاة فيها — خشيتُ : أن تكون مثلُ تلك الشهوة ، قادتك إلى هذه الشهادة : لمال تجده ، أو ميلٍ تميله : فاحتطتُ لدينى ، ولم أجدْ لى فى سعةٍ : من قبول شهادتك .

قال محمد : وشهد عنده رجل من إخوانه — : من أهل الخاصة به ، والمتكرر عنده — يكثر فى المسجد : فرد شهادته . فسمع الرجل من كان معه : فتصدى

له : وهو رائحٌ إلى الجامعِ ماشياً ؛ فقال له : على خاصّتى بك ، ومَحبّتى لك ؛ تَرُدُّ شهادتى عندَك ؟ ! . فقال له محمدُ بن بشيرٍ : الورعُ يا أبا اليَسعِ ، الورعُ يا أبا اليَسعِ مرّتين ، لم يَزده على ذلك .

قال محمدُ بن أحمدَ الشّيبانىُّ الزاهدُ : سمعت محمدَ بن وَضّاحٍ يقول : أخبرنى مَن كان يَرى محمدَ بن بَشيرٍ القاضىَ : داخلاً على بابِ المسجدِ الجامعِ ، يومَ جُمعةٍ : وعليه رداءٌ مُعصفرٌ ، وفى رجليْه حذاءٌ بَصرىٌّ ؛ وعليه جُمّةٌ مفرقة ؛ ثم يقومُ : فيخطُبُ ويَقْضى : وهو فى هذا الزّىِّ ؛ وإذا رام أحدٌ من دِينه شيئاً : وجَدَه أبعدَ من الثُّريّا .

قال محمدٌ : ومما يَحكيه الناسُ ، ويدُورُ على ألسنتِهم ـ عن أخبارِ محمدِ ابن بشيرٍ ـ : أنه أتاه رجلٌ لايَعرفُه ، فلمّا نظَر إلى زىِّ الحداثةِ ـ :من الجُمّة المفرقةِ ، والرِّداءِ المُعصفرِ ، وظهورِ الكُحلِ والسِّوَاكِ ، وأثرِ الحِنّاءِ فى يديْه ـ: لم يَتَوسّمْ، عليه القضاء ، فقال لبعضِ مَن يَجلسُ إليه : دُلُّونى على القاضى . فقيل له : ها هو ذا (وأُشيرَ له إلى القاضى) . فقال لهم : إنى رجلٌ غريبٌ ، وأراكم تَستهزِئون بى : إذْ أسألُكم عن القاضى ، وأنتم تَدُلُّونى على زامرٍ . فزُجِرَ من كلِّ ناحيةٍ ، وقال له ابنُ بَشيرٍ : تَقدمْ فاذكُرْ حاجتَك . فلمّا أيْقنَ الرجلُ : أنه القاضى ؛ تَذمَّم واعتذَر ؛ ثم ذكَر حاجتَه : فوجد ـ : من العدلِ والإنصاف . ـ فوقَ ظنِّه .

قال محمدٌ : وكان محمدُ بن عيسى : كثيرَ النادرِ ، كثيرَ التّطْنيبِ ؛ فكان : إذارأى الرجلَ من أصحابِ محمدِ بن بَشيرٍ ، قال له : متى رأيتَ عشر[1] الدلال ؟ ومتى تَمضى إلى عشر[2] الدلال ؟ . فبلغ ذلك محمدَ بن بشيرٍ : من قولهِ ؛ واستَفاض عندَه : فأحْفَظَه ذلك . فلمّا اجتمَع معَه : عطَف عليه محمدُ بن بشيرٍ ، فقال له : أبا عبدِ الله ؛ إن الشرَّ لا يَعجزُ عنه أحدٌ ؛ وكلُّ مَن رضىَ به : قدَر عليه

(١) و (٢) هكذا : بالاصل

وإن الخيرَ لا ينالُه إلا : أهلُ الصبر ، ومَن يقومُ على نفسه بالرِّياضةِ المحمودة : فأقصِرْ عما بلغني عنك : فإنه أجمَلُ بك .

قال محمدٌ : وهـذا المعنى ــ : الذى أتى به محمدُ بن بَشِير ــ قد قاله مالكُ بن أنسٍ لبعض الشعراء ؛ حدثنى به بعضُ أهلِ العلمِ بمدينةِ تونس ؛ قال : اختصم رجلان إلى عاملِ المدينةِ ، أحدهما شاعرٌ ؛ فرفعهما إلى مالكِ بن أنسٍ : ليفصِل بَيْنهما ؛ فتكلّما عندَ مالكِ بن أنسٍ ، وتناظرا : فحكم مالكٌ على الشاعر لصاحبه؛ فقال الشاعرُ ــ : وقد أحفَظَه فتيا مالكٍ عليـه . ــ : أتَظنُّ الأميرَ : لم يكن يَعرفُ هذا القضاءَ الذى قضيت به علىَّ ؟! إنما صَرَفنا إليك : لتُصالِحَ بَيْننا ؛ فلم تفعل ، أمَا واللهِ : لأُقَطِّعَنَّ ظهرَكَ هِجاءً . ثم خرَج عنه . فأمر مالكُ بن أنسٍ : أن يصرف إليه ؛ فصُرِف ؛ فقال له : ياهذا ؛ تَدرِى، بأى شىء وصفتَ نفسك؟ : بالسَّفهِ ، والدَّناءةِ ؛ وهما : اللذان لايَعْجِزُ عنهما أحدٌ ؛ ولـكن : عليك بمـا تَنْقطع الرِّقابُ دُونَه ؛ وهو الـكرمُ والمُرُوَّةُ .

حدثنى أحمدُ بن محمد بن عبدالملك بن أيْمَنَ ؛ قال : حدثنى أبى ، عن أبيه ؛ قال : كان فيما يُجاورُنا ، شيخان : من أهلِ العدلِ فى ذلك الزمان ؛ وكانا : صديقين لمحمد بن بشير ، متكررين عليه ؛ يَظُنُّ بهما خيراً ، ويَحسِبُ عندهما فَضْلا .

كان أحدهما جَدَّ أحمد بن بَشِيرٍ المعروف : بابن الأغبس ؛ فتُوُفِّىَ رجلٌ من تجار قُرطبةَ : عظيمُ النعمةِ ؛ فقام مملوكٌ له عنـد القاضى : محمدِ بن بَشِيرٍ : يَذكُرُ : أنَّ مولاه المُتوفَّى أعتَقَه ، وأنه أنـكحَه ابنتَه ، وأوْصَى إليـه بماله . فدعاه بالبَيِّنةِ على ما ادعاه ؛ فأتاه بالشيخين : فشهدا عندَه على ما زعَم المملوكُ : فأنفَذَ شهادتَهما ، وقَضَى للمملوك بما قام . ثم لم يَلبَثْ أحد الشاهدين إلا مُدةً يسيرةً ، حتى حضَرتْه الوفاةُ ؛ فأوْصى إلى القاضى : أنى أريدُ أنْ أراك ؛ وكان على القاضى حضورُ جنازةٍ بمَقبُرةِ بلاطِ مُغيثٍ ؛ فلمَّا صدر عنها : دخـل عليه ؛

فلما بَصُر به الشاهدُ ــ : وهو فى مرضِه وكَربِه : يُعالِجُ الموتَ . ــ : جَثا على رُكبتيْه ، وجعل يَنْجَرُّ إليه ؛ فقال له القاضى : ما شأْنُك ؟ ما عرض لك ؟ (وظَنَّ به خَبالا من العِلَّةِ التى به) فقال له الرجلُ . أنا فى النار : إن لم تُنقِذْنى منها . قال له محمدُ بن بشير . يُجيرك اللهُ من النار إن شاء الله ؛ فما خَبرك ؟ . فقال له الرجلُ : الشهادةُ التى شهِدتُ بها عندَك لفلانٍ المملوكِ : مملوكِ فلانٍ ؛ لم يكنْ شىءٌ منها ؛ فاتَّقِ اللهَ وافْسَخْ الحكْمَ ، وانقض ماانعقدَ منه . فلم يَزِدْ محمدُ ابن بشير ، على : أنْ وضَع يديه فى ركبتيه ؛ ثم قام وجعل يقولُ : مضَى الحكم وأنتَ إلى النار ؛ مضى الحكم وأنت إلى النار . وخرَج عنه .

قال خالدُ بن سعدٍ : أخبرنى محمد بن عبد الأعلَى ، عمَّن حدثه : أنَّ محمد بن بَشيرٍ وَلِيَ القضاءَ بقُرْطُبةَ مرَّتين ؛ وأنه لمَّا عُزِل المرةَ الأولى : انصرف إلى بلده .

قال خالد بن سعدٍ : سمعت أحمدَ بن بَقِيٍّ القاضىَ . يقولُ : كان بعض إخوانِ محمدِ بن سعيدِ بن بشيرٍ : يُعاتبهُ فى صَلاَبتهِ ، ويقولُ له : أخشى عليك العَزْلَ . فكان يقولُ : ليتَه مَن قد رأى الشَّقراءَ (يعنى : بغلتَه) تَقطَعُ بى الطريق إلى باجةَ .

فما مضى إلا يسيرٌ : حتى حدثتْ حادثةٌ أظهرَ فيها ابنُ بشيرٍ صلابةً ؛ فكانت سبباً لعزله كما يتمنى ؛ فلم يَلبَثْ إلا يسيراً : حتى أتى فيه رَكَّاضٌ من قِبَلِ الأمير (رحمه الله) فرفعَه إلى قرطبة .

فلمَّا كان ببعض الطريق : عدَل إلى صديقٍ له ــ : من أهل الزُّهد . ــ فاجتمع معه ، وقال له : قد أرسل فىَّ الأميرُ : أنه يُريدُ إعادتى إلى القضاء مرةً ثانيةً ؛ فما ترى ؟ .

فقال له صديقُه الزَّاهدُ : إن كنتَ تعلَمُ : أنك تُنفِّذ الحقَّ على القريب والبعيدِ ،

ولا تأخذُكَ فى الله لَومةُ لائمٍ ــ : فلستُ أَرى لك أنْ تَحرِمَ الناسَ خيرَكَ . وإن كنتَ تخافُ أن تعدلَ ــ : فتَرْكُ الولايةِ أفضلُ لك .

قال محمد بن سعيد بن بشيرٍ : أمَّا الحقُّ : فلستُ أُبالِى عَلَى مَن أدرْتُه ــ : إذا ظهرَ لى . ــ : من قريبٍ أو بعيدٍ .

فقال له صديقُه الزَّاهدُ : لست أَرى لك : أنْ تَمنَعَ الناسَ خيرَكَ .

فلمَّا قَدِم : أعاده الأميرُ إلى القضاء ؛ فعَدَلَ فى ذلك .

قال خالدُ بن سعدٍ : وأخبرنى بعضُ أهلِ العلمِ ؛ قال : لمَّـا مُنع محمدُ بن بشيرٍ من بعضِ الخاصَّةِ ، وقَصُرَتْ يده عنه ــ : حلَفَ : بطلاقِ زوجتِه ، وبصَدقةِ ما يَملكُ على المساكينِ ؛ إنْ حكمَ بينَ اثنينِ . فعزله الأميرُ الحَكَمُ . فلمَّا أراد ردَّه إليها ثانيةً ، اعتذَرَ إليه بتلك الأيمانِ : رجاءَ أنْ يُعافيَه ؛ فأخْرَج إليه الأميرُ جاريةً من جواريه ، ومالاً : عِوَضاً عن مالِه ؛ فقَبِلَ القضاءَ ثانيةً .

أخبرنى مَن أثِقُ به ، عن أحمدَ بنِ زيادٍ ؛ قال : محمدُ بنُ وَضَّاحٍ : أخبرنى قاسمُ بن هِلالٍ ؛ قال :

دَخَلْنا عَلَى محمد بن بشيرٍ : نُعَدِّلُ عنده رجلاً ؛ فقال : أَحْلِفُوا باللهِ الذى لا إلهَ إلا هو : أنه عَدْلٌ رِضاً ؛ فقالوا : بيمينٍ أصلَحَك الله ؟! . فقال : والله لا كَتَبْتُها حتى تحلفوا .

قال قاسمُ بن هلالٍ : وكنتُ أَحْدَثَ القومِ سِنًّا ؛ فتَسَلَّلْتُ .

قيل لابن وَضاحٍ : فما صنعوا ؟ قال : لا أدرى .

قال محمدٌ : وكان محمدُ بن بشيرٍ : إذا اختلف عليه العلماء ، وأشْكَلَ عليه الأمرُ ــ : كتَبَ إلى مصرَ : إلى عبد الرحمن بن القاسم ، وإلى عبدِ الله بن وَهْبٍ .

أخبرنى عثمانُ بن محمدٍ ؛ قال : أخبرنى عُبَيْدُ الله بن يحيى ، عن أبيه ؛ قال :

حمّلني محمدُ بن بشيرٍ : أنْ أسألَ له ابنَ القاسم عن مسائل ؛ وحمّل أيضاً ذلك : محمد بن خالد . فلمّا قدمتُ مصرَ : سألتُ عنها ابن القاسم ، فأجابني : فكتبت عنه جوابَه . وقدِم محمدُ بن خالدٍ من المدينةِ ، فسأله عن تلك المسائل بأعيانها ، فأجابه فيها ، وكتب عنه . فاجتمعتُ معَ محمدِ بن خالدٍ : فامتحنْتُ ما أجابه به ابنَ القاسم في مسائله ، فأصَبْتُها : مخالِفَةً لِما أجابني به . فأتيتُ ابنَ القاسم ، فأعلَمْتُه بذلك ، وقلتُ له : إن قدمنا البلد بأجوبةٍ مخالفةٍ : أدركت كلَّ واحدٍ منا التُّهْمةُ : في نَقْله عنك ؛ وأوْقعت القاضي في شبهةٍ وشكٍّ ؛ فاحتاج أن يكاتبَك ثانيةً . فقال : صدقت .

فأرسَلَ في محمد بن خالد ، فقال له : أجبتُك : وقلبي مشغولٌ ؛ ولكنْ : رُدَّ الأجوبةَ إلى ما كتبَ عنّي يحيي . ففَعَل ، وأتيْنا بأجوبةٍ متفقة .

وكان محمدُ بن بشير : جيد الفطنة ، حَسنَ الإدراكِ . قال لي بعض أهل العلم : كان رُبّما قَبِلَ الشاهدَ : عَلَى التَّوَسم ، والفِراسةِ ؛ وربّما كشفَ في السرِّ عن البيِّنة .

قال لي عثمانُ بن محمدٍ ؛ قال لي عُبيدُ الله بن يَحيي :

قال يَحيي بن يَحيي لمحمدِ بن بَشيرٍ القاضي : إن الحالاتِ تتغيرُ ، فإذا عَدَّل عَدْلٌ عندك الرجلَ ، فحكمتَ به ، ثم تطاولَ أمرُه ، وشهِدَ عندك ثانيةً : فكلِّفْه التَّعديلَ ، وأعِدْ فيه الكَشْفَ . فقبل ذلك ابنُ بَشيرٍ ؛ فلمّا شعَر الناسُ بذلك : أخذوا منه حِذْرَهم .

قال محمدٌ : وكان يَحييَ بنُ يَحيي : من أشدِّ الناسِ تعظيماً لمحمدِ بن بَشيرٍ ، وأحسنِهم عليه ثناءً : في حياتِه ، و بعدَ وفاته .

سُئلَ يَحييَ بنُ يَحيي عن اللِباسِ العائمِ ، فقال : هي لِباسُ الناسِ في المَشرقِ ، وعليه كان : أمْرُهم في القديمِ .

فقيل له : لو لبِسْتَها : لا تَّبَعَك الناسُ في لباسِها ! .

فقال : قد لَبِس ابنُ بَشيرٍ الخزَّ : فلم يَتَّبِعْه الناسُ ؛ وكان ابنُ بَشيرٍ أهلا : أنْ يُقتَدَى به ؛ فَلَعَلِّى لو لبستُ العِمامَة : لتركَنى الناسُ ، ولم يَتَّبِعُونى : كما تَرَكوا ابنَ بَشير .

وكان يَحيى بنُ يَحيى : كثيراً ما يَحْكِى عن محمدِ بن بَشيرٍ ، عن مالكِ بن أنسٍ .

ذَكَر بعضُ أهلِ العلمِ ، عن يَحيَى بن يحيى ؛ قال :

تَظلَّمَ حَمْدُونُ بن فطيسٍ ، من محمدِ بن بَشيرٍ — : فى شيء حَكَم به عليه . — إلى الأميرِ الحكَمِ (رضى الله عنه) ؛ فقال لى : يا أبا محمدٍ ؛ إنى سألتُ الأميرَ : أنْ يُجلِسَ لى الفقهاءَ ؛ وقد سألته : أنْ يُجلِسَك مَعَ مَن يُجلِسُ . فقلتُ [1] له : إنى لأعْظَمُ : أن أجلِسَ المجلسَ الذى يُتظلَّمُ فيه مِن مثلِ محمدِ بن بَشيرٍ ؛ فإن كنتُم لا بُدَّ فاعلين : فعلَيْكم بشيخِنا يَحيى بنِ مُضَرَ القيسِىِّ ؛ واعلَمْ : أنَّ محمدَ بن بَشيرٍ : على السَّخَطِ ؛ خيرٌ لك منِّى : على الرِّضا .

قال : فاستَحْيَا حَمدونُ — وكان : حليما دَمِثا . — وكَفَّ عن جَمْعِ الفقهاء .

***

وممَّا حكاه محمدُ بن بَشيرٍ ، عن مالكٍ — :

قال عبدُ الملك بن الحسن : قال محمدُ بن بَشيرٍ : سمعتُ مالكاً ، يقول : انظُرُوا فى هذه الكتُبِ ، ولا تَخْلِطُوها بغيرها . قال محمدٌ : أُراهُ يعنِى : الموطأَ .

قال عبدُ الملك بنُ الحسن : قال محمدُ بن بَشيرٍ : سمِعتُ مالكاً ، يقولُ : تَكادُ أخبارُ ابنِ عِمرانَ : أن تكونَ سِيَراً .

قال محمدٌ : فلا أدرى : أىَّ ابنِ عِمرانَ أرادَ مالكُ بنُ أنس ؟ : ابنَ عِمرانَ الطَّلْحِىَّ قاضىَ المدينةِ ؟ أو مُصعَبَ بنَ عمرانَ قاضى الجماعةِ بقُرطبة ؟ . وأخلِقْ

---

(١) فى الأصل : فقال

به : أنْ يكونَ أراد المُصعبَ ؛ لأن محمدَ بن بَشيرٍ : كان كاتباً للمصعب ؛ وكان عالماً بأخبارِه ؛ ثم جالَسَ مالـكاً من بعدُ : فلَعَلَّه : قَصَّ عليه من أخبارِه ؛ فأعجبَه : فقال فيه ما قال .

قال محمدٌ : قال لى محمدُ بن عمرَ بنِ عبد العزيز :

ذكَرَ محمدُ بن عمرَ بن لُبابَة ، ومحمدُ بن عبد الله بن القوت : أنَّ محمدَ بن بَشيرٍ سأل مالـكاً عن لَبَنِ الأُتُنِ ؛ فلم يَرَ به بأساً . قال محمدٌ :قال لى بعضُ رواةِ الأخبار : أكثَرَ موسى بنُ سَمَاعَةَ (صاحبُ الخيلِ) علىَ الأميرِ الحـكَم (رضى الله عنه) فى محمد بن بَشيرٍ ، وشَـكَا إليه : انه يَجُورُ عليه .

فقال له الأميرُ : أنا أمتَحِنُ قولَكَ الساعَةَ ؛ أخرُجْ من فَوْرِك هذا ، واقْصِدْ ابنَ بَشيرٍ : فاستأذِنْ عليه ؛ فإنْ أذِنَ لك : عزَلْتُه ؛ وإن لم يأذَنْ لك — دُونَ خَصْمِك — : فليس بجائرٍ ؛ وإنما مَقْصِدُه الحقّ .

فخَرج موسى ابنُ سَماعَةَ ، من عندِ الأميرِ ، إلى دارِ ابنِ بَشيرٍ ؛ ثم أمَرَ الأميرُ (رحمه الله) مَن وَثِقَ به — : من الفتْيان . — أنْ يَقفُوَ أثَرَه ، ويَعرِفَ ما يكون منه .

فلم يكنْ إلا رَيْثما بَلَغ ، ثم انصرَفَ ؛ فجعل يَحْـكِى للأميرِ ؛ قال : لمَّا خَرج الإذنُ إلى موسى ، ثم انصرف ، وأُعلِمَ به القاضى — : خرَج إليه ثانيةً ، فقال له : إن كانتْ لك حاجةٌ ، فتقصدُ فيها : إذا جلَس القاضى فى مجلسِ القضاء .

فقال الأميرُ (رحمه الله) قد أعلمتُه : أن ابنَ بَشيرٍ صاحبُ حقٍّ ، لا هَوَادَةَ عندَه فيه لأحدٍ .

قال محمدٌ : أخبرنى مَن أثِقُ به : من أهل العلم ؛ قال :

كان محمدُ بن وَضَّاحٍ يَحكِى عن الأميرِ الحـكَم (رحمه الله) حكايتين ؛ إحداها : فى محمدِ بن بَشيرٍ ؛ والثانيةُ : فى ذكرِ شيء : من الحدثان .

فكان محمدُ بن وضَّاحٍ ، يقول عند فراغ الحكايتَيْن : والله لو لم يكنْ للحكَمِ غيرُ هاتَيْن لرَجَوْتُ له الجنةَ .

وأحكى الحكايتين التى فى ابنِ بَشيرٍ : أنه ذُكِرَ عن بعضِ الخاصَّةِ : أن كَرِيمةً من كَرائم الحكَمِ (رحمه الله) ذكرتْ : أن الحكَمَ قام عنها ليلاً ، فساءَ به ظنُّها : عَلَى ما يَتَوَهَّمُ النساء ، ويَسبِقُ إليهن: من وجْهِ الغيرةِ . قالتْ[1]: فقَفَوْتُ أثرَه ، فوجَدْتُه فى بعضِ الأماكنِ : يُصلِّى ويَدْعُو قالت : فلمَّا انصرَفَ أعلمتُه : بما ظنَنتُ ، وبما فعلتُ ، وبما رأيتُه عليه : من الصلاةِ والدعاء .

قالت / : فقال لى : كنتُ قد قلَّدتُ محمدَ بن بشيرٍ القضاءَ بيْنَ المسلمين ، فكانتْ نفسى عليه طَيِّبةً ، وقلبى واثقاً ؛ وكنت مستريحاً من أخبارِ الناس وظُلاماتِهم ؛ لما علِمتُ : من عدلِه ، وثِقَتِه . حتى أُعلِمتُ فى هذه العَشيَّةِ : أنه فى السِّياقِ ، وأن الموتَ قد حضَرَه . فقَلِقتُ لذلك واغتمَمْتُ ، وقمتُ فى هذه الساعةِ : أدعو اللهَ وأبتَهِلُ إليه : أنْ يُوَفِّقَ لى رجلاً ، يكونُ عوضاً منه : تَسْكُنُ إليه نفسى ؛ فأُوَلِّيه القضاءَ قضاءَ المسلمين بعدَه .

---

(١) فى الأصل : قال .

«ذِكْرُ القاضي : سعيدِ بن محمدِ
ابن بشيرٍ المعافريّ[١] »

٢٢ قال محمدٌ : سعيدُ بن محمد بن بشيرِ بن شَراحيلَ المعافريُّ ، كان : نبيلاً فاضلاً ؛ وكان : مُعيناً لأبيه على العدلِ ، ومؤيداً له : فى اتباعِه الحقَّ ؛ وكانتْ بَصيرتُه من بصيرةِ أبيه : فى جميلِ المذاهبِ ، واستقامةِ الطرائقِ .

قال محمدٌ : ذكرَ خالدُ بن سعد ؛ قال : أخبرنى بعضُ أهلِ العلمِ :

أن أهلَ « أسْتِجَة[٢] » رفَعُوا إلى الأميرِ (رحمه الله) : يسئلونه قاضياً يَقضِى بينهم ؛ فأخرجَ الأميرُ (رحمه الله) كتابَهم ، إلى قاضِى الجماعة : محمدِ بن بشيرٍ ؛ وأمرَه : أنْ يتخيَّرَ مَن يَراه .

قال خالدٌ : فأخبرنى أحمدُ بن بَقِيٍّ ، قال :

لمَّا قرأ محمـدُ بن بشيرٍ كتابَ الأميرِ : أقْرَأه ابنَه سعيداً ، ثم قال له : أنت تعرِفُ جميعَ من يَختلِفُ إلينا : من الناس ؛ فما ترى : أنْ نُشيرَ به عَلَى الأميرِ ؟ فقال له : لستُ أعرِفُ ، ولا أتقلَّدُ أحداً من الناس .

فقال له محمدُ بن بشيرٍ : ماترى فى المؤدِّبِ الزاهدِ الذى يَختلِفُ إلينا من «شقندة»؟.
فقال : هو أمْثَلُ مَن يَختلِفُ إليك ؛ غيرَ أنى لستُ أشيرُ به ، ولا أتقـلدُه .

فقال له أبوه : فأنَا أتقـلَّدُه ، وأشيرُ به . ثم أخذَ كتاباً ، و بدأ يكتُبُ : بخبرِ المؤدِّبِ ؛ إلى الأمير ؛ إلى أنْ قُرِعَ عليهما البابُ . فقال له أبوه : أخـرُجْ واعرِفْ : من هو ؟

فخرَج ، فوجَد قوماً يَسئلون عن القاضى . فقال لهم ابنُه : هو بحالِ شُغلٍ . فبيْناهُ يَتكلمُ معهم : إذ أتَى المؤدِّبُ الزاهدُ ؛ فتعَرَّضَ للدُّخولِ على القاضى ؛ فقال له ابنُه : هو مَشغولٌ بكتابٍ يخاطِبُ فيه الأميرَ . فقال : لا بُدَّ من رؤيتِه،

---

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ٢١ .

(٢) انظر : تاج العروس « استاج » .

لأمرٍ : أخشى فواته ؛ وذلك : أنه ذُكِرَ لي أنه سأله الأميرُ : أنْ يشيرَ بقاضٍ لأهلِ « أَسْتِجة » ؛ فأحببتُ : أنْ يُشيرَ بي .

فدَخَل سعيدٌ على أبيه : وهو يكتُبُ ؛ فقال له : ارْفَعْ يدَك عن الكتابِ ؛ فإن الرجلَ الذى تخاطِبُ فيه : قد هَدَم نفسه . وأعلمَه الخبرَ . فأسقطَ محمدُ ابن بشيرٍ الكتابةَ فيه ، وأشار بغيرِه .

قال محمدٌ : وكان السببُ — : الذى من أجْلِه وُلِّىَ القضاءَ سعيدُ بن محمد . — قِصَّةً دارَتْ عليه : فى وَدِيعةٍ كانت فى يدَيْه .

قال خالدُ بن سعدٍ : حدثنى من أثِقُ به — : من أهل العلم . — عن يَحيَى ابن زكريَّاء — وكان : من أثبتِ أصحابِ محمد بن وَضَّاحٍ . — قال : أخبرنى أصْبغُ بن خليلٍ ؛ قال :

كنت جالساً عندَ يحيَى بنِ يحيى ، حتى أتاه سعيدُ بن محمد بن بشيرٍ ، فجلس : فرآه يحيى مغموماً ؛ فقال له : ما دهاكَ ؟. فقال له : هَمٌّ طَرأ علىَّ . قال : وما هو ؟: فما عليك أُذُنٌ ، ولا عينٌ .

فقال : إن ربيع القومس أوْدَعَنى مالاً عظيماً ؛ وهـذا الهاتِفُ يَهْتفُ : مَن كان عنده لربيعٍ مالٌ أو وَدِيعةٌ — فلم يُظهِرْه بعد ثلاثٍ — : سفَكْنا دمه ، وأذهَبْنا مالَه .

فاستَهْوَلَ يحيىَ الخبرَ واستعظمه ؛ وأكبَّ طويلاً ، ثم قال له ، وما تُريدُ أنْ تَصْنعَ ؟ أرى واللهِ : أن لا تُخفِرَ أمانتَك ؛ للحديثِ الذى أتى : « أنَّ الأمانةَ تُؤَدَّى : إلى البَرِّ والفاجرِ ؛ والرَّحِمَ تُوصَلُ : بَرَّةً كانتْ أوفاجرة ؛ والعهدَ يُوفَى للبرِّ والفاجرِ » .

فنُمِىَ الحديثُ ، وفشَى : حتى انتهى إلى الأميرِ ، فبعَث فيه بعد ثلاث ؛ فخَرَج إليه الإذنُ من عندِ الأميرِ ، فقال له : ما دعاكَ إلى سَترِ ما أوْدَعك

ربيع : وقد سمعتَ ما هتف عنا الهاتفُ ، وما أظهرتَ : من العصبية في ذلك . ؟

فقال للآذن : تعلِمُ الأميرَ (أصلحه الله) عني : أني إنما فعلتُ ذلك للحديث الذي أتى — ثم نَصَّ الحديث ، حتى انتهى إلى قوله : « والأمانة تؤدَّى إلى البَرِّ والفاجر » . — ولا أفجرَ من ربيعة .

فأنهَى الفتى ذلك إلى الأمير عنه ؛ فأوصى الأميرُ إلى الوزراء : هذا رجل صالح ؛ فولُّوه القضاءَ . فكان ذلك سبباً لولايته القضاءَ .

قال محمدٌ : وكان سعيدُ بن محمد بن بَشِير : صاحباً ليحيى بن يحيى ؛ وكان يحيى له : على محافظةٍ وإكرام .

أخبرني عثمانُ بن محمد : قال : أخبرني أبو مروانَ عُبَيدُ الله : قال : قال يحيى ابن يحيى : الحِلْمُ يَزِينُ الرجالَ : جئتُ عبد الملك بن مُغيثٍ : يومَ أربونة في الغزوِ ؛ ومعنا سعيدُ بن محمد بن بشير ؛ فكان : يُرسِلُ إلينا ويستشيرُنا . (قال يحيى) : وكان ربما اختصَّني بالإرسالِ دون سعيدِ بن محمدٍ ؛ فقلتُ لعبد الملك : لا تفعلْ ؛ فإنَّ صاحبي سيَسُوءه ذلك ؛ فقبِلَ مني ، وبعث يوماً إليَّ بصلةٍ : ثمانية دنانيرَ ، وإلى سعيدِ بن محمدٍ بمثلها . فقلتُ له : أما أنا فمستغنٍ عنها ؛ ولكن أجمعنا وابعثْ بها إلى صاحبي : فإنه محتاجٌ .

فلمَّا غنِم المسلمون وعظمت في أيديهم : قسَم ماهنالك ، رأينا ، ونحضر . فقلت له في بعض مادار بيني وبينه : أحبُّ أن أكلِّمك بشيء يرقُّ وجهي عنك فيه . فقال لي : يا أبا محمد كلُّ مابلغ بك الحشمة ، فضعه عن نفسك (قال عبيدُ الله : فكان يحيى يُعجَبُ بهذا الجواب جداً).

قال : فلمَّا قفلنا ، قال لي : يا أبا محمد ، ... لكم أنت وصاحبك . قلتُ له : بماذا ؟ قال : ... أسمعكم سماع ... (قال) فقلت له : ...

— والله — تريدُ هوَانَنا ، لا إكرامَنا . (قال) : فقال لى : يا أبا محمدٍ ؛ لا تَظُنَّ ذلك ؛ فوالله : ما كان رَأْىُ مَن قَبْلَكَ : أن يُبَالِغَ فى إكرامهم ؛ حتى يُفعلَ ذلك بهم . (قال) : فقلتُ له : لاجزاهم اللهُ خيراً : عن أنفسِهم ، ولاعنك ؛ فقد خانُوا اللهَ ورسولَه . قال يحيى : فاحْتَشَم وكَفَّ .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : الفَرَجِ بن كِنَانَةَ الكِنَانِيّ[1] »

٢٣ قال محمدٌ : هو : الفَرَجُ بن كِنانَةَ بنِ نِزارِ بن عَتْبانَ[2] بن مالكٍ الكِنانىُّ ؛ نسبُه : فى كِنانةَ ؛ ومَكْتبُه : فى جُندِ فلسطينَ . كان مسكنه : بشذونة ؛ وكان : من أهل العلم والتَّقْييدِ ؛ وكانت له رِحلةٌ إلى المشرق ، وسمع فيها من عبدِ الرحمن ابن القاسم ، ومن غيرِه : من أهل العلم .

ولمَّا قَدِم من رِحلتِه : استخَصَّه الأميرُ الحكَمُ بن هشامٍ (رحمه الله) ، واسْتَقْضاه قضاءَ الجماعةِ بقُرطُبةَ .

قال محمدٌ : ولم يَزلْ القضاء متردداً فى ولده بشَذُونَةَ : فى أيامِ الخلفاء (رحمهم الله)؛ إلى أن ولَّى أميرُ المؤمنين (أعزه الله) رجلاً من ولده — يُكَنَّى : بأبى العباسِ . — قضاء شَذُونة ؛ وكان قد عُنِىَ بطلب العلم : عند شيوخ الأندلُسِ ؛ مَع محمدِ بن عبد الملك بن أَيْمَنَ ، وغيرِه : من نُظَرَائه .

قال محمدٌ : ذكرخالدُ بن سعدٍ ؛ قال : حدثنى بعضُ أهل العلم ؛ عن رجلٍ من

---

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ص ٥٣ — ٥٤

(٢) ابن غسان . انظر جذوة المقتبس ص ٣٠٩ ، ٧٦٢ .

أهلِ الزُّهد : من آلِ الفرجِ بن كنانةَ ؛ أنه اتُّهِم[1] بالحركة فى الهَيجِ ؛ فتُسُوِّرَ عليه : ليُقْتَلَ ؛ فصَرَخ النساء : فسمع الفرجُ الصُّراخَ ، فقال : ماهذا ؟ فقيل له : جارُك فلانٌ أتاه الأعوانُ ، فهجموا عليه : ليُقتَلَ . فخرج الفرجُ إلى بابِ الدارِ ، فاجتَمَع معَ الأعوانِ ، فقال : إنَّ جارى هذا سَليمُ الناحية ، وليس فيه : مماتظنُّون : شىءٌ . فقال له المُرسَلُ معَ الأعوان — وكان رئيسَهم — : ليس هذا من شأنك ، ولا ممَّا عَصَبَ[2] بك ؛ انظُرْ فى أحباسِك وأحكامِك ، ودع مالا يعنيك . فغضِبَ الفرجُ بن كنانةَ عندَ ذلك : فمشى إلى الأميرِ الحكَمِ (رضى الله عنه) ، واستُؤْذِنَ له عليه ؛ فلما دخَل : سلَّم ، ثم قال : أيُّها الأميرُ (أصلحَك الله) . إنَّ قُرَيْشاً حاربتْ النبىَّ (صلى الله عليه وسلم) ، وناصَبَتْه العَدَواة ؛ ثم : إنه صَفَح عنهم ، وأحسَنَ إليهم ؛ وأنت أحقُّ الناس بالاقتداء به · لقَرابتِك منه . ثم حَكَى له القِصَّة ، وما عرضه له . فأمرَ بضرْب الناظر فى ذلك السَّببِ ؛ وعفى عن بَقيَّةِ أهل قُرْطُبةَ ، وبَسَط الأمان لجماعتهم ، واستالفهم[3] إلى أوطانهم .

قال محمدٌ : ذكَر محمدُ بن حَفْصٍ ؛ قال : قرأتُ فى كتابٍ بخطِّ أحمدَ بن فرجٍ ــ فيه نُبذٌ · من أخبار الأندلُسِ . ــ : أن الفرجَ بن كنانة غزا : معقودا له على جند شَذُونةَ : من الغَرب ؛ معَ عبد الكريم بن عبد الواحد ؛ إلى جلِّيقيَّةَ ؛ وأن عبدَ الكريم قدمه من استرقةَ إلى جمعٍ للنصرانية ؛ ففَضَّهم وقتل فيهم قتلا ذريعاً .

(قال) · وقرأت فى هذا الكتاب · أن الأمير الحكَمَ (رضى الله عنه) اُسْتقْدَمَ الفرجَ بن كنانةَ ، من شَذُونةَ ، ووَلاَّه القضاءَ بقرطبةَ ؛ وأنه لمَّا أدالَ عبدالرحمن

---

(١) فى الأصل : فاتهم .

(٢) أى : أحاط بك ، وقرب منك .

(٣) كذا بالأصل . يعنى استقدمهم .

ابنه من سَرَقُسْطة[١] ، وولاّها عبدَ الرحمن بن أبي عَبدَة — : استخفّ به عُمارةُ (رجل من العرب) على موالاة له ؛ فولّى سرقسطةَ الفرجَ بن كنانة : إذ هو منهم ؛ فلحِق الفرجُ بالثّغْر ، وكان فيه مدةً . ثم إن عُمارةَ : استمال قوماً : من البرْبر ؛ وأدخلهم المدينةَ ، وثاروا على الفرج بن كنانة : فملكوه ؛ ثم تداعى العربُ ووُجوهُ البربر ، على عُمارةَ ومن معه : فقتلوهم وأجْلوْهم عن المدينة ؛ فتقبّضوا على عُمارةَ وابنِه ، وفرّوا به إلى الفرج بن كنانةَ ؛ وسأله العربُ ووُجوهُ البرْبر : مخاطبةَ الأمير الحكم (رحمه الله) : بما كان : من قيامهم معه ، ونصرتهم له . فكتبَ لهم ، وسكنَتْ حالُهم .

قال محمدٌ : وقرأتُ في الدِّيوان ، جوابَ الحكَم (رضى الله عنه) إلى الفرج ابن كنانةَ : بما يُصدقُ هذا الحديثَ ؛ ونُسْخَتُه:

« أمّا بعدُ : فقد بلغَنا كتابُك : تذكُرُ الذى زاولْتَ : من صلاح ما قِبَلَك ؛ وشغلَك عن الكتابِ إلينا : بأمرِ عُمارةَ : وما كان : من أمْرِه ، وأمْرِ مَن خرَج معَه ؛ ونقضِ الذى اختلَف عليك : من أمرِ أهلِ المدينةِ ؛ بدُخولِ مَن داخلَهم : من البَرْبَر ؛ وما كان : من نَفيرِ مَن نفَر إليك : من خيارِهم ووُجوهِهم ، وأهلِ الدَّعةِ والصلاحِ منهم ؛ نُصْرةً لك ، ومَعرفةً بما في الطاعةِ : من العافيةِ والسعادةِ ؛ ووُثوبِ من وَثَب عليك : من شِرارِهم ، وأهلِ السَّفهِ منهم ؛ وحُسنِ مُراجعتِهم بعدَ الذى كان منهم ؛ ومن تندّمِهم على ما فرَط : من فِعلِهم ، وزَلَّ : من رأيِهم ؛ وقد كان — : من اسْتِجماعِ كلمةِ خيارِهم ووُجوهِهم وصالحيهم ، على نُصرتِك ؛ ومُدافعةِ مَن وَثَب عليك : من سَوادهم . — ما عَفا على ما ركب رِعاعُهم ، ومَن شَذ : من سُفهائهم ؛ ودَعا ذلك إلى العفوِ عنهم ، والصفحِ عن زَلَلِهم . وإنا كاتبون إلى عامّتِهم — معَ رُسُلِك إلينا — : بما سألتَه ؛ ونُعجل[٢] ذلك إليهم.

---

(١) انظر : معجم البلدان ٨ / ٤٢٣ . (٢) في نسخة : ومعجل .

ولقد [(١)] أصبتَ رأيك فيما جمعتَ: من كلمةِ الفريقَيْن ؛ وأصلحتَ : من أمرِهم . وقد عرَفْنا : حُسنَ رأيك ، وصَوابَ سياستِك ؛ فيما حَمَّلْناك : من أماناتِهم ، وعَصَبْنابك : من أمرِهم ؛ ووقع لك منا : مَوْقِعَ المعرفةِ . والسلامُ . » .

وكتب إليه مُدرَجة ، فيها : « قد كان — : من أمرِ عُمارةَ وابنِه ، واستِجماعِ مَن قِبلَك : من العرب ؛ على دَفعِهما إليك — ماعرفتُ : ثقةً بك و بنصيحتك ؛ وما بلَو : من طاعتِك . فاحتفظْ بهما فى ليلِك ونهارِك ؛ واحذَرْ الضَّيْعَةَ فيهما ، والغفلةَ عنهما ؛ إلى قدومِ المُغيرةِ ذلك الثغرَ ؛ إن شاء اللهُ . »

« واعلمْ : أنك ضامِنٌ لهما : إن فاتا من يَدَيْك ؛ فانظُرْ لنفسك بالاحتفاظِ بهما : أبْلَغَ التَّحفُّظِ : إن كانتْ لك بما قِبَلَنا حاجةٌ ؛ ولا تَلُومَنَّ إلا نفسكَ : إن ضَيَّعتَ ؛ والسلامُ . » .

وكان الفرجُ بن كِنانةَ : قد بعَثَ بكتابٍ به بعض أهلِ الغَناءِ عنه : من العرب ؛ إلى الأميرِ الحكَمَ (رضى الله عنه) . فأمر لهم : بالكِسَاتِ والصِّلاتِ ؛ وبعثَ إلى قومه مِثلَ ذلك .

وقرأتُ جوابَ الحكَمِ (رضى الله عنه) إلى الفَرَجِ : فى أمرِ مَن وَجَّه : من العربِ ؛ وما كان منه إليهم . وهذه نُسخَتُهُ :

« أمَّا بعدُ : فقد قرأتُ كتابَك بما ذكَرتَ : من حالِ عامَّةِ مَن قِبَلَك — : من العرب . — : فى طاعتِهم ومُناصَحَتِهم ؛ وخاصَّةً : مَن سمَّيتَ : من أهلِ البلاءِ منهم . وقد وقعَ ذلك لهم : مَوقعَ جزاءٍ ومَعرفةٍ ؛ وصرَفْنا إليك رُسُلَك : بجواباتِ كُتُبِك وكُتُبِهم ؛ وأجزْناهم على وِفادَتِهم : بأوْسَعِ الجائزةِ . والسلامُ . » .

وهذه نسخة كتابِ الأميرِ الحكَمِ (رضى الله عنه) إلى حُبَيْشِ بن نُوحٍ ، ومَن قِبلَه — : من العَربِ . — :

---

(١) بياض : بالأصل .

« أمَّا بعدُ : فقد بلغنا كِتابُكم : تذكرون أن الذى كان : من صُنعِ الله لنا فى ذلك الثغر ؛ بما قمتم فيه وحاولتم : من صلاحِ ما فسدمنه، وأخطرتم : من دمائكم وأنفسكم ؛ فى نُصرةِ عاملِكم وعزِّه ؛ ومُجاهدةِ من نزع عنه ، ودافع أمره . حتى أصلح اللهُ الأمرَ ، وجمعَ الكلمةَ ، وقوَّم الطاعة . وكلُّ الذى كتبتم : تذكرونه وتمنُّون به ؛ قد وقع منا : بأفضلِ موقعٍ : فى معرفته ، وحُسنِ الجزاء به ، وجميل المكافأةِ عليه . وقد ولَّينا المُغيرةَ بن الحكم أمرَ ثغرِكم ؛ وعهِدْنا إليه : أنْ يعرف حقَّ بلائكم ، وحُسنَ طاعتِكم وغنائكم ؛ وأنْ يتَّسعَ لكم : فيما جعلتُه إليه ؛ بما أنتم أهلُه : فى طاعتِكم وصبرِكم ، ومناصحتِكم ، وفضلِ ما قدَّمتُم من ذلك . واللهُ المستعانُ ؛ والسلامُ . » .

قال محمدٌ : ولم أجِدْ عندَ رُواةِ الأخبارِ ، للفَرجِ بن كِنانةَ — بعدَ مقدَمِه من الثَّغرِ — خبَراً .

وقال عبدُ الملكِ بن أيمنَ : عَقِبُ الفَرجِ بن كِنانَة — بشذُونَة — كثيرٌ ؛ وقد أدركتُ : من ولَدِه ؛ أبا العباسِ : يَطلُبُ العلمَ معنا عندَ شيوخِ بلدِنا ؛ ثم ولاّه أميرُ المؤمنين (أعزه الله) قضاءَ شذُونةَ .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : قَطَنِ بنِ جزْءِ التَّميمِىِّ . »

٢٤ قال محمدٌ : هو : قَطَنُ بن جزْءِ بن الجلاجِ ، بن سعْدِ بن سعيد بن مُحمَّدِ بن عُطاردِ بن حاجب بن زُرارةَ التَّميمِىُّ ؛ وكان : من أهلِ جَيَّان(١) ؛ وولاّه الأميرُ الحَكَمُ بن هشامٍ (رضى الله عنهما) قضاءَ الجماعةِ بقرطُبةَ .

---

(١) انظر : الروض المعطار ص ٧٠ - ٧٢

ولم أجِدْ له — عندَ رُواةِ الأخبارِ — خبراً : أُقيِّدُه عنه .
ثم تَلاه في القضاءِ بِشْرُ بن قَطَنٍ

* * *

« ذِكْرُ القاضي : عُبيْدِالله بنِ موسى الغافِقيِّ . »

٢٥ قال محمدٌ : هو : عُبَيْدُ اللهِ بنُ موسى بنِ إبراهيمَ بنِ مُسْلِم بن عَبْد الله بن مُسلِم ابن عَبْد الله بن خَالِد بن يَزيدَ بن عَمَّار بن عُبَيْدٍ الغافِقِيُّ .

كان أصلُه : من عربِ الشامِ ، ثم من جندِ فِلسْطِينَ ؛ سكَن ناحيةالجَزيرةِ ، وسكَن ولَدُه إشْبِيلية .

وبنو موسى الوزيرِ يَتَوَلَّوْن عُبَيْدَ اللهِ هذا:القاضيَ المَنسُوبَ ؛ ولاَّه الحَكَمُ (رضي الله عنه) قضاءَ الجماعة بقُرطُبَةَ .

ولم تحفَظْ الرُّواةُ له خبراً : يُوضَعُ بهذا الكتاب ؛ عنه .
ثم تَلاه محمدُ بن تَلِيد بن حامد بن محمدٍ الرُّعَيْنِيَّ .

* * *

« ذِكْرُ القاضي : حامدِ بن محمدٍ الرُّعَيْنِيِّ . »

٢٦ قال محمدٌ : هو : حامدُ بن محمد بن سعيد بن إسماعيلَ بنِ حامد بن عبد اللطيف الرُّعَيْنِيُّ .

كان : من أهل شَذُونةَ ؛ ولاَّه الأميرُ الحَكَمُ (رضي الله عنه) قضاءَ الجماعة بقُرْطُبَةَ .

ولم يحفَظ أهلُ العِلمِ له ، شيئاً : يَحكُونه عنه .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : مَسْرُورِ بنِ محمدِ بنِ بَشِيرٍ المُعَافِرِىِّ . »

٢٧ قال محمدٌ : هو : مَسْرُورُ بن محمد بن سعيد بن بَشِيرِ بن شَرَاحِيلَ المُعَافِرِىُّ ؛ وقد تقدَّم ـ فى صدْرِ هذا الكتابِ ـ ذِكْرُ أبيه : محمد بن بَشِيرٍ[1].

قال محمدٌ : ولَّاه الأميرُ عبدُ الرحمن بن الحَكَم (رحمهما الله) قضاء الجماعةِ بقُرْطُبَةَ ؛ وكان من الصالحين الفاضلين .

حدثنى مَنْ و ثقتُ به : من أهلِ العلمِ ؛ قال : حدثنى محمدُ بن أحمدَ بنِ عبد الملك (المعروفُ : بابنِ الزَرَّادِ) ؛ قال :

كان عندَنا بقُرطُبَة ، قاضٍ يُعرَفُ : بمَسرورٍ ؛ وكان : من الزُّهَّادِ . اُستأذَنَ مَن حضَرَه ـ : من الخُصوم . ـ يوماً : فى أن يقوم لحاجةٍ يَقضِيها : من حوائجِ نفسِه . فأذِنوا له : فقام عنهم ، ثم خرَج عليهم : وفى يده خُبزةُ عَجينٍ ، وهو يسيرُ بهـا إلى الفُرنِ ؛ فقال له بعضُ مَن حضَر : أنَا أ كْفيكَ (أيُّها القاضى) حَمْلَها . فقال له : و إذا عُزِلتُ عن القضاء : أيْنَ أجِدُك ؛ كلَّ يومٍ تَكْفِينى حَمْلَها ؟! بل الذى حمَلَها قبلَ القضاء ، هو : يَحْمِلُها اليومَ .

ثم تَلاه فى القضاء : سعيدُ بن محمد بن بَشِيرٍ ؛ مَرَّةً ثانيةً .

* * *

(١) انظر : ص ٤٧

« ذِكْرُ القاضى : يحيَى بنِ مَعْمَرٍ الإلْهانىِّ . »

٢٨ قال محمدٌ : هو : يحيَى بنُ مَعْمَرٍ [(١)] بن عِمْرانَ بنِ مُنيرِ بن عُبَيْد بن أَنَيْف الأُطلوسىّ الإِلْهانِىُّ ؛ من العربِ الشَّامِيِّين؛ وكان: من أهلِ إشْبيلية ؛ ومنزِلتُه [(٢)] بها تُسَمَّى « مغرانة» : (حارةٌ : مِن طَرَفِ الحاضِرةِ ؛ عليها تمرُّ السَّابلَةِ) .
وكان فى وقتِه : فقيه إشبيليةَ وفَرَضيَّها ؛ وكانت له رحلةٌ : لَقِيَ فيها أشْهَبَ ابنَ عبد العزيز، وسَمِعَ منه ومن غيرِه : من أهلِ العِلمِ . وكان فى مَذهَبِه : ورِعاً زاهداً ، فاضلاً ، مقبلاً على إقامة ضَيْعته ، وإصلاحِ شأنه .

قال لى محمدُ بن عُمَر بن عبد العزيز : لَهِجَ الناسُ بإشْبيليةَ : أن يحيى بن مَعْمَرٍ يُستَقْضَى بقُرطبَة ؛ (قال لى) : فحكَى رجلٌ : من أهلِ إشبيليةَ (يعُرَفُ بمُرَّة بنِ دَيْسَمٍ)؛ قال: كنتُ معَ يحيى جالساً فى قَريته —فى بعضِ الأَبنِيَةِ— : حتى نظَرْتُ إلى فارسٍ يَركُضُ : وهو مُعــــدٍ فى السيرِ ، مُستقيمٌ على المَحَجَّةِ العُظْمَى . (قال) : فأتْبَعتُه بَصرى ؛ فلمَّا بلَغ إلى الطريقِ : الذى يعطَفُ فيه إلى مَنزِلِ يحيى بن مَعْمَرٍ ؛ وقَفَ : وقوفَ الجاهل بالمكان ، المُستَدِلِّ . (قال) : وظننتُ : أنه رسول الخليفةِ — من قُرطُبَةَ — : فى يحيى بن معمر ؛ ليُوَلِّيَه القضاء : (قال) : فعطفْتُ على يحيى ، فقلت : أبا زكرياء ؛ لَهِــجَ الناس من أمرِك ؛ بشىء ؛ وأُحِبُّ : أن أعرِفَ الحقيقةَ مما تَعْتَقِدُه ؛ فقد أزِفَ الأمرُ : تَقبَلُ القضاء ؟ أولاتقبلُ ؟ قال : أقبَلُ . (قال): فقلتُ له إذا كنتَ قاضِىَ الجماعةِ بقرطبة : ما يكونُ حظُّ صَديقِك ومُحِبِّك من ذلك؟. قال: حظٌّ وافِرٌ إن شاءالله .

(قال) : فقلتُ له : هذا رسولٌ مُقْبِلٌ فيك من قرطبة ؛ (قال) : فما انقضَى الكلامُ : حتى وقَفَ بنا الرَّكَّاضُ المُرسَلُ : فى يحيى بنِ مَعْمَرٍ .

(قال) : فلمَّا صار يحيى إلى فضاءِ الجماعةِ بقُرطُبَة : قصدتُ إليه من إشْبيلِيَةَ ،

(١) انظر تاريخ قضاة الأندلس ص : ٤٤ ـ ٢٥ . وجذوة المقتبس ص : ٣٥٦ر٩٠٤
(٢) بالأصل : ومنزله وهو تحريف وإن كان المعنى واحدا .

فنزَلْتُ عليه ؛ فحيّ وأكْرَمَ وأنزَلَ . فلمّا صِرْنا إلى العَشَاء ، قدّم : من الإدامِ ؛ شيئاً مختصراً . فقلتُ له : وما هذا ؟ وأين نعيمُ قرطبةَ ، وما فيها : من ضُرُوبِ الخيرات ؛ وأنتَ قاضي الجماعةِ ؟ . ثم قلتُ : أخشَى (واللهِ) : أن أندَمَ على رحْلَتي إليْكَ . قال : لا ؛ إن شاء الله .

(قال) : فلمّا أصبَحَ يحيى بن مَعْمرٍ ، وضَعَ يدَه — : وأنا لا أشْعرُ . — فكَتَب إلى الأميرِ عبدِ الرحمن بن الحَكَم (رضي الله عنهما) : يحكي له القِصّةَ على وَجهِها ؛ وكيفَ كانتْ العِدَةُ من يحيى ؛ وأنَّ مُرّةَ بن دَيْسَمٍ : قدِم عليه : مُسْتَنْجِزاً ؛ ثم سأله : أنْ يَعقِدَ له على قومه سنةً كاملةً ، وأن يُحمِّلَهُ ويَكْسُوَه .

قال مُرّةُ بن دَيْسَمٍ : فما شعَرْتُ — : وأنا قد اسْتَشْعَرْتُ اليأسَ من خيرِ القاضي : لِما رأيتُ : من زُهدِه ، ومأخَذِه في نفسِه . — : حتى أتَتْ العُقْدَةُ إلى يحيى ، من عندِ الأميرِ ، معَ صِلةِ مِائتَيْ دينارٍ وبَغْلٍ حُمْلانٍ ، وثيابِ كُسْوةٍ ؛ وكتابٍ معها من الأميرِ ، يقولُ فيه : قد أنجزْنا عنك : عِدَتَك لمُرّةَ ابنِ دَيْسَمٍ .

قال خالدُ بن سعدٍ : أخبرني أحمدُ بن خالدٍ ، وعثمانُ بن عبد الرحمن بن عبدالحميد ابن أبي زيد قالا[1] — وأحدهما يزيد على صاحبه — : أخبرنا محمدُ بن وضاح ؛ قال :

صلّيتُ صلاةَ الكُسوفِ معَ ابنِ مَعْمَرٍ ، في الجامعِ بقُرطُبةَ : سنةَ ثمانَ عشرةَ ومِائتَيْن ؛ فصلّى وأحسنَ الصلاةَ — ولم يُقِمْ الصلاةَ — وطَوّل في

---

(١) في الأصل : قال أخبرنا محمد بن وضاح وأحدهما يزيد على صاحبه .

صلاتهِ : بدأ بالصلاة ضحًى ، وقوّم فى القابلةِ : وقد تجلّتْ الشمسُ ؛ وكنّا فى زمنِ الصّيفِ .

قال أحمدُ بن خالدٍ ، وعثمانُ بن عبد الرحمن : أخبرنا محمدُ بن وضّاح ؛ قال :

صلّيتُ الجمعةَ — فى ولايةِ ابْن مَعْمَرٍ — : أربعَ ركَعاتٍ ؛ وابن أبى عيسى حاضرٌ ، وسعيدُ بن حسّانٍ ، وعبدُ الملك بن زونان ، وحارثُ بن أبى سعدٍ ، وعبدُ الملك بن حبيبٍ . وصلاّها أكثرُ الناس — فى صَحْنِ المسجدِ ركعتيْنِ .

قال محمدٌ : وكان يَحيَى بن مَعمَر : إذا أشْكلَ عليه الأمرُ ، واختلفَ عليه الفقهاء : كتبَ إلى مصرَ : إلى أصْبَغِ بن الفرَج وغيرِه ، وكَشفَّهم : عن وَجْهِ ما يُريدُ عِلمَه .

وقد قرأتُ رسائلَ حِسَاناً : ممّا كتب بها أصبَغُ بن الفرج ، إلى يَحيَى بنِ معمرٍ (قاضى الجماعةِ بقرطبة): أجوبةً فى مسائلَ سأله عنها —: من أخبار القضاء . — طويلةً مَديدةً ؛ هَمَمْتُ : [باستنْساخِها [1]] واجْتِلاَبِها [2] ؛ ثم رأيتُ : أن لا أُخْرِجَ الكتابَ عن حدِّه ، ولا أصرِفَه عن وَجْهِه .

قال محمدٌ : ذَكَر خالدُ بن سعدٍ ؛ قال : سَمِعتُ غيرَ واحدٍ — : من مشايخِ أهلِ العلمِ . — يقولُ :

كان بيْنَ يَحيي بنِ مَعمَرٍ ، و بينَ يَحيَ بن يَحيَ — عداوةٌ فسعَى يحيي بنُ يحيي فى عزْلِ يَحيي بن مَعمرٍ القاضى ، عندَ الأمير عبد الرحمن (رحمه الله) ؛ وأقامَ عليه البَيِّناتِ : من أهلِ العلمِ والعدلِ ؛ فشهدوا عَلَى يَحيي بن مَعمر — عندَ الوزراء — : بأحوالٍ قبيحةٍ نسبت إليه .

(١) بياض : بالأصل .
(٢) أى : ليلحقها بالكتاب .

فرَفَعَ يَحيى بنُ مَعمرٍ إلى الأميرِ : عداوَةَ يَحيى ، وأنه هو ضمّ الفقهاءَ والعُدُولَ إلى الشهادةِ : فطاعُوا له بها .

فأخرَجَ الأميرُ عبدُ الرحمن ، عهداً إلى الوزراء ، يأمرُهم : بأنْ يرسِلوا فى وُجوهِ التُّجارِ ، فيسألوهم : عن يَحيى بنِ مَعمَرٍ .

فأرسل الوزراء : فى غيرِ واحدٍ ؛ فـكان قولُ التجارِ : مِنْ شاكِلَةِ الشهاداتِ المتقدِّمةِ ؛ وذلك : لمطالبةِ مَنْ كان يُطالبُه — : منَ الفقهاءِ . — حينئذٍ . فعزَلَه الأميرُ عبدُ الرحمن : عندَ ذلك .

قال محمدٌ : كان يَحيى بنُ مَعمرٍ — فيما شُهِرَتْ به أخبارُه ، وحَكَتْه آثارُ فِعالِه — : قابِلَ المدارثِ[1] لفقهاءِ قُرْطُبة ؛ لا يَلينُ لهم فيما يُريدون ، ولا يصغى إليهم فيما يُحبُّون . فنفَروا بأجمعهم عنه ، وصاروا كلُّهم إلْبًا عليه .

وبلَغ من تَحامُلِ يَحيى بنِ مَعْمَرٍ عليهم : أنْ سجَّل بالسَّخطةِ على سبعةَ عشرَ رجلاً منهم ؛ فرمَوْه كلُّهم عن قَوْسٍ واحدةٍ ، وقالوا فيه بأجمعهم قَوْلَ سَوْءٍ .

حدثنى عثمانُ بن محمدٍ ؛ قال : حدثنى أبو مَروانَ عُبيدُ الله بنُ يَحيى ؛ قال : قال يَحيى بنُ يحيى : لمَّا قام الناسُ على يَحيى بنِ مَعمرٍ قاضى الجماعةِ بقُرْطُبة — أتانى سعيدُ بن حسانٍ ، فقال لى : ما ترَى فى الشهادة عليه ؟ . (قال يحيى) : فقلتُ له : لا تفعل ، وانظرْ أنْ تكونَ مشاوُراً فيه ؛ فيكونَ رأيُك فيه أنفذَ — حينئذٍ — مِنْ شهادَتك .

(قال) : فغَلبَتْه شهوتُه فيه إلى أنْ ذهبَ فشهِدَ عليه ؛ ثم أتانى فقال : قَدْ شهدت عليْه .

(١) كذا بالأصل .

(قال يحيى) : فلم ألبَثْ أنْ أتانى كتابُ الأميرِ عبدالرحمن بن الحكم (رحمه الله) ، يقولُ فيه : « قد تَصَفَّحتُ الشهاداتِ عَلَى القاضِي يَحيى بنِ مَعْمَرٍ ، فلم أرَ لك فيها شهادةً ؛ وقد وَجَّهتُ إليك الشَّهاداتِ عليه ؛ فتصَفَّحْها ، واكتُبْ برأيك فيها » .

(قال يَحيى) : فكتبتُ إلى الأميرِ : ما عندى مِن أخبار القاضى علمٌ ؛ لأنه لم يكنْ يُحضِرُنى مَجْلِسَه ، ولا يشاوِرُنى فى أحكامه . وأمَّا الشَّهاداتُ الواقعةُ عليه : فقد تَصفَّحتُها ؛ ولو وَقَعَ مِثلها على مالكٍ واللَّيثِ : ما رَفَعا بعدها رأساً .

(قال يَحيى) : فأمسَى ابنُ مَعمَرٍ : مَعزُولاً عن القضاء .

قال محمدٌ : قال خالدُ بن سعدٍ : أخبرنى أحمدُ بن عبد الملكِ ؛ قال : أخبرنى عثمانُ بن سعيدٍ : (الرجلُ الصالحُ الفاضلُ) ؛ قال :

لمَّا عُزِل يَحيى بنُ مَعمَرٍ ، عن القضاء بقُرطُبَةَ — : بَعثَ إليه أحدُ الوزراء — وكان من أخَصِّ إخوانِه به — ابناً لَه : بزَوَامِلَ وأعوانٍ ؛ وقال لابنِه : تَذهبُ إلى القاضى (رحمه الله) ، وتسألُه : أنْ يَحملَ على هـــذه الزوامِلِ ثِقْلَتَه ، وما احتاج إليه .

فلمَّا أتاه ابنُ الوزيرِ برسالة أبيه ، وأحضَره الزَّوَامِلَ — قال له القاضى : أُدْخُلْ حتى تَرَى ما عندنا : من الثِّقَلَةِ .

فدخَل : فإذا ببيتِ القاضى لَيْس فيه إلاَّ حصيرٌ ، وخابيةٌ بدقيق ، وصَفحةٌ ، وقُلَّةٌ للماء ، وقَدحٌ ، وسريرٌ : كان يرقُدُ عليه .

فقال له ابنُ الوزيرِ : وأين الثِّقلةُ ؟ فقال : هذه ثِقْلَتِى أجْمع . ثُمَّ قال للْغُلاَم : فرِّقْ الدَّقيقَ عَلَى مَن بالباب من الضُّعفاء ؛ وامضِ فى بعض القَومةِ : يُقصُوا هذا الحَصيرَ والأوانِيَ . ثم خرج ، وقال : جَزَى الله الوزيرَ أباك خيراً ؛ تقرئُه سلامى ثم توجَّه إلى إشبيلية

قال محمدٌ : ذكر بعضُ أهلِ العلمِ ؛ قال : فوجئ ابنُ معمرٍ بالصلاة — فى بعضِ الأعيادِ — فأتى المُصلَّى : وقد أخذ أشرافُ الناسِ وخَدَمَةُ السلطانِ ، مواضِعَهم بقُربِ سترةِ الإمامِ . فلمَّا نظرَ يحيى إلى ذلك : أمر الخدمةَ بتقديمِ السُّترةِ ؛ فبادرَ سَوَادُ الناسِ حتى قربُوا من الإمامِ ؛ وصار مَن كان متقدِّماً : خلفَهم مُتأخِّراً ؛ ثم قام فخطبَهم .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : الأسْوَارِ بنِ عُقْبةَ النَّصْرِىِّ . »

٢٩ قال محمدٌ : هو : أبو عُقْبةَ الأسْوَارُ بن عُقبةَ بن حَسَّانَ بن عبد الله النَّصْرِىُّ ؛ كان : من أهل جَيَّان ؛ ولاَّه الأميرُ عبدُ الرحمن (رضى الله عنه) ، قضاءَ الجماعةِ بقُرْطُبةَ ؛ فكان : من أهلِ التَّحَرِّى والخيرِ ، والتَّواضُعِ وحُسن السِّيرةِ . كان : يَحملُ خُبزَه إلى الفرنِ بنفسه ، ويتصرَّفُ فى مِهْنةِ أهله .

ولمَّا عزَله الأمير (رحمه الله) : رأى بعد ذلك صَرْفَه إلى القضاء ؛ فأبَى . فكُلِّمَ : فى ذلك ؛ فقال : لى عيوبٌ كثيرةٌ : كبرَ ولَدِى ، وضَعُفَ بدَنِى . — وكان له ولدٌ يُسمَّى : حُسيناً . — فقيل لهُ : أوَ تجعَلُ كِبَرَ ولَدِك ، عَيباً من عيوبِك؟! قال : مِن أشدِّ العيُوبِ .

قال أحمدُ بن محمد بن أيْمَنَ : رأيتُ للأسوارِ بنِ عقبةَ ، حُكماً [خاصًّا[1]] به فى حُدودِ مَقبرةِ الرَّبضِ ، ومُنتَهى أقطارِها . وشهِدتُ أحمدَ بنَ بَقِىٍّ — وهو عَلَى القضاءِ يومئذٍ — : قد ركِبَ إلى الموضعِ معَ الفقهاءِ — وذلك الحُكمُ معه — : حتى امْتَحَنَ الحُدودَ ، واحْتَمَلَ عَلَى ما وجَد فى الحكم .

---

(١) بالأصل : حكماً به .

قال محمدٌ : أخبرنى أصْبَغُ بن عيسى الشَّقَّاقُ؛ قال : سمعتُ أحمدَ بن بَقِىٍّ ، يقولُ : دخَل محمدُ بن عيسى الأعْشَى يوماً ، على الأسْوارِ بن عُقبةَ ، فقال له : كيفَ أصْبَحتَ أبا عُقبةَ ؟ . فأطْرَق أبو عُقبةَ القاضى : عن إجابتِه ؛ ثم شهِد عندَه الأعْشَى — فى ذلك المقامِ — بشهادة ؛ فقال له القاضى : أنتَ رجلٌ يُكثِرُ الهزْلَ ؛ ولستُ أدرى : إن كانتْ شَهادتُك هٰذِه : من جِدِّك ، أو هَزْلِك .؟. فوَقَذه بهذا الكلامِ .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : يَحيى بن مَعْمرٍ ؛ ثانيَةً[1] . »

قال محمدٌ : قال لى محمد بن عُمَر بن عبد العزيز :

٣٠ كان السَّببُ — : الذى من أجْله صُرِفَ يَحيى بن معمرٍ ، إلى القضاء ثانيةً .— أنَّ الأميرَ عبدَ الرحمن بن الحكم (رضى الله عنهما) ، خَرَج فى زمان الْخَريفِ ، على ما كانت الخلفاء تَلتزمُهُ من التَّروُّحِ إلى إشْبيلية وساحلِ البحر ؛ فنظَرَ بعضُ خَواصِّ الأمير ، إلى يَحيى بن معمرٍ : وهو فى جنانٍ له : يستقى الماء بخَطَّارةٍ ويسقى بَقْل الجِنانِ ؛ فلمَّا رأَى ذلك : دخَل ذٰلِكَ الرجلُ — : النَّاظرُ إلى يَحيى ابن معمرٍ ، فى تلك الحالِ . — على الأمير ، وأعلَمَه بما رأَى من يَحيى بن معمرٍ . فقال الأمير عندَ ذلك : واللهِ ؛ ما أشُكُّ فى فضلِ الرجل وورَعه ؛ و إنى لأَظُنُّ الرَّافعين عليه : متمَالئين بالباطل . وأمر من ساعتــه تلك : بتَوْجيهه إلى قرطبة قاضياً .

فلمَّا قدِم يحيى بن معمرٍ إلى قُرطبةَ قاضياً ، أقسَمَ : أن لا يستفِتىَ يَحيى بن يحيى ، ولا سعيد بن حَسَّانٍ ، ولا زُونان[2] .

---

(١) انظر : ص ٦٩ . (٢) ابن زونان . انظر تاريخ قضاة الأندلس ٦٠ .

فَبَقِيتْ الأحكامُ مُعلَّقةً إلى مَقدَم الأميرِ عبد الرحمن (رحمه الله) من وِجهتِه؛ و بلَغَ الخبرُ إليه ، فأوْصَى إليه : بإنكارِ ذلك .

فقال يَحيَ : قد أقسمتُ على ذلك ؛ و بإلْبيرَةَ رجلٌ ـ : من أهل العِلمِ والتَّقدُّم .ـ يُستَغْنَى به عنهم . يعنِي عبدَالملِك بنَ حَبِيبٍ .

فأُمِرَ : باسْتِقْدامِه ؛ فـكان : المُنفَرِدَ بفُتْياهُ .

وحَكَى محمدُ بن عبدالملِك بن أَيْمَنَ ، عن عمِّه ـ : وكان خاصًّا بابنِ معمَرٍ . ـ قال: كنتُ عندَ ابنِ معمَرٍ القاضى يوماً ، فى بيتِه — : فى دَوْلَتِه الثَّانيةِ . — فاسْتأذَنَ عليه عبدُ الملك : فأذِن له ؛ فلَّما أخَذ مَجلِسَه ، قال . قَضيَّةُ فُلانٍ أحَبُّ إلىَّ : أنْ يُنَفَّذَ الحكمُ فيها بما أشَرْتُ عليك : فإنه الحقُّ إن شاء الله . — : وكان ابنُ مَعمَرٍ يُرِيدُ : أنْ يَحكُمَ فى ذلك بقولِ ابنِ القاسمِ ؛ وكان عبدُ الملك يُرِيدُ : أنْ يُحكَمَ فيها بقول أشْهَبَ . — فقال له يَحيَ بنُ مَعمَرٍ : لا واللهِ ؛ لا أفعلُ ، ولا أخالِفُ ما وجَدتُ عليه أهلَ البلَدِ ؛ وإنَّما وجَدتُهم : يَحتمِلون عَلَى قولِ ابنِ القاسم ؛ وتُرِيدُ أنتَ : أنْ تَضطرَّنِى إلى قولِ أشْهَبَ ثم ضرَب له مَثلاً يقولُه العامَّةُ : « سنة عفص ، وسنة بلوط » .

قال : فما زال التَّراجُعُ بيْنَهما : بالكلام ؛ حتى قام ابنُ حَبيبٍ عنه مُغْضَباً .

قال محمدُ بن أَيْمَنَ : قال لى عمِّى : فعذلْتُه ، وقلت له : هذا الرجلُ أثبَتَّه عَلَى أعدائك ، كأنى أراه : قَدْ صار فى عَدَدِهم ؛ ثم يَعزِلونك ثانيةً .

فقال لى : بالعزلِ تُخَوِّفُنى ؟ ! واللهِ : ليْتَ بَغلَتِى قد عُجِرَتْ بى فى سَهْلة المدورِ : مُنْصَرِفاً إلى إشْبيلية .

فـكان يقولُ : فما أنْسَى قوله : قد عُجِرَتْ بى .

قال خالدُ بن سعدٍ : أخبرنى أحمدُ بن عبد الملِك ؛ قال : أخبرنى عُثمانُ بن سعيدٍ الزاهدُ ؛ قال :

لمّا أحتُضِرَ يَحيَ بنُ مَعمَرٍ بإشبيلية ، وأيقن بالموتِ — : قال لمولًى له كان قد صحبه — : من أهل الخير . — : حَرجتُ عليك باللهِ العظيمِ : ألا إذا مِتُّ فاذهَبْ إلى قرطبةَ ، ثم قِفْ بيَحيَى بن يَحيي وقل له : يقولُ لك يَحيي بنُ مَعمَرٍ : (وَسيَعلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُون ٢٦ — ٢٢٧) .

قال : فلمّا ماتَ يَحيَ بنُ مَعمَرٍ ، أتَى مَولاه إلى يَحيَ ، فبلّغه ذلك . (قال) : فبكَى يَحيَ حتى اُخْضَلَّ لحيته ؛ ثم قال : إنّا للهِ وإنّا إليهِ رَاجِعُونَ ؛ ما أظن الرجلَ إلا : خُدِعْنا فيه ووشِيَ بيننا وبينَه . ثم تَرَحَّم عليه ، واستغفَرَ له .

قال محمدٌ : وهذه الحكايةُ — التى حكاها عثمان بن سعيدٍ — تَدُلُّ : عَلَى أن يَحيَ بنَ مَعمرٍ عُزِلَ مرةً ثانيةً ، ولم يَمُتْ قاضياً وله حكايةٌ ثانيةٌ —لم نسندها— تَدُلُّ على أن يَحيي بن معمرٍ مات قاضياً ؛ سنذكُرُها : فى افتتاحِ أخبارِ القاضى إبراهيمَ بنِ العبَّاسِ .

* * *

« ذِكْرُ القاضى: إبراهيمَ بنِ العبَّاسِ القُرَيشِيِّ (١) . »

٣١ قال محمدٌ : إبراهيمُ بن العبَّاس بن عيسى بن الوَليد بن عبدالملِك بن مَروانَ رحمه الله.

قال محمدٌ : قال خالدُ بن سَعدٍ : لمَّا تُوُفِّيَ يَحيي بنُ مَعمرٍ القاضى : بَقِيَ الناسُ بلا قاضٍ نحوَ ستةِ أشهرٍ ؛ فجعَل الناسُ يَتصَدَّونَ للوزراء — إذا رَكِبُوا — : يسئلونهم أنْ يَنهُوا إلى الأميرِ (رحمه الله) ذلك ؛ ففُعِلَ . فعَرَضَ الأميرُ (رحمه الله) حينئذٍ ، القضاءَ عَلَى يَحيي بنِ يَحيي ؛ فأبَى من قَبولِه .

وقد ذكَرتِ الرِّواياتِ فى ذلك ، وشَرَحتُ خبرَ يَحيي شَرحاً حَسناً ، فى صَدرِ

---

(١) فى تاريخ قضاة الاندلس : القرشى . انظر : ص ١٥

الكتاب : فى باب مَنْ عُرِض عليه القضاء — : من علماء قُرْطُبَةَ . — فأبى من قَبولِه(١) .

قال محمدٌ : كان إبراهيمُ بن العبَّاس : محموداً فى قضائه ، عادِلاً فى حُكمِه ، متواضعاً فى أموره ؛ غيرَ مُتصَنِّعٍ ولا مُتهيِّبٍ .

أخبرنى فرجُ بن سَلَمةَ بنِ زُهيرٍ البلوىّ ؛ قال : قال محمد بن عُمر بنِ لُبابةَ :

كان إبراهيم بن العبَّاس : رُبَّما جلَس يَقضِى فى بيتِه ، بينَ الناس : وخادِمه تَنْسِج فى ناحيةِ البيتِ .

أخبرنى مَنْ أثِقُ به — : من أصحابنا . — عن أحمدَ بنِ زيادٍ ، عن محمدِ ابن وَضَّاحٍ ؛ قال :

لمَّا أبَى يَحيى بنُ يحيى من قبول القضاء ، أشار بإبراهيمَ بنِ العبَّاس : أنْ يُستقْضَى ، وأنْ يكونَ كاتبَه زونانُ . فقبلَ منه الأمير رأيَه : فى ذلك ؛ وولَّى إبراهيمَ ابن العباس القضاءَ .

فشَهِد عنده يوماً يحيى بن يحيى : فى الماء الذى كان «بفرن بريل»(٢) : الذى قام فيه بنو العباس وابنِ عيسى فلما خرج : تَنَاوَلَه بعضُ الخصوم ؛ فانصَرَف يحيى إلى القاضى ، فقال : إن هذا تَنَاوَلَنى ؛ فأدِّبْه . فقال : وما أدَبُه ؟ قال : أبعَثْ به إلى السِّجنِ . فبَعَث به القاضى إلى السِّجْنِ . ثم خَرَج يحيى بن يحيى إلى باب الصَّوْمعةِ ، فرَكِب دابَّتَه ، ومَضَى نحوَ السُّويقةِ وانصَرَف ، فدخَل علَى القاضى ، فقال له : تَأمر بإطلاق الذى حَبَسْتَ : ففى الذى كان منك أدَبُه .

وكانتْ ولايته هذه الأولى سنةَ أربعَ عشرةَ أو خمسَ عشرةَ ومِائتين ؛ ثم

---

(١) انظر : ص ١٥ . (٢) هكذا : بالأصل .

عزل ووُلِّيَ غيرهُ . فلما كانت سنة ثلاثٍ وعشرينَ ، علَى أثر سعيدِ بن سليمانَ : ولِّيَ القضاءَ أيضاً .

قال محمدٌ : قوله : « على أثرِ سعيد بن سليمان » يخيل إليَّ أنه غلطٌ : لأن سعيدَ بن سليمانَ إنَّما ولِّيَ بعد محمدِ بن زيادٍ ، و بعدَ موتِ يحيي بن يحيي . وذلك كلُّه بعـد سنةِ أربعٍ وثلاثين ومائتين . ولم أرَ في شيءٍ — : من الرِّواياتِ . — أن سعيدَ بن سليمانَ ولِّيَ ولايتيْن حاشَى ما ذكر لى أحمدُ بن عُبادةَ الرُّعَيْنِيُّ ؛ فإنه قال لى : عُزل سعيد بن سليمانَ ساعةً من نهارٍ ، ثم اُستدرك الأمير عبد الرحمن (رحمه الله) رأْيَه ، وأمر : بإثباته .

فلما طُلب — : ليعلم عن الأمير : بالتمادِى على القضاء . — أُلفِيَ قد اُرتحل إلى إلى بلدِه فأُعلِمَ بذلك الأمير ، فقال : إن هذا رجلٌ صالحٌ . واُزداد به غِبْطةً : وأمر : أن يدرك ، ويصرَفَ إلى قضائه . فأُدْرك ، ورُدَّ — كما كان — قاضياً .

قال محمدٌ : فإن كان إبراهيمُ بن العبَّاس ، وُلِّيَ القضاء سنةَ ثلاثٍ وعشرينَ ومائتين — فيمكنُ أنْ يكونَ بعدَ بعضِ القُضاةِ : غيرَ سعيد بن سليمانَ .

قال محمد بن وَضَّاح : وفي ولايةِ إبراهيمَ بن العبَّاس الثانيةِ ، رُفِعَ إلى الأميرِ (رحمهُ الله) : أنَّ القاضِيَ ليس يَقبَلُ من أهلِ قُرطُبةَ ، إلاَّ مَن أشار يحيي بقبوله ؛ و إنما يعملون هٰذا الأمر لهذا القُرَيْشى القاضى .

فبعثَ الأمير عبد الرحمن : فى عبدِ الملك بن حَبيبٍ ؛ فقال له : قد تَعلمُ يدِى عندَكَ ؛ و إنى أُريدُ : أنْ أسألَك عن شيءٍ ؛ فاصْدقْني فيه[1] .

فقال : نعم ، لاتسأَلنى عن شيءٍ إلا صدَقتكَ .

فقال : إنه رُفع إلينا عن يحيي بن يحيي وعن القاضى : أنهـم يعملون علينا فى هذا الأمر ؟ .

---

(١) انظر : تاريخ قضاة قرطبة ص ١٥ .

فقال عبدُ الملك . قد علِم الأميرُ ما بيْنى و بيْنَ يَحيَي بن يَحيَي ؛ ولكنى لا أقولُ إلا الحقَّ : ليس يجيءُ من عند يَحيَي بن يَحيَى إلاَّ ما يَجيءُ منى ؛ وكلُّ ما رُفِعَ عليه إليك : فباطِلٌ . وأمّا القاضى : فلا يَنْبَغِى للأميرِ أنْ يَشْرِكَه فى عدلِه ، مَنْ يَشرَكُه فى نَسَبِه .

فعزَلَه الأميرُ — حينئذٍ — عن القضاء .

قال محمدٌ : وأخبرنى بعضُ العلماء ؛ قال :

قدِم موسى بنُ حُدَيْرٍ من الحج ؛ فَعرَضَ عليه الأميرُ عبدُ الرحمن (رحمه الله) وِلاَيةَ الخِزَانَةِ ؛ فأبَى مِن قَبولِهاَ ، وذهَب إلى الانقباضِ عن الخِدْمةِ ؛ فعافَاه الأميرُ .

فلم يَلبَثْ موسى بنُ حُدَيرٍ إلا يسيراً : حتى اُسْتَعْدَتْ عليه امرأةٌ — : من جِيرانِهِ . — عندَ القاضى : إبراهيمَ بنِ العباسِ ؛ وذكَرتْ : أنه ظَلَمَهاَ[1] فى دارٍ لها تُلاصِقُه .

فأرسَلَ فيه إبراهيمُ بنُ العباسِ ، فأحْضَرَهُ ، فَقالَ لَهُ : إنَّ هٰذه المرأةَ تقُولُ كَذَا وكَذا ؛ وتدَّعِى عَلَيْكَ بِكَذَا وكَذا . فما تقولُ ؟ .

فَقَالَ له مُوسَى : أُوَكِّلُ مَنْ يُخَاصِمُها .

فقال له : تُقِرُّ أَوْ تُنْكِرُ ؛ ثم تُوَكِّلُ بعد ذلك : مَنْ شِئْتَ على الخصومةِ .

فقال له : أُوَكِّلُ مَنْ يُقِرُّ عَنى أو يُنكِرُ .

فأبَى إبراهيمُ : أنْ يَقْبَلَ ذلك منه ، واضطرَّهُ إلى أنْ يجيبَ المرأةَ فى دَعْوَاها : مُقِرًّا أو مُنْكِرًا .

فلمَّا لم يَجِدْ من ذلك بُدًّا ، قَالَ لَهُ : جميعُ ما تدَّعِيه حقٌّ ؛ وهى المُصَدَّقَةُ .

---

(١) بالأصل : طلبها .

ثم انصرف عنه : وقد اعتقد له ضِغناً عظيما ، وأضمر له حقداً شديداً .

ثم وضع يده ، فكتب إلى الأمير : يسأله ولاية الخزانة ؛ ويذكر : أنه تعقَّب أمرها ، فاستنهله : من أجل أنها أمانة يُعطي الأموالَ كما يأخذها .

فأسعفه الأميرُ عبد الرحمن (رحمه الله) بذلك ، وولّاه الخزانة . فكان خازناً نحو الشهر .

ثم كتب إلى الأمير : يستأذنه للدخول عليه ؛ فأدخله على نفسه ، ثم قال له : أمرٌ لا قرارَ عليه ، صحَّ عندي — : أنَّ القاضيَ إبراهيمَ بنَ العباس ، في مجلس قضائه ، يُخاطَبُ بأنْ يُقالَ له : يا ابنَ الخلائف . فعزله عبدُ الرحمن : بذلك .

قال محمدٌ : وسمعتُ الأميرَ وليَّ عهدِ المسلمين الحكَمَ (أبقاه الله) يقولُ : سمعتُ الحاجبَ : موسى بنَ محمد بنِ حُدَيْر ؛ يقولُ : إنَّ موسى بنَ حُدَيْر دَسَّ امرأةً من مواليه ؛ فوقفتْ للقاضي على طريقه ، ثم قالت له : يا ابنَ الخلائف . فكان ذلك سبباً لعزلِ إبراهيمَ .

قال أحمدُ بن محمد بنِ أيْمَنَ : أخبرني أبي : أنَّ عبّاساً القُرَيْشيَّ (جَدَّ بني العبّاس) ، شكاه إلى الأميرِ في قصة دارت . فقال له : اذْهَبْ إليه ، فإنْ أَذِنَ لك مُخْلِياً فقد عزلْتُه .

فلمّا توجّه عباسٌ استأذنَ عليه ؛ فلم يأذَنْ له ؛ وأوصى إليه : إن كانت لك حاجةٌ : فاقعُدْ في المسجدِ حتى أخرجَ إلى العامّةِ ؛ فيسَعُك ما يسَعُهُم .

فاتّصلَ ذلك بالأميرِ : فازْدادَ بذلك — عنده — : رِفعةً ودرجةً .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : يُخَامِر بن عُثْمان الشَّعْبَانِىّ . »

٣٢ قال محمدٌ : هو يُخَامِرُ بنُ عُثمانَ بنِ حسّانَ بنْ يُخَامِرِ بنِ عبيدِ بن أقنان ابنِ وَدَاعَةَ بنِ عمرٍو . وُلّىَ القضاء سنةَ عشرينَ ومائتَيْنِ .

وهو : أخو مُعَاذِ بنِ عُثمانَ . ومعاذٌ هذا : والدُ سعدِ بن مُعاذٍ الفقيهِ .

وكانا : من أهل جَيّان ، من قَلعةِ الأشْعَثِ . وكان انتسابُهما فى العرب : إلى جِذَام[1] ؛ فيما أحسِبُ . وكانوا — فيما قيل لى — : من جُنْدِ قِنَّسْرِين .

وُلّىَ يُخامِرُ القضاء ، فعامَلَ الناس بخُلُقٍ صَعْبٍ ، ومَذْهَبٍ وَعْرٍ ، وصَلابةٍ : جاوَزَتْ المِقْدَارَ . فلم تحتَمِلْ العامّةُ له ذلك : فتَسَلَّطَتْ عليه الألْسُنُ ، وكَثُرَتْ فيه المَقَالَةُ ؛ وانْبَرَى له رجلٌ : من شُعراء قُرْطُبَةَ فى ذلكَ الزمانِ ؛ وهو المعروف : بالغزالِ . فكان يَهجُوه ، ويَصِفُه : بالبَلهِ والجهلِ .

ومِن بعض ما ذكرهُ فيه ، قولُه فى شِعْرٍ له :

فَسُبْحَانَ : مَنْ أَعْطَاكَ بَطْشًا وَقُوَّةً ؛ وسُبْحانَ : مَنْ وَلّى الْقَضَاءَ (يُخَامِرا)

قال محمدٌ : قال لى وَلِىُّ الْعَهْدِ (أبقاه الله) يوماً — : وقد ذَكَرَ القُضَاةَ وأخبارهم . — : حدثنى محمدُ بن أبى عيسى ؛ قال :

طَرَحَ ابنُ الشَّمرِ بيْن سَحِيّاتِ يُخَامِرِ بن عُثمانَ الشَّعْبانىّ ، سَحَاءةً فيها مكتوبٌ : يونسُ بن مَتى ، والمسيحُ بنُ مَرْيَمَ . فخَرجَتْ السَّحَاءةُ إلى يُخامِرٍ ، فأمَرَ : أنْ يُدْعَى بهما . فهتفَ الهاتفُ يُونُسُ بن مَتى ، والمسيحُ بنُ مَرْيَمَ . فصاح ابنُ الشّمرِ : نُزولُهما من أشراطِ الساعةِ ؛ ثم أخذ سَحَاءةً ، فكتبَ فيها :

يُخَامِرُ : ما تَنْفَكُّ تأتى بِفَضْحَةٍ : دعَوْتَ ابْنَ مَتَّى ، وَالمسيحَ بْنَ مَرْيَمَا
بِمَا قاتَ حِيناً ؛ ثم نَادَاكَ صائحٌ فإنَّهما بَقِى عَلَى الأرض ؛ فاعْلَمَا
قَفَاكَ : قَفَا ضرب[2] وَوَجْهك مظلم ؛ وعَقْلُكَ : مَا يَسْوَى مِنَ الْبَعْرِ دِرْهَمَا

(١) بالأصل : « جدام » . (٢) بالأصل : قفاك قفا خرءاً ، ووجهك مظلماً

فَلَا عِشْتَ مَوْدُوداً؛ ولا عِشْتَ سَالِمًا ؛ ولا مِتَّ : مَعْفُواً[١] ؛ ولا مِتّ مُسْلِمًا

قال محمدٌ : وتَأَلَّبَ الناسُ ، ورَفَعُوا إلى الأميرِ (رحمه الله) : يَشكُون يُخَامِرًا القاضىَ . فلمَّا كَثُرَ ذلِكَ عَلَى الأميرِ عبدِ الرحمن (رحمه الله) ، أَمَرَ الوزراءَ : بسَماعِ الشَّهادةِ ، والنظَرِ فى أمْرِ يُخَامِرٍ :

فذُكِرَتْ عنه أشياءُ : مَدَارُها عَلَى قِلَّةِ المُدَاراةِ ، وتَرْكِ حُسن المُعاملةِ .

وكان حِينئذٍ بالمدينةِ ، شيخٌ أَعْجَمِيُّ اللسانِ يُسمَّى : ينيرَ ؛ وكان مُقدَّمًا عندَ القُضاةِ ، مَقْبُولَ الشهادةِ ، مَشهُوراً فى العامَّة : بالخيرِ وحُسْنِ المَذهَب . فأرسَل فيه الوزراءُ . وسألوه عن القاضى ؛ فقال بالعجمية : ما أعْرِفُه ، إلاَّ أَنِّى سمعتُ الناسَ ، يقولون : إنه إنسانُ سُوءٍ . وصَغَّرَه باللفظِ العَجَمِىِّ .

فلمَّا رُفِعَ قولُه إلى الأميرِ (رحمه الله) ، عَجِبَ من لَفْظِهِ ، وقال : ما أخْرَج مِثلَ هٰذِه الكلمةِ ، من هٰذا الرجلِ الصالحِ ، إلاَّ الصـــدْقُ . فعزَلَه عن القضاءِ حينئذٍ .

قال محمدٌ : قال لى محمدُ بنُ عبدِ الملِكِ بنِ أَيْمَنَ :

فلمَّا أتَى الفتَى إلى يُخَامِرٍ : بعَزْلته ؛ من عندِ الأميرِ (رحمه الله) — : قال له يُخامِرٌ عَلَى رؤوسِ الناسِ : قلْ للأميرِ (أصلحه الله) : إذ وَلَّيْتَنِى أمَرْتَنِى : أنْ أَتَحَفَّظَ من السِّلْسِلَةِ السُّوءِ ؛ واليومَ تَعزِلُنى ببَغْيِها علىَّ ؟!

فلمَّا بَلَغ الفتَى قولَه إلى الأميرِ ، قال : قَبَحَــه اللهُ ؛ ذكَرَ أسْرَارَنا على رُؤوسِ الناس .

* * *

(١) بالأصل : مفقواً . والظاهر أنه مصحف عما ذكرنا .

« ذِكْرُ القاضى : علىِّ بنِ أبى بَكرٍ الكلابِىِّ . »

قال محمدٌ : ولمَّا عَزَل الأميرُ عبدُ الرحمن بنُ الحَكَم (رضى الله عنهما) يخامراً ، عن القضاء — : وَلَّى بعدَه رجلاً : من أهلِ قَبْرَةَ ؛ يُسمَّى : علىَّ بن أبى بَكْرِ ابنِ عُبَيْد بن علىٍّ الكلابِىَّ ؛ وكان لَقَبُه : يُوانشَ . ولا أحفظُ له خبراً أكثَرَ مِن ذِكْرِه .

٣٣

* * *

« ذِكْرُ القاضى : مُعاذِ بنِ عثمانَ الشَّعبانِىِّ (1) . »

قال محمدٌ : ثم وَلَّى الأميرُ عبدُ الرحمن بن الحَكَم (رضى الله عنهما) قضاءَ الجماعةِ ، مُعاذَ بن عثمانَ الشَّعبانىَّ ؛ وكان : من أهلِ جَيَّان ؛ [ومكثَ] قاضياً : سبعةَ عشرَ شهراً ؛ ثم عزَله مِن بعدُ .

٣٤

ورأيْتُ فى بعضِ الحِكاياتِ : أنه إنَّما عزَله : لأنه حُفِظَتْ عليه — فى تلك المُدَّةِ — سبعونَ قَضيَّةً قَضَى بها فاسْتُكْثِرَتْ منه .

قال محمدٌ : وهى — فيما أُرَى — حكايةٌ مَدْخولةٌ : لأنه لا يُنكَرُ تَنفيذ الأقْضِيَةِ وكَثْرَتُها : مع حُضورِ الحقِّ ، وانْكِشافِ الصِّدق .

قال محمدٌ : فَكرْتُ فى مَخرَجِ هذه الحكايةِ : فاسْتَرَبْتُها ؛ وذلك : أن صاحِبَها — الذى حكاها وكَتَب بها إلى وَلِىِّ العهدِ أبقاه الله — هو : فلانُ ابن فلانٍ حكاها عن أبيه ؛ وأُراه صادقاً على أبيه . ولا تَخلو هذه الحكايةُ : من

---

(1) انظر : تاريخ قضاة الأندلس : ص ٥٥ .

أنْ تكونَ صحيحةً على أهلِ هذا الزمانِ الذى كان فيه مُعاذٌ قاضياً؛ أو : تكونَ غيرَ صحيحةٍ .

فإن كانتْ صحيحة : فإنّما طَمَسَ نورَ هـذه الفضيلةِ ، وجَحَد حقّها ؛ أهلُ التَّفقهِ : من أهلِ ذلك الزمانِ ؛ ولا سيّما الذين كانوا يشاورون — : من تعجيلِ الأحكامِ ، وسُرعةِ التّنفيذِ . — : ممّا يُقرِّبهم من أهلِ الخُصومات ؛ [ويحققِ لهم[1]] ما يُحبُّون ؛ وكُلّما طالتْ الخصوماتُ كان أنفعَ لهم . وأهلُ العلمِ بهم : يَعلَمون ما أقولُ .

وإن كانتْ غيرَ صَحيحةٍ : فهى من تَشنيع فلان لتَثْبيط[2] القضاةِ عن سُرعة التنفيذ؛ للذى أرَاغَه وكَنّاه[3] : من المعنى الذى ذكرناه آنفاً . (فاعتَبِرُوا[4] يا أُولى الأبْصارِ ٥٩ — ٢) .

وكان مُعاذ — فيما سمِعتُ — : حَسنَ السِّيرةِ ، لَيِّنَ العَريكَةِ ؛ خالَقَ الناسَ : بغيرِ خُلقِ أبيه ، وأحْسَنَ التّخلُّصَ منهم .

وسمعتُ مَن يَحكِى : أنه كانتْ مَعه صِحةٌ وسَلامةُ قلْبٍ ؛ فكان لا يَظنُّ بأحد شرّاً . وكان : قد وَلّى أحْباسَه بقُرطُبةَ ، رجلاً : ظَنّ به خيراً ؛ فخالَفَ ظنَّه فيه . فقال فى ذلك الغزالُ :

يقولُ لىَ القاضِى مُعَـاذٌ ، مُشاوِراً ... ووَلّى امْرَءاً — فيما يُرَى — مِن ذَوِى الْفَضْلِ :
فَدَيْتُكَ ؛ مَاذَا تَحسَبُ المْرْءَ صانِعاً ؟ ... فقلتُ : ومَاذَا يَصْنَعُ الدُّبُّ بالنَّحْلِ ؟
يَدُقُّ خَـلايَاهَا ، ويأكُلُ شَهْدَها ؛ ... ويَتْرُكُ للذِّبّانِ ما كانَ : مِن فَضْلِ

قال محمدٌ : كان مُعاذٌ قاضياً بقُرطُبةَ : سنة اثْنَتَيْن وثلاثين ومائتَيْن ؛ وفى هذا التاريخِ : كان عَلَى سُوقِ قُرطُبةَ إبراهيمُ بن حسينِ بنِ خالدٍ ؛ وفيـه : فَسَخَ

---

(١) بالأصل : الخصومات ما يحبون . (٢) بالأصل : لتشبت .
(٣) أى : طلبه وأراده . (٤) بالأصل : فاغتروا .

مُعاذُ بن عثمانَ ، حُكْمَ إبراهيمَ عن بَنى قُتَيْبَةَ : فى الحَوانِيتِ التى هَدَمها عليهم إبراهيمُ . وكان إبراهيمُ بن حسينِ بن خالدٍ : صاحبَ نَظَرٍ ؛ فخالفَ فقهاءَ زمانِه : يَحيى ، وعبدَ الملكِ ، وزُونان . فتَظَاهَرُوا عليه ، وأبَانُوا خَطَأه ؛ وجازَ قولُهم عليه .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : مُحمدِ بنِ زِيادٍ اللَّخمِىِّ[1] . »

قال محمدٌ : ثم وَلَّى الأميرُ عبدُ الرحمن بنُ الحَكَمِ (رحمه الله) قضاءَ الجماعةِ ،

٣٥ محمدَ بن زيادِ بنِ عبد الرحمن بن زُهَيْر بن ناشِرَةَ بن لُوذانَ بنِ حيس بن حاطِب ابن حارِثةَ بن راشِدَةَ بن زيد بن حارِثة بن جَديلةَ بن لَخمِ بن عَدِىّ .

قال محمدٌ : ومحمدُ بن زيادٍ ، هو : والدُ القاضى : الحبيبِ بن زيادٍ ؛ فكان : حَسَنَ السِّيرةِ ، محمُودَ الوِلايةِ ؛ وكان : من أهلِ الفَضلِ والخَيرِ ؛ وكان : قد سمِعَ من مُعاويةَ بنِ صالحٍ الحَضْرَمِىِّ ، سَماعاً كثيراً .

قال محمدٌ : وقال لى محمدُ بن عبد الله بنِ أبى عيسى :

لمَّا اُحْتُضِرَ يَحيىَ بنُ يَحيىَ : أسْنَدَ وَصِيَّتَه — فى أداءِ دَيْنٍ ، وبَيْعِ مالٍ — إلى محمدِ بن زيادٍ ؛ وكان القاضىَ يومئذٍ ؛ فكان وصِيَّه فى ذلك الوقتِ .

قال محمدٌ : أخبرَنى بعضُ رُوَاة الأخبارِ ؛ قال :

لمَّا وُضِعَتْ جَنازةُ يَحيىَ بنِ يَحيىَ ، قال عُبَيْدُ الله بنُ يَحيىَ — وهو يومئذ : أبْنُ سبعَ عَشْرةَ سنةً للقاضى محمد بن زياد : تَقَدَّمْ . فتَقدَّمَ محمدُ بن زيادٍ ، وتَقدَّمَ إسحاقُ بن يَحيىَ للصلاةِ على أبيه : فكَبَّرَ محمدُ بن زيادٍ ، وكَبَّرَ إسحاقُ : حتى بَلغوا إلى السَّلامِ ؛ فسَلَّمَ محمدُ بن زيادٍ ، وسَلَّمَ إسحاقُ بنُ يَحيىَ . هكذا

---

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ص ٥٥ — ٥٦ . وجذوة المقتبس : ص٥٢ : ر٥٥ .

كانتْ الصلاةُ عَلَى يَحيىَ بنِ يَحيىَ . فلمَّا أُنقضَتْ الصلاةُ : نَظَرَ محمدُ بن زِيادٍ ، إلى إسحاقَ بنِ يَحيىَ ؛ ثم قال له : ومَنْ قدَّمك عَلَيَّ بهذا ؟ ! فقال له إسحاق : ومَنْ قدَّمك أنتَ عَلَى أبِي ؟ ! فقال له : حُكمُ الصلاةِ عليه : إليَّ دُونك ؛ ومَعَ هذا : فإنَّ أخاك قدَّمَني ؛ وهو : أرشَدُ منك ؛ أمَا واللهِ : لَوْلاَ حِفْظُ هذا الميِّتِ ، لَفعلْتُ بك وفعلْتُ . قيل : فكان ثَناء محمدِ بن زيادٍ ، عَلَى عُبيدِ الله بنِ يَحيَي — ذلك اليومَ — أوَّلَ سُؤْدُدِ عُبيدِ الله ؛ ثم كان له : على إكرامٍ ومَبَرَّةٍ .

قال محمدٌ : حَكَيْتُ هذه القصةَ لمحمدِ بن عبد الله بن أبي عيسى ؛ فلم يَعرِفْها وقال : كان عُبَيدُ الله : من أشَدِّ الناسِ إعْظاماً لأخيه إسحاقَ ؛ وكان : يَأخُذُ بِرِكابِه إذا أراد أنْ يَركَبَ ؛ فما أدرِي : إن كان فَعَل مثلَ هذا في أبِيه ؟ ! .

قال محمدٌ : ذَكَر أحمدُ بن زيادٍ ، عن أبنِ وَضَّاحٍ ؛ قال :

شهِد شاهدٌ عندَ محمدِ بن زيادٍ بشهادةٍ ، فقال غُرابٌ لمحمد بن زيادٍ : ومَنْ شهِدَ عَلَيَّ ؟ لو كان الشاهدُ مثلَ اللَّيثِ بنِ سعدٍ[1] . فقال له محمدُ بن زيادٍ : وما ذِكْرُ الليثِ بن سعدٍ هاهنا ؟ . ! فأمَرَ به — وذلك في المسجدِ ؛ وهو وَالِي الشُّرْطَةِ — : فقُنِعَ أسْواطاً . قال : فكان ذلك — : من فِعلِه . — صَواباً .

قال أبنُ وَضَّاحٍ : وابنُ القاسمِ يَرَى : أنْ يُعزِّرَ السلطانُ الرجلَ في المسجدِ بالسوط . وسُحْنُونُ يأبَى ذلك .

(قال) : ولمَّا وُلِّيَ سُحنُونُ بن سعيدٍ القضاءَ : حَمَلَ الضربَ على الذى لا يُريدُ غُرمَ ما عليه — : وهو مَلِيٌّ . — بعدَ أنْ حبَسه . فقيل له : مِن أيْنَ أخذتَ الضربَ وإنما كُنَّا نَحبِسُ حتى يَغْرَمَ ؟ . قال : من حديثِ النبيِّ (صلى الله عليه وسلم) في قوله : « مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ » ؛ فإذا كان ظالماً — كما سَمَّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم — : أدَّبْتُه على ظُلمِه .

---

(١) أي : لقبلت شهادته ، فالجواب حذف للعلم به .

قال محمدُ بن وَضَّاحٍ : وقعَتْ شهاداتٌ على بعضِ آلِ السلطانِ ، عند القاضى محمدِ بن زيادٍ ؛ فأرسَلَ القاضى إلى المشهود عليه ، رجلَيْن يقولان له : إن فلاناً وفلاناً شهِدا عليك بكذا وكذا ؛ فإن كان عندَكَ مَدْفَعٌ : فهاته . ولم يُمكّنْه من نسخةِ الكتابِ .

فكتبَ بذلك المشهودُ عليه ، إلى الأميرِ (رحمه الله) ؛ فأوْصَى الأميرُ إلى القاضى : فى ذلك . فقال محمدُ بن زياد : إنى خِفتُ : أنْ يفرِضَها على الزَّيغ والفُجُورِ ؛ فيعَمَلَ له الحُجَجَ : حتى تَبطلَ الشهاداتُ ؛ وقد عرفتُه بهذا ظاهراً .

قال محمدٌ : ذكر لى بعضُ أهلِ العلمِ ؛ قال : كان محمدُ بن زياد يوماً ، يَمشى معَ محمد بن عيسى الأعْشَى : حتى لَقِيا رجلاً يَتمادَى سُكراً ؛ فأمرَ القاضى محمدُ بن زياد بأخذِه — : ليقيمَ عليه الحدَّ . — فأخَذَه أعوانُه . ثم مشَى قليلاً ، فأتى إلى موضعٍ ضَيِّقٍ : فتقَدَّمَ القاضى ، وتأخَّرَ الأعشَى ؛ ففى تأخرِه عن القاضى : الْتفَتَ إلى الذى كان يُمسِكُ السكرانَ ، فقال : يقولُ لك القاضى : أطْلِقْه . فأطْلَقَه . ثم افترقا جميعاً ، ونزلَ القاضى ، ودعا بالسكران ؛ فقيل له : أمَرَنا عنك أبو عبد الله الفقيهُ : أنْ نطلقه . فقال : وفعل ؟ قال له : نعم . قال : أحسن .

قال محمدٌ : وما أتَى عن القُضاةِ فى هذا المعنى خاصَّةً — : من الإغضاء عن السَّكارَى ، والتَّغافُلِ لهم ، والرِّقَّةِ عليهم . — : فلا أعرِفُ لذلك وَجْهاً : من الوُجُوه — : يَتَّسِعُ لهم فيه القَوْلُ ، ويقومُ لهم به العُذرُ . — إلاَّ وَجْهاً واحداً ؛ وهو : أن حَدَّ السُّكْرِ — من بيْنِ الحُدودِ كلها — لم يَنُصَّه الكتابُ المُنْزَلُ ، ولا أتَى فيه حديثٌ ثابتٌ عن الرسولِ (صلى الله عليه وسلم) . وإنما ثَبَتَ : أن النبيَّ (صلى الله عليه وسلم) أُتِيَ برجلٍ قد شَرِبَ ؛ فأمَرَ أصحابَهُ : أن يَضربوه عَلَى مَعصيتِه ؛ فضُرِبَ بالنِّعالِ ، وبأطْرافِ الأرْدِيَةِ . ومات النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) : ولم يَحُدَّ فى ضَرْبِ السكرانِ ، حَدًّا : يلْحَقُ بسائرِ الحدودِ . فلما نَظَرَ أبو بكرٍ

(رضى الله عنه) فى ذلك بعد النبىّ (صلى الله عليه وسلم) ، واستشار أصحابه — : قال له علىّ بن أبى طالبٍ (رضى الله عنه) : « مَن شرب : سَكِرَ : ومَن سَكِرَ هَذَى ؛ ومن هَذَى أفْتَرَى ؛ ومَن أُفْتَرَى : وَجَبَ عليه الحدّ ؛ أرَى : أن يضرَبَ الشاربُ ثمانين . » . فقَبِلَ ذلك منه الصحابةُ فذَكرَ أهلُ الحديثِ : أن أبا بكرٍ — عندَ موته — قال : « ما شىءٌ — فى نفسه منه شىءٌ . — غيرُ حدِّ الخمرِ : فإنه شىءٌ لم يفعله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؛ وإنما هو شىءٌ : رأيناه من بعدِه . » .

قال محمدٌ : كان السببُ فى عزْلةِ محمدِ بن زيادٍ عن القضاء ، ما كان : من أمرِ ابن أخى عجبَ ؛ وذلك : أنه شهِدَ عليه بلفظٍ : نطَقَ به مُتعَدِّثًا فى يومِ غيثٍ ؛ فأمَرَ الأميرُ عبد الرحمن (رحمه الله) بحبسه ؛ فأبْرَمَته عجبُ فى إطلاقه — : وكانت مُدِلَّةً عليه ؛ لمكانها من أبيه : — فقال لها : نَكشفُ أهلَ العلمِ عما يجب عليه فى لفظه ؛ ثم : يكونُ الفصلُ فى أمرِه .

فأمَرَ الأميرُ (رحمه الله) محمدَ بن السَّليمِ — وهو يومئذٍ : والى المدينةِ . — أن يُحضِرَ القاضىَ محمدَ بن زيادٍ وفقهاءَ البلدِ : فجَمَعَهُمْ فى مجلس النشمة . فحضر حينئذٍ عبدُ الملك بنُ حبيبٍ ، وأصبغُ بن خليلٍ ، وعبدُ الأعلى بنُ وهبٍ ، وأبو زيد بن إبراهيمَ ، وأبانُ بن عيسى بن دينارٍ . فشاورهم فى أمره ، وأخبرهم بما كان : من لفظه . فتوقف عن الإشارة بسفك دمه : القاضى محمد بن زيادٍ ، وأبو زيدٍ ، وعبدُ الأعلى ، وأبانُ . وأشار بقتله : عبدُ الملك بنُ حبيب ، وأصبغُ بن خليلٍ . فأمرهم محمدُ بنُ السَّليم : أن ينصّوا فُتياهم على وجهها ، فى فى صكٍّ ؛ ليرفعها إلى الأمير (رحمه الله) ففعلوا .

فلمّا تصفّحَ الأميرُ قولهم ، أُسْتَحْسَنَ قولَ عبدِالملك وأصْبَغَ ؛ ورَأى مارَأيا : من قتلِهِ ؛ وأمرَ حسّانَ الفتَى : فَخَرج عليهم ، فقال لِصاحبِ المدينةِ : قد فَهِم

الأميرُ (أكرمه الله) ما أفتى به القومُ : فى أمرِ هذا الفاسقِ ؛ وهو يقولُ للقاضى : أذهَبْ فقد عزَلناك . وأمّا أنتَ (يعنى : عبدَ الأعلى) : فكان يحيى بنُ يحيى : يَشهدُ عليك بالزّندقةِ ؛ ومن كانتْ هذه حالَه فحَرِيٌّ أن لا يُسمعَ فُتياه . وأمّا أنتَ يا أبانَ بنَ عيسى : فإنّا أردْنا أنْ نُولِّيك(١) القضاء بجيّان ؛ فزعمتَ : أنك لاتحسِنُ القضاءَ ؛ فإن كنتَ صادقاً : فما آنَ لك أن تتعلّمَ الفُتيا ؛ وإن كنتَ كاذباً : فالكاذبُ لا يكونُ أميناً . وقال للآخرِ كلاماً : أمسَك عنه صاحبُ الحكاية(٢) ؛ وأراه : ذهب إلى حفظ بعضِ ولدِه . ثم قال حسّانُ الفتى لصاحبِ المدينةِ : والأميرُ (أكرمه الله) يأمرك : أنْ تخرُجَ الساعةَ معَ هذيْنِ الشّيخيْنِ : عبدِ الملك وأصبغَ . فأمَرَ لهما : بأربعين غلاماً — : من الغِلمان . — يُنفِّذُون نَقْماً فى هذا الفاسقِ ، ما رَأيَا .

فخرَج عبدُ الملك وهو يقولُ : سُبَّ ربٌّ عبَدْناه ؛ إن لم ننتصِرْ له : إنّا لَعبيدُ سُوءٍ(٣) . ثم أخرِج المحبُوسُ ؛ فوقفا حتى رُفِع فى خشبتِه : وهو يقولُ لعبد الملك : أبا مَروان ؛ أتّقِ اللهَ فى دَمى : فإنى أشهدُ أن لا إله إلا اللهُ ، وأن محمداً رسولُ الله . وعبد الملك يقول : (آلْئَن : وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ١٠ — ٩١) ؛ حتى صُلِب : وانصَرفا(٤) .

قال محمدٌ : ولم يُنقَمْ على محمدِ بن زِيادٍ ، فى وِلايته ، شئٌ من الأشياء — فيما ذَكَر أهلُ العلمِ — غيرُ دالّةٍ كانتْ تَظهَرُ من امرأتِه عليه : على ما يفعلُه الأزواجُ ببعُولَتِهنّ . والناسُ إلى تقفّى المعايِرِ سِراعٌ . فكان ذلك مما يُغمَضُ به عليه فى ذلك الوقتِ ، وكانت تلك المرأةُ ، تسمّى كفات .

---

(١) بالأصل : يوليك . (٢) بالأصل : الجناية . (٣) بالأصل : لسوء .

(٤) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ص ٥٦ .

قال أحمدُ بن أَيْمَنَ : وأخبرَنى أبِى : محمدُ بن عبد الملك بنِ أَيْمَنَ ؛ قال :
لمَّا أفْضَتْ الخلافةُ إلى محمدٍ (رحمه الله) : كُلِّمَ فى إعادةِ محمدِ بن زِيادٍ ، إلى القضاءِ والصلاةِ — : وكان له صَنيعةٌ قَبْلَ وِلايتِه . — فأبَى وقال : تُرَانِى نَسِيتُ ما كان الناسُ يُشَنِّعُون به فى أمْرِ كفات ؟ ! فصَرَفه إلى الصلاةِ وحدَها .

قال محمدُ بن وَضَّاحٍ : سمعتُ محمدَ بن زِيادٍ — لمَّا وُلِّىَ الصلاةَ المرةَ الثانيةَ ، فى أيامِ محمدٍ الأميرِ (رحمه الله) — يقول للقَومةِ — وقد دعاهم — : « إنَّما بلغتنى عنكم [أشياء][1] ؛ فاتقُوا اللهَ واسْتَقِيموا ؛ وأعِينونى على الحقِّ ؛ لَئِنْ وجَدْتُ أحداً منكم قد خَلَطَ : لأجعلنَّه نَكالاً » ؛ ثم قال : « انظروا إلىَّ ، واجعلونى بالِكم ؛ فإن رأيْتُمونى أخلِط : فأنتم فى سَعة من التَّخْليطِ ؛ وإن رأيْتُمونى أُرِيدُ الحقَّ : فأعِينُونى ، ولا تجعلُوا إلى أنفسكم سبيلاً . » .

***

« ذِكْرُ القاضى : سَعيدِ بنِ سُلَيْمانَ الغَافِقىِّ .[2] »

٣٦ قال محمدٌ : [هو] : أبو خالدٍ سَعيدُ بن سُليمانَ بن حَبيبٍ ؛ كان أصْلُه من مَدينةِ : « غافِقٍ » ؛ وَلِّىَ قضاءَ « مارِدةَ » وغيرِها : قبلَ وِلايتِه قضاءَ قُرْطُبَةَ ؛ ثم ولاَّه الأميرُ عبدُ الرحمن بنُ الْحَكَمِ (رضى الله عنهما) قضاءَ الجماعةِ بقُرطُبةَ .

قال محمدٌ : وسليمانُ بنُ سعيدٍ ، غيرُ سليمانَ بن أسودَ : قاضى الجماعةِ بقُرطُبةَ .

قال محمدٌ : وكان الفقيهُ أبو عُثمانَ العِراقىُّ : يَحكِى عن أبى عبدِ اللهِ محمدِ بن وَضَّاحٍ — فيما أخبرنى فَرَجُ بن سَلَمَةَ ؛ وذكرَه أيضاً خالدُ بن سعدٍ — قال :
وُلِّىَ القضاءَ أربعةٌ — : فاتَّصَلَ العدلُ بهم فى آفاقِ الأرضِ — : دُحَيْمُ

---

(١) بياض : بالأصل .

(٢) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ص٥٤ .

ابنُ اليتيمِ : بالشام ؛ والحارثُ بنُ مِسْكين : بمِصرَ ؛ وسُحْنُونُ بنُ سعيدٍ : بالقَيْرُوَانِ ؛ وأبو خالدٍ سعيدُ بنُ سليمانَ : بقُرطُبة .

قال محمدُ بن حارثٍ : فأمّا دُحَيْمُ بن عبد الرحمن بن إبراهيمَ : فكان من أهل دِمَشْقٍ ؛ ووَلاّه قضاءَ الشّامِ جعفرٌ المُتوَكِّلُ . وكانتْ وَفاةُ دُحيمِ بن عبد الرحمن (المعروفِ : بابن اليتيم) : بالرَّمْلةِ ؛ سنةَ خمسٍ وأربعينَ ومِائتَيْن . ولم أعلَمْ بتاريخ ولايته القضاءَ : مَتى كان ؟.

وأمّا الحارثُ بن مِسكين : فإنه ولاّه قضاءَ مِصرَ جعفرٌ المُتوَكلُ : سنةَ سبعٍ وثلاثينَ ومِائتين ؛ جاءته ولايةُ القضاء : وهو بالإسكَنْدَرِيّةِ ؛ ثم حُمِلَ إلى مِصرَ : فكان قاضيَها إلى أنْ عُزِلَ يومَ الجمعةِ لسبعِ ليالٍ بَقِينَ من شهر ربيعٍ الآخرِ : سنةَ خمسٍ وأربعينَ ومِائتين .

وأمّا سُحْنُونُ بن سعيد التَّنُوخيُّ : فإنه ولاّه قضاءَ إفْريقية محمدُ بن الأغْلَبِ التَّميميُّ : سنة أربع وثلاثين ومِائتين. وتُوُفِّيَ سحنون — : قاضياً غيرَ معزول. — : يومَ الثلاثاء لسبعةِ أيامٍ مَضَتْ من رجبٍ سنة أربعين ومِائتين .

وأمّا سعيدُ بن سليمان : فإنه ولاّه قضاءَ الجماعةِ : بقرطبة ؛ عبدُ الرحمن بن الحكم (رحمهما الله) ؛ فكان قاضيه : حتى مات عبد الرحمن (رحمه الله) . ثم أقرَّه عَلَى القضاء محمد بن عبد الرحمن (رضى الله عنه) ؛ فقضَى له : نحوَ السنتين ؛ ثم ماتَ بقُرطبة : قاضياً غيرَ مَعْزُولٍ .

قال محمدٌ : ولم أسمَعْ بتاريخِ وِلايتهِ القضاءَ : متى كان ؟ غيرَ أنه كان — بلا شَكٍّ — : بعدَ سنةِ أربعٍ وثلاثينَ ومِائتَيْن .

قال خالدُ بن سعدٍ : أخبرني بعضُ أصحابنا — : من أهلِ العِلم . — عن أحمدَ بن عبد الله بن أبي خالد : أنه أدركَ القاضيَ : سعيدَ بن سليمانَ ؛ ورآه : يقضي بين الناسْ . وأنه لمّا أراد الأميرُ عبد الرحمن بن الحكم (رحمه الله) : أنْ يُوَلّيَه القضاءَ بقُرطبة — . أرسلَ فيه رسولاً ، فوافقَه : وهو يَقِفُ عَلَى أزواجله

تحرثُ بفحصِ البلُّوطِ ، فى ضَيْعته . فقال له الرسولُ : تركبُ إلى قرطبة ؛ فإن الأميرَ ذَهَب إلى توليتك القضاءَ . قال له : دَعْنى حتى أبلغَ إلى منزلى ، وأتجهَّزَ بما أحتاجُ إليه . فأبى الرسولُ : أنْ يتركه ؛ وقال : كُنْ هاهُنا معى ؛ وأرسِلْ إلى منزلك : فى دابّتِك ، وما تحتاجُ إليه : من الزّادِ . ففعل .

فلمّا قدِم قرطبة : ولّاه الأميرُ (رحمه الله) القضاءَ ؛ فجلس للحكم فى المسجدِ : وعليه : جُبَّةُ صُوفٍ بيْضاء ؛ وفى رأسه : أقرُوفٌ أبيضُ ، وغِفارةٌ بيْضاء : من ذلك الجنسِ .

فلمّا نظر الخصومُ إليه : احْتقرُوه ؛ فجاءوا — فى مَغيبه عن المسجد — : بقفّةٍ مملُوءة من قِشْرِ البلُّوطِ ؛ فوضعوها : تحتَ الحصيرِ الذى كان يُصَلّى عليه.

فلمَّا أتى القاضى بعد ذلك ، وقام عَلَى الحصير — : أحَسَّ تحتَه شيئاً يتكسَّرُ ؛ فلمّا فرَغ من الصلاة : أخذ يرفعُ الحصيرَ ، فنظر إلى قِشْرِ البلوطِ ؛ فقيل له : إنَّ بعضَ الخصوم فعلوا ذلك . وصَحَّ عنده ما قِيل له فيهم .

فلمّا أتَوْه من بعد ذلك ، قال لهم : يامَعشَرَ الخصوم ؛ عيَّرتُمونى : بأنى بَلُّوطىٌّ ؛!! أنا أشْهدُ عَلَى نفسى : أنى بَلوطِىٌّ ؛ عُودٌ — واللهِ — صَليبٌ : لا تفعلوا فيه . ثم حلفَ لهم بإثْرِ كلامِه هــذا : أن لا يُخاصموا عندَه سنةً ؛ فكاد : أنْ يُورِثَهم الفقرَ .

قال محمدٌ : حدثنى فرجُ بن سُليمانَ البَلَوِىُّ ؛ قال : حدثنا سَعدُونُ بن ناصر ابن قيسٍ — : وكان شيخاً من أهل الجَرْكة . — أنَّ أباه كان وَكيلاً لِسعيدِ بن سُليمانَ ؛ وأنه قدِمَ فى بعضِ الأيام — من فَحِص البلُّوطِ عَلَى القاضى : سعيدِ ابن سُليمانَ ؛ فألفى بيْنَ يديْه : رجلاً وزوجتَه . (قال ناصرُ بن قيسٍ) : فلمّا دخلتُ على القاضى : قام إلىَّ مُسلّماً ؛ ثم جلَسَ : فقال لِمَن حوله : هذا مُقيتِى ومُقيتُ عِيالى بحولِ اللهِ . ثم سألنى : عن رفْعِه فى ذلك العامِ ؛ فقلتُ له : رَفْعُ

القاضى : سبعةً[١] أمْدادٍ[٢] من شعيرٍ ؛ وثلاثةِ أمدادٍ[٢] : من قمحٍ . فحمِد اللهَ وأثنَى عليه ؛ ثم عادَ إلى التَّـكلُّم بيْنَ الرجلِ وزوجتِه : اللذَيْنِ ألفيْتُهما بين يديه.
فقال الرجلُ : ياقاضى ؛ تأمرُها : بالنُّهوضِ معِى إلى منزلى . فلصِقتْ بالأرض المرأةُ وآلت[٣] : أن لاتمشِيَ معَه فى الأرضِ شِبراً ؛ ثم قالتْ للقاضى : باللهِ — الذى لا إلٰه إلاَّ هو — : لَئنْ صرفتَنى إليـه : لأقتُلنَّ نفسى ، وتكونُ المسئولَ عن دَمِى .

(قال ناصرٌ) : فلمَّا سمِعَ القاضى كلامَ المرأةِ : عَطَف على رجلٍ إلى جَنبه (حَسِبتُه كان فقيهاً) ؛ فقال له : ماترى ؛ فقال له : إن كان القاضى (وفَّقه اللهُ) لم يَظهرْ له أنَّ هذا الرجلَ يُضرُّ بزوجِه ــ : فلْيَجْبُرْها على المَسيرِ معَه : أحبَّتْ أو كرِهتْ ؛ إلاَّ : أن يشاء الرجلُ أن يُفارِقَها بفِدْيةٍ أو غيرِها ؛ فإن أبَى إلَّا الفِدْيةَ : فذلك حَلالٌ له ؛ ويخلعُها — ولو من قُرْطِها — : إن لم يكن له منه ضُرٌّ إليها .

فقال الزوجُ : واللهِ ؛ ما لَها مالٌ .

قال له : فلو ذهبْتَ إلى الافتداء منك : أ كنتَ تُفارِقُها ؟ .

فقال له : كنتُ أسْمحُ . (قال ناصرٌ) : فعادَ علىَّ القاضى ، فقال : هـــل جلَبتَ : من الطعامِ ؛ فى جَيْئتِك هٰذه شيئاً ؟ . فقلتُ له : بلَى ؛ جلَبْتُ مُدًّا[٤] : من قمحٍ ؛ ومُدَّيْنِ : من شَعيرٍ . (قال ناصرٌ) : فرأيتُه : يُقلِّبُ أصابِعَه ؛ ثم قال : قُوتُ تِسعةِ أشهرٍ كثيرٌ . ثم قال لزوجِ المرأةِ : خذْ ما بَقِىَ : من رَفْعِى ؛ فى ضَيْعتى ؛ وأرِحْها من نفسِك ، وأرِحْ نفسَك منها .

فقال الزوجُ : كنتُ أفعلُ : لو كان الطعامُ بقرطُبةَ .

---

(١) بالأصل : بسبعة . (٢) بالأصل : إمداء . (٣) بالأصل : وقالت .
(٤) بالأصل : مديا .

فقال له القاضى : أَحْسَبُكَ مُغتما . ثم وَضَعَ يدَيْهِ فى الأرضِ ، وقام ودخل الدارَ ، وأخرَجَ شُقَّةً بَيْضاءَ : من صوفٍ ؛ فدَفعها إليه وقال للزوج : هذه شُقَّةٌ عُمِلَتْ فى بَيْتِى : لِشِتْوَتِى ؛ وأنا (إن شاء الله) غَنِىٌّ عنها ؛ فخذْها واسْتَعِنْ بثمنها : فى جَلْبِ الطعامِ إلى نفسِكَ . فأخذَها ، وبارأ زوجته . وأمَرَنى : بدفعِ الطعامِ إليه ؛ فأقْبَضْتُه إيّاه .

قال خالدُ بن سَعدٍ : أخبرنى بعضُ أصحابنا : من أهلِ العلمِ ؛ عن رجلٍ فاضلٍ — : من خِيارِ المسلمين ؛ أدرَكَ سَعيدَ بن سُليمانَ القاضى . — قال :

قضى سعيدُ بن سُليمانَ يوماً ، فى المسجدِ ، إلى أنْ مَضى صدرُ النهارِ ؛ ثم قام مُنصَرِفاً إلى داره . فلمّا هَمَّ بدُخولِ الدارِ : فإذا بوالدِ نَصرٍ الفتَى مُقبلاً : وأعوانُه بيْن يديْهِ — وكان أعجمِىَّ اللسانِ — فصاحَ على البُعدِ (بالعَجَمِيَّة) : كَلِّموا القاضى يَثْبُتْ ؛ علَىَّ أُكَلِّمُهُ . فقال القاضى : قولوا له (بالعجميةِ) : إنَّ القاضىَ قد أدركَتْه المَلالَةُ والسَّآمةُ : من طُولِ الجلوسِ للقضاء ؛ فإذا جلَس بالعَشِىِّ فى المسجد — : للنظَرِ بيْن الناسِ . — تَعودُ إليه : ليَنظُرَ فى حاجتِكَ ؛ إن شاء الله . ثم دخَل القاضى دارَه ، ولم يَقِفْ عليه .

قال خالدُ بن سَعدٍ : وكان محمدُ بن عُمرَ بنِ لُبَابة : يَصِفُ سعيدَ بن سُليمانَ القاضىَ : بالخيرِ والفَضلِ ؛ ويُثْنِى عليه ، ويصِفُه : بالتَّواضُعِ .

قال محمدُ بن عُمرَ بنِ لُبَابَةَ : أخبرنى محمدُ بن أحمدَ العُتْبِىُّ ؛ قال :

صلَّى بنا سعيدُ بن سليمانَ القاضى، صلاةَ الجُمُعةِ ، فى المسجدِ الجامعِ بقُرطُبَةَ ؛ ثم خرَجنا معه : فمَشَى ولم يَركَبْ ، ومشَيْنا معه : حتى بلغ الفُرنَ الذى كان يَطبَخُ فيه خُبزُه . فقال للفرّانِ : خُبزَتى مطبوخةٌ ؟ فقال له : نعمْ : فقال له : هاتِها . فناوَلها له : فأخَذها فجعَلها تحتَ عَضُدِهِ ؛ وأقبلْنا نَمشِى : حتى بلَغْنا الدارَ ؛ فدخَل وانصرَفْنا عنه .

قال محمدٌ : ذَكَر بعضُ أهلِ العلمِ ؛ قال : كان سَعيدُ بن سُليمانَ القاضى :

يَحكُمُ فى المسجدِ الجامعِ ، ويأتِى إليــه ماشياً ؛ وإنه كان يوماً : من الأيام ؛ مُقبِــلاً ضُحًى ؛ فلمَّا أتَى بابَ اليهودِ : اِلتَقَى بسعيدِ بن حَسَّانَ الفقيهِ — : وكان سعيدُ بن حسانٍ منقبضاً عنه . — فقال له القاضى : أبا عُثمانَ ؛ مالكَ تَنقبِضُ عنِّى : فلا تأتِينِى ؟ ! فواللهِ : ما أُريدُ إلا الحقَّ ، ولا أَقصِدُ غيرَه . فقال ســعيدُ ابن حسانٍ : واللهِ ؛ لو أعلَمُ هذا : ما قعَدتُ عنك ، ولتَحَمَّلْتُ هذه الخَرِيطةَ بيْنَ يدَيْك . ثم عاد سعيدٌ إلى إتيانِه .

قال محمدٌ : ولَبِث سعيدُ بنُ سُليمانَ قاضياً : إلى أنْ ماتَ الأميرُ عبدُ الرحمن بنِ الحكَمِ (رضى الله عنه) . سنةَ ثمانٍ وثمانين ومائتيْن .

فحَـكَى محمدُ بن عبد الملكِ بنِ أيْمَنَ ، عمَّن أخبرَه — : ممَّن شَهِد البَيْعةَ للأميرُ محمدٍ رَحمه الله . — : أنه لمَّا دخَل عليه القاضى : سعيدُ بن سُليمانَ ؛ ودَنَا منه ـ قال له محمدٌ الأميرُ :

أيُّهاَ القاضى ؛ أمضِ عَلَى نظَرِكَ . فتَمادَى قاضــياً ، فى أولِ أيامِ الأميرِ محمد (رحمه الله) : نحو عامَيْنِ ؛ ثم ماتَ : غيرَ مَعزُولٍ . ولا أعلمُ له عَقِباً .

قال محمدٌ : وجَدتُ فى التَّسْمِيةِ[1] المُسْتخرَجةِ من دِيوانِ القُضاةِ : أنه تَلاَ سعيدَ ابن سُليمانَ فى القضاء محمدُ بن سعيدٍ . فلا أدرِى : إن كان : محمدَ بن سعيدِ بن سُليمانَ ، أو غيرَه ؟ . ولم أجِدْ له خبراً ؛ ولا سمِعتُ له ـ عندَ مَن أدرَكْتُ : من العلماء . ـ ذِكْراً ؛ حاشَى اسْمَه : فإنه مَوضوعٌ معَ جُملةِ أسماء قُضاةِ الجماعةِ : فى التَّسميةِ المُستَخرَجةِ من الدِّيوانِ .

* * *

---

(١) بالأصل : تسمية .

« ذِكْرُ القاضى : أحمدَ بنِ زِيادٍ اللَّخْمِىِّ(١) »

٣٧ قال محمدٌ : أحمـــدُ بن زيادِ بنِ عبد الرحمن : أخو محمدِ بن زيادٍ المُتقدِّمِ ذِكرُهُ من قبلُ ؛ وقعَ عليه اختيارُ الأميرِ محمدٍ (رحمه الله) : فاستقدمَهُ من «شَذُونةَ»، ووَلَّاه قضاءَ الجماعةِ . فسار : بخيرِ سيرةٍ وأجملِها . وكان : رجلاً صالحاً ، صحيحَ المذهبِ ، حَسَنَ السِّيرةِ ، ويُقالُ : إنه كانتْ فيه عَجْرَفةٌ(٢) : مع حُسنِ حالِه ، واستقامةِ حالِه .

قال محمدٌ : قال لى بعضُ رُواةِ الأخبارِ : كان أحمدُ بن زيادٍ القاضى : شديدَ التَّهَيُّبِ فى قضائه ؛ لا يُخاطَبُ فى شىءٍ – : من أمرِ الخصومِ – إلاَّ فى مجلسِ نظَرِه ؛ ولا يَأذَنُ لأحدٍ – : يَلقاه فى طريقٍ . – : فى مُواكَبتِه ؛ ولا : أن يَنصرِفَ معَه . ومَن ألَحَّ فيما لا يَنبَغِى : من ذلك ؛ أمرَ بحبْسِه .

وذُكِرَ : أنه لَقِيَه محمـــدُ بن يوسُفَ [الأعرجُ] عندَ بابِ القَنْطَرَةِ ، يوماً من الأيامِ — : وقد أمرَ أحمدُ بن زيادٍ ، بحبْسِ رجلٍ : اعتَرَضَه بكلامٍ لا يَصلُحُ له : أنْ يُكلِّمَه به ، وكان الأعرجُ : ضَيِّقَ الخُلُقِ ، شديدَ الحَرَجِ . — فقال له حينئذٍ : هَيْبةَ الجبَّارِين ، ومَذهَبُ المُتكبِّرين ؛ لا يُكلَّمُ على الطريقِ ! . فأمرَ أحمدُ بن زيادٍ : بحبْسِ الأعرجِ ؛ واتَّصل الخبرُ بأهلِ الجامعِ : لِقُربِ الموضعِ ؛ وكان فى تلك الساعةِ ، فى الجامعِ ، صاحبُ الشُّرْطةِ : محمدُ بن عبد الرحمن بنِ إبراهيمَ ؛ فخرج إلى أحمدَ بن زياد مُسرِعاً : فعابَ عليه فِعلَه ؛ وكَسَرَ رأيَه . فانصرفَ القاضى عن رأيِه ، وأمرَ : بتَرْكِ محمدِ بن يوسُفَ .

قال محمدٌ : وكان أحمدُ بن زيادٍ قاضياً : تسعةَ أعوامٍ وأشهُراً ؛ إلى أنْ أحدَثَ بعضُ أولادِه بشَذُونة حَدَثاً ؛ فاتَّصل ذلك بالأميرِ محمـــدٍ (رحمه الله) : فوجَّه

(١) انظر: جذوة المقتبس ص ١١٦ ر ٢٠٩ . (٢) بالاصل : عجرفية .

لامْتِحانِ ذلك ، ولَداً لمحمدِ بن موسى الوزيرِ ، يُسمَّى بموسى — وكان : لَقِناً ذكيًّا ؛ من أهلِ النظرِ والحركةِ . — فقدم بتَصْحيحِ ذلك الحدَثِ[1] ؛ فدارَتْ عَلَى القاضى فيه غَضاضَةٌ ، ونالَتْهُ منه ذِلّةٌ .

قال محمدٌ : أخبرنى أحمدُ بن محمد بن عُمرَ بنِ لُبابَةَ : أنَّ هاشمَ بن عبد العزيز ، أرادَ القاضىَ أحمدَ بن زيادٍ : عَلَى أنْ يَبيعَ داراً : كانتْ بالمدينةِ للأيْتامِ ؛ من بعضِ أولادِ الأميرِ محمد (رحمه الله) ؛ فأبَى ولَجَّ ، وقال : لا أبِيعُها . وكان كاتبَه يومئذٍ عَمرُو بن عبد الله : فعَمَدَ لنفسِه فى القضاء ، معَ هاشمِ بن عبد العزيز ؛ ثم زَيَّنَ لأحمدَ بنِ زِيادٍ : أنْ يكتُبَ إلى الأميرِ : يَسْتَعْفِيه عن القضاء ؛ فأطاعَه أحمدُ ابن زِيادٍ ، وكَتَبَ بذلك .

فلمَّا خرَجَ الكتابُ من حُكمِه : دخَلَ عليه من خاصَّتِه رجلٌ ، فقال له : أنتَ قَصيرٌ ، وكاتبُك قصيرٌ ، وأنا قَصيرٌ ؛ فاحذَرْ : أنْ يَغلِبَك ويَغلِبَنى كاتبك عمرٌو ؛ فما الذى أشار به عليك ؟. قال : بأنْ أسْتَعْفِىَ ، وأكتُبَ بذلك إلى الأمير وقد فعَلْتُ . قال : أنتَ (واللهِ) مَعزُولٌ .

قال : يَحكى ذلك الرجلُ ؛ قال : فما بَرِحتُ من بيْنِ يدَيْه : حتى أتَى صاحبُ الرسائلِ ، فقال له : يقولُ لك الأميرُ (أصلحه الله) : تبرَأْ بالدِّيوانِ إلى قاضِينا : عمرِو بن عبد الله .

وحَكَى بعضُ أهلِ العلمِ ؛ قال : لما نالَتْ أحمدَ بنَ زِيادٍ الكسْرَةُ ، وأدركَتْه الغَضاضَةُ — فيما أحْدَثَ ولدُه بشَذُونَةَ — : شاوَرَ كاتبَه عمرَو بن عبد الله : فى أمْرِ نفسِه ، وما يُحملُ عليه فى السببِ الذى دار عليه . فقال له عمرٌو : أرَى : أن تكتُبَ إلى الأميرِ : تَسْتَعْفِيه ؛ فإنَّ الملوكَ من شأنِهم — إذا اُستُعْفُوا — أن يَلِجُّوا ؛ فيكونُ إقرارُه لك بعدَ الاسْتِعفاء : وِلايةً مُجدَّدةً .

---

(١) بالاصل : الحديث.

فأَصْغَى أحمدُ بن زيادٍ إلى ذلك ، وكَتَب بطاقةً وحَبَّرها عن رأيه . وكان عَلَى أحْباسِ أحمدَ بنِ زِياد (أىْ : ذلك الوقتَ) ؛ رجلٌ : من أكْياسِ الناس ودُهاتِهم ؛ يُعرَفُ بزيدٍ الغافِقِيِّ . فدخَل زيدٌ عَلَى أحمدَ بنِ زيادٍ : وعمرُو بن عبد الله خارجٌ عنه ؛ وقد أحْكَم البِطاقة : فلمَّا دخَل عليه زيدٌ ، قال له : أيُّها القاضى ؛ إنَّ هذا الخارجَ عنكَ (يعنى : عمْراً) قصيرٌ ؛ وأنا قصيرٌ ؛ وليس فينا خيرٌ . فقال له زيدٌ : وإنه خَدَعك؛ فوَاللهِ : لئنْ رَفَعتَ إلىالأميرِ : تَسْتَعْفِيهُ؛ لَيَغْتَنِمَنَّها منك[1] : بسببِ مادارَ عليك .

فعصاه القاضى ، وأمضَى البِطاقةَ عَلَى وَجْهِها . فعَزَله الأميرُ (رحمه الله) .

فكان محمدُ بن أيْمَنَ : يَحكِى عن زيدٍ ؛ قال : بَيْنما أنا فى السُّوقِ : إذ ضَرَبَ عَلَيَّ شُرْطِيٌّ ؛ فقال : أَجِبْ القاضىَ . فقلتُ : أىَّ قاضٍ ؟ . فقال : عمرَو ابن عبد الله .

قال : فأتَيْتُه ؛ فوجَدتُه ؛ فى الجامعِ : قاعداً . (وكان زيدٌ : يَحكِى قِصةً طويلةً عَرَضتْ له مع عمرٍو ؛ فى ذلك) .

قال خالدُ بن سعدٍ : أخبرنى بعضُ أصحابِنا ؛ قال : أخبرنى يَحيَى بن زكرياء ؛ قال :

لما وَلِّيَ عمرُو بن عبد الله القضاء ، أبَى : أن يَقْبِضَ الدِّيوانَ ، إلاَّ من أحمدَ بنِ زيادٍ . فبَعَثَ فيه عمروٌ ، وعَزَم عليه : أنْ يأْتيَه بالدِّيوانِ بنفسه ؛ لا يَكِلُ ذلك إلى أحدٍ سِواهُ . وأتاه به إلى الجامعِ : فدَفَعه إليه . فلمَّاقام أحمدُ : أخَذ بعَضُدِه ؛ ثم قال له : ياعَمْرُو ؛ لقد فَتَحتَ علَى القضاء باباً : لا يُخْطِئك شَرُّه .

* * *

---

(١) بالأصل : منها .

« ذِكْرُ القاضى : عَمرِو بنِ عبدِ اللهِ بنِ لَيْثٍ القبعة . »

٣٨ قال محمدٌ : هو مَوْلى أبيه عبدِ الرحمن بنِ مُعاويةَ ؛ وهو : عَمرُو بن عبدِ اللهِ أبو عبدِ الله ؛ كان : مَولًى ؛ وهو أولُ مَنْ وَلِيَ قضاءَ الجماعةِ للخلفاء : من المَوَالِي .

فشَقَّ ذلك على العربِ ، [وتأثَّرُوا منه[1]] ، وتَكلَّموا فيه .

فَبَلغ ذلك الأميرَ محمداً (رحمه الله) ؛ فقال : وجَدتُ فيه مالم أجِدْ فيهم .

فقال العربُ : أمَّا القَضاءُ : فإنَّا لا نَعتَرِضُ فيه ؛ لأنه : من سُلْطانِه . وأمَّا الصَّلاةُ : فإنَّا لانُصلِّي وراءَه .

فوَلَّى الأميرُ (رحمه الله) الصلاة ، النُّمَيْرِيَّ : عبدَ اللهِ بنَ الفَرجِ ؛ وكان عَمرُو بن عبدِ اللهِ صَنيعةً للأميرِ محمدٍ (رحمه الله) : من قَبْلِ أنْ يَلِيَ الخلافةَ ؛ وكان : عارفاً بفضلِه وعقلِه وأدبِهِ ؛ فقدَّمه : على تَجرِبةٍ ؛ ووَلَّاه : عن خِبْرَةٍ ؛ وقَلَّده قضاءَ الجماعةِ : سنةَ خمسينَ ومِائتَيْن .

قال محمدٌ : ومِن قبلِ أنْ يَكتُبَ عَمرُو بن عبدِ اللهِ ، لأحمدَ بنِ زيادٍ القاضى — كان : قاضياً على كُورَةِ أَسْتِجةَ .

فأخبرنى مَن أثِقُ به ؛ قال : أتاه عيسى بنُ فُطيسٍ : مُتَظَلِّماً من أبنِ عائشةَ القُرشِيِّ . فقال : وشَكَى وأكْثرَ ؛ فسكَتَ عنه عَمرُو بن عبدِ الله ، ولم يُجِبْه بحرفٍ . وأستَمَرَّ أبنُ فُطَيْسٍ فى الشكوى . فلمَّا بَلغ عمرو إلى دارِ سُكناه : دَخَلَ من البابِ ، وحَوَّل وجْهَه إلى أبنِ فُطيسٍ ، وألْقَى إليه كلامًا فَصْلاً : قليلَ اللفظِ ، كثيرَ المعانى ، عَجيبَ الحِكَمِ ؛ قال له : الغالبُ فى القَرْيةِ ، هو : الغالبُ عندى .

فلَقِنَها عنه أبنُ فُطَيْسٍ ، فجَمَع عبيدَه ومَن لاذَ[2] به : من سُلطانِه ؛ عَلَى

(١) بياض : بالأصل (٢) بالأصل : لاث .

خصمه : فغلبه . ثم اجتمعا عند القاضى من بعد : فأنكر ابن فطيس جميع ما ادّعى به عليه خصمه ؛ وانصرف غير محكوم عليه . وكلّف ابن عائشة البيّنة على دعواه ؛ فغلب ابن فطيس فى الظاهر ، كما غلب فى الباطن .

قال محمد : وجملة القول فى وصف عمرو بن عبد الله : « أنه كان : جميل الرأى ، حسن السمت ، طويل الصمت ؛ قليل الحركة[1] ؛ إذا نطق : كأنما ينطق من صدع صخرة ؛ مع الهيبة الشديدة ، والمروءة الظاهرة ؛ لا ينظر إلا لمحا ، ولا ينطق إلا تبسما . حكى فى ولايته الأولى ، محمد بن بشير : فى صحة الأمور ، وشدة النقاوة ، وحسن السيرة ؛ وإيثار العدل . وكان إذا قعد : لا يتقرب منه خصم ، ولا يدنو منه أحد . وكذلك : كان إذا ركب : لا يصحبه[2] صاحب ولا يصير إلى جانبه راكب ؛ مع قوة السكينة ، والصلابة الشديدة ؛ والتنفيذ الوشيك ، وقلة المداراة لمن لصق بالخليفة : من وجوه خاصته[3] ، وعيون رجاله . » .

أخبرنى بعض رواة الأخبار ؛ قال : حكم عمرو بن عبد الله ، على هاشم بن عبد العزيز — فى مجشر كان فى يده ، بجانب جيّان — : بعلمه : بلا بينة ، ولا إعذار ؛ وسجّل ، وأشهد ، ونفّذ .

وذكر بعض أهل العلم ؛ قال : حدثنى بعض شيوخ مسجد أبى عثمان ؛ قال : التقى عمرو بن عبد الله بهاشم بن عبد العزيز ؛ فلم يزد القاضى : على أن سلّم على هاشم ؛ فلوى : لم يثن معه عنانا ، ولا وقف عليه فواقا .

قال خالد بن سعد : كان محمد بن مسور ، يذكر : أنه توجّه ذات يوم إلى القاضى عمرو بن عبد الله — وذلك قبل الظهر — (قال) : فوجدت الناس :

(١) بالأصل : الحركات . (٢) بالأصل : نصحبه .
(٣) بالأصل : خاصة .

ينتظرون خُروجَه إلى المسجد ؛ فخرج : و بيْنَ يدَيه رجلٌ يحمل خريطته بكتبٍ ، وشيخٌ يمشى إلى جنبه ؛ فإذا همَّ رجلٌ أن يدنوَ من القاضى — : ليكلمه فى مَسيره إلى المسجدِ . — : دفعه عنه ؛ وقال : اُذهَبْ حتى يَجلسَ القاضى فى مَجلسِ القضاء .

قال محمدٌ : وذكر بعضُ أهلِ العلم ؛ قال: ماتَ اُبْنٌ لِعمرِو بن عبد الله : فَمَشَتْ قريشٌ فى جنازته : فى حَفْلٍ لم يَشْهَدْ أحدٌ أفْخَمَ منه : مَنظَراً ؛ ولا أكثرَ: عَدَداً .

قال محمدٌ : وكان عَمرُو بن عبد الله : حليماً وَقُوراً ، ضابطاً لنفسه : عندَ ساعةِ الغَضَبِ ، ومُعايَنة المَكْروهِ .

حَكَى أحمدُ بن محمد بن عبدِ الملكِ — فى كتابه — قال : كان عَمرُو بن عبدِ الله ، يُلَقَّبُ : بالقبعةِ ؛ وذلك : أنه كان دحْداحاً قصيراً : يكاد يَخفَى إذا قَعَدَ ؛ وكان : إذا قعَدَ مَقْعَدَ القضاء ، أمرَ مَنْ كانتْ له عندَه خُصومةٌ : أنْ يَكتُبَ اُسمه فى رُقعةٍ . ثم : يَجمَعُ الرِّقاعَ ، ويَخلِطُها بيْنَ يديهِ ؛ ويَدعُو بأصحابها[1] الأوَّلَ فالأوَّلَ ؛ على ما يَخرُجُ إلى يده : من الرِّقاعِ .

فأتَى رجلٌ إلى مُؤْمِنِ بن سعيدٍ الشاعرِ — : وكان كثيراً ما يَلْزَمُ المسجد الذى كان يَجلِسُ فيه عَمرو بن عبد الله : لِقُرْبِ جِوَاره منه . — فسأله : أن يُوَقِّعَ له اُسمَه فى رُقْعةٍ ؛ فقال له : ما اُسمُك ؟ . فقال له : عُقْبةُ . فكتب له مُؤمنُ بن سعيد : « قبعة » . فأخَذَها الرجل : فقذَفها بيْنَ الرِّقاع . فلمَّا خَرَجَتْ إلى يَدِ القاضى : شعَرَ له ، وجَعَل يُؤخِّرُها : حتى انقضَتْ الرقاعُ . فقال القاضى — لمَّا خَفَّ الناس عنه — : مَن عُقبةُ ؟. فتقدَّم إليه الرجلُ . فقال له : مَن كَتَب اُسمَك ؟. فوصَف له صِفةَ مُؤمنٍ ؛ فقال له : إيَّاكَ أنْ تَقعُدَ إليه ثانيةً .

قال لى عُثمانُ بنُ محمدٍ : أخبرنى أبى : قال : شَهِدتُ مجلسَ عَمرو بن عبدِ الله يوماً : من الأيام ؛ فى المسجد المجاورِ لدارِه — فرأيته جالساً يحكمُ بيْنَ الناس وعليه

---

(١) بالأصل : بأصحابه.

ثوبٌ مشرطاب[١] ؛ وهو جالسٌ فى رُكنِ المسجدِ معَ مَن جلَس إليه : من أهل الحَوائجِ والخصوماتِ ؛ وفى الرُّكْنِ الثانى الذى يُقابله : مُؤمنُ بن سعيدٍ ؛ قد جلس معَ مَن جلس إليه من الأحداث : من رُوَاةِ الشّعر وطُلّابِ الأدبِ .

(قال) : فتلاحَى حَدَثانِ : من جُلَّاسِ مُؤمنٍ ؛ فى شىء ؛ فرَفعَ أحدُهما يدَه بخُفٍّ : فضرَب صاحبه ، فأصابَه ؛ ثم سقط الخُفُّ — بعدَ الضَّرْبة — فى مجلس القاضى — وظَنَّ مَن حضَر : أنه ستكونُ منه صَوْلةٌ . — فما زاد : أنْ قال : لقد آذانا هؤلاءِ الأحْداثُ . (قال) : فرأيتُ الأحداثَ يَتسَلَّلُون لِوَاذاً : فرَقاً من القاضى ، وحِشْمةً مما أتِيَ مِن جِهَتِهِم .

(قال) : ثم لم أبْرَحْ من المجلس : حتى قام عَمرو بن عبدِ الله : مُتوَجهاً إلى داره ، وقام الناسُ معَه . فلمَّا بَلَغ بابَ الدَّارِ : وقفَ وحوَّل وجْهَه ، واتّكا على عصاه ؛ ثم قال : مَن كانتْ له حاجةٌ : فليَتكلَّمْ فيها . فتكلَّم الناسُ . ثم قال عَمرٌو : أيْنَ رسولُ الأميرِ أبى إسحاقَ (حفظه الله) ؟ . فدَنَا منه رجلٌ ، فقال : أنا هو . فقال : أبلغْ الأميرَ (أكرمه الله) السلامَ (يعنى : أخا الأميرِ (رحمهما الله)) ؛ وقل له : ظَلَمتَ وأسأتَ فيما فعَلْتَ ؛ عَمَدت إلى رجلٍ قد أخَذه حُكمى : فآوَيْتَه وستَرْتَه ؛ تُريدُ : أنْ تمنعَ الحقَّ من أنْ يُنفَّذَ عليه ؛ إن لم تُخْرِجْه وتُبْرِزه — : لِيُؤَدىَ ما عليه ، ويَصِيرَ فيه إلى الواجبِ . — وإلا أرسلتُ إليك مَن يُسَمِّرُ أبوابَ دارِكَ . ثم دخل إلى داره .

قال محمدٌ : [سَمِعتُ] بعضَ أهلِ العلمِ يحكِى ؛ قال : اُخْتَصَم رجُلانِ إلى عَمرِو بن عبدِ الله : فأظهرَ أحدُهما وَثِيقةً ، ثم صار إلى سَتْرِها . فقال له عَمرٌو : أظهِرْ الوَثيقةَ ؛ فأبَى . فعزَم عليه عَمرٌ واشْتَدَّ ؛ فأخرَجَها الرجلُ — : وهو مُغْضَبٌ . — من كُمِّه ؛ فرَمَى بها إلى القاضى : فأصابَ وجْهَه ؛ فاصفَرَّ وجْهُه

(١) هكذا بالأصل .

عَمرٍو : حتى اُنتقعَ لَوْنُه ؛ وظَنَّ الناسُ : أنه سيأمُرُ به ؛ فأدركَه حِلمُه ، وأعرَضَ عن ذلك ؛ ونَظَر فى الوَثيقةِ . ثم قال للرجل : أليس هذا أحْسَنَ ؟!.

وكان سُليمانُ بن عِمْرانَ قاضى القَيْرَوان ، يكتب إلى عمرو بن عبدِ الله : « مِن سُليمان بن عمران قاضى القَيْرَوانِ ، إلى عمرو بن عبـدِ اللهِ » ؛ فكان عَمرٌو : يَسوغُه ذلك ، ولا يُنكِرُه عليه ؛ ويَـكتُبُ إليه الجوابَ : بتقديمِ « سُليمانَ بنِ عِمرانَ » وتأخيرِ نفسِه .

فلمَّا وُلِّيَ سليمان بنُ أسْودَ : عامَلَه سليمانُ بن عِمْرانَ تلك المعامَلَةَ ؛ فلم يَتَحَمَّلْها سُليمان بنُ أسودَ ، فجاوبه : بتقديمِ نفسِه ــ فكان سُليمان بن عِمْرانَ يقولُ : ياعَجَباً ؛ يُعْزَلُ مثلُ عَمرِو بن عبدِ اللهِ عن القضاء ، ويلِى مثلُ سُليمانَ بنِ أسْودَ : ذلك الجِْلفِ الجافِي .

قال محمدُ بن عبدِ الملك بن أيْمَنَ : كان مُؤمنُ بن سَعيدٍ الشاعرُ يوماً ، جالساً عند عمرو بن عبدالله ــوكان فى مؤمنٍ : من الهزْلِ والنادرِ ؛ ماقد عُرِفَ وحُفِظَ ــ فقال : هذا أبو زيدٍ الحذرى اُتخذ غِلماناً لخدمتِه ؛ فقال الناسُ : كيْتَ وكيْتَ ــ فَعرَّض بالشيخِ ــ : فاسْتغرَب كلُّ من حضر : ضَحِكاً ؛ فلم يَزِدْ عمرٌو على أن وضع يديه على فَمِه ، وأشار إلى التَّبَسُّمِ .

قال خالدُ بن سـعدٍ : أخبرنى وَليدُ بن إبراهيمَ ؛ قال :

أرسلَنى أبى إبراهيمُ بن لبيبٍ ــ ذاتَ يومٍ ــ : فى حاجةٍ ؛ إلى عمرو بنِ عبد الله القاضى ــ وكان صديقاً لأبى ــ فدخَلْتُ عليه فى المسجدِ : وهو يَقضى بين الناس ؛ إذا أتاه رجلٌ ضعيفٌ : عليـه أطْمارٌ ؛ فشَـكاَ إليه بعضَ عُمَّالِ الأميرِ محمدٍ (رحمه الله) وكان ذلك العامِلُ : عظيمَ الشأنِ والقَدْرِ ، مرَشَّحًا فى وقتِه : للمدينةِ ؛ ثم صار بإثْرِ ذلك إلى ولايةِ المدينة ــ فقال له : ياقاضى المسلمين ؛ إن فلاناً غَصَبَنى داراً . فقال له عَمرُو بن عبد الله القاضى : خُذْ فيه طابعاً . فقال له الرجلُ الضَّعيفُ : مِثْلى يسيرُ إلى مِثلِه بطابَعٍ !! لستُ آمَنُهُ على نفسى . فقال

له القاضي : خذْ فيه طابعاً ؛ كما آمُرُكَ ؛ فأخذَ الرجلُ طابعَه ، ثم توجَّه إليه به .

(قال وَليدٌ) فقلتُ في نفسي : لَأقعُدَنَّ حتى أعلَمَ كيف تكونُ صلابتُه في أمْرِه ؟ . فلم تكنْ إلا ساعةٌ : إذ رَجع الرجلُ الضعيفُ ؛ فقال له : ياقاضي : إني عرضتُ عليـــه الطابعَ عن بُعْدٍ ، ثم هربتُ إليك . فقال له عمرو : اجْلِسْ ؛ سَيُقْبِلُ .

(قال وَلِيدُ بنُ إبراهيمَ) : فلم أنْشَبْ : أن أتى الرجـلُ في رَكْبٍ عظيمٍ — وبيْن يَدَيه الفرْسان والرَّجالَةُ — فثَنَى رِجلَه ونَزَل ؛ ثم دَخَل المسجدَ : فسلَّمَ على القاضي وعلى جميع جُلَسائه ؛ ثم تمَادى كما هو ، وأسنَدَ ظهره إلى حائط المسجد.

فقال له القاضي عَمرُو بن عبدالله : قُمْ هاهُنا ؛ فاجلِس بين يدىَّ معَ خصمِك .

فقال له : أصلَحَ اللهُ القاضيَ ؛ إنَّماهو مسجدٌ والمَجالِسُ فيه واحدةٌ : لا فضل لبعضها على بعضٍ . فقال له عمرُو : قم هاهُنا كما أمَرْتُك ؛ واجلس بين يدىَّ مع خصمِك ، .

فلمَّا رأى عزْمَ القاضي في ذلك : قامْ فجَلس بين يدَيه ، وأشارَ القاضي إلى الرَّجلِ الضَّعيفِ : أن يقعُدَ مع صاحبِه بين يدَيه .

فقال عَمرُو للرجلِ الضعيفِ : ما تقولُ ؟ .

فقال : أقولُ : غَصَبني داراً لي .

فقال القاضي للمدَّعَى عليه : ما تقولُ ؟

فقال : أقولُ : إنَّ لي عليه الأدبَ فيما نَسَبَ إلىَّ : من الغَصْبِ .

فقال القاضي : لو قال ذلك لِرَجُلٍ صالِحٍ : كان عليه الأدبُ كما ذكرتَ ؟ ! فأمَّا من كان مَعروفاً بالغَصْب : فلا ؟! . ثم قال لجماعة من الأعوان — : ممن كان بين يديه . — امْضُوا معَه ، وتوَكَّلوا به ؛ فإن رَدَّ إلى الرجل دارَه ؛ وإلاَّ : فرُدُّوه إلىَّ ؛ حتى أُخاطِبَ الأميرَ (أصلحه الله) : في أمْرِه ، وأصِفَ له ظلْمَه وتطَاوُلَه .

فخَرَج مع الأعْوان، فلم تكن إلاَّ ساعةٌ : حتى انصرَف الرجل الضَّعيف والأعْوانُ . فقال الرجُل للقاضي : جزاكَ اللهُ عنى خيراً قد صَرَف إلىَّ داري . فقال له القاضي : اذْهَب في عافيةٍ .

قال محمدُ بنَ وليدٍ : لم يَزَلْ عَمرُو بن عبدِالله فى وِلاَيتِه الأولى : عظيمَ القَدْرِ ، ظاهرَ الفَضْلِ ، مَعرُوفَ العَدْلِ ؛ تُضْرَبُ به الأمْثالُ ، ويُهَدَّدُ به الظَّالِمُ ؛ لا يَعْدِلُ به أحدٌ فى جَميلِ مَذَاهِبِه ؛ إلى أنْ قِيمَ عندَه عَلَى بَقِيٍّ بن مَخْلَدٍ بتلك الأسْباب النَّاجِمَةِ ؛ وتَشاهَدَ عليه بَيَاضُ البَلدِ ، وشُيوخُ المِصْرِ : عازِمِينَ عَلَى سَفْك دَمِه ، وقَطْعِ أثَرِه ؛ وشَنَّعوا عندَ الأميرِ (رحمه الله) من ذلك شُنَعاً : عَظُمَ اهْتِمامُ الأميرِ بها ؛ فشاوَرَ الأميرُ فى ذلك هاشِماً ، وقال : قد شَهِد شُيوخُ البَلَدِ ووُجُوهُه على هذا الرجل : بما شَهِدُوا به ؛ فإن أردتُ : أنْ أرُدَّ شهاداتِهم ، وأسْقِطَ مَقَالاتِهم صَعُب ذلك علىَّ ؛ وإن أوْقَعْتُ بالرجل — : على زُهْدِه وخَيرِه . — : فَعلْتُ عظيماً ؛ فما تَرَى ؟ . قال له هاشمٌ : أرَى : أنْ تعزِلَ القاضىَ : الذى قام هذا السَّببُ عندَه ؛ فإنك إذا عزَلْتَهُ : سَكَنَ القومُ ، وانكسر حَدُّهم ، وصَعُبَ عليهم استئناف الخَبَرِ عندَ الوالى بعدَه . فعزَلَ الأميرُ محمدٌ عمرو ابنَ عبدِ الله : لهذا السَّببِ .

***

« ذِكْرُ القاضى : سُليمانَ بنِ أسْوَدَ الغَافِقِىِّ[1] . »

قال محمدٌ : سليمانُ بن أسْودَ بن يَعيشِ بن جشبيد من مَدينةِ « غافِقٍ » وَلِىَ كُورةَ ماردةَ : وقتَ وِلايَةِ عمِّه سعيد بن سليمان ، قضاء الجماعةِ بقُرطُبةَ ؛ ووَلِىَ خالدُ بن سعيدٍ هذا : قضاءَ فَحصِ البَلُّوطِ .

قال محمدٌ : و بمدينة ماردةَ ، كان تزَوَّج سليمانُ بن أسودَ ، أختَ سليمان بن سليمان بن هاشمٍ المعَافِرِىِّ .

ولَّاه الأميرُ محمدُ بن عبدِ الرحمن (رضى الله عنهما) ، قضاءَ الجماعةِ بقُرطُبة :

---

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ص ٥٦ — ٥٩ .

إذ عزَل عن القضاء عمرَو بن عبدِ الله . وكان السّببُ الذى قدّمه عندَ الأميرِ ، وأحلّه بقلبِه محلّ الجلالَةِ — أمرَيْنِ ؛ (أحدُهما) : أنّ الأميرَ محمداً رحمه الله —: إذ كان بماردةَ فى حياةِ الأميرِ عبدِ الرحمن رضى الله عنه . — تطاوَلَ بعضُ أعوانِه : فانتزَع من رجلٍ ابنتَه — وكان سُليمانُ بن أسودَ حينئذٍ : قاضياً بماردةَ . — فلجأ الرجلُ المظلومُ إلى سليمانَ القاضى : فاستغاثَه ؛ فكتَب إلى الأميرِ محمدٍ : يُعلِمهُ بالخَبرِ ؛ فأبطأ عليه الجوابُ بما أحَبَّ منه : من الإنصاف ؛ فركِبَ دابّتَه ، ووقَف ببابِ القَصرِ بماردةَ ، وكَتَب إلى الأميرِ (رحمه الله) : « هذه طَريقى إلى أبيك : إن لم تُغيِّرْ علَى أعوانك ما صنعوا » . فبلّغه الأميرُ محمدٌ إلى ماأحَبَّ : من الإنصاف .

فلمّا وَلِىَ محمدٌ (رضى الله عنه) ، قيل لسُليمانَ : اُخْرِقْ الأرضَ ، وادخُلْ فيها : فقد علِمتَ ما قدّمتَ إلى الأميرِ محمدٍ : إذ كان بماردةَ . فلم يَرَ منه مكروهاً ؛ وكان : حَظيًّا عندَه ، مُقدّماً لَدَيه ؛ وكان أحَدَ الأربعة الدّاخِلينَ علَى الأمير محمدٍ (رحمه الله) : فيما يَحْتاجُ : من إشْهادٍ واستِفتاءٍ .

(والثـانية [1]) : أنّه لمـّا عُزِلَ سُليمانُ عن قضاء ماردةَ : وافى بابَ القَصرِ بقُرْطبةَ ، وكَتَب إلى الأميرِ محمدٍ (رحمه الله) : « إنّ بيدِى مالًا : تجَمَّعَ من أرْزاقى ؛ وَجَب علَىّ صَرْفُه إلى بَيتِ المـالِ ؛ وهو : ممّا حاسَبْتُ فيه نفسى : من أيّامِ الجُمَعِ ، وأوقاتِ الأشْغالِ والأحيانِ . التى وَجَب علَىّ فيها النّظَرُ ، فلم أنظُرْ » .

فَخَرج إليه الجوابُ من عندِ الأمير : « هو لك صِلَةٌ مِن عندِنا » .

فأبَى : أنْ يَقبَلَه ؛ حتى يُقْبَضَ منه [2] .

---

(١) كذا بالأصل . والظاهر : (والثانى) . ولعل أنث : مراعاة لأنه قصة .

(٢) يعنى : حتى يتسلم منه ؛ ثم بعد ذلك يصله الأمير بما شاء : فيقبل الصلة حينئذ .

أمّا (١) القِصّةُ الأولى : فمَشهورةٌ مُستَفيضةٌ عندَ العامّةِ والخاصّةِ .

أمّا (١) القِصّةُ الثانيةُ : فأخبرنى بها فَرَجُ بنُ سَلَمةَ البَلَوِىُّ ، عن محمدِ بنِ لُبابةَ .

قال محمدٌ : وبَلَغنى : أنّ سُليمانَ بنَ أسْودَ ، كان له حَظٌّ : من عِلمِ الأدبِ ؛ ورُبَّما صَنَع الأبياتَ : من الشِّعر ؛ فخاطَبَ بها الخُلفاءَ ، والخاصّةَ : من الإخوانِ .

قال خالدُ بن سَعدٍ : أخبرنى وَليدُ بنُ إبراهيمَ بنِ لَبيبٍ ؛ قال : أخبرنى سُليمانُ ابنُ سُليمانَ بنِ أسْوَد ؛ قال :

حضرتُ خَتَنِى سُليمانَ بنَ أسْودَ : اذ وُلِّىَ القضاءَ ، وعُزِلَ عَمرُو بنُ عبدِ اللهِ ؛ وكانا جميعاً فى ذلك الحِينِ : مُجتمِعَيْن فى الجامعِ ؛ فَخَرَجا جميعاً فى [وقتٍ] واحدٍ : (الوالى والمعزول) ؛ فلَمّا أتَيا بابَ العَطّارِينَ ، وخَرَجا من المدينةِ — : أفْتَرَقا ؛ فمالَ الناسُ كلُّهم معَ سُليمانَ بنِ أسْودَ ؛ ومالَ عَمرُو بنُ عبدِ اللهِ وحدَه إلى دارِه : ليس معه أحدٌ . — وكان من قبلِ ذلك «بباغه» : قاضياً . — (قال سليمانُ) : فهَمَمْتُ : أنْ أميلَ مع عمرو بن عبدِ اللهِ — : ممّا أسْتَحيَيْتُ وعجِبْتُ : من غَدْرِ الناسِ ، وقِلّةِ وفائِهم . — فلم يَمنعْنى من ذلك إلاّ مَخافةُ أنْ يَعُدَّ عَلَىَّ خَتَنِى سُليمانُ بنُ أسْودَ .

قال : وأخبرنى بعضُ أصحابِنا — : من أهلِ العلمِ . — عن يحيىَ بنِ زكرياءَ : وكان من كبارِ أصحابِ محمدِ بن وَضاحٍ ؛ قال

حضَرَ سليمانُ بن أسْودَ ضيفاً عندَ بعضِ الوُزراءِ : فى يومِ جُمُعةٍ ؛ فسأله الوزيرُ : أنْ يَطْعَمَ وحدَه ؛ فاعتَذَر إليه : بأنه صائمٌ . فدعا له بغاليةٍ : ليُغلِّفَه بها ؛ فأبَى من ذلك ، وقال : إنّ هذا يومُ جُمُعةٍ ؛ ولا بُدَّ من الاغْتِسالِ فيه ؛ فيَصيرُ هـذا الطيِّبُ إلى الذَّهابِ والتَّلَفِ . فتوقّفَ الوزيرُ عمّا كان أمَرَ به : من ذلك .

---

(١) بالأصل : « وأما » ؛ ولعل زيادة الواو من الناسخ .

فلمّا خرَج سُليمانُ بن أسْودَ من عندِه ، قال لِبعضِ إخوانِه: كرِهتُ (واللهِ) : أنْ أكونَ خَطيبَ المسلمينَ اليومَ ووَاعِظَهم : وعَلَيَّ طِيبٌ فيه مافيه .

قال محمدٌ : أخبرنى غيرُ واحدٍ : من أهل العلم ؛ قال : كان سليمانُ بن أسْودَ : فيه ذُكْرَةٌ[(١)] وصلَابَةٌ ، وتحامُلٌ على حاشيةِ السُّلطانِ ؛ وقِلّةُ مُداراةٍ لِمَن لاذَ[(٢)] بالخليفةِ : من وُجُوهِ رِجالِه ، وأكابرِ وُزَرائه . .

قال لى بعضُ رُواةِ الأخبارِ : قال هاشم بن عبد العزيز :

كَتَب القاضى سليمانُ بن أسْودَ إلى الأميرِ ، كتاباً :

عَرَّض فيه : عَلَى السَّيفِ ، وعَزْلِ أُمَيَّةَ بن عيسى من المدينةِ ؛ وحَبْسِ ابنِ أبى أيُّوبَ القُرَشِىِّ فى الحَبْسِ ، وكان المعنى فى ذلك الكتابِ ، أنه قال للأميرِ — فيما خاطَبَه فيه — : «إنَّ ابنَ أبى أيُّوبَ خَرَجَ نهاراً بالسيف : مُشتهِراً ؛ فجرح به رجلاً ، وأخافَ آخَرِينَ . وقد كانت لِفَعْلَتِه هذه ، نظائر : كَتَبتُ فيها إلى صاحبِ المدينةِ : فلم يَقْمَعْه عن شَرِّه ، ولا أخَذَ فيه عَلَى يَدِه . ومن قبلِ ذلك : ما كَتَبتُ إليه فى عُبَيْدِ اللهِ بنِ عبدِ العزيزِ : إذ ظَهَرت دعارَتُه وشَرُّه ؛ فتهاوَنَ بذلك : حتى أحْدثَ ما أحدثَ ؛ واضْطُرَّ فيه الأميرُ إلى ما اضْطُرَّ . » .

فذَكَّرَ الأميرَ (رحمه الله) : بقِصَّةِ أخى هاشمٍ — : وفيها : من الغَضاضَةِ والتَّوْبيخ لهاشم ؛ ما فيها . — وشَهد بالتَّقصيرِ على أُمَيَّةَ صاحبِ المدينةِ ؛ وحَكَى فعل ابنِ أبى أيُّوبَ القُرَشِىِّ فأمَرَ الأميرُ: بحبْسه :

قال محمدٌ ذُكر لى : أنَّ هاشمَ بن عبدِ العزيزِ كايد سليمان بن أسود ، ورام خَديعتَه فى تَرِكَةِ قومِس بن أنْتِنْيان ؛ فلم يُنَفِّذْ له عليه : من ذلك ؛ ما أحَبَّ ، وذلك أنَّ هاشمَ بن عبد العزيز ، كان مَحلّه من الأمير (رحمه الله) محلاً لطيفاً ،

---

(١) ذكرة الرجل والسيف : حدته .

(٢) بالأصل : لاث

فكان النَّاهِضَ بأعباء الخلافةِ ؛ والْمتصرِّفَ فى وُجُوهِ النَّظَرِ ؛ والْمسْتَولىَ على أسبابِ التَّدبير لا تَنْفُذُ[١] العُقودُ إلا به ، ولا يَحكُمُ الأميرُ إلا على يدِه ؛ وكان لا يَجدُ معارضاً ، ولا يَعرفُ لِنفسِه مُلاَحِياً .

فلمَّا نَجَم قومسُ بن أنْدِنْيان ، وظَهر فضلُ أدبِه ؛ وتَوَلَّى الكِتابةَ ، واضطَلَعَ بالأثْقالِ ، وخاطَبَ ونَبَّه ، وعارَضَ فى الأمورِ ، ودَسَّسَ بالرَّفْعِ ؛ ولم يَرضَ : أنْ يكونَ تابِعاً لغيرِه ، ولا مُسْتَحْذِياً لِسِوَاه — : أشْتَغَل به قلْبُ هاشمٍ ، ونَفِسَ[٢] عليه مَكانتَه ، وردَّ فِكرَه إلى : ضَرِّه ومُطالَبته .

فلمَّا أحَسَّ بذلك قومس : أسْتَشْعَر الحَذَرَ ، وتَخَلَّقَ بالحزْمِ .

فَبلَغ : من حَذَرِه وعَزْمِه ؛ أنَّ محمدَ بنَ يُوسُفَ بنَ مَطْرُوحٍ ، كان له : صديقاً ، وبه خاصًّا ؛ فطرَقه ليلا : فَخَرج إليه قومس ، فخاطَبَه من وراءِ البابِ . فقال له : أفتحْ . فقال : لستُ (بالله) أفعَلُ ؛ ولكنْ : قلْ حاجتَك . فقال له محمدُ بن يوسُفَ : إنها من الحوائجِ التى لا تُقالُ من وراءِ البابِ . قال له قومس : فأخِّرْها إلى الصباح .

فانصَرَف عنه مَغموماً : إذ أقامه ذلك الْمَقامَ . فلم يَنَمْ محمدُ بن يوسُفَ باقِيَ ليلتِه . فلمَّا صلَّى الصبحَ : غدَا إليه ، فأعظَمَه قومس وأكرمَه وبَجَّله .

فقال له محمدُ بن يوسُفَ : آلآنَ تُكرِمُنى[٣] : وإذ أتيتُك البارِحةَ لم تَرَنى أهلاً : أن تفتَحَ بابَك ؟!.

فقال له : أعذُرْنى ؛ فإنى رجلٌ مَطلُوبٌ ؛ وأنتَ تعرِفُ مَن يَطلُبُنى ؛ وقد أخذْتُ نَفسِى : من الحَزْمِ ؛ بما رأيْتَ ؛ ورأيْتُ : أنْ أجعَلَ تَحفُّظِى منك ، حُجَّةً فى التَّحَفُّظِ ممَّن هو دُونَك ؛ فلا تَلُمْنِى . فذكَر له حاجَتَه .

---

(١) بالأصل : ينفذ (٢) بالأصل : ولبس . (٣) بالأصل : يكرمنى .

فلمَّا مات قومسُ بن أنتنيان : طالَبَ هاشمٌ ورَثَتَه وتركتَه ، وأثارَ الشَّهاداتِ من كلٍّ جانبٍ ؛ وأقام مُحتَسِباً : تقدَّمَ إلى القاضى سُليمانَ بنِ أسودَ ؛ فقال له : إن قومس بن أنتنيان ، ماتَ على النَّصرانيَّةِ : فمالُه لِبيْتِ المالِ . ورَفعَ هاشمٌ (أيضاً) بذلك إلى الأميرِ ، وقال له : أنتَ أحقُّ بمالِه من ورثَتِهِ ؛ ولكن : تأمُرُ القاضىَ بالنظر فى ذلك .

فأمر الأميرُ محمدٌ (رحمهالله) سُليمانَ بن أسودَ : بالنَّظرِ فيه ؛ فوقعَتْ عندَ سليمانَ شَهاداتٌ عظيمةٌ كثيرةٌ — من وُجُوهِ الناسِ ، وأعلامِ العُدولِ — : أنَّ قومساً ماتَ على النَّصرانيةِ ؛ ولم يَتَخَلَّفْ عن الشهادة بذلك — : من بَيَاضِ الناسِ وفُقَهائِهم . — إلا الأخَصُّ الأقَلُّ ؛ منهم : محمدُ بن يوسفَ بنِ مَطْروحٍ ؛ فإنه كان إذا قعدَ فى الجامع ، قال على رُؤوسِ الناسِ : مَن[1] مِثْلُ قومسٍ السَّجَّادِ العَبَّادِ حَمامةِ هذا المسجدِ ، يُقالُ فيه : ماتَ على النَّصرانيَّةِ ؟ ! ثم تَرَجَّعَ[2] ، وتعَجَّبَ الناسُ ممَّن شهد عليه بذلك .

واتَّصَل ذلك كلُّه بالأميرِ محمدٍ (رحمه الله) ، فأوْصَى إلى الوُزراءِ : أن يَبعَثُوا فى القاضى سُليمانَ بنِ أسودَ ، ويَسـألوه : عما ثَبَتَ عندَه عَلَى قومسِ ابن أنتنيان .

فَحَضر سُليمانُ بن أسودَ ، فقال له الوُزراء : إنَّ الأميرَ (أبقاه الله) ، أمر : بالإرسالِ فيك ، وأنْ يُكَشِّفَكَ عما قِيمَ به عندكَ : من أمر قومسٍ . فأخرَجَ سُليمانُ طُوماراً من كُمِّه ، ثم قال : هذا ما شُهِد به عندى فى أمرِه ، ولكن : يُرسَلُ إلى الأميرِ ، فيتَصفَّحُه ؛ ثم يأمُرُ فيه : بما يراه .

---

(١) بالأصل : من مثل . والزيادة من الناسخ أو الطابع .

(٢) أى : قال إنا لله وإنا إليه راجعون .

فأراد هاشمٌ : أنْ يعترِضَه ؛ فقال له : يا قاضي ؛ الطُّومارُ كبيرٌ ، والشَّهاداتُ كثيرةٌ ؛ وليس كلُّ الناسِ : يَعرفهم الأميرُ ؛ ولـكن : اُقْصِدْ إلى أسماء الشُّهودِ الذين قَبِلْتَهُمْ : فاذكُرْ شهاداتِهِم .

ففطن سُليمانُ لِمَذْهبِه ؛ فقال له : لستُ أفعَلُ ؛ ولا بُدَّ : أنْ يرى الأميرُ الشَّهاداتِ على وُجُوهِها .

فأرسِلَ بالطُّومارِ — بجميع ما فيه — : فلم يكنْ إلاَّ قليلٌ ، حتى خَرَجَ الفَتَى من عندِ الأمير ، فقال للقاضي : يقولُ لك الأميرُ : دَعْنِي من الشَّهاداتِ وطُولِها ؛ وأخبِرْني بما ثبتَ عندَكَ منها .

فقال للفَتَى : قلْ للأمير (أبقاه الله) : لم يثْبُتْ عندى على قومسٍ شيءٌ : من المَكْروهِ ؛ وجميعُ الشَّهاداتِ الواقعةِ فيه ، مَعلُومةٌ : لم يُرِدْ اللهُ بشيء منها .

فقال له هاشمٌ : سبحانَ اللهِ يا قاضي : شَهِدَ عندَكَ أبن قلزمٍ ، وفلانٌ ، وفلانٌ .
فقال : الَّذى صَحَّ عندى قد أعلمْتُ به الأميرَ .

فَخَرَجَ التَّوْقِيعُ إلى القاضى : اُقسِمْ مالَ قومسٍ بيْنَ ورثته فقسَمه القاضى : وكان مالاً عظيماً .

قال محمدٌ : ذَكَرَ خالدُ بن سعدٍ ؛ قال : أخبرنى محمدُ بن قاسمٍ ؛ قال : أخبرنى عمٌّ محمد بن بزيغٍ القَيِّمِ ؛ قال :

حضرتُ عند سُليمانَ بنِ أسودَ : وقد أتاه رجلٌ ، فتَظَلَّمَ عنده من صاحبِ المدينةِ . فأمَرَ سُليمانُ شيخاً بيْن يدَيْه : من أعوانِه — وذلك بالعَشِيِّ — فقال : تَغدو فتكونُ في طريقِ صاحبِ المدينةِ ، عند موضعِ جُلوسِ الخزَّان ؛ فإذا أقْبلَ للنُّزول : فخذْ بعِنانِه ، وتأمُرُه عني : أنْ يَرتفِعَ إليَّ ؛ فإنه تُظُلِّمَ منه عندى ؛ فإن رَجَعَ طَوعاً ؛ وإلاَّ : فاحمِلْ العصا على دابَّتِه ، حتى تَرُدَّها إليَّ كَرْهاً .

قال عمُّ أبن بزيغٍ : فغدَوْتُ معَ الشيخِ المأمورِ ، فوقفتُ معه في طريقِ

صاحبِ المدينةِ ، حتى أتى — : ومعَه جُملٌ من الناس ، قد رَكِبُوا معه . — فأخذَ الرسولُ بعنانه ، فذهب صاحبُ المدينةِ : أنْ يأمرَ بزَجْره ؛ فقال له الرسولُ: ألقاضى أرسلنى فيك ، بسَببِ رجلٍ تظلَّم عنده منك ؛ فارْتفعْ إليه : إن شئت طَوْعاً ، وإن شئتَ كَرْهاً . فقال صاحبُ المدينةِ : بل طَوْعاً . فانصرفَ حتى أتى القاضيَ ، ونزلَ عليه ، ونظر إليه فيما بيْنه وبيْن الرجل المُدَّعِى عليه بالحق . فقضَى بينَهما : بالذى ظَهر له ؛ ثم أنصرفَ عنه .

قال : أخبرنى محمدُ بن عُمَر بن عبدِ العزيز ؛ قال : لمَّا عَزَلَ يوسفُ بن بسيلٍ ، عن شَذُونة : قام عليه بعضُ أهلِها ، فى مالٍ أدَّعاه فى يديْه . فَبعث فيه [سليمانُ] بطابعٍ ؛ فلما وَقَف إليه بطابَع القاضى : زَجَرَه ، وأمر بضَرْبه . فجمع سليمانُ الأعوانَ ، ثم بعثهم فى يوسف : فترَصَّدُوه ؛ فلمَّا خَرج أتَوْا به عَلَى عُنُفٍ . فلمَّا صار إليه : وقَفه موقِف الحقِّ : بالإقرار والإنكار ؛ فأبَى من الإجابةِ إلى ذلك . فأمر : بامتهانه ؛ فلمَّا رأى العَزيمةَ من القاضى : تكلَّم .

قال خالدُ بن سعدٍ : وأخبرنى ثِقةٌ : من أصحابِنا ؛ عن رجلٍ فاضلٍ قديمٍ — كان : أسمه أحمد بن خالدٍ ؛ وكان قد أدركَ القاضيَ سليمانُ بن أسودَ :

أنَّ رجلاً طالبَ رجلاً عند سليمانَ بن أسودَ — وهو : عبدُ الملِك بنُ العباس القُرَشِيُّ . — فوَقَفه سليمانُ مَوقفَ الإقْرار والإنْـكار : فأبَى مِن ذلك ؛ فعزَم القاضى : على أمْتهانه ؛ فقامَ الناسُ إلى عبدِ الملِك — من كلِّ جانبٍ — وقالوا : أتَّقِ اللهَ على نفسِك وشَرفك ؛ وصُنْ عرضَك ؛ فإنك إن لم تَفعلْ : نَفَذ فيك ما أمرَ به ؛ فكانتْ : سُبَّةً عليك وعلى عقبِك . فلمَّا رأى ذلك ، قال : أشتريتُ قال له القاضى : اثبت عندى أنَّك أشْتَريتَ ؟ !

قال محمدٌ : وهـذا قولُ بعض أهلِ الفُتيا ، فى العُمَّال المعرُوفينَ : بالغصْب والتَّعدِّى .

قال محمدٌ : أخبرني مَن أثِقُ به : من أهل العلمِ ؛ قال : سمِعتُ الوَزيرَ : أبا مَرْوانَ عبدَ الملك بنَ جَهورٍ ؛ يحْكِي ؛ قال :

كان الفقيه أبنُ الملَون : يُعنى بأسبابِ الوثائق ؛ وكان : حسنَ الفطنة فيها ، ولطيفَ الحيلَةِ في أبوابِها ؛ وشَنَّع عليه [أنْ] بابُ الفُجور والتَّدليسِ : فيما يعقِدُ منها .

فطلَبه سُليمانُ بن أسودَ : فخافَهُ أبنُ ملونٍ ، على نفسه : فتوَارى عنه ، وقَصَد الوَزيرَ محمد بن جهْوَرٍ : فكَنَفه وآوَاهُ .

(قال) : ثُم أرسَل الوزيرُ محمدُ بنُ جهْورٍ أخاه ، إلى القاضي : يسئلُه فيه ، ويَذكُرُ له ما أُنعقد بيْنه و بينَ أبنِ الملونِ : من الأزْمةِ[1] الموجِبة للطَّلب إلى القاضي .

فكان جوابُ القاضي ، أنْ قال : « لا بُدَّ من تَنفيذ الحقّ عليه : فيما بَلَغني عنه ؛ وقد بلغَني : أنَّه — في دارِ الوزيرِ — مُختَفٍ منِّي ؛ ولم يَصِحَّ ذلك عندي؛ فمتَى صَحَّ : أرسلْتَ من يَدخُلُ دارَه ، ويُخرِجُه[2] منها .

(قال) : فشُغِلَ بنَفسه ؛ وكان : لايطْمئنُ أنْ يَدَعه في دارِه ، حتى يُنْقلَ عنها إلى بعض مواضِعه الخارِجةِ عن الدَّارِ .

قال محمدٌ : قال لي أبن عُمر بن عبدِ العزيز : أخبرني شيخٌ من أهلِ إشْبيليَّةَ — يُسمَّى هاشِمَ ابنَ رُزَيْن . — قال : كنتُ يوماً في مَرْكَبِ محمد بن موسى الوَزيرِ — وهو يومئذٍ : أعظَمُ وزراءِ الأميرِ محمدٍ ، وأقرَبُهم مَحَلاًّ منه . — فلمَّا حاذَى الجامعَ : خَرَجَ إليه أبنُ عمِّه (زَوجُ أُبنتِه) فقال له : ألقاضي جالسٌ في المسجد ؛ وهذا طابَعُه ؛ وهو يأمُرُكَ : بالنُّزول إليه . فقال : سمعاً وطاعةً ؛ وثنَى رجلَه ونزل . فلمَّا تَوَسَّط بابَ المسجدِ : بدَرَ إليه من حَضَر —: من القومَة . —

---

(١) في الأصل : أذمة . وهو تصحيف .   (٢) في الأصل : بالنون .

فقال لهم : تَفَقَّدُوا لى أحَد الخصوم ؛ واسْتقبَلَ القبلةَ : فرَكع ركعتَيْن ؛ فلمَّا سَلَّم : وجَد القَومةَ قد أحضَرُوه برجلٍ من الخصوم . فقال : أنا أُشْهِدكم : أنِّى قد وكَّلْتُه على مُناظرةِ ابن عمى . فلَجَّ أبنُ عمِّه : فى تقديمِه إلى القاضى، وأنْ يُوقفه مَوْقِفَ الإقرارِ والإنكارِ . فوبَّخَه الناسُ ، وقالوا : قد أنْصَفَك ؛ إذ وَكَّلَ من يُناظرُك. فانكسَر ؛ وخَرَج الوزيرُ : فرَكِبَ .

قال محمدٌ : ذَكر خالدُ بن سَعدٍ ؛ قال : كان محمدُ بن عُمَر بن لُبابةَ : يُحدِّثُ ؛ قال :

كنتُ جالساً عندَ القاضى : سُليمانَ بنِ أسودَ ؛ فجاءه رجلٌ : يُخاصِمُ خَتَنَه زَوجَ أبنتِه ؛ وكانتْ الابْنَةُ : فى وِلايةِ الأبِ ؛ وكان الزَّوجُ : ساكِناً معَها فى دارِها ؛ فطَلَب الأبُ من الزَّوجِ : أنْ يُرَحِّلَ الابْنةَ من دارها ، وأنْ يُكْرِيَهَا لها : فتَنْتَفِعُ بِكرائها .

فقال سُليمانُ بن أسودَ للزوجِ : ألَكَ دارٌ ؟ فقال : لا . وصَدَّقه أبو الجاريةِ .

فقال القاضى لأبى الجاريةِ : ولا كَرامةَ لك : أنْ تُخرِجَ أبنتَك من دارها ، إلى دار خَرِبٍ معَ زوجِها ؛ فتَمشِىَ بفِراشها إلى عنُقِها، من دارٍ إلى دارٍ:فتَهتِكَ سِتْرَها ؛ ليْس هذا : من حُسْنِ النَّظر لها .

فكان أبنُ لُبَابةَ : يُعجِبُه ذلك : من قضاء سليمان . (قال) : وكان محمدُ بن عُمَر بنِ لُبَابةَ ، يقول : حضَرْتُ سُليمانَ بنَ أسودَ ، يَقضِى بها . على الاستِحسانِ لها من قضاء سُليمانَ .

ومن ذلك : أنَّ أحمدَ بن أبى خالدٍ ، أخبرنى : أنَّه سَمِع محمد بن عُمَر بن لبَابةَ ، يقولُ : حضرت [سُليمانَ] : وقد خاصَم إليه رجلٌ ، فى فُرنٍ بَناه صاحبُه : فأضرَّ الدُّخانُ به وبالجيرانِ . — وهذه المسألةُ يقول أبنُ قاسمٍ [فيها] .

إنَّ ذلك من الضَّرَر : الذى يَجبُ قَطْعُه ، ولا يُباحُ اتِّخاذُه . — فقضى سليمان ابن أسودَ ، بغير ذلك : أنْ يجعل أنبوباً فى أعلى الفُرنِ ؛ فيَخرجُ الدُّخانُ من أعلاه . فلا يَضُرُّ ذلك بِمَن جاوَرُه .

فكان محمدُ بن عُمر : يُفتِى بهذا ، ويَحملُ الناسَ عليه ؛ فيما أخبَرنى أحمدُ ابن خالدٍ

قال محمدٌ : أحسَبُ سليمانَ بن أسودَ : رأى تلك الصَّنعة ، أو بَلغَتْه عن أفرانِ المَشرقِ — : فإنها مَصْنُوعةٌ عَلَى تلك الشَّاكِلةِ : التى ذَكَر . — : فاسْتَحْسَنَ ذلك ، فأمَرَ : بامتِثالِه بالأندلُسِ .

قال خالدُ بن سَعدٍ : وأخبرنى بعضُ مشايخنا — : من أهلِ العلمِ . — : أن القاضىَ سُليمانَ بنِ أسودَ ، أرسَلَ فى عبدِ الله بن خالدٍ : ليُشْهِدَه فى كُتُبِ الأمير (رحمه الله) ؛ فأبَى ابنُ خالدٍ : أنْ يَقومَ إلى القاضى .

فكتَبَ سُليمانُ بن أسودَ ، إلى الأميرِ (رحمه الله) : يُكثِرُ عَلَى عبدِ الله بن خالدٍ ، ويَصِفُ تثاقُلَه [1] . وكتَب عبدُ الله بنُ خالدٍ ، إلى الأميرِ محمدٍ : فى سَبَبِ القاضى سُليمانَ .

فوَقَّع الأميرُ فى بِطاقةِ سُليمانَ بنِ أسودَ : « نحن : أحقُّ مَن عَظَّمَ العِلْمَ وأهْله ؛ فإذا أردتَ : أنْ يَشْهَدَ فى كُتُبِنا ؛ فاجلِسْ إلى الفقيهِ : عبدِ الله بن خالدٍ » .

قال محمدٌ : وذَكرَ لى غيرُ واحدٍ — : من أهلِ العلمِ . — : أنَّ سُليمانَ بن أسودَ كانتْ فيه دُعَابةٌ : تَليقُ به ، وتَحسُنُ منه .

وحَكَوْا عنه فى ذلك ، حِكايةً : حُفظتْ عنه فى مجلسِ حُكمِه ؛ وذلك : أنه كان فى وقتهِ رجلٌ : من العُدولِ ؛ يُعرَفُ : بابن عَمَّارٍ ؛ كان : يَختَلِفُ إلى

---

(١) بالأصل : تناقله . وهو تصحيف .

مجلسِ القاضى ويَلْتزِمُه ، ولا يَقومُ عنه إلاَّ بقيامِه . وكانت لابنِ عَمَّارٍ ، بَغْلةٌ هَزِيلةٌ : تَلُوكُ لجامَها طُولَ النَّهارِ على باب المسجدِ ؛ قد أضْناها الجَهْدُ ، وغَيَّرَها الجوعُ . فتقَدَّمَتْ امرأةٌ إلى القاضى ، فقالت له بالعَجَميَّةِ : يا قاضى ؛ أنظُرْ لشَقِيَّتِك هذه . فقال لها بالعَجَميَّةِ : لستِ أنتِ شَقِيَّتِى ؛ إنَّما شَقِيَّتِى : بَغْلةُ ابنِ عَمَّارٍ التى تَلوكُ بِلجامِها على بابِ المسجدِ طولَ النهارِ .

قال محمدٌ : قال لى محمدُ بن عبد الملكِ بن أَيْمنَ : كان بعض فُقهاءِ البَلدِ — وهو: فُلانُ بن فُلانٍ (وذَكر رجلاً عظيمَ القَدْرِ) — : قد أخَذَ من رجلٍ هَدِيَّةً عَلَى حُسنِ المعُونةِ : جُبَّةً خَضْراء . فشَعر لذلك خَصمُ المُهدِى : فأعلَمَ سُليمان بالقصَّة ؛ وجَعَل الشيخُ الفقيهُ — بصِحَّةِ المذهبِ ، وسَلامةِ الضَّميرِ — يَلْبَسُها فى المحافلِ . فقال سُليمان لخصمِ الرجلِ صاحبِ الجُبَّةِ : إذا رأيْتَ الشيخَ — : وعليه الجُبَّةُ ، وأفْتَى عليك فقلْ : يا قاضى ؛ ليس الشيخُ يُكلمك ؛ إنَّما تُكلِّمُك الجُبَّةُ التى عليه . فإنك إذا فَعلتَ ذلك خَرجْتُ عليك ، وأمَرْتُ بسِجنك ؛ فلا يُلهِيَنَّك ذلك عن قولِك . ففَعَل الخَصمُ ما أمَرَه به القاضى : فاسْتَحيَى الشيخُ ، وانقلب خَجِلاً .

قال لى أحمدُ بن عُبادةَ الرَّعَيْنِىُّ : أخبرنى مَن سمعَ سُليمان بن أسودَ القاضىَ : وهو يقولُ لمُؤَذِّنِى الجامعِ : إذا حَضَر وقْتُ الصلاةِ : فلا تُؤخِّرُوها عن وقْتِها ؛ وإن أحْسَسْتُمْ أنى قـد نَزَلْتُ عندَ بابِ الصَّوْمَعَةِ : فلا تَنْتَظِرُونى ، وأقيموا الصَّلاةَ ، وصَلُّوا .

قال محمدٌ : ثم عَزَل الأميرُ محمدُ بن عبد الرحمن ، قاضِيَه : سليمان بن أسودَ ، عن القضاء ؛ وأعادَ عَمرو بن عبد الله .

قال محمدٌ : قال لى أحمدُ بن عُبادةَ : قال لى أبو صالحٍ أيُّوبُ بن سليمان : أوَّلُ مَن شاوَرَنى — : من القُضاةِ . — سلمانُ بن أسْودَ .

قال محمدٌ : واختُلِف عليَّ فى عَزْلةِ سُليمانَ بنِ أسودَ الأولى : كيفَ دارَتْ ؟ ولأىِّ شىءٍ كانتْ ؟ .

فأمّا خالدُ بن سعدٍ ، فذكر : أنَّ عبدَ الله بن يونُسَ ، أخبره : أنَّ الأميرَ (رحمه الله) أمَرَ بعضَ الوُزراء : بالإرسالِ فى القاضى سُليمانَ بنِ أسودَ ، وأنْ يُتَكلّمَ معَه فى دارٍ كانتْ لِيتيمٍ : كان فى نَظَرِ القُضاةِ ؛ أحبَّها الأميرُ لبعض وَلَدِه . فأرسلَ الوزيرُ من نَظَرَ إلى الدّارِ وقوَّمَها ؛ ثم بَعَثَ فى سليمان بن أسود ، وأعلَمَه بما أحبَّ الأميرُ : من شِراء تلك الدّارِ بما قوَّمَها المُقوِّمُون .

فقال له سليمان : لستُ أبيعُ نَقْضَها بهذا الثَّمن ؛ فكيف الدّارُ جميعاً ؟! . وسأل القاضى لليتيم أضعافَ تلك القيمةِ .

فأنْهى ذلك الوزيرُ إلى الأمير ؛ فأمر الأميرُ (رحمه الله) : بالكَفِّ عن شراء تلك الدّار .

وكان ذلك الوزيرُ : يَشْنَأُ سُليمان ، ويَلُوم عليه عندَ الأمير من قبلُ ؛ فلا يَضُرُّه بكبير شىءٍ . فلمّا امْتنَع من بَيعِ الدّار : أمكَنَتْه الفُرصةُ ؛ فجعل يَذكُرُ للأمير بُغْضَتَه ؛ ويُذَكِّرُه : بما كان يَصِفُه له عنه . فلم يَزَلْ بذلك : حتى ثَقُل على نفس الأمير ؛ فأمرَ بعزْلِه .

وحكى أحمدُ بن عبد الملك ؛ قال : لم يَزَلْ سُليمانُ قاضياً فى الدّولةِ الأولى ، إلى أنْ خَرَجَ الأميرُ غازياً سنةَ ستينَ ؛ فخَرج القُرَشىُّ عمرُ بن عِيصٍ : مُشَيِّعاً له وشاكِياً سُليمان بن أسودَ ، فى كلِّ مَحِلّةٍ حتى انْتهى قلعة رَباح .

فكتَب الأميرُ محمدٌ (رحمه الله) إلى أُمَيَّةَ بن عيسى (صاحبِ المدينة يومئذٍ) . يأمُرُه : بعزْلِ سُليمانَ عن القضاء ، وأن يبعَثَ إليه أربعةً : من عدولِ قُرطُبةَ : يَقبِضون الديوانَ منه ؛ ثم يجعله فى بيتِ الوُزراء . ففعَلَ ذلك أميَّةُ بن عيسى :

فلمّا قَدِم الأميرُ (رحمه الله) : صَرَف عَمرَو بن عبدِ الله إلى القضاء .

***

« ذِكْرُ القاضى : عَمرو بن عبدِ اللهِ المرَّةَ الثانيةَ ؛ »
« وكان ذلك : فى سنةِ سِتّين ومائتَيْن . »

قال : محمدٌ : ذَكَرَ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بن عبدِ الملك بن أيْمَنَ — فيما حَكى ٱبْنُه عنه — : أنه لمَّا عُزِلَ سُليمانُ بن أسود ، خاض الناسُ : فيمَن يَلِى بعدَه .

(قال) : فأخبرنى مَن سمع عَمروَ بن عبدِ الله ، يقولُ فى تلك الفَتْرةِ — وهو قاعدٌ على بابِ دارِه — : القضاء ، القضاء (قال) ؛ لمن شاء اللهُ [أنْ] يَلِيَه ؛ واللهِ : لا أُفلِحُ فيه .

(قال) : ثم ولاَّه الأميرُ محمدٌ (رضى الله عنه) القضاء .

فأخبرنى بعضُ أهـلِ العلمِ ؛ قال : لمَّا وُلِّىَ عَمرُو بن عبدِ اللهِ المرة الثانية : ٱسْتَخْرَجَ إلى سُليمانَ بن أسود ، وتعقَّبَ عليه بعض أقْضِيَتِه ، ونظر عليه نَظَراً : وقَفَهُ به موقِفَ الضِّيقِ فنصح عمراً — فى ذلك — بعضُ إخْوانِه ؛ ونَهاه عن الاستفسادِ مع سليمان فأبى وتمادَى عليه . ثم ٱنْقضَتْ تلك الأمور . وخُلِّص سُليمان من مَضَايقِه مع عمرِو بنِ عبدِ اللهِ .

وأخبرنى مَن أثِقُ به : من أهـلِ العلمِ ؛ قال : لمَّا وُلِّى عمرٌو المرَّةَ الثانيةَ : تَنَكَّرَتْ أحوالُه ، وتغيَّرتْ سيرَته . وكان السَّببُ فى ذلك ؛ أنه كَبِرَ بَنُوه ، وغَلَب عليـــه وَلَدُه المُكَنَّى : بأبى عمرٍو . فمَشَتْ إليـه التُّحَفُ ، ودَخلتْ عليه الهَدايَا .

حكى لى بعضُ رُواةِ الأخبارِ ؛ قال : جَلَس أبو عمرٍو (وَلَدُ القاضى عمرو بنِ عبدِ اللهِ) يوماً ، فى مَجلِس أبيه — ومَجلِسُه : فى حَفْلٍ من الناس . — فقال لبعضِ أهلِ السُّوقِ — : ممَّن كان فى المَجلِس . — : أحْبَبْتُ أن أشْتَرِىَ لَزْمةً مُحَبَّبَةً حَسنةً لفَرسٍ : أكْتَسَبْتُه ؛ فانظرْ لى فيها . (قال) : فما أمسى اللَّيْلُ من

ذلك النهارِ ، إلاَّ : وفى بيتهِ سبعَ عشْرةَ لزمةً : هـدايا كلُّها . وكثُرَتْ القالَةُ فى ولدهِ أبى عمرٍو ، ونُسِبَ إليـه تدْليسٌ فى الديوانِ : فى مالٍ مُسْتَوْدَعٍ ؛ سنذكُرُه مُفسَّراً إن شاء الله : على ماذكَرَه الواصِفُ له .

وقال فى ذلك الوقتِ ، مؤْمنُ بن سَعيدٍ الشاعرُ :

لَعَمْرِى : لقدْ أَنْدَى ـ بِعَمْرٍو ـ أبو عَمْرٍو ؛
ومِثْـــلُ أبى عمرٍو : بِوَالِدِه يُزْرى
وقَدْ كان عَمْـرٌو : يُسْتَضاءُ بنُورِهِ ؛
فأضْحَى أبو عَمرٍو : كُسُوفاً عَلَى البَدْرِ
ومَا عُرِفَتْ ـ مِنْ عَمْرٍو ٱلنَّدْبِ ـ سَوْأَةٌ
سِوَاها ؛ وهَلْ تَنْجُوالعِتَاقُ من العَـثْرِ ؟!

قال محمدٌ : واخْتَلَف الناسُ : فى السَّببِ الذى عَزَل عَمرَو المرَّةَ الثانيةَ .

فقيل لى: إنَّ هذه الثلاثةَ الأبياتَ (التى قالها مُؤمنٌ) : لمَّا سَمِعها الأميرُ (رحمه الله) ، قال : قد أكثر الناسُ : فى عَمرٍو ، وفى ولَدِه . فعَزَله حينئذٍ

وقيل : إنَّ هاشِماً كان يَسْتَثْقِله بسَببِ ما تَقدَّم له : من التَّحامُل على بَقِىِّ بن مَخْلَدٍ ، فسعى فى عَزْلِه .

وذكر أحمدُ بن عبـدِ الملك : أن عمراً كان قاضياً فى المرَّة الثانية — فى سنةِ ستينَ — إلى أن غزَا وَلِيدُ بن هاشمٍ — فى سنةِ ثلاثٍ وستينَ — إلى أرض الحربِ : الغزَاةَ التى تُعْرَفُ : بغزَاةِ البَرْبَرِ . فغَزا القاضى عَمروٌ تلك الغزَاةَ ؛ فلمَّا قدِم لم يُؤْمَرْ بالنَّظرِ ؛ وكان الرَّسمُ حينئذٍ — إذا غَزَا القاضى ، ثم قدِم — : لم يَنظرْ ؛ حتى يُنْهَد إليه : بالنظَرِ .

فأقامَ الناسُ يومئـذٍ نحواً من ستةِ أشهُرٍ : لا قاضىَ لهم ؛ ثم أعاد الأمـيرُ

(رحمه الله) : سليمانَ بن أسود ؛ إلى القضاءِ ثانيةً . وذلك : فى سنةِ ثلاثٍ وستينَ ومائتيْنِ .

***

« ذِكْرُ القاضى : سُليمانَ بنِ أسْوَدَ المرّةَ الثانيةَ ؛ »

« وكانتْ ولايَتُه هذه : فى سنةِ ثلاثٍ وستينَ ومائتيْنِ »

قال محمدٌ : ثم وُلِّىَ سُليمانُ بن أسودَ المرّةَ الثانيةَ ؛ فتعقَّبَ على عَمرِو بن عبدِ اللهِ ، وكافأه : بِمثلِ ما فعل به عَمرٌو من قَبْلُ ؛ وتصَفَّحَ الدِّيوانَ : فأصابَ فيه ذِكْرَ مالٍ عظيمٍ : نحوِ عشرةِ آلافِ دينارٍ . — وكان ثُلثاً : أوْصَى بتفريقِه رجلٌ من التُّجّارِ ، يُعرَفُ : بابنِ القصيبىِّ . وكان موقوفاً على يَدَىْ بعض العُدولِ . — فأرسل سليمان فى الرجل العدل : (الموقوف على يدَيْه المالُ) ؛ فقال له : أحْضِرْنى المالَ . فقال له الرجلُ العدلُ : كانَ المالُ عَلَى يدىَّ وقتاً طويلاً ، ثم قبضه منِّى القاضى عَمرُو بن عبدِ اللهِ — : إذا كان قاضياً : — وأبْرأنى منه .

فقال له سُليمانُ : أقِمْ البيِّنةَ عَلَى ماتقولُ . فأتاه بصَحيفةٍ : فيها بَراءةٌ مِن عَمروبن عبدِ الله — : إذ كان قاضياً . — للرجلِ من المالِ ؛ وأقامَ عليه ستةَ عشرَ شاهداً : من الناسِ . فكوشف[1] عَمرُو بن عبدِ اللهِ عن ذلك : فأنكرَ القبضَ ، وكَذَّب الشُّهودَ ؛ وزَعَم : أنها حِيلةٌ اُحتِيلَتْ فيه ، ودائرةٌ أُديرَتْ عليه .

ووَقَف سُليمانُ عَلَى الْحكمِ عليه : بالمالِ ؛ فاسْتَعاذَ عَمرٌو بالأميرِ محمدٍ (رحمه الله) ، ورَفَع إليه فى ذلك : مُتنَصِّلا ممّا[2] قُذِفَ به .

فحَكَى لى بعضُ أهلِ العِلمِ ؛ قال : أخبرنى رجلٌ : كان خاصاً بعَمرِو بن عبدِ اللهِ ؛ قال : إنِّى لقاعدٌ معَ عَمرٍو : حينَ أتاه — مِن لَدُن الأميرِ محمدٍ —

---

(١) بالأصل : فتكشف (٢) بالأصل : بما

فتى : من أصحاب الرّسائل؛ فسألَه : أنْ يدْخلَ معَه فى بيته ؛ فأقامَ معهساعةً ، ثم خرَج الفتى عن عمرٍو . فلمّا خرَج : اسْتأذنتُ علَى عمرٍو ؛ فأذِنَ لى . فدخلْتُ عليه ، فوجدْتُه : واجماً مُطرِقاً . فقلتُ له : ما الذى أتاكَ به الفتَى ؟ . (قال) : فسكتَ عنّى ساعةً ، ثم أنْشأ يقولُ :

نُضْحى علَى وَجَلٍ، نُمْسِى علَى وَجَلٍ؛ كُلِ التّرابَ ، ولاَ تعْمَلْ لهم عَملاَ

ثم قال : أتانى الفتَى : بمُصحَفٍ فى كُمِّه ؛ وأمرَنى أنْ أحلِفَ : أنّى برِيءٌ من المالِ : فحلَفْتُ .

(قال) : فأبرأه الأميرُ محمدٌ (رحمه الله) من أمْرِه ؛ وأمَرَ : أن يُغرَّمَ ورَثةُ القصيبِىِّ ثُلثاً ثانياً ، ممّا فى أيديهم : من المالِ . فغرِموه : بعدَ أنْ كانوا أنفقوه . فقيل لى : إنّه كان سَببَ فقرِهم .

قال محمدٌ : وذَكر أحمدُ بن محمدِ بن عبدِ الملك : أنه كان فى الدّيوان مالٌ عظيمٌ : مُوقفٌ عند بعضِ العُدولِ ؛ فماتَ ذلك العَدولُ ؛ فعامَلَ أولادُه أبا عمرٍو — ولدَ عمرِو بن عبدِ اللهِ — : علَى أنْ يقسِمُوا ذلك المالَ ؛ ويأخُذَ أبو عمرٍو أكثرَه : علَى أنْ يقتَلِعه من الديوانِ . — وكان الدّيوانُ يومئذٍ : لا شُهودَ عليه ؛ وإنما كان ذِكْرُه : فى دَفترٍ مُطلَقٍ . — فاقتَسَمُوا المالَ ، وغفَل أبو عمرٍو عن قَلْعِه : حتى عُزِلَ عمرٌو ؛ فوَجدَه سليمانَ فى الديوانِ : مذكوراً .

فدارَتْ بيْنَ القاضِيَيْنِ — : سليمانَ وعمرٍو . — أحْوالٌ شَنيعةٌ ؛ ثم آلَ[1] الحالُ فى ذلك : إلى أنْ شاوَرَ الأميرُ (رحمه الله) الفقهاء ، فأشارُوا : بتَحْليفِ عَمرٍو ؛ غيرَ بَقِىِّ بن مَخْلَدٍ : فإنه قال : إن اتّصَلَ ببَنِى العبّاسِ : أنّا نُحلِّفُ

(١) بالأصل : « اله » والظاهر : أنه مصحف عنه .

قُضَاتنا ؛ كان ذلك : من أعظمِ ما نُعَابُ به عندَهم . فاستحسنَ الأميرُ قولَ بَقِيٍّ ابنِ مَخْلدٍ ، وأوْصَى إلى عَمرٍو : أنْ يَكتُبَ إليه بيَمِينِه فى السِّرِّ ؛ ففعَلَ .

قال : وكان ممَّا يَحتجُّ به عَمرٌو عَلَى سليمانَ — عندَ اجتماعِهما بمَحْضَرِ الوزراء — أن يقولَ : لو دَلَّسْتُ فى هذا المالِ : لمَا أبقيتُ ذِكْرَه فى الديوانِ .

فكان سليمانُ يقولُ : بخِذْلاَنِ اللهِ تَرَكْتَه .

وكان عَمرٌو — فيما يقولُ أهلُ العلمِ والمَعرِفةِ فى [هذا] الزمان — : مُبرًّا من ذلك مُنَزَّهاً ؛ سِيَّماً : أنه لم يَزَلْ الغَمُّ : يَسْرِى فى قَلْبه ، ويَعمَلُ فى نَفسِه ؛ حتى أخَذَه ذُهولٌ أخْرَجَه عن حَدِّه ؛ حتى أنَّه : لقد كان يخرُجُ إلى الزُّقَاقِ حاسِراً ؛ بعدَ تلك المرُوءةِ الكاملةِ ، والنَّزاهةِ العظيمةِ .

قال خالدُ بن سعدٍ : حدَّثنى أبو العبَّاس : وَليدُ بن إبراهيمَ بنِ لَبيبٍ ؛ قال : أتيتُ عمرو بن عبدِ الله : وقد عُزِلَ عن القضاء ؛ وكان الذى سعَى فى عزلِه : هاشِمَ بن عبد العزيز ؛ من أجْلِ بَقِيِّ بن مَخْلدٍ : إذْ كانت الشهاداتُ عَلَى بَقِيٍّ عندهُ ؛ وكانت له شهوةٌ فى إنفاذِ ما شُهِدَ به على بقىٍّ . فلمَّا عُزِلَ وَلَّد عليه هاشمٌ أشياءَ : غَمَّتْه ؛ فخولِطَ فى عقله : من أجْلِ ذلك :

قال وَليدٌ : قال لى عَمرُو بن عبد الله — قبلَ استِحْكام ذلك الذُّهول فيه — : يا بُنَىَّ ؛ ما يُتَمَنَّى منه الموتُ : أشَدُّ من الموتِ ؛ ولوَدِدْتُ : أنِّى قَدِمتُ .

قال خالدُ بن سعدٍ : سمِعتُ أسلَمَ بن عبدِ العزيز : وقد نزلَ من القصرِ بالعَشِىِّ فأتاه بَقِىُّ بن مَخْلَدٍ : فخَرج عليه هاشِمٌ وعنَّفَه ، وقال له : مَهْ ؛ واللهِ : ما كانت بَيْنِي وبيْنَ عَمرٍو ، حالةٌ : موجبةٌ لعدَاوةٍ ؛ ولا سَعيتُ فى عَزلِه عندَ الأميرِ ، إلاَّ : من سَبَبِك ، ولِمَا أراه : أن يَفعلَ بك ؛ فعَلْتُ ذلك : للهِ عز وجل ؛ فأتَيتَ أنتَ اليومَ : فأفتَيتَ فى أمرِه بفُتْيا : هَدمتَ علينا ما كنّا بَنينا فى أمرِه ؛ وخالفتَ جميعَ أصحابِك : من الفقهاء ..

قال اسلمُ : وكان هاشمٌ : قد أرسلَ فى الفقهاءِ -- قبلَ ذلك — واستفتاهم فى مَسئلته ؛ فأَوْجَبُوا فيها : اليمينَ عَلَى عَمرِو بن عبدِ الله ؛ فى مَقْطَعِ الحقِّ ؛ من أجْلِ مالِ يَتيمٍ : كان قد أَوْدَعَه عندَ بعضِ مَن أَوْدَعَه ؛ وقال : لستُ أحفَظُ : عندَ مَن أودعْتُهُ ؟ . فأفتَى أهلُ العلمِ : أن يُحَلَّفَ فى ذلك .

ولم يُرسِلْ أخى : هاشمٌ ؛ فى بَقِيِّ بن مَخْلَدٍ : من أجْلِ ثِقته به؛ وظَنَّ : أنَّه لا يُخالِفُ أصحابَه فى الفَتْوَى ؛ لا سيَّما : أنَّ الحاجةَ كانتْ لِبَقِيٍّ ؛ إذا كان عَمرُو بن عبدِ الله : عَدُوَّه .

فاْجتَمع الفُقهاء فى بيْتِ الوُزراء : فأفتَوْا باليمين ؛ وأتى بَقِيٌّ بن مخلَدٍ فى آخِرِهم ، فقال : لا يمينَ عليه ؛ لأنَّ القُضاة أمْرُهم : على السَّلامةِ ؛ حتَّى يثبُتَ عليهم غيرُ ذلك ؛ والأميرُ — : إذا قدَّمَه . — : إنَّماقدمه وهوعندَه من أهلِ العدلِ .

فلما رُفِعتْ الآراء إلى الأميرِ محمـدٍ أمَرَ : أن يُوخَذَ فى أمْرِ عَمرٍو : بفُتيا بقِيِّ بن مَخْلَدٍ :

فلما عَدَّدَ أخى على بَقِيٍّ فِعْلَه ذلك ، بحَضْرَتى — قال له : أصلَحَك اللهُ ؛ كنتَ تَرْضَى لِشيخٍ مِثلى :أن يُفتِيَ على عدُوِّه بغيرِ ما يعتقِدُه : من الحق .؟ ! واللهِ : ما أفْتَيْتُه فى أمْرِه ، إلاَّ بما اْعتَقَدتُ : أنه الحقُّ ؛ فلا تَلُمْنى .

(قال أسْلَمُ) : ومكَثَ أخى هاشمٌ — بعدَ ذلك — :عاتباً على بَقِيِّ بن مخلَدٍ نحوَ الشهرينِ ؛ثم أسقطَ مُعاتبته فى ذلك .

قال محمدٌ : ثم اْستمر سليمان بن أسود : على القضاء ؛ بعد عمرِو بن عبد الله ؛ فى المرَّةِ الثانية ـ : حتى أخذَتْ منه السِّنُّ ، وظَهر فيه الهَرَمُ (١) .

فرُفِعَتْ بِطَاقةٌ إلى الأميرِ محمدٍ رحمه الله — على لسانِ عمرِو بن عبدِ الله —

---

(١) فى الأصل : الهدم . وهو تصحيف .

يقالُ فيها : إنَّ سليمانَ بنَ أسودَ : كبرَتْ سنُّه ، وضعُفَ بدنُه ؛ ولا طاقةَ له على القضاء .

فأمَرَ الأميرُ (رحمه الله) الوزراء : أنْ يبعثوا فى سليمان وعمرٍو ؛ ويُسْئَلَ عَمرٌو عن البطاقة : إن كان هو [(١)] رافِعَها ؛ ويُسْئَلُ سليمان : عمَّا يَجِدُ فى بدنه : من القُوَّةِ على القضاء .

فأحضَرَ الوزراء إلى أنفسهم الرجلين : فجلسا ؛ وكان عَمرُو بن عبدِ اللهِ : وَقُوراً ساكِناً مُتَثَاقِلاً [(٢)] ؛ وكان سليمانُ فى ضِدِّ هذه الصفةِ : كانت به هَشَاشَةٌ وحَرَكَةٌ ، وخِفَّةُ بَدَنٍ . فأخْرَجَ الوزراء البطاقة ؛ ثم قُرِئتْ على عَمرٍو ، وقيل له : أنتَ رافعها إلى الأمير ؟ . فقال : أعوذُ بالله ؛ لا — والله — : ما كتبْتُها .

فقال له سُليمانُ : إنْ كنتَ لم تَكْتُبْها — أبا عبدِ اللهِ — : فقد أمْلَلْتَها .

فقال : لا واللهِ ؛ ولا أمللْتُها ، ولا علِمْتُ بها .

فقال له سُليمان : إن كنتَ صادقاً فى نَفسِك ، فصاحِبُ البطاقةِ : وَلَدُكَ أبو عَمرٍو . واستَطَالَ عليه سُليمان : فى اللَّفْظِ ؛ فأطْرَقَ عَمرُو بن عبد الله ، واستَعْمَلَ الحِلْمَ ، والأخْذَ بالفَضْلِ .

فقال له سُليمان : وتتَغافَلُ أيضاً ، وتَتَحَلَّمُ ؛ كأنَّا لا نَعرِفُكَ ؟! .

فقال عَمرٌو : حسْبُنا اللهُ ، حسْبُنا اللهُ . ثم وَضَعَ يدَيْهِ جميعاً فى الأرضِ : ليَقُومَ ؛ فوَثَبَ سليمانُ إلى عَمرٍو — : بخِفَّةِ بدَنِه وهَشَاشَتِه . — فمَدَّ يده إليه ، ثم قال له : هاتِ يدَكَ — أبا عبد الله — : لنُقيمَكَ .

فنظر إليه عَمرٌو ، ثم رَجَعَ واستَوَى جالساً ، وقال : اللهُ المُسْتَعانُ ، اللهُ المُسْتعان ، اللهُ المُسْتَعانُ . ثم افْتَرَقا .

---

(١) فى الأصل : هذا ، ولعله مصحف عنه . (٢) بالأصل : متثاقل . وهو تحريف .

قالَ محمدٌ : قال لى أبو عبد الله محمدُ بن عبد الملك بن أَيمَنَ :

مرِضَ سُليمان بن أسودَ مَرْضَةً : أشْفَى فيها عَلَى الموتِ ؛ وكان حينئذٍ : صاحب الصَّلاةِ ؛ وكان إبراهيمُ بن قلزَمٍ : مُتَرَشَّحاً للصلاةِ . وكانت له ناحِيَةٌ من هاشمٍ : فأتاه يومَ خَمِيسٍ ، فقال له : قد تعلَمُ ما فيه سُليمانُ ، وغداً الجُمُعةُ . فكَتَب هاشمٌ إلى سُليمان بن أسْودَ ، يَسألُه : إن كان به نَهْضَةٌ للصَّلاةِ بالناس ؛ وإلاَّ فيُعلِمُ بذلك : لينظر فيمن يقومُ بالخُطبةِ والصلاةِ .

فكَتَب سُليمانُ إلى هاشمٍ : أنَا مُتَخفِّفٌ ، وبى أكثرُ من نهضةٍ .

فلمَّا كان من الغَدِ : تحامَلَ ، وأتى يَتهادى بَيْنَ اثْنَيْنِ ؛ حتى خَطَب بكلماتٍ مُختَصرةٍ .

قال محمدٌ : وسمِعتُ بعضَ رُواةِ الأخبارِ : يَحكِى عن سليمان وابن قلزمٍ — فى الصلاةِ — حكايةً مُسْتَطْرَفةً ؛ قال :

كان سليمانُ بن أسْود : يعلمُ شِدَّةَ شَهْوةِ ابنِ قلزمٍ : فى الصَّلاةِ وتَرَشُّحِه لها ؛ فلم يَشْعر سليمان يوماً من أيام الجمعة : فى ضُحَى النهارِ ؛ حتَّى استأذَنَ عليه ابن قلزمٍ : للدخول عليه . فحضَرَتْ سليمان فيه طيِّبةٌ ؛ فقال لغلامِه اخرُجْ إليه — وأنتَ تبكى — وقل له : مَوْلاى فى الموتِ ؛ ثم أدْخِلْهُ علىَّ من بعدُ . ثم اضْطَجَعَ سليمان ، وسجَّى على نَفْسِه ، وجَعَل يَسوق النَّفس : كما يفعلُ من احْتُضِرَ .

فدخل ابن قلزمٍ : فتوجَّعَ واستَعبَرَ ؛ ثم خرج من فورِه ذلك إلى هاشمٍ ، وقال : سليمان يُحَشرِجُ الموتَ ، وما أظنُّه يبلُغُ وقت الجمعة : حتى يموتَ ؛ فتدارَكْ بالكتاب إلى الأميرِ (أبقاه الله) : فإن المَقامَ — فى ضيقِ الوقت — صعبٌ .

فقال هاشمٌ : أنتَ رأيتَه بهذه الحالِ ؟

فقال : نعمْ ، هذا خُروجى من عندِه إليك .

فقال هاشمٌ : ما بعد هذا شيء ؛ ثم وضع يده ، فكتب إلى الأمير ، يُخبِرُه : أنَّ أبنَ قلزمٍ أتاه وحَكَى له : أنه دَخل على القاضى سليمان : وهو يُحَشْرِجُ ؛ وقد ضاق الوقتُ ؛ فلْيَنظُرْ الأميرُ (أبقاه الله) فى ذلك .

ففَكَّرَ الأميرُ (رحمه الله) . ساعةً — وكان : من الكمالِ ؛ بحيثُ ما عرَفتْ الخاصَّةُ والعامَّةُ . — فوقف : على أن أبنَ قلزمٍ كان يشتهى الصَّلاةَ ؛ ولم يسمع لِسليمان — قبل تلك الساعةِ — : بعلَّةٍ ولامرضٍ . فأدْركَ بنظَرِه : مالم يُدركْ هاشمٌ ؛ وعلم : أنَّ بالخبر[1] دَخَلاً . فقال لفتًى — من وُجوهِ فِتْيانِه — : أذهب الساعة ، وادخل على القاضى ، وانظرْ حالته وما هو عليه ؛ فإن وجدتَه : يتكلَّمُ ويُبينُ عن نفسه فسله[2] : إن كانت به طاقة على الخطبة والصلاة اليوم؟.

فأتى الفتى ، فدخل على سليمان ، فوجده : جالساً جلوس الصِّمةِ . فسلَّل[3] له الأمر وأعلمَه ببعض الخبر .

فقام سليمان من مقعده ذلك [فى] حضرةِ الفتَى ، وجَلَس على كُرسيٍّ ، وأمرَ : أن يُؤتَى بالماء فتوضَّأ[4] ولبِسَ ثيابَه ، وخَرَج مع الفتَى : راجلاً إلى الجامع .

ورَجَع الفتى إلى الأميرِ فأعلمَه بالقِصَّة عَلَى وَجْهِها . فقال له الأميرُ (رحمه الله) : لقد طيَّبَ سُليمانُ فى أبنِ قلزمٍ ، ولَعِبَ به كيفَ شاء . ثم ضَحِك على ذلك : ضَحِكاً عظيماً .

قال محمدٌ : وكان سليمان : قويًّا جَلْداً ، حديدَ النفْسِ : مع كَبْرَةِ السِّنِّ . وكان يَرُوحُ إلى الجامع راجلاً من دارِهِ .

قال محمدُ بن عبد الملك بن أَيْمَنَ : أخبرنى بَكرُ بن حَمَّادٍ القَسَّامُ — وكان : جاراً لسليمانَ . —

---

(١) بالأصل : «الخبر» . (٢) بالأصل: فسئله ؛ وهو مصحف عنه أو عن: «فاسأله» .
(٣) كذا بالأصل . ولعل المراد منه : أوصل .
(٤) بالأصل : يتوضأ . وهو مصحف عنه . وإلا كان بالكلام نقص .

قال : خَطَرَتْ عليه آخرَ جُمُعةٍ عاشَها ؛ فحَرَّكْتُه للرَّواح : فَخَرج معى إلى الجامع : ماشياً ؛ ثم انصرفنا . وذلك : فى دولةِ الأمير عبدِ الله (رحمه الله) ؛ والقاضى حينئذٍ : النَّضْرُ بن سَلَمَة .

قال محمدٌ : وأقامَ سليمانُ فى قضائه الثانى ، عشرة أعوامٍ : من سنةِ ثلاث وستينَ إلى سنةِ ثلاثٍ وسبعينَ .

وتُوُفِّىَ فى ذلك العام : الأميرُ محمدٌ (رضوانُ الله عليه ورحمتُه) . وكان الناسُ : يذكُرون موت الأمير : من غير أن يَصِحَّ ذلك عنه عندهم ؛ حتى خطب سليمانُ ابن أسودَ ؛ فلما بلغ ذِكْرَ الدُّعاء له : خَنَقَتْه العَبْرَةُ ، فنَعَاهُ بذلك إلى الناس : فأيقنُوا بموته .

ثم وُلِّى المُنذِرُ الأميرُ (رحمه الله) : فأقَرَّ سليمانَ بن أسودَ ، علَى القضاء .

قال لى أبو محمد قاسمُ بن أَصْبَغَ البَيانِىُّ : أقامَ سليمانُ بن أَسْوَدَ قاضياً — فى خلافةِ المنذر — : نحو أربعين يوماً ؛ ثم عزله المنذرُ ، وولى أبا مُعاوِيَةَ .

قال محمدٌ : وما أحسَبُ : أنَّه كانت لعَزْلةِ سليمانَ المرَّةَ الثانية ، عن القضاء — علَّةٌ : غيرُ كِبَرِ السِّنِّ ، وظهور الهَرَمِ[1] .

قال بعض أهل العلم : كان سُليمانُ بن أسْودَ : صَنِيعةً للأَمير عبد الله (رحمه الله) قبْلَ ولايتِه ؛ فكان سليمانُ : يَسْتَبْطِىءُ قيام دولته : طَمَعاً فى العَوْدة . فلما وُلِّىَ وأغفَله : جَعَل سليمان يُنْشِدُ فى بعض مداخِلِه عليه — مع جُملة الفقهاء : للإشْهادِ — :

لَمَّا بَلَغْنا الَّتى[2] كُنَّا نُؤَمِّلُها : صِرْنَا شُهوداً [عَلَيْهَا] مِثْلَ غُيَّابِ

قال محمد : أخبرنى بعضُ أهل العلم ، قال :

---

(١) بالأصل : الهدم . وهو تصحيف ظاهر .

(٢) بالأصل : الذى . وهو تصحيف . والزيادة : الآتية متعينة .

دَخَل ناسٌ على سليمانَ بن أسْودَ : فى الشهرِ الّذى مات فيه ؛ فسألوه : عن عُمُرِه ؛ فسَكَتَ عنهم ساعةً ، ثم دعا خادماً له : فأتَتْه ؛ فأمَرَها : أن تأتِيَه بزنفليجةٍ : كانتْ عنـده ؛ فأتَتْه بها : فاستَخرَج منها صحيفةً ؛ فرماها إلى القوِم ، وقال : اقرءوا ؛ فقرأ القومُ الصَّحيفة : فإذا فيها كتابٌ من عندالأمير هشامِ بن عبدالرحمن ، إلى قاضيه — على جِهة الجـــوفِ : فَحص البَلُّوطِ ، وما يَليـه : من تلك الجهاتِ . — : أسْودَ بن سليمانَ ؛ يأمُرُ فيه : بقَبْضِ الصَّدقاتِ : عند وُجُوبِها ، وتفْرِيقِها : على وُجُوهِها . (على مافسَّرَه فى ذلك الكتاب)؛ وفى آخر الكتاب، مَكتُوبٌ بخَطِّ القاضى أسْودَ بن سُليمانَ : « وُلد سليمان بن أسْوَد (أمتع الله به) : يومَ كذا ، من شهرِ كذا» . فعَدَّ القومُ — من وَقْتِ المَولِدِ : الّذى وُلد فيه ؛ إلى وَقْتِهم : الّذى كانوا فيـه . — : تسعة وتسعين عاماً ، وعشْرَةَ أشهرٍ . فقال لهم سُليمانُ : إنْ عِشْتُ شهرَيْن : أتْمَمْتُ مائةَ عامٍ . فماتَ فى ذلك الشهرِ : قبْلَ أن يُتمَّ المائةَ عام .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : عامرِ بن مُعاوِية اللَّخمِىِّ . »

قال محمدٌ : لما وُلِّىَ المنذِرُ (رحمه الله) الخِلافةَ : رأى الاسْتِبدالَ بسُليمانَ ؛ فاستَشارَ الوزراءَ ، فأشاروا : بزِيادِ بن زِيادٍ .

فعرَضَ المُنذرُ القضاء على بَقِىِّ بن مَخْلَدٍ : فلم يَقبَلْه .

فاستَشارَه : فى زِيادِ بن محمد بن زِيادٍ ؛ فقال له : نعمَ الحَدَثُ ! .

فسألَه : أن يُشيرَ عليـه ؛ فأشارَ عليه : بأبى مُعاوِيةَ[1] اللَّخمِىِّ — وهو :

٤٠ عامرُ بن مُعاوِية بن عبدالمسلم بن زياد بن عبدالرحمن بن زُهير بن ناشِرَةَ بن لوذان

(١) انظر تاريخ قضاة الأندلس ص ١٩ .

اللَّخمىُّ . — فقَبِلَ المُنذرُ (رحمه الله) منه ؛ ووَلَّاه قضاءَ الجماعةِ بقُرطُبَة .
فقال :

قال[محمدٌ][(١)] : حدَّثنا خالدُ بن سَعدٍ ؛ قال: سمعتُ عبدَ الله بن يونُسَ ، يقول:

كان الحبيبُ بن زيادٍ : خاصَّةً لِبَقِيِّ بن مَخْلَدٍ ؛ وكان :رجَا فى أيامِ الأميرِ المُنذرِ (رحمه الله) : أنْ يُشيرَ به لقضاءِ قُرْطُبةَ . فلمَّا شاوَرَه الأميرُ ، وأشارَ عليه : بأبى مُعاويةَ — : أتى الحَبيبُ بن زيادٍ إلى بَقِيِّ بن مَخْلَدٍ ، فعاتَبَه فى ذلك ؛ فقال له بَقِىُّ بن مخلَدٍ : لا تَلُمْنِى فيما فعَلْتُ ؛ فإنى إنَّما أشَرْتُ : بمن هو عندى أفضَلُ منك . فسكَتَ عنه الحبيب بن زيادٍ .

قال محمدٌ : قال لى أبو عبد الله محمدُ بن عبد الملك بن أيْمَنَ :

كان أبو معاويةَ اللَّخمىُّ من بنى زيادٍ ؛ وكان مسكَنُه برِيَّةَ ؛ وكانت له رحْلةٌ فى أيامِ عبد الرحمن بن الحكَم (رحمهما الله) : سمع فيها من سُحنون : بالقَيْرُوانِ ؛ ومن أَصْبَغَ : بمصرَ ؛ ومن غيرِها . وكان : من أهلِ الرِّوايةِ ؛ لا بأس به ؛ وقد سمعتُ منه ، وكتبْتُ عنه .

قال محمدٌ : وعنه كانت تُرْوى — فى ذلك الزَّمان — آدابُ القُضاةِ : من تأليفِ أَصْبَغ . وذكر بعض أهل العلم : أن روايتَه اُخْتَلَطَتْ عليه ؛ فترِك .

قال محمدٌ : وقال لى ابنُ أَيْمَنَ :

قدِمَ أبو معاويةَ قُرطُبةَ : فى آخر أيامِ الأميرِ المُنذرِ ، حتى ماتَ المُنذرِ ؛ رحمه الله .

قال خالدُ بن سعدٍ : أخبرنى أبو عُمَــر صاحبُه ؛ قال : أخبرنى أبو يحيى بن

---

(١) بالأصل : فقال . ولعل التصحيف والنقص من الناسخ أو الطابع .

خَمِيسٍ : أنه لمَّا وُلِّيَ عامر بن معاوية القضـــاء ، وقَعَد في الجامعِ — : رأى سُليمانَ بن أسْودَ : أتاه بالدِّيوانِ ؛ فلمَّا سَـــلَّمَ قال : الحمدُ للهِ الذى جَعَل عَلَى إثْرِى مثلَكَ .

فلمَّا خَرَج من عنــدِهِ سُليمانُ بن أسْودَ تَلقَّاه رجلٌ من قُريشٍ — : مِمَّن كان يُخاصِمُ عندَه قَبْلَ أنْ يُعزَلَ . — فلَبَّبَه بِردائه ، وقال : الحمدُ لله الذى جَــلاَ الظُّلمةَ ، وأخَذَ الجَوْرَ ؛ أَجِبْنِي إلى القاضى . فانْصرَف معه إلى عامر بن مُعاويةَ ، فقال له سُليمانُ : إنى مَعـزُولٌ ، وأنتَ والٍ ؛ وما فَعَلْتَ فِيَّ اليومَ : ستُكافأُ غداً بمثلِه . فَخَرَج عامرُ بن معاويةَ : عَلَى القُرشىِّ ، ودَفَعَه عنه .

قال أحمدُ بن محمدِ بن عبدِ الملكِ : حَكَمَ أبو معاويةَ لأيْدُونِ الفتَى : بالفَدَّانِ المعروفِ : بفدان أجل[1] — بعَدْوةِ الوادِى — بعدَ خُصومةٍ طويلةٍ : دارتْ فيه عندَ سُليمانَ بنِ أسْودَ ؛ كان مُتوَلِّيها محمد بن غالب بن الصَّفَّارِ ؛ فأبَى سُليمانُ: من الْحُكمِ فيها ؛ فقال يوماً لابن الصَّفَّارِ : إن هذا الرجل قد ألحَّ عَلَيَّ : فى أنْ أحكمَ له ؛ ولا أجِدُ سبباً إلىهذا : إذ لم يَتَّضِحْ لى ما أحكمُ به ؛ واللهِ : لا يأتينى منه أمرٌ أكرَهُه إلاَّ أخَّرْتُ به .

فضمَّ ابنُ الصَّفَّارِ الفتى : إلى الإمساكِ ؛ حتى عُزِلَ سُليمانُ ، ووُلِّيَ أبو مُعاويةَ . فقام عندَه ، وكان يَلْزَمُ مجلِسَه ؛ فإذا رآه أبو مُعاويةَ ، قال له : مَن أنتَ يرحمُك اللهُ ؟ . فيقولُ له : أنا محمدُ بن غالبٍ المعروفُ . يسئلُه كلَّ يومٍ : بسَلاَمةِ قلبٍ كانتْ فى أبى معاويةَ . فلم يَزَلْ محمدُ بن غالبٍ : مُتَرَدِّداً عليه فى تلك الخصومةِ ؛ حتى قَضَى له : بالفدَّان ؛ وأشهَدَ له عَلَى القَضِيَّةِ . ثم صارَ الفَدَّانُ بعــد ذلك إلى محمدِ بن غالبٍ .

---

[1]) كذا بالأصل .

ولم يَزَلْ أبو معاويةَ : قاضياً ، وصاحبَ الصلاةِ ؛ حتى ماتَ المُنذرُ رحمه الله .

قال محمدُ بن عبدِ الملك بن أيْمَنَ : سمعتُ القاضيَ أبا مُعـاويةَ : يَخطُبُ عَلَى الناسِ فى الاستِسْقاء : بخُطبةِ إرْميا التى قام بها فى بنى إسرائيلَ ؛ وكانتْ فيـه رِقّةٌ : تَسْتَميلُ القلوبَ ، وتُبكى العُيونَ .

قال خالدُ بن سَعدٍ : وكان أحمدُ بن خالدٍ ، ومحمدُ بن مِسْوَرٍ : يَصفان أبا مُعاوية : بالخيرِ والفَضلِ ؛ غيرَ أنَّ أحمد بن خالدٍ كان يَذكُرَ عنه طُرْفةً ؛ ذَكَرَ : أنه أتاه يسألُه : أنْ يُسمِعَه سَماع أصْبغَ بن الفَرَجِ ، وأنْ يَجعلَ له فيه دَوْلَةً . فلمَّا أَتَى إلى السَّماعِ : أخْرَجَ إليه الشيخُ كُتُبَ أصولِ العلمِ : من تأليفِ أصبغَ . فظَنَّ : أن الأُصولَ والسَّماعَ شيءٌ واحدٌ .

***

« ذِكْرُ القاضى : ٱلنَّضْرِ بن سَلَمَةَ الكِلاَبِيِّ . »

٤١ قال محمدٌ : ٱلنَّضْرُ بن سَلَمَةَ[١] بن وَليد بن أبى بكرٍ محمـدِ بن علىٍّ بن عُبَيْدٍ الكِلاَبِيُّ ؛ كان أصلُه : من « قبرةَ » ؛ ووُلِّىَ قضـاءَ « كُورَةِ شَذُونةَ » : والأميرُ عبدُ الله بن محمدٍ (رحمهما الله) بها ؛ فأدخَلَه ، وقَرُبتْ منه خاصَّتُه .

وكان النَّضْرُ : من أهلِ الذَّكاء ، والنُّبْل ، واليَقَظةِ .

ولمَّا وَلِّىَ عبدُ اللهِ بنُ محمـدٍ (رحمهما الله) الخلافةَ : وَلَّى النَّضْرَ بن سَلَمَةَ : قَضاءَ الجماعةِ والصَّلاةَ معاً ؛ فأحْسَنَ السِّياسةَ ، وخالَقَ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ ؛ وخَطَب : فأَبْلَغَ فى الخطَابةِ .

وأمَرَه الأميرُ (رحمه الله) : بالْتِزامِ خُطبةٍ اُستَحْسَنَها منه — وهى مَشْهورةٌ

---

(١) انظر : جذوة المقتبس ص ٣٣٦ ر ٨٤٥ .

فى النـاسِ — : فالْتَزَمَهَا طُولَ وِلاَيَتِهِ الأُولى — وكانت ولايتُه : نحواً من عشرةِ أعوامٍ . — : حتَّى حُفِظَتْ عنه ، وصارَتْ مُسَطَّرةً لوُلاَةِ القَضَاء : يَحْتَذُون عليها فى أوَّلِ مقاماتِهِم ، ومُبْتَدَإِ ولايتهم .

وكانتْ له خُطبَةٌ أُخرَى — فى الأعيـادِ — : حَسَنَةً مُهذَّبَةً ، مُشْتَمِلَةً على السُّنَّةِ .

قال محمدٌ : وذَكَرَ أحمدُ بن محمـدٍ ؛ قال : كان النَّضْرُ بن سَلَمَةَ : يَتَصَرَّف للأميرِ (رحمه الله) — فى كلِّ الأسباب — : تَصَرُّفاً كاملاً .

أخبرنى مَن أَثِقُ به : أنَّ الأميرَ (رحمه الله) كان فى السَّابَاطِ — يوم جُمُعةٍ — مُنتَظراً للصلاة : (صلاة العصرِ) ؛ فوَرَدَه كتابٌ مُؤَثِّرٌ[1] : حَرَّكَ منه ساكناً ؛ فالْتَمَسَ عبدَ اللهِ بنَ محمدٍ الزَّجَّالِيَّ : ليَكتُبَ الجوابَ ؛ فأُلْفِيَ : غائباً . فهَمَّ : بالإرسالِ فيه ؛ فقال له النَّضْرُ — وكان بحَضْرَتِه — : ما الأمْرُ الذى حَرَّكَ — من الأميرِ أصلحَه اللهُ — ما أرى ؟ . فأخبَرَه الخبَرَ ، ورَمَى إليه الكتابَ . فعَرَضَ عليه نَفْسَه : فى المُجَاوَبَةِ ؛ فأذِنَ له الأميرُ (رحمه الله) : فجَاوَبَ وأحْسَنَ ، وكَتَبَ : فأبْلَغَ . فأعْجبَ الأميرُ (رحمه الله) : بيَقْظتِه ؛ وشَكَرَ له فَضْلَ مِنَّتِه .

قال محمدٌ : وكان النَّضْرُ : عالماً بعِلَلِ الوَثَائقِ ، ومُدْرِكاً لموضعِ[2] الزَّلَلِ منها ، والإغلالِ[3] فيها ؛ يُوقِفُ الفقهاءَ عَلَى ذلك : فيُقِرُّون له : بالإصابة ؛ ويعترِفون له : بفَضْلِ الإدراكِ .

---

(١) بالأصل : كلمة مترددة بين : « موثم » و « موشم » ؛ ولعل أصلها ما ذكرنا .
(٢) بالأصل : «بموضع » ؛ ولعله مصحف .
(٣) أى : الخيانة . انظر : المختار .

والنَّضْرُ بن سَلَمةَ : أوَّلُ مَن شاوَرَ فى الأحكامِ ، محمد بن عبد الملك بن أيْمَن .

قال محمدٌ : قال لى أحمدُ بن عُبَادة الرُّعَيْنِيُّ .

كان النَّضْرُ بن سَلَمَةَ : حَسَنَ المذهبِ ، ظاهِرَ الحِلْمِ . حضَرْتُه يوماً — فى مجلسِ قضائه — : دخَل عليه رجلٌ ، فوقَف بيْنَ يدَيْه ؛ ثم قال له : يا قاضى ؛ ظلَمْتَنى وتحاملْتَ علَىَّ ؛ حَسْبُكَ اللهُ .

(قال) : فسَكَتَ عنه : حتى فَرَغ من كلامِه ؛ ثم قال له النَّضْرُ : أمَا لَوْلاَ أنَّ سَبَّكَ لم يُجَاوِزْنا إلى غيرِنا : لأحْسَنْتُ[١] الجوابَ . وأعطاه رَحْلاً : من الصَّدَقةِ ؛ فأرضاه .

فشَكَرَ له الرجلُ : فأخَذَ بِركابِه ، وأعاد القولَ بمَدْحِه .

فقال النَّضْرُ : (فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا : رَضُوا ؛ وَإِن لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا : إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ)[٢] .

قال خالدُ بن سعدٍ : سمِعتُ محمدَ بن مِسْوَرٍ ، يقولُ : سمِعتُ القاضىَ يقولُ — وهو : النَّضْرُ بن سَلَمَةَ . — وقيل له : إنَّ محمدَ بن أسْباطٍ يَقَعُ فيك ويتناولك ؛ ويجب[٣] لك : أن تَهدِمَه . فقال النضر : لا واللهِ ؛ لا أتعرَّضُ لذلك ، ولا أهدِمَ مَن بَنَاه اللهُ :

قال محمدٌ أخبرنى بعض الشيوخ ؛ قال : كان عندَنا بقُرطُبَةَ رجل يُعرَفُ : بابنِ رَحْمُون ؛ وكان : كثيرَ النادرِ والتطنيب ؛ فندَرَ فى مجلسِ النَّضرِ — عَلَى خَصْمٍ كان يُخاصِم عنده — : بنادرٍ : أضْحَكَ منه الحاضرينَ ؛ فما زادَ النَّضرُ : عَلَى أن ضَحِكَ ؛ ولم تسكنْ له عليه صَوْلَةٌ .

(١) عبارة الأصل : لاحسنت حسن الجواب وأعطى ؛ الخ . وفيها زيادة وتحريف .

(٢) اقتباس من سورة : التوبة « ٥٨ » .

(٣) بالأصل : « وقال يجب » ؛ ولعل الزيادة الموهمة : من الناسخ .

وذلك : أنَّ خَصمَ ابنِ رَحْمون قال للنَّضْرِ : إنَّ خَصمي هذا إذا خَرَجَ مِن بيْنِ يدَيْك : لا يُقلِعُ عن شَتْمِي ، وذِكْرِ أُمّي .

فقال خَصمُه : ما أُحِبُّ أن أُعطِيك شيئاً ، ولا آخُذَ منك شيئاً .

فقال ابنُ رَحْمون للقاضي : يا قاضي ؛ اقبَلوا منّي على ما أفعَلُ به ، وكذا وكذا من أُمِّه في المَنادِي ؛ فلا يرضَى : أن يَفدِيَه بأربعينَ دِرهماً .

فضَحِك وضَحِك مَن حَضَر ؛ واحتَمَلها له النَّضْرُ .

قال محمدٌ : وكان النَّضْرُ بن سَلَمَةَ : مُتصَرِّفاً في عِلمِ الأدبِ ؛ وكان — فيما بَلَغني — : رُبَّما قال من الشِّعرِ شيئاً : يخاطبُ به الأميرَ ، ومَن كاتبَه : من طبقةِ الخاصَّةِ :

وسمِعتُ بعضَ رُواة الأخبار : يحكي ، قال :

ماتَ وَزيرٌ — : من بني شُهَيْدٍ . — وتَرَكَ ابناً ؛ فرَتَاه رجلٌ بشِعرٍ ، وأتَى به النَّضرَ : فعرضه عليه . فسمع شِعراً : سَخِيفاً بَعيدَ المعاني ؛ فقال له : إنَّ ابنَ المُتوفَّى نَبيلٌ كَيِّسٌ ؛ فاذهَبْ بهذا الشِّعرِ إليه : فلعلَّه أن يَفْطِنَ : أنك أردتَ أنْ ترْثِيَ أباه ؛ فيَشكُرَ لك بذلك .

قال محمدٌ : وكان النَّضْرُ قاضياً : إلى أن أمَرَه الأميرُ (رحمه الله) : بالنَّظَرِ في المالِ المُوقفِ بالجامعِ ؛ فنظَر في ذلك ، وجَمع أهلَ العِلمِ : فاستَشارَهم ؛ فاختَلَفوا عليه . فأبَى النَّضْرُ : أن يحكُمَ : بصَرْفِه إلى بيْتِ المالِ ؛ إلاَّ : باجْتِماع أهلِ العِلمِ .

فكان فِعلُه ذلك : سَبباً لكثرة القولِ فيه عندَ الأميرِ ؛ فحُرِّفَ معناه وصُرِفَ القولُ في ذلك : إلى أسوإ الوُجوهِ . فعزَلَه الأميرُ (رحمه الله) حينئذٍ .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : موسى بن محمدِ بن زِيادِ الجُذَامِىِّ . »

قال محمدٌ : ولمَّا عزَلَ الأميرُ (رحمه الله) نَصْراً ، عن القضاء — : أُستقْضى بعده : موسى بنَ محمدِ بن زياد بن يزيد بن زِيادِ بن كَثير بن يزيدَ بنِ حبيبٍ الجُذَامِىِّ . وهو : من العربِ الشاميِّينَ ، من جندِ فِلسْطِينَ ؛ وكان أصلُه بالأندلسِ : من « كُورَةِ شَذُونَةَ » ؛ ولاَّه الأميرُ (رحمه الله) الشرْطة والرَّدَّ ؛ ونَقَله إلى الشُّرْطة العليا ثم : وُلِّىَ القضاء ؛ فصلى بالناس جُمُعةً ، واستعفَى فى الثانيةِ [١] .

٤٢

قال خالد بن سعدٍ : سمعتُ محمدَ بن عُمرَ بن لُبَابَةَ : يذكُرُ موسى بنَ محمدٍ ؛ فكان : لا يستوفيه ، ولا يحسن الثناء عليه .

غيرَ أنه كان : يصفُه بالحِلم ؛ ذكر : أنه شهِدَه : وقد أرسلَ فى رجل ؛ فلما أتاه : وَكَّل به الأعوانَ ، وأمَرَ أن لا يفارقوه ؛ حتى يَحضُرَ بوثيقةٍ : كانت عنده . فتوكَّل به الأعوان ، ومَضَوْا معه ؛ ثم عادُوا بالرجلِ — : والوُثيقةُ معه . — فرَمَى بالوَثيقةِ : فضَرَب صدرَ القاضى : موسَى بن محمدٍ . — : وكانتْ الوثيقة كبيرةً — : فأوْجَعه بها . (قال أبنُ لُبَابَة) : فلم أشكَّ : أنه سيُؤَدِّبه عَلَى ذلك ؛ فمازادَ : عَلَى أن قرأ الوثيقةَ ، وصرَفها إلى الرجل ؛ وقال له : خُذْ وثيقتَك ياجافى لم يَزِدْه على ذلك . وهذه قِصَّةٌ محفوظةٌ لموسى . يحكيها الفقهاء عنه .

قال محمدٌ : ولمَّا صارَ موسى بنُ محمدٍ إلى القضاء : حَكَم فى المالِ المْوقفِ : بما بَلَغه إليه أخْتِيارُه مما أُخْتَلَف فيه أهلُ العلم — من قبلِ ذلك — على النصرِ ابن سَلَمَةَ :

قال محمدٌ : وسمعتُ من يحكى — : من العلماء . — : أنَّ موسى بنَ زياد كان :

---

(١) انظر : تاريخ قضاه الأندلس ص ٢١ .

حسنَ السَّمْتِ ، أديباً ، ظاهِرَ المُرؤةِ ، بادِيَ الوَقارِ ؛ إلا أنَّه كان : جاهلاً عَيِياً .

حُكِي : أنه ذَكَر يوماً : محمدَ بن غالب بن الصَّفَّارِ ؛ فقال[1] : « صام رمضانَ كلَّه إلى يومِ العَرَفةِ [2] » . فأخطأ خطأيْنِ بشِعَيْنِ : تَوَهَّمَ : أنَّ فى رمضانَ يوم عَرفةَ ؛ كما فى ذى الحِجة ؛ وأدخلَ الألفَ واللامَ : فى عرَفة :

وسمعت من يحكى [عنه] : أُسمَ « مُرَّةَ » : بالألفِ ؛ واسمَ « أسماء » : بالهاء .

قال محمدٌ : وتصرف موسى بنُ زيادٍ للأمير (رحمه الله) : فى خُطَطٍ جَمَّةٍ ؛ منها : الكتابةُ ، والوِزارةُ ، وغيرُ ذلك . واستأذن للحَجِّ ؛ ثم انصرَفَ .

وتوُفِّ الأميرُ (رحمه الله) : وموسى بنُ زياد خاملٌ ؛ وذلك : أنَّه نظر فيما لايعنيا ، وتكلم فيما لم يُسْتَشَرْ فيه : من مُهمَّاتِ الأمور ، وعظيماتِ الأشياء : ممَّا تنبَنِي به الخِلافةُ ، وتقومُ به الإمارةُ . وأبطَنَ : من ذلك ؛ شيئا : فأعْقَبَه الله فى ذلك : بشَرِّ عُقْبَى ؛ وولَّاه : من ذلك ؛ ما تولَّى .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : مُحمدِ بنِ سَلَمةَ »

قال محمدٌ : ولمَّا عزَلَ الأميرُ (رحمه الله) مُوسى بنَ زيادٍ ، عن القضاء — :

٤١* اُستَقْضَى بعدَه مُحمدَ بن سلَمةَ الكلاَبيَّ ؛ وهو : أخو النَّضْرِ بن سَلَمةَ ؛ وكان : رجلاً صالحاً : فى مَذهبه ؛ فاضلاً : فى دِينه ؛ شديدَ السَّلامةِ : فى طَبْعِه ؛ مع الزَّهادةِ والتَّنَسُّكِ : لم تُحْدِثْ له وِلايةُ القضاء : تغيُّرًا فى مَلْبَسٍ ؛ ولا اكْتسابَ المالَ ، ولا بَلغَتْ به الفائدةُ : إلى اشْتِراء دارٍ . وإنما كان : يَسكُنُ بِكرَاءٍ ، فى داخِلِ المدينةِ : بقُرْبِ الجامع .

ولم تكنْ له — : من الحركةِ فى الفَهْمِ ؛ ولا : من اليَقظةِ فى الأمورِ — . ما كان لأخيه النَّضْرِ : فى ذلك .

---

(١) أى : موسى بن محمد . وفى الأصل : « فقام » ؛ وهو تصحيف .

(٢) بالأصل بعد ذلك زيادة : « ثم يوم » ؛ والظاهر : أنها من الناسخ أو الطابع .

وكان — مع ذلك — : شـديدَ السَّكينةِ ، ظاهرَ الصَّلابةِ ، راغباً فى إقامةِ السُّنَّةِ ؛ مُنْتَزِحًا عن الناسِ ، مُلْتزمًا للباديةِ . فكان : رُبما دارَ على الناس منه ، بعضُ الجفْوةِ والتَّحامُلِ : فى المُخاطَبةِ .

قال خالدُ بن سَعدٍ : سمِعتُ محمدَ بن عُمرَ بن لُبابةَ : يُثْنِى عليـه ، ويَصِفُه : بالخيرِ والفضلِ .

وقال خالدُ بن سَعْدٍ : وأخبرنى محمدُ بن هاشمٍ الزَّاهدُ ؛ قال :

أخبرتْنِى امرأةٌ صالحةٌ — : من أهل الاسْتِتَارِ . — : أنها أتَتْه إلى دارِه ، فى بعض الأيامِ — وذلك: قبلَ الظُّهرِ . — فقرعتْ عليه البابَ : فخَرَجَ إليها — وكانت لا تعرِفهُ قبـلَ ذلك — : وعلى يدهِ أثَرُ العجينِ ، كما كان يَعْجِنُ ؛ فقالتْ له : أُريدُ أنْ تُكلِّمَ القاضىَ ؛ فإن لى إليه حاجةً .

فقال لها : تقدَّمِى إلى المسجدِ الجامعِ ؛ فإنه يوافِيكِ فيه السَّاعةَ .

(قالتْ) فأتيتُ الجامعَ فرَكَعتُ ؛ ثم جَلَسْتُ : أنتظِرُ القاضىَ ؛ فلم أَلْبثْ: أنْ أتى ذلك الرجلُ — الذى خرَجَ إلىَّ : و بيديه أثَرُ العجينِ . — فجعَلَ يركعُ ؛ فسألتُ عنه : فقيل لى : هو القاضى. فلمَّا سَلَّمَ : تعرَّضْتُ إليه ، فكَلَّمْتُه فى حاجتى: فقضَاها لى .

قال خالدُ بن سَعدٍ : أخبرنى عبدُ اللهِ بنُ قاسمٍ ؛ قال : أخبرنى أبى ؛ قال : وقَفْتُ بمحمدِ بن سَلَمةَ القاضى ؛ فسألنى : أن أشترىَ له كِساءً بركان[1] .

(قال عبدُ الله) : فأمرنى أبى : أنْ أهبِطَ إلى البزَّازينَ : فى طلَبهِ ؛ فهبَطْتُ : فاشتريْتُ له كِساءً : بأربعةٍ وعشرين ديناراً ونصفِ دينارٍ ؛ ثم : أتيتُ به أبى ؛ فسارَ به إليه : فاسْتحسَنَه ، وقال : بكم هـذا الـكساءُ ؟ فقال له : يَقعُ عليك :

---

(١) كذا بالأصل .

بعشرةِ دنانيرَ . فسَبَقَ إلى القاضى : أنه ثمنُه ؛ فأخرجَ إليه عشرةَ دنانيرَ .

فلما كان بعدَ ذلك : لم يَنْشَبْ أنْ أتاه أبو يحيىَ صاحبُ الأحْباسِ [١] فقال له : إن القاضىَ يُقرِئُك السلامَ ، ويَسألُك : أن تقبِضَ الكِساء ، وتَرُدَّ العشرة الدنانيرَ ؛ فإنه : قد احْتاجَ إلى نفقتِها ، والكِساء : قد اسْتغنَى عنه .

فقال له أبى : يَرُدُّ الكساءَ ، وأنا أُعطيه الدراهمَ : ينتفِعُ بها إلى وقتٍ يَتيسَّرُ له [دفعُها] .

فأبَى صاحبُ الأحْباسِ : من ذلك .

(قال) فأنكَرْتُ ذلك ، وقلتُ : ما الذى أوْجَبَ هذا ؟ .

فقال [٢] : قد علِمَ ثمنَه : فلم يَقْبَله ، وقال : إنما ظننتُ أن ثمنَه عشرةُ دنانيرَ كما أعطيتُ ؛ فإذ [كان] ثمنُه أكثرَ من ذلك : فلا حاجةَ لى أن أتحامَلَ على الرجلِ : فى مالِه .

قال عبدُ اللهِ : وكانتْ بين أبى وبينَ محمدِ بن سَلَمةَ : محبَّةٌ ومُداخَلةٌ ؛ وكان : يختلفُ النساءُ بعضُهن إلى بعضٍ .

فأتَتْنا ابنتُه فى بعض الأيام زائرة — : وهو على القضاء — فأمَرَ أبى النساءَ أن يكسُونَها مِقْنعاً عِراقِيّاً ، فكَسَوْنَها ذلك .

فلما انصرَفَتْ من عندِنا : رأى القاضى المِقْنَعَ عليها ؛ فأنكَرَه ، وقال لها : مِنْ أيْنَ لك هذا ؟ . فوَصفَتْ له الخبرَ على وجْهِه ؛ فقال لها : يا بُنَيَّةُ ؛ ليس هذا المِقْنَعُ : من كِسْوَتِك مع أنه يَحتاجُ هذا المِقْنَعُ : إلى ثَوْبٍ من جِنسِه ، ورِداء من جنسه . ثمَّ : أمرَها بِرَدِّ المِقْنعِ ؛ ولم يَقبَله .

قال محمدُ بن عُمرَ بن لُبَابَةَ : أتيْتُ القاضىَ محمد بن سَلَمةَ ، فلم أرَ فى دَوَاتِه

---

(١) بالأصل : أحباس . وهو تحريف .

(٢) أى صاحب الأحباس . وعبارة الأصل : فقد علم الخ . وهى محرفة .

إلاَّ أقلاما مكسُورةً ؛ فأخذْتُ مع نفسى أقلاماً حِسَاناً — كانتْ عنـــدى — وبَرَيْتُها ، وأتيْتهُ بهـا ؛ فأبى قبوُلها ؛ وقال : لو كنتُ مُتَقَبِّلاً لهديَّةٍ : لقبِلْتُ هديَّتَك . وردَّها عليه .

قال : وأخبرنى سُليمانُ بن محمدِ بن أبى رَبيعٍ ؛ قال :

كنتُ أخاصِمُ عندَ القاضى : محمد بن سَلمةَ ؛ فسُعِىَ علىَّ عنده ، وأُغْرِىَ بى . فـكنتُ : إذا أتيْتُ مجلسَه : خَرَج علىَّ أمامَ الناسِ .

فشكَوْتُ ذلك إلى محمـدِ بن عُمرَ بنِ لُبَابَةَ ، وأردْتُ أنْ أسْتَعينَ به عليـه — وكان : أكْبرَ الناسِ عنـده ، وأقْرَبَهُمْ منه. — فقال لى ابنُ لُبَابَةَ : لستُ أرى : أنْ تَسْتَعِينَ عليـه بى ولا بغَيرى ؛ غيرَ أنِّى أَدُلُّكَ على حالةٍ أرجو : أنْ تَنْتَفعَ بها عنـده ، وأنْ يَرْجعَ إلى ما تُريدُ : من الحقِّ . تحيَّـنْ وقْتَ خُلْوَتِهِ ؛ فإذا صاحَ عليك : فلا تَهَبْ منه صِيَاحَه ؛ وقُلْ له عند ذلك : يا قاضىَ المسلمين ؛ اللهُ أوْلَى بك .

(قال لى ابنُ الرَّبيعِ): ففَعَلْتُ ما دَلَّنى عليه ابنُ لُبَابَةَ ، وقلتُ له ما قال لى ؛ فانْـكَسرَ عندَ ذلك ، ورَجَع عمَّا كَرِهْتُ .

قال خالدُ بن سَعدٍ : سمعتُ محمدَ بن عُمرَ بنِ لُبَابَةَ ، يقولُ :

أتيتُ — أنا والحبيبُ بنُ زيادٍ — إلى محمد بن سلمةَ : لِتَعْدِيلِ ابنِشَرَاحِيلَ (المعروفِ : بالعجيزة) ؛ فعَدَّلْناه عنده : فقام الحبيبُ بن زيادٍ ، وبَقِيتُ أناعنده . فقال لى القاضى : أباعبدِ اللهِ ؛ ما تقولُ فى القاضى : يُعَدَّلُ عنده الرجلُ — : وهو يَعرِفُه بغيرِ العدالةِ . — بأىِّ شىءٍ يأخُذ ؟ : أبِعِلْمِهِ ؟ أوْ بتعديلِ المُعَدِّلين له ؟.

(قال ابنُ لُبَابَةَ) : فقلت له : إذا عَلِمَه القاضى بالجُرْحةِ ، فذلك : أوْلى أنْ يأخذَ به ، من قولِ المُعَدِّلينَ .

فقال لى محمد بن سلَمةَ : فإنَّ هذا الذى عدَّلْتُم ، هو عندى : غيرُ عدْلٍ .

(قال) : فقلتُ له : أنتَ أحقُّ بعِلْمِك ؛ ونحنُ قد عدَّلْناه : بمَبْلَغِ عِلْمِنا ؛ ومن عرَفَ الباطنَ ، فهو : أحَقُّ ممَّن عرَفَ الظاهرَ .

قال خالدُ بن سَعدٍ : فذكَرْتُ الحكايةَ لمحمدِ بن عبدِ الملك بن أيْمَنَ ؛ فذكَرَ : أنَّ محمدَ بن سَلَمَةَ ، لم يكنْ يعرفُ ابنَ شراحيلَ : بجُرْحةٍ ؛ غيرَ أنَّ بعضَ جِيرانِنا كانتْ له خاصَّةٌ من القاضى ؛ فآذاهُ عندَه : بشىءٍ كان بيْنَه و بيْنَه .

قال محمدٌ : قال لى أحمدُ بن عُبادةَ : كنتُ يوماً ماشياً معَ محمد بن سلمةَ — : وهو على القضاء . — فلقِينا إنساناً : على رأسه غِرَارَةٌ : فيها شىءٌ مستورٌ ؛ و بيدِه كَبَرٌ[1] فأمَرَ القاضى : بكسرِ الكَبَرِ ؛ وعلِمَ ولم يَشُكَّ — : أن الغِرَارَةَ مملوءةٌ أكْباراً . فقال : أنزِلوا الغِرَارَةَ ، وانظروا ما فيها .

(فقال أحمدُ بن عُبادةَ) فقلتُ له : ما عليك : أنْ تُفتِّشَ أمتِعَةَ الناس وخَبَايَاهم ؛ إنما علَيك : أن تغَيِّرَ ما ظهَرَ : من المُنكر .

(قال) : فأمسك عمَّا أمَرَ : من تفتيشِ الغِرَارةِ ؛ ثم سِرْنا : فلقِينا محمدَ بن عمرَ بنِ لُبَابَةَ ؛ فسأله عن ذلك . فقال ابنُ لُبَابَةَ مثلَ ما قلتُ له .

(قال) : فعَطَفَ علىَّ ، فقال لى ، لقد انتفَعْنا بصُحْبَتِك — اليومَ — يا رُعَيْنِىُّ .

قال أحمدُ بن عُبادةَ : حَكى رجلٌ — كان : يخدُمُ محمدَ بن سَلمةَ ، ويمشِى معَه . قال :

قال : بيْنَما القاضى يوماً — فى بعضِ الأزِقَّةِ — : ونَظَرَ إلى سكرانَ ؛ فقال لى : خُذْه ؛ حتّى أُقيمَ عليه الحَدَّ .

فقال له السَّكرانُ : تعالَ[2] أنتَ بنفسِك — يا قاضى — : فخُذْنى ؛ واللهِ :

---

(١) فى المختار : (الكبر) — بفتحتين — : الأصف ، فارسى معرب .

(٢) بالأصل : « تعلى » ، وهو تصحيف .

لئن أخذتك(١) لأضربنَّك ضرباً وَجِيعاً .

(قال) : فصَدَّ محمدُ بن سَلَمَةَ طريقَ السَّكران، وأخذ بغيره ؛ ثم قال لى القاضى: سمعتَ ما قال ؛ والله ما أظنه إلا كان يفعل ؛ الحمد لله : الذى نجّانا منه .

وكان محمد بن سلمة — فى أول ولايته القضاء — : متحرفاً عن محمدِ بن غالبٍ [فتقابلا فى الطريق يوماً ؛ فسعى محمد بن غالب] :(٢) إلى الرجوع مع محمد بن سلَمة ، والمشى معه . فلم يقبل ذلك منه محمد بن سلمة ، وأمره بالإنصراف : استثقالاً له .

فانصرف عنه محمدُ بن غالبٍ ؛ ففى انصرافه لَقِيَ فتًى : من أصحاب الرسائل ؛ طالِباً لأثرِ القاضى : يسأل عنه ؛ وبيدِه كتاب من عند الأمير رحمه اللهُ .

فعلِمَ ابن الصَّفَّارِ : متى ورده الكتاب : لم يقم للجواب : فانصرف ابن الصَّفار فى إثْرِ الفَتَى : حتى دخل المسجد الذى فيه القاضى ؛ فوَجَد الكتاب بيده : والفتى يحركه فى المجاوَبة ؛ وقد بقى القاضى حائراً .

فلما نظر ابن سلمة إلى ابن الصفار ، قال له : ما صرفك ؟ .

فقال له : أصلحَك الله ؛ لقيتَ هذا ، فعلمتُ : أن قصده إليك ؛ فقفوت أثره لنكفيك المجاوبة ، وأصونك عن الشخوص فيها .

فأمكنه القاضى : من الجواب ؛ فأجاب عنه وأحسن . فشكر القاضى ما كان منه ، وعاد : بحسن الرأى عليه .

ولم يزَلْ محمدُ بن غالبٍ — بعدَ ذلك — : مُتَبَحْبِحاً فى دولته ، مالكاً لأمْرِه ؛ حتى تُوُفِّيَ سنةَ إحدَى وتسعينَ ، ووُلِّيَ بإثْرِه الحبيبُ .

قال محمدٌ : وكان الأميرُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ (رضى الله عنهما) : من الأئمةَ المَهْدِيِّينَ ، والخلفاء الفاضلين فى العبادةِ ؛ والمتقدِّمين فى الزَّهادةِ وكان فى أيّامه

(١) كذا بالأصل . يعنى : إن تعرضت لى وأمسكتك .

(٢) هذه الزيادة اضطررنا إلى إثباتها : لأن الكلام ناقص كما هو ظاهر .

رجلٌ من أهلِ الزُّهدِ والعبادة والفضلِ ؛ يُعْرَفُ : بالصَّيَّاد .

فسأل الأمـــيرُ (رحمه الله) يوماً ، النَّضْرَ بن سلَمَةَ ؛ فقال له : مَتَى عَهْدُكَ بالصَّيادِ ؟

فقال له : لاعَهْدَ لى به .

فقال : آهِ ؛ مِثلُكَ لا يكونُ له عهدٌ بالصياد ؟! فقمَعَه بذلك .

ثم : أُدْخِلَ عَلَى نفسه محمدَ بن سلَمَةَ ؛ فقال له : مَتَى عَهدُكَ بالصَّيَّاد ؟ .

فقال له : السَّاعة رأيْتُه فى الجامعِ ؛ فمِلتُ إليــه ، وسلَّمتُ عليــه ؛ وسألْتُه عن حالِه .

فقال له : الأَميرُ (رحمه الله) : مثلك قَرُبَ عَهده بِمثلِ الصَّيَّادِ ، وعَرَفَ حقَّه. وكان الأمير (رحمه الله) بمحمد بن سلمة ، معجباً لدينه وفضله وصحَّته ، وسلامة صَدْرِه .

قال محمدٌ : فكان محمدُ بن سَلمةَ قاضياً ما شاء اللهُ : من الأَيامِ ؛ ثم عزَلَه الأميرُ رحمه الله .

وكان السَّبب فى عزله إيَّاه : أنَّ النَّضرَ بن سَلَمَةَ : أَحَبَّ الرُّجوعَ إلى القضاء ؛ وطَمِعَ فى ذلك : لو عُزِلَ أخوه محمدٌ . فزَيَّنَ لأخيه مُكاتبةَ الأميرِ (رحمه الله) : بالاسْتِعْفاء عن القضاء ؛ فقَبِلَ منه محمدٌ ، وكَتَب : يَسْتَعْفِى . فأجابَه الأميرُ (رحمه الله) : إلى ما سألَ ؛ وعافَاهُ من القضاء كما رَغِبَ .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : النَّضْرِ بنِ سلَمةَ ؛ المرَّةَ الثَّانيةَ . »

قال محمدٌ : ولمَّا أَسْعَفَ الأميرُ (رحمه الله) : عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ (رضى الله عنهما) قاضِيَه : محمدَ بن سَلَمَةَ ؛ بما سأل : من المُعافاةِ ؛ وعزَلَه عن القضاء — : أعادَ النَّضْرَ بن سلمة إلى خُطَّةِ[1] القضاء ؛ وأقرَّ محمد بنَ سلمة : عَلَى الصلاةِ والخُطبةِ .

فكان النَّضْرُ : القاضىَ ؛ وكان محمدُ بن سَلَمَةَ : صاحبَ الصَّلاةِ .

قال محمدٌ : سمِعتُ غيرَ واحدٍ : من أهلِ العلمِ ؛ يقولُ :

كان النَّضْرُ فى المَرَّةِ الأولى : أحْمدَ منه ؛ فى المرَّةِ الثانيةِ . ولم يَبلُغْ : فى القضاء الثانى ، مَبْلغَه : فى الأوَّلِ .

قال محمدٌ : وتصرَّفَتْ الحالُ بالنَّضرِ : إلى أنْ رأى الأميرُ (رضى الله عنه) : أنْ يَسْتَوْزِرَه ؛ فعزَلَه عن القضاء ، وولَّاه الوِزارة . وجَمعَ الخُطَّتَيْنِ — : خُطة القضاء ، وخُطَّة الصَّلاةِ — لمحمدِ بن سَلَمَةَ .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : محمدِ بنِ سَلَمَةَ ؛ المرَّةَ الثانيةَ »

قال محمدٌ : أخبرنى أحمدُ بن عُبادة الرُّعَيْنِيُّ ؛ قال :

لمَّا وُلِّى محمد بن سَلَمَةَ خُطَّةَ القضاء ، بَكَى كراهيةً لما قُلِّدَ منها . وكان : رجلاً صالحاً فاضلاً ، صحيحَ المَذهَبِ .

قال محمدٌ : وقد قدَّمتُ — : من أخبارِه وذِكْرِ فضائله : فى دَوْلته الأُولى . — مالا يصلُحُ تكريرُه : فى هذا الموضعِ :

(١) الخطة : الأمر . راجع المختار .

قال محمدٌ : أخبرنى فَرَجُ بنُ سَلَمَةَ البلوىُّ ، عن محمدِ بن عُمرَ بن لُبَابَةَ — وذَكَر أيضاً خالدُ بن سَعيدٍ ، عن ابنِ لُبَابَةَ — قال :

أرسَل فىَّ القاضى : محمدُبن سَلَمَةَ ؛ فسألَنى : أنْ أَعقِدَ له كتابَ وَصيَّتِه .

(قال ابن لبابة) : فعقَدْتُها : على أنه أَوصَى بثُلثِه . ثم ذَهَب يُوَزِّعُ الثُّلُثَ على مايُوصِى به ؛ فوَزَّعَ منه مِثلَ عشرةِ دنانيرَ ؛ ثم انقطع توْزيعه .

قال ابنُ لُبَابَةَ : فقلتُ له : ثم ماذا ؟ .

قال : هذا ثُلُثِى : فيما أحسَبُ .

(قال) : فجعَلْتُ : أُجِيلُ بصرِ[ى] فى دارِه ؛ فشَعَر لى ، فقال : واللهِ : مالى فيها شىءٌ (يعنى : فى رَقَبةِ الدَّارِ) ؛ وإنَّها لإِبنِى : عارِيةً .

(قال محمد بن عمر بن لبابة) : فلَّما تُوُفِّىَ : حضَرْتُ تحصيل تَرِكَتِه ؛ فَبلَغَ : نحو ثلاثين أو خمسٍ وثلاثينَ ديناراً .

قال محمدٌ : وتُوُفِّىَ محمدُ بن سَلَمَةَ : فى أيَّامِ الأميرعبدِ اللهِ بن محمدٍ (رضى الله عنهما) : قاضياً غيرَ مَعزُولٍ .

قال محمدٌ : أخبرنى بعضُ أهل العلم ؛ قال :

لمَّا اشتد بمحمد بن سَلَمةَ مَرَضُه ، ولم يستطِعْ الخُروجَ : إلى الخُطبةِ بالناسِ يومَ الجُمُعةِ — : سأله ولَدُه : أن يكتبَ إلى الأمــيرِ ، ويسئله : أن يَسْتَخلِفَه على الصَّلاةِ .

فقال : واللهِ : ما أفعَلُ ؛ ولا أختارُ لِصلاةِ المسلمينَ ، وأشِيرُ : بتقديمه ؛ على الأميرِ — إلاَّ من يَسْتَحِقُّها ، ومن هو أهلٌ لها .

وكتب الى الأميرِ ، يشير عليه : بمحمد ابن عمر بن لُبَابة . فقَبِلَ الأميرُ (رحمه الله) رأيه ؛ وأمَرَ ابن لُبَابة : بالصلاة .

قال محمد : ذكر لى بعض رُواةِ الأخبار ؛ قال :

لمَّا مات محمدُ بن سَلَمَة : نَظَر الأميرُ عبدُ الله : فى قاضٍ ؛ وعَزَم : على أبى الغِمْرِ بن فهدٍ ؛ وأمَرَ : بالإرسالِ فيه . فكان غائباً : فى ضَيْعتِه بقَبْرَةَ ؛ وافترقَ الوُزراء ؛ وعَرَف جذْميرُ العجمىُّ .

فلمَّا خرج من القصرِ جذْميرُ : أتى أحمدَ بن محمدٍ فأعلَمَه بما كان ، وقال : عَجَباً منهم : أن يكونَ مثلك — من بيت القضاةِ — : يُطْرَحُ عنك ! ثم قال له : سأُدخِلُ[1] عنك البيِّنةَ ؛ فإن كان لك فى البَيْتِ مَن يذكُرُ ويُشِيرُ بك — : فعَلَ .

فانصرَفَ الحبيبُ : فاجْتَمَعَ مع عبدالله بن الزَّجَّالىِّ ، وتَكلم معه : فى ذلك . ثم تَكلَّمَ مع محمد بن أُمَيَّةَ ليلته تلك أيضا .

ثم أصبَحَ جذْميرُ : فدَخَل على عبد الله ، فقال له : « إنى هَمَمْتُ بالرُّجوعِ إليك : عَشِيَّة أمس ؛ غيرَ أنى كرهت تحريكك . خَرَجتُ : فوجدتُ جملةً — من المساكين — : يبكون أنفُسَهم ، ويقولون : عَزَمَ الأميرُ : أن يُوَلِّىَ ابنَ فهدٍ ؛ فإنْ ولاَّه : أكلَ أموالَنا : برَغْبتِه وحرْصِه ؛ وأنْهكَ أحباسَنا . » .

فقال الأمير : والله : إن فيه لَرَغْبةً . ثم : أدخَلَ الوُزراءَ ، فأعلمهم : أنَّ رأْيَه حالَ عن ابنِ فهدٍ . فاشارَ ابنُ الزَّجَّالىِّ : بالحَبيبِ وذَكَرَ : أنَّ ابنَ أمَيَّة أوْصى إليه ببناتِه . وأرْسَلَ : فى كتاب وَصيَّتِه ؛ فنظر إليها الأميرُ ، فأمَرَ بتَوْليته القضاءَ ؛ فوُلِّىَ .

***

---

(١) عبارة الأصل هكذا : «ساخل» ؛ ولعلها مصحفة عما ذكرنا ، أو عن : «سأحمل» .

« ذِكْرُ القاضى : الحبيب أحمدَ بنِ محمدِ بنِ زِيادٍ اللخْمِىِّ ؛
المَرَّةَ الأُولَى » .

قال محمدٌ : ولمّا تُوُفِّىَ القاضى : محمد بن سَلَمةَ ؛ أمَرَ الأميرُ (رحمه الله) محمد بن أُمَيَّةَ — صاحبَ المدينة يومئذٍ — : أن يقبض الدِّيوانَ ؛ وأن يجعَله : بمكان الحِفظِ والصِّيانةِ ؛ حتى يولى القضاء مَن يرضى ؛ فيصيرُ إلى نَظَرِه .

ففَعَل ذلك ؛ وبقِىَ الناسُ : لا قاضىَ لهم بُرهةً من الزّمان .

وكان الأميرُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ (رضى الله عنه) — فى ذلك الوقتِ — : يستشير ويَسْتَخِيرُ ، ويتكرَّرُ بالنظرِ ، ويقلِّبُ الرَّأى : فيمَنْ يقلِّدُه القضاء ؛ بعد محمد ابن سَلَمةَ .

فجَمَع الوُزراء يوماً من الأيام ، وجعلَ يُشَاوِرُهُم فى قاضٍ .

فقامَ إليه محمدُ بن أُمَيَّةَ ، فقال : أصلح اللهُ الأميرَ ؛ إنَّ الرجلَ لا يعهَدُ بوَصِيَّتِه ، ولا يأتمِنُ على ولَده ومالِه ، غيرَ أوْثَقِ الناسِ ؛ وهذه : وصيَّتى ؛ فانظُرْ : إلى مَن أسْنَدْتُها .

فقال الأميرُ : صدقتَ . ثم نَظَر إلى كتابه ، فوجَدَه : قد أسنَدَها إلى الحبيبِ ابنِ أحمدَ بنِ محمدِ بن زِيادٍ . فقبِلَ منه الأميرَ (رحمه الله) : رأيَه ؛ ووَلّى القضاء الحبيبَ بن محمدِ بن زِيادِ بن عبد الرحمن بنِ زُهَيْرٍ اللَّخْمِىَّ . وذلك : فى سنةِ إحدَى وتسعينَ ومائتَيْن .

٤٤

قال محمـدٌ : قال لى غيرُ ما رجلٍ — من عقلاء الناسِ وعلمائهم — :

كان القاضى أحمدُ بن محمدِ بن زيادٍ — المعروفُ : بالحبيبِ — : أكملَ الناسِ أدباً ، وأكثرَهم بالصَّديقِ برًّا ، وأكرمَهم عنايةً ، وأقْضاهم لحاجةٍ : فى مالِه وحُرْمَتِـه . وكان : حَسَنَ المُداراة ، لطيفاً : فى الأمورِ ؛ طَلُوباً : إذا طَلَبَ ؛ صَبُوراً على المُقارَعةِ والمُواصَلةِ .

قال محمدٌ : وذَكَر بعضُ أهلِ العلمِ ؛ قال :

لم يَزَلْ أحمدُ بن محمدِ بن زيادٍ — فى حَدَاثةِ سِنِّه — : أثِيراً عندَ الخلفاءِ (رحمهم الله) ؛ شاوَرَه الأميرُ محمدٌ — معَ الفُقهاءِ — : (فى بعضِ الأقْضِيَةِ ؛ وأُسْتَسْقَى بالناسِ فى أيامِ الأميرِ المُنذِرِ (رحمه الله) ، بَدِيلًا[1] للقاضى أبى مُعاوِيةَ — من غيرِ وِلايةٍ — : فسُقِىَ ونزَلَ الغَيْثُ .

قال محمدٌ : وكان الحبيبُ : من أوفرِ الناسِ وأمْلِئَائِهم[2] ؛ وكان بصيراً بالتَّجْرِ ، عارفاً بوُجوهِه .

قال لى بعضُ الشيوخِ : إنما كانت المِنَّةُ على الحبيبِ ـ فى مالِه ـ : للقاضى سُليمانَ بنِ أسْوَدَ ؛ فإنه كان : يُعْنَى بالحبيبِ عِنايةً شديدةً ؛ وكان الحبيب فى مُبْتَدَإ أمرِه : لا مالَ له . فدَعاه سليمانُ : فوَعَظَه ووَصَّاه : بالنظرِ لنفسه ، والاكتِسابِ لهـا ؛ وعرَّفَه : بحُرْمةِ المالِ ، وجَسيمِ مَنفَعتِه ؛ ودَلَّه : على بابِ التَّجْرِ ، وحَضَّه عليه .

فقال له الحبيبُ : إنَّ التَّجْرَ لا يكونُ إلا بالمالِ ؛ وأنا : لا مالَ لى .

فسكَتَ عنه سليمانُ أياماً ؛ ثم دَعَاه : فأوْدَعَه خمسةَ آلافِ دينارٍ ؛ وقال له : حَرِّكْها ، وأتَّجِرْ بها لِنفسِك . فكانت : نِصابَ مالِه ، ومِفتاحَ كَسْبِه .

قال محمدٌ : ولمَّا وُلِّىَ القضاءَ الحبيبُ بن أحمدَ بنِ محمدِ بن زيادٍ ـ وذلك : فى سنةِ إحدَى وتسعينَ ومِائتَيْنِ ـ : لم يَقْبَلْ الرَّأْىَ ممَّن أشارَ به عليه ، حتَّى يُقَيِّدَه على نفسِه بخطِّ يدِه . ـ فكان : أوَّلَ قاضٍ : ضمَّ أهلَ الفقهِ ، المُشيرِينَ عليه فى أقْضِيَتِه ، إلى ضَبْطِ فُتْيَاهُم ، وزِمامِ رأيِهم : بخطِّ أيْدِيهم . ـ ولم يَكِلْ ذلك : إلى خطِّ كاتبِه ، ولا : إلى خطِّ نفسِه . ثم تَكَلَّفَ ـ بعدَ ذلك ـ تأليفَ تلك الأقْضِيَةِ ، وجَمْعَ تلك الأحكام . فجَمَلَ منها أجزاء : فيها بَلاغٌ لمن نَظَرَ

---

(١) بالأصل مديلا . ولعلها مصحف عن نحو ماأثبتنا . (٢) جمع : مليء ؛ وهو : الثقة .

فيها ، ومنفعةٌ لمن أُقتبِسَ منها ؛ وهى : لا بأسَ بعلمها ، ولا تقصيرَ فى صُوَانِها[1] .

وكان : قد قَعَدَ عنه ـ فى قضائه هذا الأوّلِ الشيخانِ : محمدُ بن عُمرَ بنِ لُبَابَةَ ، وأيُّوبُ بن سليمانَ . وكانا فى وقتِهما : شَيْخَىْ البلدِ ، وعظيمَيْه . علماً وفقهاً ؛ مَعَ السِّنِّ والإجلالِ : من صَنعةِ العلم ، ومعانى الفقهِ ؛ معَ كثْرَةِ الدُّرْبةِ ، وطُولِ المِرَاسَةِ ، وقَديمِ المُعاناَة ، والرُّسُوخِ الكاملِ . فى مَذهبِ الرَّأى وطُرُقِ الفُتْيا.

فلمّا نَظرَ الحبيبُ إلى تثَاقُلهما وقُعودِهما عن إتْيانه ـ : أُسْتَغْنَى بمحمدِ بن وَليدٍ الفقيهِ ، و بمحمدِ بن عبد الملِك بن أيْمَنَ ؛ عن الشيخين : بُرهةً من الزّمانِ ، وحِيناً من الدّهرِ .

ثم سَعَى فى إصلاحِ ذلك وتألُّفِه ، عمرُ بن يَحيى بن لُبَابَةَ ـ وكان قد فَسَد فى ذلك الحينِ ، مابيْنَ الشيخينِ أيضا : محمد بن عُمرَ بن لُبَابةَ ، وأيُّوبَ بن سليمانَ . ـ فجَمَع عمرُ بينَهما : عند أسْلَمَ بنِ عبدِ العزيز ؛ وجُعِل شَرْطُهما فى الإصلاحِ : الاجتماعَ على إزالةِ محمدِ بن أيْمَنَ ، عن مَكانته عند الحبيبِ بن زيادٍ .

فدارتْ فى ذلك بينهم أحوالٌ طويلةُ الوَصفِ : على ما يكونُ بيْنَ الضِّدَّيْنِ ـ ولا ضِدَّ أكبرُ من المُزَاحمةِ والمُنَافَسةِ : فى الدَّرجة ؛ ولا سِيَّما إن جَرَيا إلى غايةٍ واحدةٍ : بأهواءٍ مختَلِفةٍ ـ واختَلَفَتْ حُظُوظُهما فى القِسْمِ ؛ فكان أحدُهما : يتطاولُ بحظِّه : من الُحرْمةِ والوجاهةِ ؛ وصاحِبُه يَتطاوَلُ : بالعلمِ والنَّباهة . وجحَدَ كلٌّ واحدٍ منهما حقَّ صاحِبه ، ولم يُقِرَّ له بما يَنْتَحِلُ ؛ ودافَعَه فيما يقولُ .

قال محمدٌ : أخبرَنى بعضُ الشُّيوخِ ؛ قال :

تَقدَّمَ رجلٌ كهلٌ إلى الحبيبِ بن زيادٍ : فشَهِدَ عنده بشهادةٍ ؛ فقال له القاضى : مُذْ كَمْ عرَفتَ هذا الأمرَ ؟ .

---

(١) كذا بالأصل . ولعل المراد: حفظها . ان لم يكن مصحفا عما يدل على التحرير والكتابة .

فأجابه الشاهدُ بجوابٍ — : أخرجَ فيه الكلامَ علىٰ وجهِ المُبالغةِ ، والرَّمْيِ إلى الغايةِ . ــ فقال له : مُذْ مِائةِ سنةٍ .

فقال له القاضى : ابنُ كَمْ أنتَ ؟

فقال له : ابنُ سِتِّين .

فقال له : فكيفَ عرَفتَ هذا الأمرَ مُذْ مِائةِ سنةٍ ؟ ! أتُرَاكَ : عرَفتَه قبْلَ أنْ تُولَدَ بأربعينَ عاماً ؟ ! .

فقال له الشاهدُ : إنَّما قلتُ ذلك علَى المَثَلِ .

فقال له الحبيبُ : إنَّ الشَّهاداتِ لا تُؤَدَّى بالمَثَلِ . ثم دَعَا للشاهدِ بالسَّوطِ : فقَنَّعَه به مراتٍ ؛ ثم قال : لو أنَّ إبراهيمَ بن حسينِ بن عاصم تحَفَّظَ مِن مِثْلِ هذا ــ : ما صَلَبَ إنساناً بغيرِ حَقٍّ .

قال محمدٌ : وكانت قِصَّةُ المَصلُوبِ ــ الذى صَلَبَه إبراهيمُ بن حسينٍ ــ : أنَّ الأميرَ محمدا (رحمه الله) حَدَثَتْ فى أيَّامِه مَجاعةٌ شديدةٌ : فكَثُرَ فيها التَّطاوُل من الفَسَدةِ ؛ لفَضلِ ما كانوا فيه : من ضُرِّ السَّنَةِ . وكثُرَ الشَّكوَى بذلك : إلى الأميرِ (رحمه الله) ؛ وكَثُرَ عليه ــ من الحكامِ ــ اسْتِطْلاعُ رأيه : فى الصَّلْبِ والقَطْعِ وما أشْبَهَ . فوَلَّى السُّوقَ ــ حِينئذٍ . ــ إبراهيمَ بن حسينِ بن عاصمٍ وأمَرَه بالاجتهادِ ؛ وعَهِدَ إليه : بالتَّحَفُّظِ ؛ وأَذِنَ له : بالتَّنْفيذِ فى القَطعِ والصَّلبِ بلا مُؤامرةٍ منه ، ولا اسْتِئْذانٍ .

فكان إبراهيمُ : يجلسُ فى مجلسِ نَظَرِه فى السوق ؛ فإذا أُوتِيَ بالفاسدِ المُفدِحِ ، قال له : اُكتُبْ وصيَّتَه[1] ؛ ودعا له بشيوخٍ : فأشهدَهم علَى ما يُوصِى به ؛ ثم صَلَبه ونَحَرَه . فكان بين يديه — : من المُصَلَّبِينَ . — عددٌ عظيمٌ .

---

(١) أى : طلب منه ذلك ، ولعله مصحف عن « وصيتك » .

فأتاه قومٌ بفتًى : من جيرانهم ؛ فشَكَوْا منه إليه تَطاوُلا ؛ على ما كون : من أشرارِ الأحداثِ . وهُمْ لايَشُكُّون : أنه سيَزْجُرُه الزَّجرَ القوِيَّ ؛ و إن أفْرَطَ فى عقابِه : بالسجن .

فقال لشيخ منهم : مايَستَحِقُّ عندَك ؟.

فقال — علَى وَجهِ المَثَلِ والمُبالغةِ فى الوَصفِ — : ما اُستَحقَّ هؤلاء . وأشارَ إلَى المُصَلَّبِينَ .

فقال له إبراهيمُ بن حسينٍ ولأصحابِه : انصرفوا . ثم قال للفتى : اكتب وصِيَّتك .

فقال له : اتق اللهَ فىَّ ؛ فإنه لم يَبلُغ ذَنْبى ، أن أستَحِقَّ القتلَ والصَّلبَ .

فقال له : بذلك شَهِدَ عليك الشُّهودُ . فقتَله وصَلَبه .

فلمَّا بَلَغ الشُّهودَ ذلك ، أتَوْه فقالوا له : لم يُشْهَدْ عندَك على الفتى بذَنْبٍ : يجبُ فيه القتلُ . فقال : أوَلَمْ يَقلْ قائلُكم : إنه يَسْتَحِقُّ مااُسْتَحقَّ[1] هؤلاء .

فقالوا له : [هذا] عَلَى المَثَلِ .

قال : فإثمُ ذلك فى رِقابِكم : إذْ لم تُحْسِنُوا الإبَانةَ من أنفُسِكم .

قال محمدٌ : بَلغَنى : أنَّ الحُبيبَ جَلَس إلى مائدتِه رجلٌ من السُّوقِ : كان له صنيعةٌ ؛ وكان السُّوقىُّ : قد أخرَج فى كُمِّه — من بيتِه — خُبزاً : يَتَغدَّاه فى حانُوتِه : فى داخلِ النَّهارِ . فخَطر بالقاضى الحُبيبِ : فى صدْرِ النهارِ ؛ فأمَرَه : بالمُقامِ ؛ حتى حَضَرتْ المائدةُ ؛ فتقرَّب الرجلُ ، وأظهرَ مُزَاحا سَمِجاً : فأخرَج خُبزَه من كُمِّه ؛ ثم قال : أمَّا أنا : فقد أتيْتُ بخُبزى معَ نفسى ؛ فمنه آكُلُ . — وكان الحُبيبُ : شَريفِ الهِمَّةِ ، شَديدَ اليَقظة . — فقال له وَيلَك ؛ إنَّ

---

(١) بالأصل : « يستحق » . وهو مصحف عنه .

إنَّ هذا الكلام و إن كان مُزَاحاً ، — . فإن عارَه يَبْقَى . ثم قال لغلامه : خذْ بَيدِه ، وأَقِمْه(١) عن المائدة ، وأَخْرِجْه ؛ فليْس مثل هذا يُسْتَخَصُّ .

قال لى عثمانُ بن محمدٍ : كان بيْنَ الحَبِيبِ بن زيادٍ — قبْلَ أنْ يَلِيَ القضاء — و بيْنَ جعفرِ بن يحيَى بنِ مُزَينٍ ، سَبَبٌ : من شَحْناء وضِغنٍ ؛ وكان جُعفرٌ : ممَّن يُصلِّى فى المَقصورةِ .

فلما وُلِّىَ الحبيبُ القضاء ، أَمَرَ بعض القَوَمةِ يوم الجُمُعةِ — إذا أتَى جعفرُ بن يحيى بن مزينٍ ، ليدخُـلَ من بابِ المَقْصُورة — : فليَسْبِقْ البابَ ، ويُغلِقْه فى وجْهِه ولا يُدخِلْه(٢) .

ففَعَل ذلك به : فقَالُ جعفرٌ إلى جانبِ البابِ : من خارِجٍ ؛ وصَـلَّى ؛ ثم انصَرَف إلى بيته . فيُقال : إنه ظهـر به يرَقانٌ ؛ فماتَ إلى الثالثِ ، وهذا فيما ذكرناه(٣) : من مُطالبَةِ الحبيبِ لِمَن شَذَّ عنه .

قال محمدٌ : ذَكَر بعضُ أهلِ العلمِ ؛ قال :

إنَّ محمـدَ بن إبراهيمَ — المعروفَ : بابنِ الجَبَّابِ . — امتَدَّ إليه رجلٌ من جيرانه ـ : وهو حَدَثُ السِّنِّ يومئذٍ ـ فنالَ منـه : بسَببِ النفسِ الذى كان يتعادى به الجيرانُ .

فتَقَدَّم محمـــدُ بن إبراهيمَ إلى الحَبيبِ بنِ زيادٍ ـ فى دَولتِه الأُولى ـ : مُشْتَـكياً بالرجل .

فأَمَرَ الحبيبُ : بحَبْسِه ؛ فشَفَع فى إطلاقه : محمدُ بن عُمَر بنِ لُبابَةَ ، وأبو صالح أيُّوبُ بن سُليمانَ ؛ وقالا له تَحبسُ رجلاً ، بدَعْوى خَصمِه ؟ !

---

(١) بالأصل : « وأقم » ؛ وهو تحريف .

(٢) بالأصل : « يدخل » ؛ والظاهر أنه محرف عنه .

(٣) عبارة الأصل « ذكر نانه » وهى مضطرب به .

فأبَى الحبيبُ : من إطْلاقه ؛ وقال : كان أَبِى وعمِّى : لا يَلْتَمِسان ـ عَلَى مَن شَكَا به أهلُ العلمِ ، ومَن يُوسَمُ بخيرٍ ـ : ظَهِيراً . ولم يُطْلِقْ الرجلَ إلا لِمَنْ حبَسه له .

قال محمدٌ : إن كانتْ هذه الحكايةُ صحيحةً ، عن الحبيبِ ـ : فهى من فلَتَاتِ الرَّأْىِ ، وعَثَراتِ الجهلِ . وما حَكَى مِن ذلك ـ عن أبيه وعمِّه ـ : فقد لا يَصِحُّ ذلك ؛ ولو صَحَّ . لم تَقُمْ له به حُجةٌ عَلَى مَذهبِ الحقِّ الذى لا يَمْتَرِى فيه بَشرٌ .

وآيةُ الصِّدقِ فى ذلك : أنَّ أفْضَلَ الناسِ : دِيناً وعِلماً ، وأدَباً ومرُوءةً — لو ادَّعَى عَلَى أحدٍ فَلْساً : لم يُعْطَ بدَعْوَاه ، ذلك الفَلْسُ . فما هو أعظَمُ من ذلك — : من الحَبْسِ والعِقابِ . — أحَقُّ أن لا يُنفَّذَ لأحدٍ بدعواه .

غيرَ أنَّ مَنْ اجْتهدَ فى الإصابةِ : فثَوَابُه مَرْجُوٌّ ؛ ووزْرُ الخطإ — الذى لا يملكه — عنه مرفوع والله المُطَّلِعُ [على] خَفِىِّ الضَّمائرِ ؛ والعالِمُ بسرائرِ النِّيَّات . وليس الخطأُ بعَيبٍ : عَلَى الرَّاسِخِ فى العِلمِ ؛ ولا الزلَلُ : منكوراً على أهلِ الفهم . قال الله تبارك وتعالى : (وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إذْ يَحْكُمَانِ فِى الْحَرْثِ : إذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ؛ وَكُنَّا بِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ؛ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ؛ وَكُلاًّ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً ٢١ — ٧٨) ؛ فشهد الله (عز وجل) لنَبيِّه سُليمانَ (عليه السلامُ) : بالإصابة ؛ ولم يذُمَّ داودَ : بالخطإ ؛ ثم : أثنَى عليهما معاً فقال تعالى : (وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وعِلْماً) .

قال محمدٌ : ولم يَزَلْ أحْمَدُ بن محمدِ بن زيادٍ ، قاضياً فى دَولته الأُولى : من سَنَةِ إحدَى وتسعينَ ومائتَيْنِ ، إلى : أنْ تُوُفِّىَ الأميرُ ؛ عبدُ الله بن محمد (رحمه الله) ؛ فلمَّا وُلِّىَ أميرُ المؤمنين (أطالَ اللهُ بقاءه) الخلافةَ — : أقرَّ أحمدَ ابن محمدِ بن زيادٍ ، على القضاء : مُدَّةً يَسيرةً ؛ ثم عزَلَه .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : أَسْلَمَ بنِ عبدِ العزيزِ[1] . »

٤٥ قال محمدٌ ؛ هوأبوالجَعْدِ أَسْلَمُ بنُ عبدِ العزيزِ بن هاشم بن خالدِ بنعبدِ اللهِ ابن حُسينِ بن جَعْدِ بن أَسْلَمَ بنِ أَبَانَ بنِ عَمْرٍو ؛ مَوْلى عثمانَ بن عفَّانَ ، رضى الله عنه . ووَلاَؤهم : لعثمانَ بنِ عفانَ ، رضى الله عنه .

كان : عظيمَ القدرِ ، شريفَ البيْتِ ؛ كريمَ الأُبُوَّةِ ، مَعروفَ النَّصِيحةِ ؛ ظاهِرَ الإخلاصِ للخلفاءِ ؛ (رضى الله عنهم) : معَ الجَلاَلةِ : فى العِلمِ ؛ والإدراكِ : فى الرِّوايةِ ؛ والرِّحْلة : فى الطَّلَبِ والصِّحَّةِ : فى الديانةِ .

سمِعَ بالأندلُسِ من عُلمائها ؛ ثم رَحَل ، فَلقِيَ بمِصرَ ؛ محمدَ بن عبدِ اللهِ ابن عبدِ الحكَمِ ، وإسماعيلَ بنِ يَحيَى المُزَنِيِّ ، ويُونُسَ بن عبد الأعلى ؛ وسُليمانَ بنِ عِمرانَ : بالقيْروانِ ؛ وذلك : فى سنةِ ستِّينَ ومائتَيْنِ .

قال خالدُ بن سعدٍ سمِعتُ أَسْلَمَ بن عبدِ العزيزِ ، يقولُ :

دخلْتُ حمَّامَ الأَصْطبلِ يوماً ؛ فلمَّا خرجتُ : لقيتُ محمدَ بن عبدِ اللهِ ابن عبدِ الحكَمِ : راكباً على حمارٍ ؛ فسلَّمَ عَلَيَّ — وكان : قد عرَفنى بسماعى منه .— فقال لى : مِن أينَ أقبلْتَ ؟ فقلتُ : من الحمَّامِ .

فقال : وأيَّ الحمامِ ؟ . قلت : حمامَ الأصطبلِ .

فقال : مِثلُكَ يدخُلُ حمامَ الأصطبلِ ؟ ! .

فقلت له : وما شأنه ؟ .

فقال لى : هو مغصوبٌ لا يَحِلُّ دخولُه . فقلت له : ومَن غَصَبه ؟ .

فقال : كان لبنى أُمَيَّةَ . فقلت له : مهما حَرُمَ عَلَى أحدٍ : فإنه لى حلالٌ .

فقال لى : وكيفَ ذلك ؟ .

(١) انظر جذوة المقتبس ص ١٦٣ ر ٣٢٢

فقلتُ له : الحَمامُ لهم ؛ وأنا مَولَى القومِ . (قال) . فضَحِكَ ابنُ عبدِ الحكَمِ .

(قال أسلَمُ) : فكنتُ إذا أتيتُ مجلسَه بعدَ ذلك — وقد كَثُرَ الناسَ فيه — قال : خَلِّفْ إلى ها هُنَا ؛ فيُدْنِيني ويُكرِمُني ؛ ويقولُ : مِن طَريقُ ذلك الطريق . يعني ابنُ عبدِ الحكَم : أنَّ وَلاءَه أيضاً : لبنى أمَيّةَ ، رضى الله عنهم .

قال محمدٌ : ولما قَضى أسلمُ بالمشرق حَجَّه وسماعَه ، انْصَرَفَ : فنالَ الوَجاهةَ العظيمةَ ، والمنزلةَ الشَّريفةَ .

وكان أميرَ المؤمنين (أطالَ الله بقاءه) : عارفاً بمَذاهِبه الحسَنةِ ، ومُرُوءَته الكاملةِ ، وأوْصافه المحمودَةِ . فلمَّا عزَلَ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ زيادٍ ، عن القضاء — : وَلَّى أَسْلَمَ بن عبدِ العزيز ، قضاءَ الجماعةِ بقُرْطُبَةَ ، سنةَ ثلاثِ مائةٍ ، يومَ الأربعاء لسبعٍ بَقِينَ من جُمادَى الآخِرَةِ . فذَكَّرَ بالسَّالمينَ : من عُيُونِ القُضاةِ ؛ إيثارَ الحَقِّ وإمضاءَه .

وكان صارماً صَلِيباً : لا هَوادَةَ عندَه لِظالمٍ ، ولا مُدَاهَنَةَ مع مُبْطِلٍ .

قال محمدٌ : أخبرني مَنْ أثقُ به : من أهلِ العلم ؛ قال : كان بقُرْطُبَةَ رجلٌ أعجميٌّ : ممَّنْ اسْتُنزِلَ من الحصُون المخالفةِ ؛ وكانتْ له امرأةٌ : حُرَّةٌ مُسْلمةٌ ؛ فاسْتجارتْ بالقاضى : أسلمَ بن عبد العزيز ؛ فأجارَها ، وبدأ : بالنَّظر في أمرِها . وكان في ذلك الوقت الحاجبُ بدرُ بن أحمدَ : يَحُلَّ من أميرِ المؤمنين (رحمه الله) محلاًّ لطيفاً ؛ فلم يَنْشَبْ القاضى أسلمُ : أن[1] أتاه يَعْلَى عن الحاجبِ بدرٍ ؛ فقال له : الحاجبُ يقرأُ عليك السلامَ ، ويقولُ لك : إن هؤلاءِ العجمَ إنما اسْتَنزَلْنَاهم بالعهدِ ؛ ولا يَحِلُّ الخفْرُ بهم ؛ وأنتَ أعلمُ بما يَجِبُ : من الوفاء

---

(١) عبارة الأصل : وأتاه .

بالعهودِ ؛ فدَعْ بيْنَ فلانٍ العجمىَ ، و بيْنَ الأَمَةِ التى فى يدَيْه

فقال أسلَمُ لِيَعْلَى : الحاجبُ أرسلك بهذا ؟ . قال : نعم .

قال : فأخبِرْه عنّى : الأيمانُ كلُّها لازِمـةٌ لى ؛ لا نظَرتُ بينَ اثنيْنِ حتى أُنفِّذَ على العَجمىِّ ما يَجبُ عليه : من الحقِّ ؛ فى هـــذه الحُرَّةِ المُسلمةِ التى فى يدَيْه .

فذهب عنه يَعْلَى ، ثم رجعَ إليه ، فقال : الحاجبُ يقرأ عليك السلامَ، ويقولُ: إنِّى لاأعترِضُك : فى الحقّ ؛ ولا أستَحِلُّ سُوآلَ ذلك منك ؛ وإنَّمـــا أسألُك التَثَبُّت فيما يَجِبُ : من حقِّ هؤلاءِ المعاهَـــدِينَ ؛ فقد علِمتَ مايَجبُ : من رِعاياتِهم ؛ وأنتَ أعلَمُ بالواجب

قال محمدٌ : وكان القاضى أسلَمُ بن عبدِ العزيزِ : شديدَ المُبايَنةِ فى الحقِّ ، قليل المُداراةِ فيه ؛ وكان : رُبَّما أَخرَجَ ذلك : بلفظٍ نادرٍ ، ومعنًى طيِّبٍ ؛ يُعْجَبُ بمعناه : من جهةِ الرَّأْى ، و يُسْتَنْدَرُ لفظُه : من جهةِ النادِرِ والفُكاهِه .

أخبرنى مخبرٌ : من أهلِ العلمِ ؛ قال :

دخَلَ أبو صالحٍ أيُّوبُ بن سُليمانَ ، وسعدُ بن مُعاذٍ — على القاضى : أسلَمَ : فلمَّا أخذا مجلِسَهما : نظَرَ إليهما أسلَمُ ، ثم قال : (أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلقُونَ[1]) ؛ فأَبْهَتَهُمَا : بنادِرِ لفظه ، و بصِدْقِ معناه .

قال : ودَخَل عليه محمدُ بن وَليدٍ الفقيهُ يوماً : فكلمه فى شئ ؛ فقال له أسلَمُ : (سَمِعْنا وعَصَيْنا ٢ — ٩٣) .

فقال له ابنُ وَليدٍ : ونحنُ قُلنا واحتَسَبْنا .

قال : ودَخَل عليه رجـلٌ — : ممَّن كانتْ له خُصومةٌ . — فقال له : قد أتيتُك برجلٍ يشهدُ لى — : من إشْبيلِيَّةَ . — يَدْخُلُ ؟

---

(١) اقتباس من سورة يونس (٨٠) والشعراء (٤٣) .

فأظهرَ التعجُّبَ من ذلك : وكأنه اتَّهمَهُ .

فلمَّا صارَ الشَّاهِدُ بينَ يدَيْه ، قال له القاضى : مُحتَسِبٌ أنتَ ؟ أو مُكتَسِبٌ ؟ .

فصادَفَ عندَ الرجل : أنفَةً ؛ فقال له : ما عليك يا قاضى : أنْ تسألنى عن مثلِ هذا ؛ إنما عَلَيَّ أن أقولَ ؛ وعليك : أن تسمعَ ؛ ثم أنتَ بالخيار : إنْ شئتَ : فاقبَلْ ؛ و إنْ شئتَ : فلا تقبَلْ .

(قال) : فأخْجَلَ أسلمَ : كلامُه وصحَّةُ معناه ؛ ثم قال : قل .

فقَصَّ الرجلُ : شهادته ؛ ثم وَضعَ يدَيه فى الأرض ، وقامَ عنه .

ومن المُسْتَفيضِ عنه ، قولُه لرجلٍ —: من أهل لَبْلَةَ . —: وقد أتاه وسلَّمَ عليه ، ثم جلَسَ ؛ ثم قال تعرفنى يا قاضى ؟ قال له : لا ؛ قال : أنا قاضى لَبلةٌ . فقال أسلمُ : ما تُنكَرُ للهِ قُدْرَةٌ .

وبَلَغَنِى : أنه بَلغَه عن بعضِ الفُقهاء : أنه يُقبِلُ إليه : ليشهَدَ عندَه شهادةً : قد أهدَى إليه صاحبُها بِساطاً . فلمَّا دَخلَ عليه ، ونزَعَ أخْفافه ، وهمَّ أنْ يَمشِيَ عَلَى البِساطِ — قال : تحفَّظْ من البِساطِ . فلم يجْسُرْ : أن يَشْهَدَ بما أتى : ليشْهَدَ فيه .

قال محمدٌ : وسمعتُ مَن يَحكى : أنه جاء رجلٌ من النَّصارَى مُسْتَقْتِلاً لنفسه ؛ فوبَّخَهُ أَسْلمُ ، وقال : وَيْلَكَ ؛ مَنْ أغرَاكَ بنفسِكَ : أنْ تقتُلَها بلا ذَنْبٍ ؟ .

فبَلَغَ من سُخفِ النَّصرانىِّ وجهلِهِ — إلى أنْ أُنتَحَلَ له فضيلةً : لم يُقرَّ(١) بمثلها ، [إلاَّ] لعيسى بنِ مريمَ ، صلى الله على محمدٍ وعليه . فقال للقاضى : وتتوَهَّمُ : أنكَ إذا قتلْتنى : أنِّى أنا المقتولُ ؟ .

---

(١) بالأصل : لم يقرا بمثلها لعيسى ، وهو تحريف .

فقال له القاضى : ومن المقتولُ ؟ .

فقال له : شَبَهِى يُلقى على جسدٍ من الأجسادِ : فتقتُله ؛ وأما أنَا : فأُرْفَعُ من تلك الساعةِ إلى السماء .

فقال له أسلمُ : إن[1] الذى تدَّعيه — : من ذلك . — غائبٌ عنا ؛ والذى يُخبرُكَ به — : من تكذيبك . — غائبٌ عنك ؛ ولكن : ثمَّ وجهٌ يظهرُ صِدْقُهُ لنا ولك .

فقال له النَّصرانىُّ : وما هو ؟ .

فالْتفتَ أسلمُ القاضى ، إلى الأعــــوانِ ؛ ثم قال : هاتُوا السَّوْطَ . ثم أمرَ : بتجْريدِ النَّصرانىِّ ؛ فَجُرِّدَ . ثم أمرَ : بضرْبه ؛ فلمَّا أخذَتْهُ السِّياطُ : جعلَ يَقْلَقُ ويصيحُ .

فقال له أسلمُ : فى ظَهرِ مَنْ : تقعُ هذه السِّياطُ ؟ .

فقال : فى ظَهْرِى .

قال له أسلمُ : وكذلك السَّيفُ — واللهِ — : فى عُنُقِك يقعُ[2] ؛ فلا تَتَوَهَّمْ غيرَ ذلك .

قال محمدٌ : فكان أسلمُ قاضياً : محمودَ السيرَةِ ، مشكورَ الحالِ ؛ من سنةِ ثلاثِ مائةٍ ، إلى آخر سنةِ تسعٍ وثلاثِ مائةٍ .

وكان صاحبُ الصلاةِ — فى تلك المدَّةِ — : محمدَ بن عُمرَ بن لُبَابَةَ .

وكان أميرُ المؤمنين كثيراً ما يَتَخَلَّفُ أسلمَ بن عبدالعزيز ، فى سَطح القصر[3] — : إذا خرَجَ فى مغازيه . ثم ألحَّ أسلمُ على أميرالمؤمنين (أطال الله بقاءه) : فى الاسْتِعْفاء من القضاء ؛ فعافاه منه .

---

(١) بالأصل : « إنى » ؛ وهو خطأ وتصحيف .

(٢) بالأصل : « تقع » ؛ وهو تصحيف . (٣) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ص ٦٣

قال محمدٌ : قال لى محمدُ بن عبدِ البَرِّ :

كنتُ بيْنَ يَدَىْ أسلَمَ جالساً : حتى أتاه الفتى من عندِ أمير المؤمنين (أعزَّه الله) : بعزْلَتِه عن القضاء ؛ (قال) : فوَجَمَ ثم أطرق ساعة ؛ ثم قال : الحمد لله : الذى عافَانى منها ؛ فطالمَا سألْتُه ذلك .

قال محمدُ بن عبدِ الله : فأكْذَبْتُ بَصيرته فى ذلك ؛ وذكَّرتُه : بكثرةِ تمَنّيهِ للعافيةِ منها .

قال لى بعضُ رُواةِ الأخبار : وكان فى ذلك الوقتِ : مُرَشحاً للقضاء ؛ رجلٌ : كان فى أبوَيْه عُجْمةٌ . فلمَّا عُزِل أسلَمُ ، ووُلِّىَ الحبيبُ — : جَعَل أسلَمُ يقولُ : « الحمدُ للهِ الذى جَعَلنى ممَّن يقولُ : لا إله إلا اللهُ » ؛ يُعَرِّضُ بالرجلِ المُرَشَّحِ : الذى كان آباؤه عُجْماً .

***

« ذِكْرُ القاضى : أحمدَ بنِ محمدِ بن زيادٍ ؛ »

« المرّةَ الثَّانيةَ . »

قال محمدٌ : قال لى بعضُ رُواةِ الأخبارِ :

وكان السَّببُ فى إعادةِ الحبيب إلى القضاء : أنه لمَّا وُلِّىَ أسلَمُ القضاءَ : أذَلَّ الحبيبَ : فى نفسِه وفى صَنائعِه ؛ واسْتَقْصَى عليهم وركِبَ إلى الحبيبِ بنفْسِه ، وهَدَم عليه حائِطَ مُنْيَتِه ، وأخْرَج منها إلى الطريق : صَفَّينِ من شجرٍ ؛ بما ثَبَتَ عندَه .

فجَعَل نفسُه الحبيبَ : [يَسعَى] فى الطلب ؛ فأولُ مابدأ : باسْتِصلاحِ أمِّ ولَدِ بدرٍ ؛ فلما أصلَحَ جانبَهَا : أصلَحَتْ له جانِبَ بدرٍ ؛ فاختَلَف إليه الحبيب مرّاتٍ ؛ ثم قال له يوماً : نَسِيتَنى ياأبا الغُصْنِ ؟! فكَرْ : فى أوْليائك ، وفى أعدائك ؛ ثم : أيْنَ

تَجْعَلُنى ؟ وأينَ تَجعلُ أسلمَ ؟

فَلَهِيَ عنه بَدْرٌ، وقال : لستُ ـ بالله ـ أغفِلُ أمْرَكَ .

ثم : تأهَّبَ أميرُ المؤمنين لغَزْوَةٍ من الغَزَوَاتِ ؛ فخرَجَ الحبيبُ : مُشَيِّعاً لِبدرٍ فقال له : إنَّ الأميرَ لا يَعرِفُكَ بالمُخالَطةِ : حَقَّ المعرِفَةِ ؛ ولكنْ : كاتِبْه فى هـذه الغَزَاةِ ، ووَالِ بالكُتُبِ ؛ ثم : إذا كان القَفْلُ : فاخرُجْ أبْدَرَ[1] الناسِ إلى التَّلَقِّى بنا .

ففَعَل : فكاتَبَ وألَحَّ بالكُتُبِ ؛ وجُووِبَ ؛ ثم خَرَجَ عنـدَ القَفلِ : فتَلَقَّى الأميرَ : على مَسِيرةِ يومٍ ؛ فأمَرَه الأميرُ : فتقرَّبَ ووَاكَبَ ؛ وأخْلَى له بَدْرٌ موضِعَ المُوَاكَبَةِ . وكان الحبيبُ : كثيرَ الخَبَرِ ؛ فاسْتَوْلَى بالحديثِ على الأمير : نَسَقاً واحداً ؛ إلى « مُنْيَةِ نَصْرٍ » ؛ فاسْتَحْيى منـه أميرُ المؤمنين ، وتَكَلَّمَ فى أمره معَ بَدْرٍ ؛ ثم ولاَّهُ ـ ذلك الوقتَ ـ : القضاءَ ؛ وأظْهَرَ إسعافَ أسلمَ بما كان يسألُ : من الاستِعفاء .

قال محمدٌ : ولمَّا عافَى أميرُ المؤمنين (أعزَّه الله) أسلمَ بن عبدِ العزيز ، وعَزَلَه عن القضاء — : أعادَ أحمدَ بنَ محمدِ بن زيادٍ إلى قضاء الجماعةِ ؛ و إلى الصَّلاةِ .

فلمَّا وُلِّىَ : تَعَنَّتَ أمناءَ أسلمَ بنَ عبـدِ العزيزِ ، وامْتَحَنَهم : فى الوَدَائعِ ؛ واضْطَرَّهم إلى إحْضار ما بأيديهم : من الأموالِ .

قال لى أحمدُ بن عُبادَةَ : فلقد سِرْتُ إلى الحبيبِ — : وهو جالِسٌ فى المَسجدِ الجامعِ : يَمتَحِنُ الناسَ ، ويَكْشِفُهم عن الأموالِ . — فجلَسْتُ ساعةً ، ثم قُمتُ عنه فى حينَ : لا يَقومُ عنه قائمٌ إلاَّ بإذْنهِ ، وبعدَ فصلٍ من أمرِه . فنظَرَ إلىَّ الحبيبُ نَظْرةً ؛ فأخبرَنى مَن كان إلى جنبه ؛ قال : ألتفتَ إلىَّ — إذ قمتُ — فقال : ما أرى على الرجلِ فى الدِّيوانِ شيئاً (يَعنِى : مالاً) ؛ قال : فقلتُ : ما أرى ذلك .

(١) عبارة الأصل : (وابدر) ؛ وهى محرفة .

قال أحمدُ بن عُبَادةَ : ولم أشعُرْ بعدَ أيامٍ : حتى أتى رسولُ ٱلقاضى ٱلحبيبِ ، يأمرُنى : بالإقبالِ إليــه ؛ فأقبلْتُ ، فقال لى : وجَدتُ لك أسماً فى الدِّيوانِ : بقبضِ مالٍ لِيتيمٍ ؛ ولم أجِدْ لك منه بَراءةً .

(قال) : فقلتُ : ألْيتيمُ حيٌّ رشيدٌ ؛ وقد أطلقْتُه من الوِلايةِ ، وبَرِئْتُ له : بجميعِ ما كان له عندى ؛ فإن أتاكَ : يَدَّعِي شيئاً — : مما كان عندى . — فهو المُصَدَّق بلا بيِّنَةٍ ولا يمينٍ .

فقال : ولا كلُّ هـذا ؛ إنَّما كرِهْتُ : أن يكونَ ذِكرُك فى الدِّيوانِ بقبضِ مالٍ : بغيرِ ذِكْرِ البراءةِ منه . ثم خرجْتُ عنه .

قال محمدٌ : ولم يزَلْ الحبيبُ : قاضياً — فى المرَّةِ الثانيةِ — وصاحبَ صـلاةٍ ؛ حتى تُوُفِّىَ : غيرَ معزُولٍ ؛ فى سنةِ أثنتَىْ عشْرةَ وثلاثِ مِائةٍ .

* * *

« ذِكْرُ ٱلقاضى : أسلمَ بنِ عبدِ العزيزِ . »

« ٱلمرَّة الثَّانيــة »

قال محمدٌ : ولمَّا تُوفِىَ ٱلقاضى أحمدُ بن محمدِ بن زِيادٍ — : أعادَ أميرُ المؤمنين (أطال الله بقاءه) أسـلمَ بن عبدِ العزيز : إلى القضاء ؛ ووَلَّى أحمدَ بن بَقِىِّ بن مَخلَدٍ : الصَّلاةَ .

فكان أسلَمُ بن عبـدِ العزيز ، صَنيعَ الحبيبِ : فى الاسْتِقْصاءِ على الأُمَناءِ ؛ فوقفَ أسلَمُ بن عبدِ العزيز ، أُمَناءَ الحبيبِ : موَقِفَ الامتحانِ والاسْتِقْصاءِ .

قال محمدٌ : وكان أسلمُ فى قضائه الثانى : قد أدركَه الوَهَنُ ، وأخذَتْ منـه السِّنُّ فانكَسَرَ بعضَ الانكِسارِ . غيرَ أنه : باقِى الفِطْنةِ ، مُجتَمِـعُ الفَهـمِ : يُقرَأُ عليه العِلْمُ ، وتُعْرَضُ عليه الكتبُ : من فُنونِ الحديثِ ، وأبوابِ الفقهِ فلا يَزولُ عنه — : من الصَّوابِ . — شىءٌ ؛ ولا يَشِذُ[1] عنه — : من المعانى . —

(١) الأصل : يشد . بالمهملة . وهو تصحيف .

ما يَشِذُّ[(١)] على مِثلِه : من أهـلِ الـكَبْرَةِ والسِّنِّ .

كان كذلك : حتى كُفَّ بصرُه ، وضَعُفَ بدَنُه ، وعَجَز عن التَّصَرُّفِ .

فعزَله أميرُ المؤمنين (أعزه الله) عن القضاء : سنةَ أربعَ عشْرةَ وثلاثِ مِائةٍ .

ثم كانتْ وفاةُ أسلمَ بعدَ ذلك ، إلى سنين : سنةَ سبعَ عشْرةَ وثلاثِ مِائةٍ .

* * *

« ذِكْرُ القاضى: أحمدَ بنِ بَقِيٍّ بنِ مَخْلَدِ بن يَزِيدَ[(٢)] . »

٤٦ قال محمدٌ : ولـمَّـا عزَل أميرُ المؤمنين (أعزه الله) أسلمَ بنَ عبـدِ العزيز ، عن القضاء ــ : وَلَّى أحمدَ بن بَقِيٍّ بن مَخْـلدٍ : قضاء الجماعةِ ؛ وأقرَّه على الصَّلاةِ : التى كان عليها . وذلك : فى سنةِ أربعَ عشْرةَ وثلاثِ مِائةٍ .

فكانتْ مذاهبُه : محمودةً ؛ وسِيرتُه : حسَنةً ؛ وهَدْيُه : جميلاً . وكان له ــ: من الوَقَارِ والإخْباتِ . ــ ما بذ[(٣)] به أهلَ زمانه ، وفاتَ فيه أهلَ عصره .

قال محمدٌ . جالسْتُ أحـمـدَ بن بَقِيّ زماناً ؛ فرأيْتُه . عاقلاً حَصِيفاً ، داهِياً أدِيباً ؛ وكانتْ له . أخلاقٌ كَرِيمةٌ وآدابٌ لَطِيفةٌ ؛ وكان يُحْسِنُ ما يُحاوِلُه : قولاً وفعلاً ؛ وكان مُجيداً : فى لَفظِه ؛ مُبِيناً : فى كلامه ؛ بَليغَ اللِّسان : فى خُطبته؛ طَوِيلَ القَلمِ . فى كُتُبه ؛ وكان : أنِيسَ المجلِسِ ، كثيرَ الحِكاياتِ .

قال محمدٌ : وسمِعتُ وَلِيَّ عهْدِ المسلمين (أبقاه الله) : وقد ذَكَر أحمدَ بن بَقِيٍّ ؛ فوَصَفَ : من صدقِه وتواضُعِه ؛ فقال ــ فيما ذَكَرــ : قال لى الحاجبُ موسى بنُ محمدِ بن حُدَيْرٍ : سألتُ أحـمـدَ بن بَقِيٍّ : عن نَسَبِه ووَلائه ؛ فقـال : وَلاؤُنا لامرأةٍ من أهلِ جَيَّانْ .

---

(١) بالأصل : نشد ، بالمهملة . وهو تصحيف .

(٢) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ص ٦٣ -- ٦٤ وجذوة المقتبس ص ١١٠ ر ١٩٧

(٣) بالأصل : بد . بالمهملة . وهو تصحيف .

(قال محمدٌ) : ثم جَعَلَ وَلِيُّ العَهْدِ (أبقاه الله) : يَعْجَبُ من صدقه و إنْصافه ؛ وقال : لو شاء : لادَّعَى أشرَفَ الأنسابِ ؛ ثم لا يَجِدُ فى ذلك مُكَذِّباً .

قال محمدٌ : ومِمَّا يحكيه النّاسُ — عن موسى بن محمدٍ الحاجبِ — أنه قال : عافانا اللهُ من أحمدَ بنِ بَقِيٍّ ؛ إنه مالَ إلى الآخرةِ وطَريقِها ؛ ولو مالَ إلى الدُّنيا : لَشَغَلَنَا بأنفُسِنا .

قال محمدٌ : ولم يزَلْ أحمدُ بن بَقِيٍّ — مذ كان فى حَداثةِ سِنِّه — : مُعظَّماً مَوْسوماً : بالخيرِ ؛ مَعروفاً : بالفضل ؛ ظاهِرَ السؤدُدِ . شاوَرَه الأميرُ عبدُ اللهِ ابنُ محمدٍ : وهو ابنُ خمسٍ وعشرينَ سنةً .

قال محمدٌ : وسمِعتُ بعضَ أهل العلمِ يَحكى ؛ قال :

أرسَلَ الأميرُ الوُزراءَ : فى أبى مَرْوَانَ : عُبَيْدِ الله بنِ يَحيىَ بن يَحيَى ؛ وفى أبى عبدِ اللهِ : أحمدَ بنِ بَقِيِّ بن مَخْلَدٍ . فشاوَرَهما : فى بعضِ الأمرِ ؛ ثم انْصَرَفا .

فلمَّا خَرَجا : جَعَلَ بِشْرُ بن سَلَمَةَ — : يُحدِّثُ أصحابَه ، ويُعْجِبُهم من تَغَيُّرِ الأحوالِ ، وتقلُّبِ الأمورِ . — فقال لهم : أتانى عُبَيدُ الله بنُ يَحيىَ — : وأنا قاضٍ : فى حياةِ بَقِيِّ بن مَخْلَدٍ . — فقال : لستُ (والله) أرْضَى : أنْ تَسْتَشِيرَنى معَ بقِيِّ بن مَخلدٍ : فى مجلسٍ واحدٍ ؛ فتَجعلَنى له نظيراً ؛ ولكنْ : إذا أردتَ شيئاً من ذلك ، فأرسِلْ فيه : فى وقتٍ ؛ وأرسِلْ فىَّ فى وقتٍ آخَرَ ؛ ولا تجمَعْنا[١] جميعاً .

(قال) : فلم يَمُتْ : حتى أرسلَ الأميرُ : فى وَلَدِ بَقِيِّ بن مَخلدٍ ، وفى عُبَيْدِ الله ؛ فشاوَرَهما : فى مجلسٍ واحدٍ .

قال محمدٌ : وكانتْ أخلاقُ أحمدَ بنِ بَقِيٍّ : من أخلاقِ أبيه (بقِيِّ بن مَخْلَدٍ)

---

(١) بالأصل : « تجمعنى » ؛ وهو تحريف .

فى المُداراة والإغضاء ، وحُسْنِ الإقبالِ : على عدُوِّه ؛ وجميـــلِ الصَّفحِ : عن ظالِمِه .

قال لى عبدُ الرحمن بن أحمدَ بن بَقِيّ : كنتُ بحضرةِ أبى : حتى أتى مَن يَحكِى عن رجلٍ : أنه رَفَع فيه بطاقةً ، إلى أميرِ المؤمنين (أعزه الله) ؛ فجَعَل : يَدعُو لذلك الرّافعِ بالتوبة ويَتَحَنَّنُ(١) عليه : من المأثَم .

قال خالدُ بن سعدٍ : أتَيْتُ أحمدَ بن بَقِيٍّ : نهارَ جنازةِ ولَدِ الحبيبِ بن زِيادٍ؛ فقـال لى : هل لكَ رأيٌ : فى السَّيْرِ إلى دارِ المُتَوَفَّى ؟ . قلتُ : نعمْ . فصحِبْتُه ؛ وخَرَج : وهو ماشٍ ــ من المَسجدِ ــ إلى دارِ الميِّتِ ؛ فلمَّا أتيْنا بعضَ الطَّريقِ ، قال : لقد آذانِى هـذا الميِّتُ ، وقد صَبَرْتُ عليه ــ إذ كان فى الدُّنيا ــ : فلم أُكافئْه ؛ وهو اليومَ : أحْوَجُ إلى أنْ أصبِرَ عليه ؛ أُشهِدُكَ : أنه فى حِلٍّ مِن كلِّ ما فَعَل بى .

قال محمدٌ : وكان أحمدُ بن بَقِيٍّ : رَءوف القلب ، رَفيقَ العقوبة . وله ــ فى مِثلِ هـذا المعنى خاصَّةً ــ أخبارٌ مُعْجِبَةٌ مُسْتَجْمَلَةٌ ؛ بخُرُوجِها عمّا عُرِفَ : من أخلاقِ الناسِ وأخبارِهم .

قال لى أحمدُ بن محمدِ بن عُمرَ بن لُبَابَةَ ، وفرجُ بنُ سَلَمَةَ البَلَوِىُّ :

حضَرْنا أحمد بن بقِيٍّ ، فى مجلسِ نَظَرِه ــ : وقد أتَتْه امرأةٌ : تُخاصِمُ زوجَها . ــ فاسْتطالَتْ عليه : بلسانِها ؛ وآذَتْه : بصَلَفِها . فنظَرَ إليها ، فقال لها : أقْصِرى ؛ وإلاَّ : عاقبْتُكِ .

فانكسرت المرأةُ شيئاً ، ثم عاوَدَت الصَّلَفَ ؛ فقال لها القاضى : أقصِرى ؛ وإلاَّ عاقبْتُكِ .

فانكسَرَتْ شيئاً ، ثم عاوَدَت الصَّلَفَ ؛ فعَطَف عليها أحمد بن بَقِيٍّ ، فجعل

---

(١) أى : يترحم . وفى الأصل : « ويتحين . المأثم » ؛ وهو تصحيف

يقول لها : أنتِ ظالمةٌ ، أنت ظالمةٌ (ثلاثا) ؛ ثم قال لها : الم أُخَوِّفْكِ من قَبْلِ هذا ؟ ! .

(قال) : فهذه كانتْ عقوبته للمرأة ـ : على صَلَفِها . ـ أنْ قال لهـا : أنتِ ظالمةٌ (ثلاثاً) .

قال لى فرجُ بن سَلَمَةَ : وكنت قد حضَرتُ مجلس أسْلَمَ : وقد أتَتْه امرأةٌ : تَسئلُ الفَرْضَ على زوجِها ؛ فقال أسلَمُ لأبى عبدِ اللهِ محمدِ بن قاسمٍ : أفرِضْ لهـا . ففَرَضَ : فأبَتْ المرأةُ من القبول ، واسْتَقَلَّتْ الفَرْضَ ؛ وقالت : ما ثَمَّ أحدٌ : يَتَكلَّمُ للهِ .

فدَعا أسلَمُ ـ لَمَّا سمِعَ صَلَفَها ـ : بالصَّوْتِ ؛ ثم أمَرَ بها : فقُنِّعَ رأسُها أسْواطاً ؛ فما زادَتْ المرأةُ : أن جعلتْ كُمَّها على رأسِها ؛ حتى فَرَغ الضرْبُ .

فلَمَّا فَرَغ : قالت[1] للقاضى : أحسنتَ يا قاضى ؛ هكذا يَفعَلُ القُضاة ! ؛ باللهِ الذى لا إلٰه إلا هو : لا قبِلْتُ هذا الفرض الذى فُرِضَ لى .

(قال) فرجُ بن سلَمَةَ : فلما شهدتُ فعلَ أحمدَ بن بَقىٍّ ، بالمرأةِ ـ : شكَرْتُه على رِفقهِ ورأفته ؛ وحكَيْتُ له ما ما فعلَ أسلَمُ بن عبدالعزيز فقال : اللهُ المستَعانُ ؛ وأسأل اللهَ التوفيقَ . وسمِعتُ النـاسَ ـ على الاستِفاضةِ ـ يقولون : لم يُقَنِّعْ أحمد بن بَقىٍّ ـ فى طُولِ أيامِه ـ أحداً : بسَوْطٍ ؛ حاشى رجلٍ واحدٍ يُسمَّى : مُنخَّلاً[2] ؛ فإنه كان شَرَّ مخلوقٍ ؛ فضَرَبه أسواطاً : فلم يبقَ أحدٌ إلاَّ شكَرَ لأحمد ابنِ بَقىٍّ ، فِعْلَه فيه .

حدثنى أصْبَغُ بن عيسى الشَّقَّاقُ ؛ قال : كنتُ مُقبِلاً يوماً مع القاضى أحمدَ ابن بَقىٍّ : حتى عَنَّ لنا سكرانُ : يمشى بين أيدينا ؛ فجَعَل أحمد بن بقىٍّ : يُمسِكُ

---

(١) بالأصل : « قال » ؛ وهو تحريف .

(٢) بالأصل : « منخل » ؛ وهو تحريف .

من عِنانِ دابّتِه ، و يترفّقُ فى سَيْرِه ؛ يرجو : أن يَغِيبَ عنه السَّكْرانُ أو يُحسّ به : فَيذهَبَ مسرعاً .

فكان كلّما تَرفّقَ القاضى : وقَفَ السَّكران ؛ حتى لم يكن للقاضى بُدٌّ : من أن يقرُبَ منه ، و ينظرَ إليه .

(قال أصبغُ) : وكنتُ أعرِفُ : كراهيةَ القاضى : أن ينتَشِبَ فى مِثل هذا ؛ ورِقّةَ قلْبِه : أن يُقرعَ أحدٌ بسوطٍ . فقلت فى نفسى : لَيْت شِعْرِى : كيف تصنعُ فى مثل هذا يا أبنَ بقيٍّ ؟ . فلما قرُبْنا من السكران[1] : عَطَفَ على القاضى ، فقال : مِسكينٌ هذا السّائرُ ؛ أراه مخبولَ العقل (قال) : فقلت له : بليةٌ عظيمةٌ . فجعل : يستغفرُ اللهَ ، و يسأله : أن يأجُرَ المُصابَ فى عَقله .

(قال أصبَغُ) : وكنت عندَه يوماً ـ أنا وكاتبُه أبن حِصْنٍ ـ : حتى أتاه رجل محتَسِبٌ ، برجلٍ : به رائحة الشراب ؛ ودعاه[2] المُحتَسِبُ . فقال القاضى لكاتبه أبن حِصْنٍ : أسْتَنْكِهْهُ . فاسْتنكَهَهُ ، فقال له : نعمْ ؛ عليه رائحةُ الشّرابِ

(قال) : فظهر بوجهه الكَرَاهيَةُ لذلك ؛ ثم قال لى : أسْتَنْكِهْهُ أنت ففعَلْتُ ، فقلت له : أجِدُ رائحةً ؛ ولا أدرِى : إنْ كانت رائحةَ مُسْكِرٍ ، أم لا ؟

(قال) : فتهَلَّلَ وجْهُه ؛ ثم قال : يُطْلَقُ ؛ فلم يَثْبُتْ عليه شيءٌ .

قال محمدٌ : وقد قدّمتُ عُذرَ مَن أغضى عن حَدِّ السَّكران ـ : من القُضاةِ ـ فى باب : ذِكرِ محمد بن زيادٍ القاضى[3] ؛ فأغْنَى عن ذِكْرِه : فى هذا الموضع .

قال محمدٌ : أخبرنى بعض إخوانى ؛ قال : كنت حاضراً عندَ أحمدَ بن بَقى : فأمَرَ : بحبْسِ رجلٍ ؛ ثم قال مَن بيْنَ يدَيْه (سِرًّا) : أُطْلُبُوا إلىَّ : فى إطْلاقه .

---

(١) بالأصل : زيادة كلمة : « نعما » ؛ ولعلها مصحفة أو زائدة .

(٢) أى : تركه . وبالأصل : « ودعا » ؛ والنقص من الناسخ أو الطابع .

(٣) صفحة : ٨٩

فجعل القومُ : يطلُبون إليه ؛ فأسْعَفَهم ؛ وقال المأمورِ بحبسِه : لولا طَلِبَةُ مَن حَضَر إلىّ : لَحَبَسْتُك .

قال لى عبدُ الرحمن بن أحمد بن بَقِىّ :

وكان : إذا طَرَقَه ضيفٌ ليلاً ، لم يَذبحْ له شيئاً : من الطّائرِ ؛ وقال : اللّيلُ أمَانٌ لهـا . ويَقتَصِرُ : على العسل ، والسمن ، والبيضِ ، وما شا كل ذلك ؛ فيُقرِّبُه إلى الضّيْفِ .

قال محمدٌ : وكان : حَسَنَ الانتقادِ والفِطنةِ : فى الوثائق ؛ كان : لا يُوَقِّعُ شهادتَه فى وثيقة : حتى يَقرأَ جميعَها من أوَّلها إلى آخرِها ؛ وكان يصبرُ على ذلك : وإن كان قائماً على قدمَيْه .

قال لى أحمدُ بن عُبادة الرعينُّى : كتَبْتُ لنفسى وَثيقةَ على رجلٍ : بمالٍ ؛ وذكرتُ فى الوَثيقة سبباً : اضطُرِرْتُ فيها إلى ذِكرِه ؛ وكانتْ الوثيقة ـ : بذكرِ ذلك السَّببِ . ـ واهيةً . وأرسلتُ شريكاً لى : ليُوَقِّعَ فيها الشهادات على الرجل .

(قال) : فأَتىَ بالوثيقة إلى أحمد بن بَقِىّ : ليَشهدَ فيها . فلمّا قرأها ، ووَقَف على وهَنِها ـ : كرِهَ أن يُوَقِّعَ شهادتَه : على ذلك الوهَنِ ؛ وكرِهَ أن لا يُوَقِّعَ شهادته : فيَسخط الصديقُ بانقباضه عنه ؛ وكرِهَ أن ينبه المشهودَ عليه : بوَهنِها .

(قال) : فرَفَع رأسه إلى الرجلِ ، فقال له : أتشهدُنى : أنَّ لفلانٍ عندَكَ كذا وكذا مثقالاً ؛ إلى أجل كذا وكذا ؟ ! . قال له : نعم ؛ فعقدَ شهادتَه : على هذا اللفظِ بعَيْنِه ، لا غيرِ .

قال محمدٌ : قال لى بعض رواةِ الأخبار :

كان محمـد بن إبراهيم بنِ الجَبّابِ : صاحبَ الوثائق ؛ فأمَرَ أحمـد بن بقىّ : بالتعقّبِ عليه ؛ فكان يُتعَقّبُ .

فجعل ابن الجبّاب يوماً ، يقول : مِن أيْنَ يتعاطى ابنُ بقىّ : أنه أعلمُ بالوثائق منى ؟ .

فبلغ لفظُه ابنَ بقيٍّ ؛ فسكتَ عنه : حتى كتبَ وثائقَ ، ثم أتى بها أحمد بنَ بقيٍّ للعَرْض ؛ فاستَفْرَغَ ابن بقيٍّ فيها جهده : حتى أخذَ عليه مَواضِعَ : أبانها لَهُ ؛ ثم قال له : أبْدِلْها . فأبدلها ؛ ثم أتى بها : فانتقد عليه أيضاً فيها .

فأرسل إليه ابن الجَبّابِ : أنا أُقِرُّ لك : أنك أعلم بها منّي ؛ وأشهد بذلك لك ؛ فدَعْني من كثرة هذا الكشف والبحث ؛ وإلا : حلفتُ أن لا أكتب وثيقةً .

فتركه ابن بقيٍّ — بعد ذلك — وسامحه .

قال لى أحمدُ بن عُبَادةَ : وكنتُ عندَ ابنِ بَقيٍّ يوماً : وعندَه رجلٌ : غيرُ نَبيهِ الاسمِ ، ولا مشهورِ العدالة — ولم يكُنْ عندَه غيرُنا — وجَعَل رجلٌ : (دَخَل عليه) ؛ يقولُ له : أشهِدْ لى : أبا عُمَرُ وأبا فُلَانٍ — : الرجلَ الثانيَ الذى كان معي جالساً . — وجَعَل ابنُ بَقيٍّ : يَلُوذُ له عن الإجابةِ ؛ وألَحَّ عليه الرجلُ إلْحاحاً شديداً .

(قال أحمدُ بن عُبَادةَ) : فقلتُ فى نفسى : أتُراه يجعَلُنى نظيراً لهذا الجالسِ : فيُشهِدَنا جميعاً على شيءٍ يحكُمُ به ؟! .

(قال) : فرفع رأسه إلى الطالبِ ، فقال له : إنى أعرِفُ انقِبَاضَ أبى عُمَر عن هذه الشّهاداتِ ؛ ولكنْ أدخِلْ إلىَّ فلانا : أُشهِدْه مع أبى فُلانٍ وأمَرَ : بإدخالِ رجلٍ : من شاكِلةِ الرجلِ الجالسِ .

قال محمدٌ : وكان شأنُ أحمدَ بنِ بَقيٍّ — فيما يَتخاصَمُ عندَه فيه — : أنْ يُنَفِّذَ الظّاهرَ البَيِّنَ : من الأمورِ ؛ ويَسْتَعْمِلَ الأناةَ والتُّؤَدَةَ : فيما التَبَسَ عليه وكان عندَه فيما شَكٌّ — [أن يتوَقَّفَ عن الحُكمِ ، ويَنتَظِرَ] : حتّى تظهرَ الحقيقةُ ؛ أو : يصيرَ المتخاصِمانِ إلى التَّصالُحِ والتَّراضِى .

قال لى عبد الرحمن بنُ أحمدَ بنِ بَقِيٍّ :

أتى رجلٌ إلى القاضى ، فقال له إنَّ بعضَ رجالِ أميرِ المؤمنين (أعزَّه اللهُ) ذَكَرك فى مجلسِه : بلينِ الجانبِ ، والتَّطْويلِ فى الأحكام فقال : أعوذُ بالله من

لينٍ : يُؤَدِّى إلى ضُعفٍ ؛ ومن شِـدَّةٍ : تَبْلُغُ إلى عُنْفٍ : ثم جَعَل يذكُرُ فسادَ الزَّمانِ ، واخْتِيالَ[1] الفُجَّارِ ؛ وما يحدُثُ : من الأمورِ المشتبهةِ : التى لاتتبيَّنُ له حُقيقتُها ، ولا يُـكشَفُ له وَجْهُها . ثم قال : قد اشْتَبَه على عمرَ بن الخطَّاب (رضى الله عنه) خُصومةُ قومٍ : طالَ نظرُه فيها ؛ فـكَرِه : أن يحكمَ مع الاشتباه ؛ فأمرهم : بابتداءِ الخصومة من أوَّلِها :

قال محمدٌ : وذَكَرلى بعضُ أهلِ العلمِ ؛ قال :

اُختَصَم إلى أحمد بن بَقِيَّ رجلان ؛ فَنظر إلى أحدِهما : يُحْسِنُ مايقولُ ؛ ونظر إلى الآخر لايدرى مايقول ؛ وأراه : تَوَسَّمَ فيه مُلازمةَ الحقِّ ؛ فقال له : ياهذا : لو قَدَّمتَ مَن يتكلمُ عنك ؛ وأرى صاحبَك يَدْرى مايتكلَّمُ .

فقال له : (أعزك اللهُ) ؛ إنَّما هو الحقُّ : أقولُه كائناً .

فقال : ما أكثرَ مَن قَتَلَه قولُ الحقِّ .

قال : (وأتاهُ) رجلٌ يوماً ، فقال له : ياسيِّدى ؛ الحاجِبُ موسى بنُ محمدٍ : يقرأُ عليـكَ السلامَ ، ويقول لك : قد عرَفتَ مَحبَّتى لك ، وشملِى[2] بجميع أسبابك ؛ وقد دارَ عندَك على يحيَى بنِ إسحاقَ ، ماقد علمتَ : من المُخاصَمةِ ؛ وقد شهِدَتْ عندك البيِّنةُ العُدُولُ : وتَأَنَّيْتَ عن الحُـكمِ عليه ، وعن إنفاذِه : بما شهِدَتْ به البيِّنةُ .

فقال للرجلِ : تُبلِغُ الحاجبَ عنى السلامَ ؛ وتقول له : إنَّ مَحبَّتَنا إنَّما كانتْ : للهِ ولِوَجْهِه ، ويحيَى بنُ إسحاق وغيرُه : فى الحقِّ سواءٌ ؛ وقد دَخَل عَلَىَّ ارْتيابٌ ؛ ولاواللهِ : ما أحكُمُ على يحيى بن إسحاقَ ، بشىءٍ : حتَّى يتَّضِحَ عندى أمْرُه بنورٍ : كاتِّضاحِ الشَّمسِ فى الدُّنْيا ؛ فإنَّه لايُجيرُنى أحدٌ من يحيَى

---

(١) بالأصل : « واختيال » . وما أثبتنا هو المناسب .

(٢) بالأصل : «وشحى »؛ ولعله مصحف عن نحو ما ذكرنا .

ابن إسحاق : إنْ جافانىَ الْخصومةَ بيْنَ يدَىْ ٱللهِ .

(قال الرجُل المرسولُ) : فحَـكَيْتُ كلامَ القاضى للحاجبِ : وهو ساكِتٌ لا يقولُ شيئاً ؛ وأبو عمرَ (أخوه الوَزيرُ) يُبدى ويُعيدُ فى ذلك. ثم تَحَوّلَ إليه الحاجبُ ، فقال له : ٱلقاضى (واللهِ): رجـــلٌ صالحٌ ؛ لانَزالُ بخيرٍ : ما كان هو وشِبْهُه بيْن أظْهُرِنا ؛ ولم نزَلْ بيَحْيى بن إسحاقَ : إن لم[1] نكنْ نأمَنُ هذا ، ونطمَئِنُّ إليه ؛ واللهِ . ما زادَه عندى إلا محبَّةً واعتقاداً .

قال محمدٌ : وكان أميرُ المؤمنين (أعزَّه اللهُ) : واثقاً به ، ومُجلاًّ له ، وعارِفاً بحقِّه . ولم يُعزَلْ عن القضاء : حتّى تُوُفِّيَ سنــةَ أربعٍ وعشرينَ وثلاثِ مِائةٍ ؛ وهو ابنُ ربعٍ وستينَ سنةً .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : أحمدَ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ أَبى طالبٍ ٱلأَصْبَحِىِّ[2] . »

قال محمدٌ : ولمّا تُوفِّيَ أحمدُ بنُ بَقِيٍّ ٱسْتقْضَى بعدَه أميرُ المؤمنين (أعزَّه اللهُ) :

٤٧ أحمدَ بنَ عبـدِ اللهِ بنِ أبى طالبٍ : غُصنِ بن طالبِ بن زِيادِ بن عبدِ الحميدِ بن الصَّبّاح بن يَزيدَ بنِ زِيادٍ الأَصْبَحىِّ ؛ وأدخَلَه عَلَى نفسِه ، وعَهِدَ إليه : بما يَعْهَدُ بمِثْلِه أئمةُ ٱلعدْلِ ، ووُلاةُ الحقِّ : من إعْظامِ الْخطبةِ وصِيانتِها ، وإيثارِ الحقِّ وإمْضائه ؛ وتَنْفيذِ الأمورِ إذا ٱسْتَبانَتْ ؛ والأَناةِ فيها : إذا ٱشْتَبَهتْ ؛ ووَقْفِه عَلَى حُدُودِ القضاءِ وسِياسَةِ الأحكامِ ؛ وما يَجبُ للقاضى وعليه — فى كلِّ حالٍ — : قولاً وفعلاً .

---

(١) بالأصل : « ألم » ؛ وهو محرف فتأمل .

(٢) فى تاريخ قضاة الأندلس ص ٦٣ « الأصبح » .

ووَلَّى أميرُ المؤمنين (أعزَّه اللهُ) — عندَ ذلك — الصَّلاَةَ : محمدَ بنَ أَيْمَن .
وكان أحمدُ بن عبدِ اللهِ : قاضِىَ الجماعةِ ؛ ومحمدُ بن عبدِ الملكِ بن أيْمَنَ .
صاحِبَ الصَّلاةِ .

قال محمدٌ . وكان أحمدُ بن عبدِاللهِ : شَرِيفَ ٱلبَيْتِ ، نَبيهَ الاسمِ ؛ صَمُوتاً ، وَقُوراً ، مَهِيباً ؛ قد تَأَدَّبَ فى القضاء ، وجَرَّبَ الأمورَ ، ومِنْ قبْلِ ذلك — : فى مُبتدإِ أمرِه . — كان : قد وَلاَّه أميرُ المؤمنين : السُّوقَ ، والنَّظَرَ فى أموالِ بعضِ كَرَائِمه ؛ وقَلَّدَه أسْبابَ الأماناتِ : فى بعضِ الكُورِ ؛ ووَلاَّه : قضاء كُورَةِ إلْبيرةَ . فكان بها : حتى نَقلَه أميرُ المؤمنين (أعزَّه اللهُ) : إلى قضاء الجماعةِ بقُرطُبَةَ ؛ فكان قاضياً : سَنتَيْنِ وشُهوراً ؛ ثم تُوُفِّى : فى ذى الحِجَّةِ : سنة سِتٍّ وعشرينَ وثلاثِ مِائةٍ .

* * *

« ذِكْرُ ٱلقاضى : محمدِ بن عبدِ ٱللهِ بن أبى عيسَى[1] . »

قال محمدٌ : ولما تُوُفِّىَ أحمدُ بن عبد الله بن أبى طالب : أمَرَ أميرُ المؤمنين (أطالَ اللهُ بقاءه) : باسْتِقْدامِ محمدِ بن عبدِ اللهِ بن أبى عيسى : كَثيرِ بن وسْلاسِ المَصْمُودِىِّ ؛ وكان قاضياً عَلَى كُورَة إلْبيرةَ قبلَها ؛ وأتى محمدُ بن عبدِ اللهِ بن أبى عيسى ؛ بابَ أميرِالمؤمنين (أعزَّه اللهُ) وأدخَلَه : عَلَى نفسِه ، وشافَهَه بالخِطَاب ، وأعلَمَه : باخْتِيارِه إيَّاهُ ؛ ووَلاَّه : قَضاءَ الجماعةِ ؛ وعَهِدَ إليه ، ووَعَظَه ووَصَّاه .

٤٨

قال محمدٌ : قال لى أبو عُمَر أحمدُ بنُ عُبادَةَ الرُّعَيْنِىُّ :
«وَصَفَ لى ٱلقاضى : محمدُ بن عبدِاللهِ بن أبىعيسى ؛ وما خاطَبَه به أميرُ المؤمنين

---

(١) انظر تاريخ قضاة الأندلس ص ٥٩ — ٦٢

(أعزّه اللهُ) ـ إذ ولاّهُ القضاءَ ـ : من عهدِه إليه ، ووَعْظه له ، ووَصيَّته إيّاه ؛ وما حَدَّ له فى ذلك : من الحُدُود ؛ ورَسَمَ له : من الرُّسُوم ؛ وما فَقَّهَهُ فيه : من أسْباب القضاء ؛ ووَقَّفَهُ عليه : من وُجُوه الأَحْكامِ . »

(قال أحمدُ) : فقلتُ : لو أنَّ أباكَ كان حيًّا ، واجْتَهدَ فى عِظَتِكَ ـ : ما بَلَغَ : من النُّصْحِ لك ؛ هذا المَبْلَغَ » .

قال محمدٌ : وأقرَّ أميرُ المؤمنين (أعزّه اللهُ) محمدَ بن عبدِ الملكِ بن أَيْمَنَ : عَلَى الصَّلاةِ ؛ زماناً . فكان محمدُ بن أبى عيسى : القاضىَ ؛ وابنُ أَيْمَنَ : صاحِبَ الصَّلاةِ ؛ حتّى ضَعُفَ بَدَنُ ابنِ أَيْمَنَ ، وذَهَبَ قُوَاه ؛ فاسْتَعْفَى من الصلاةِ : فعُوفِىَ ؛ وجَمَعَ أميرُ المؤمنين (أبقاه الله) الخُطَّتَيْنِ جميعاً ـ : القضاءَ ، والصَّلاةَ ـ لمحمدِ بن أبى عيسى .

قال محمدٌ : ومِن قَبْلِ ذلك، لم يَزَلْ محمدُ بن عبدِ الله بنِ أبى عيسى ـــ فى حَدَاثَةِ السِّنِّ وباكُورَةِ العُمْرِ ـــ : معروفَ الحقِّ ، ظاهِرَ السُّؤْدُدِ ، طالباً للعلمِ . سمِعَ : أحمدَ بنَ خالدٍ الجَبَّابَ ؛ وسمعَ منه ومن غيره ومن شيوخِ قرطبةَ ؛ ثم رَحَلَ حاجًّا : سنَةَ اثْنَتَىْ عشْرَةَ وثلاثِ مائةٍ ؛ فلَقِىَ شيوخَ القَيْرُوَانِ : البَجَلِىَّ محمدَ بن علىٍّ ، وأحمدَ بنِ أحمدَ بن زيادٍ ، ومحمدَ بنَ محمدٍ اللَّبَّادَ ، وإسحاقَ بنَ نُعمانَ . وسَمِعَ أيضاً : ـــ بمصرَ ـــ مِن غيرِ ما رجلٍ : من شيوخِنا ؛ ولَقِىَ بمكةَ : أبا بكرِ [بنَ] المُنْذِرِ ، والعَقِيلِىَّ وغيرَه . وانصرَفَ إلى الأندلسِ : سنة أربعَ عشْرةَ وثلاثِ مائةٍ .

وكان أحمدُ بنُ بَقِىٍّ (قاضى الجماعةِ) يُشاوِرُ محمدَ بنَ عبد اللهِ بنِ أبى عيسى ، معَ سائرِ الفقهاء . وقلَّدَهُ أميرُ المؤمنين (أطال الله بقاءه) : غيرَ ما أمانةٍ ؛ فقام بما حُمِّلَ ، واكْتَفَى بما اسْتُكْفِىَ ؛ ثم ولاّه : قضاءَ كُورَةِ جَيّانَ ، وكُورَةِ إلْبِيرةَ ، وكُورَةِ طُلَيْطُلَةَ ؛ وامْتَحَنَه : فى كلِّ وَجْهٍ ؛ وعَجَمَه : فى كلِّ معنًى ؛ وكَفِىَ بِمحْنَةِ أميرِ المؤمنين (أعزّه اللهُ) واختِبارِه : فألْفاه خالصاً ، ووَجَدَه ناصحاً .

فلمَّا شهدَتْ له عندَه التَّجْرِبةُ ، بدَرَجةِ الاستحقاقِ — : قَلَّدَهُ قضاء الجماعة : (عَلَى حَسَبِ ما نَصَصْتُ مُتَقَدِّمًا) ؛ فتَوَلَّاها بسياسةٍ محمودةٍ : من تنفيذِ الحقوقِ و إقامةِ الحدودِ ، والكَشْفِ عن البَيِّنات : فى السِّرِّ ؛ والصَّدْعِ بالحَقِّ : فى الجهرِ ؛ لم يَتَسَنَّمْهُ مُخادعٌ ، ولم يَعْمَل فيه كيدُ مُخَاتِلٍ ؛ ولا خافَ أهلَ الحَرَمِ ، ولا داهَنَ أهـلَ الذِّمَّةِ[1] ، ولا أغْضَى عن وُجُوه أهلِ الخدمـةِ — : فى عِظَامِ الأمورِ ، وكبائرِ الأشياء ؛ فَضْلًا : عن أصاغرِ الأسبابِ ، ومُحقَّرِ الحوَادثِ .

قال لى أحمدُ بن عُبادةَ . كنتُ معَ محمدِ بن عبدِ الله بن أبى عيسى ، يوماً . فى « مَقْبَرةِ الرَّبض » ؛ حتى نظَر إلى شيء : من آلةِ اللَّهْو : مع بعض الوُصَـفاء ؛ — فأمرَ . بكَسْره . فقيل له : إنه لفلانٍ وسُمِّيَ له رجلٌ عظيمٌ — : فلم يَلْتَفتْ إلى ذلك ، ولا أنْبَاهُ[2] عما أراد . من كَسْره .

قال محمدٌ : وللقاضى : محمدِ بن عبـدِ الله بن أبى عيسى — : فى باب الصَّـلَابةِ ، وإيثارِ الحقِّ ؛ وإقامةِ الحدود عَلَى وُجُوه النـاسِ : من أهلِ الحَرَمِ . — أخبارٌ كثيرةٌ ، مَشْهورةٌ : فى العامَّة ؛ مَعْروفةٌ . فى الخاصَّة .

قال محمدٌ : جالَسْتُ محمدَ بن عبدِ اللهِ بنِ أبى عيسى ، غيرَ ما مَرَّةٍ ؛ فرأيتُه : محمود التَّصَرُّفِ ، جميلَ المَذاهبِ ، كَريمَ الأخلاق . ثم وُلِّيَ — بعدَ ذلك — قضاء الجماعة : فما رأيْتُ أحداً — : من عُقَلاء إخْوانه . — يَلُومُه : فى حَوَالةٍ ؛ ولا يَعذُلُه فى تَغَيُّرٍ ؛ بل يصِفُونَه — : مِن ضِدِّ ذلك . — بما[3] هو أوْلَى : بأهل المُرُوءةِ ؛ وأشْبَهُ : بصفة أهلِ الـكمالِ .

قال محمدٌ : ولمحمدِ بنِ أبى عيسى — بعدَ هـذا كلِّه — نصيبٌ وافرٌ : من

---

(١) أى : أهل العقد . وعبارة الأصل هكذا : « الا دمة والإغضاء عن » الخ . وهى مصحفة قطعا .

(٢) أى : دفعه عنه . وبالأصل : « نباه » ؛ وهو تحريف .

(٣) بالأصل : « مما » ؛ والظاهر أنه محرف .

الأدبِ ؛ وحَظٌ كاملٌ : من البلاغة . [فكان] : مُخاطِباً بلسانِه ، ومُكاتِباً بقلمِه . وحُقَّ لخِيرَةِ أميرِ المؤمنين ، وقاضى ، بيْضَته ، وحاكِمِ مِصرِه — : أنْ يكونَ : موصُوفاً بأكْرَم الصِّفاتِ ، ومَوسُوماً بأفضَلِ الآلاتِ .

قال محمدٌ : ثم خَرَجَ[1] محمدُ بن أبي عيسى : فى صَدْرِ سَنةِ ثمانٍ وثلاثينَ وثلاث مائةٍ ؛ فلمَّا جاوَزَ طُلَيْطُلَةَ ، ونزل بقرية تُسَمَّى « مجارس — من عَملِ طُلَيْطُلة : قريباً منها . — : أدركه أجله ؛ فتُوُفِّى فيها : يومَ السَّبتِ لانسِلاخِ صفر سنةَ تسعٍ وثلاثين وثلاثِ مائة ؛ وهو : ابنُ أربعٍ وخمسين سنةً . وكانَ مَوْلدُه — فيما كان يَذكرُ — : فى ذى الحِجَّة لثلاثَ عشرةَ ليلةً خلَتْ منه : من سنةِ أربعٍ وثمانين ومائتينِ . ودُفِنَ : بطليطلةَ ؛ رحمه اللهُ .

***

« ذِكْرُ القاضى : مُنْذِرِ بن سعيدِ بنِ عبدِ اللهِ البَلُّوطِيِّ . »

٤٩ قال محمدٌ : وُلِّىَ مُنذرُ بنُ سعيدٍ — : يومَ الجمعة لخَمسٍ خَلَوْنَ من شهرِ ربيعِ الآخر سنة تسعٍ وثلاثين وثلاثِ مائة قضاء الجماعة ، والصلاةَ . فكان : صَليباً صارماً ، غيرَ هَيُوبٍ ولا جَبانٍ ؛ فقضَى باقى أيَّامِ أميرِ المؤمنين : عبد الرحمن رضى الله عنه .

فلمَّا ماتَ أميرُ المؤمنين الإمامُ الفاضلُ (رحمه الله) ووُلِّىَ الإمامُ الحكمُ بنُ عبدِ الرحمنِ . (أبقاه اللهُ) — : أقَرَّ مُنذِرَ بن سعيدٍ : على خُطَّتَيْه ، فلم يَزَلْ : قاضياً ، وصاحِبَ صلاةٍ .

---

(١) هذا هو الظاهر المناسب . وبالأصل : « أخرج » ؛ ولعله محرف .

(٢) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ص ٦٦ — ٧٥ . وجذوة المقتبس ص ٣٢٦ ر ٨١١

وكانتْ صَـلاتُه : فى «جامعِ الزَّهراء» ؛ طُولَ ما قَضَى : من أوَّلِ وِلايته القضاء ، إلى آخِرِها .

ثم تُوُفِّىَ : ليلةَ الخميس لِلَيْلتَيْنِ بَقِيتا لذى القَعْدَة ، آخِرَ سنةِ خَمسٍ وخمسينَ وثلاثِ مِائةٍ . وهو : ابنُ أربعٍ وثمانينَ سنة .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : محمدِ بن إسحاق بن السَّليمِ . »

٥٠ قال محمدٌ : ثم وُلِّىَ محمد بن إسحاقَ بن السَّليم : يومَ السبتِ لخمسَ عشْرَة ليلةً مَضَتْ من المحرَّم : سنة ستٍّ وخمسين وثلاثِ مائةٍ :

فكان عنده — : من الفَضْلِ : فى عِلْمِه وفَهْمِه ؛ وحُسْنِ النَّظَرِ : فى الأمورِ ؛ وجميلِ الخُلُقِ : فى المعاشَرة .—ما [هو مأثورٌ ومعروفٌ] عن القضاة المتقدمين .

وبَقِىَ محمـد بنُ يحيى : على خُطَّةِ الصَّلاةِ ، [بقر] طبة : إلى أن مَرِضَ ؛ فاستَعْفَىَ : فعوفِىَ ؛ ووُلِّىَ الصَّلاةَ بقرطبةَ القاضى محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ السَّليم ؛ وذلك : يومَ الفِطْرِ من سنة ثمانٍ وخمسينَ وثلاثِ مِائةٍ .

* * *

تَمَّ السِّفْرُ : بحَمْدِ اللهِ ، وحُسنِ عَوْنه ؛ وصلى اللهُ عَلَى محمدٍ : نبيِّه وعبدِه ؛ وعلى آله وصحبه وسلَّمَ . وكان الفراغُ منه : فى صَبيحةِ بلْ فى الثُّلُثِ الأخيرِ من ليلة الخميس السادسِ والعشرينَ ، لشهرِ ربيعِ الأول: من سنةِ خمسٍ وتسعين وستِّمائةٍ .

* * *

كتبَه بيده العبدُ الفقيرُ إلى رحمةِ ربِّه ؛ المُسْتَغْفِرُ له من جميعِ ذَنْبِه : عبدُالله بن محمدِ ابن علىٍّ اللَّوَّاتىِّ . تَغَمَّدَهُ اللهُ بعَفوِه ، وغَفَرَ له ولآبائه ولجميعِ المسلمينَ أجمعينَ . فرحِمَ اللهُ مَن دعَا لكاتِبه ، وكاسِبه ، وقارئه ، ومُستَمعه —: بالتَّوْبةِ والمغفرةِ لهم ولجميعِ المسلمينَ أجمعينَ .

٢

علماء إفريقية

لمحمد بن الحارث بن أسد الخشني

* * *

الجزء الأول

[بتجزئة الأصل]

«ملكه وكتبه : أحمد بن محمد بن عبد الله»
«المقرئ الطلمنكي : أبو عمر المتوفى في»
«ذي الحجة من عام ٤٢٨ أو ٤٢٩ هـ»

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلَّى اللهُ على سيدِنا ومولانا محمدٍ وآلِهِ وصحبِه؛ وسلَّم تسليماً

محمدُ بن سَحْنُونُ

١ قال محمدُ بنُ حارثٍ: ومن رجال القَيْروانِ؛ أبو عبدِ الله محمدُ بن سَحْنُونٍ.

سمِع: من أبيهِ سَحنونٍ، ومن موسى بن معاويةَ الصُّمَادِحِيِّ؛ وحجَّ فلقِيَ أبا المُصعَبِ: بالمدينةِ؛ ولقِيَ سلَمةَ بنَ شَبيبٍ، وغيرَه: من العلماء.

وكان — فى مذهبِ مالكٍ —: من الحُفَّاظِ المُتقدِّمينَ؛ — وفى غيرِ ذلك: من المذاهبِ —: من النَّاظِرين المُتصرِّفين.

وكان كثيرَ الوَضعِ للكتُبِ، غزيرَ التأليفِ. يُحكى: أنه لمَّا تَصفَّحَ محمدُ ابنُ عبدِ الله بن عبد الحَكَمِ، كتابَه، وكتابَ ابن عَبْدُوسٍ —: قال فى كتابِ ابنِ عَبْدوسٍ: هذا كتابُ رجلٍ: أتى بعلمِ مالكٍ: علَى وجهِهِ؛ أو كما قال. وقال فى كتابِ ابن سَحنونٍ: هذا كتابُ رجلٍ: سَبَحَ فى العلمِ سبْحاً.

وكان: كريماً فى نفسِه، سَمْحاً بما فى يدِه، جوَاداً بمالِه وجاهِه. كان: يَصِلُ مَن قَصدَهُ بالعشَراتِ: من الدَّنانيرِ؛ وكان: يكتبُ لمن يُعنَى به، إلى الكُورِ: فيُعطَى الأموالَ الجسيمةَ. وهذا عنه مُستَفيضٌ عند أهل القَيْرَوان.

وكان: وَجيهاً: فى العامَّةِ؛ مُقدَّماً: عندَ الملوكِ؛ حسنَ العنايةِ، نهَّاضاً بالأثقال، واسعَ الحيلةِ، جيِّدَ النَّظرِ: عند الحوادثِ والملمَّاتِ.

وهو كان: السَّببَ المقيمَ، المنتشلَ لسليمانَ بن عمرانَ القاضى؛ ولعبدِ الله بن أحمدَ ابن طالبٍ القاضى.

وذلك: أنهُ كان: قد عُنِيَ بسليمانَ بنِ عمرانَ، عنـدَ أبيهِ سَحنونٍ؛ حتى

أُستَكتَبَهُ سحنونٌ : إذْ وُلِّىَ القضاءَ . ثم عُنِيَ به : حتى أخرجَه قاضياً إلى باجَةَ؛ ثم مات سحنونٌ : فولِّىَ سُليمانُ بن عِمرانَ القضاءَ بعدَهُ ؛ فساءتْ الحالُ : بيْنَ ٱبنِ سُحنونٍ و بيْنَ سليمانَ ؛ حتى بلَغتْ : إلى أن أرسَلَ فيه سليمانُ ؛ فأتاهُ فى خاقٍ . ممَّن ٱتَّبَعهُ ؛ فدخَلَ عليه : فأغلَظَ له سليمانُ .

قال لى لقمانُ بنُ يوسفَ : فحُفِظَ من كلامِ سليمانَ ، قولُه : « ما أحْوَجَكَ إلى مَن يُمْضِغُكَ قُطنَ قَلَنْسُوَتِك هذه » ؛ ثم لم يَجسُرْ عليه بمكرُوهٍ ، وانصرَفَ .

وكان سليمانُ يقولُ للرجلِ — إذا علِمَ أنه أتاهُ من عندِ [ٱبنِ] سحنونٍ — : مِن أيْنَ أتيْتَ ؟ : مِن عندِ كَبْكَوَيْهِ حِمارةِ الرّعناء ؟! .

قال لى أبو القاسمِ — المعروفُ: بالطَّرْزِيِّ؛ صاحبُ المَظَالِمِ — مرَّةً، بالقَيْرَوَانِ: كنتُ عندَ ٱبنِ سحنونٍ يوماً :حتى دخلَ عليه رجلٌ — كان يُعْرَفُ: بأحمدَ بن الصَّغيرِ . — فقال له يا أبا عبدِ اللهِ ؛ ٱلرسولُ يُبلِّغ ، ولا يُلامُ ؛ ٱبن ٱلعيَّادِ يَقرَأُ عليكَ السلامَ ، ويقولُ لكَ : أَنْبَتَّ أقواماً : لو أنَّ السماءَ مَطَرَتْ عليهم أربعينَ خَريفاً ، ما نَبَتُوا .

فقال ٱبنُ سُحنونٍ : هكذا يَلقَى مَن فَعلَ شيئاً : لِغيرِ اللهِ .

فقال له قائلٌ : يا أبا عبدِ اللهِ؛ ومِثْلُكَ: يَفعَلُ شيئاً لغيرِ اللهِ ؟ ! .

فقال : إنما عَصَمَ اللهُ — من ٱلزَّللِ ، والخطإِ — : ٱلملائكةَ .

ثم تفاقَمَ الأمرُ بينَهُ و بين سليمانَ القاضى ، حتى توَارَى ٱبنُ سحنونٍ : خوفاً على نفسِهِ .

قال لى لقمانُ بنُ يوسفَ : فكَتَبَ ٱبنُ سحنونٍ — فى توَارِيهِ — إلى الأميرِ محمد بن الأغْلبِ ، بيْتَ عُثمانَ رضى اللهُ عنه :

فإنْ كُنْتُ مَأْكُولاً : فكُنْ أنْتَ آكِلى ؛

وإلا : تَدَارَكْنِي : ولمَّا أُمَزَّقِ

(قال) : فقال أبنُ الأغلَبِ : ومَن يُمزِّقه ؟! مَزَّقَ اللهُ جِلْدَهُ . ثم رَفَعَ يدَ سُليمانَ بن عِمران عنه ، وأمَّنَه منه .

(قال) : فردَّ سُليمانُ غضَبه : إلى أصحاب أبن سُحنونٍ ؛ فأخَذ فُراتَ بنَ محمد : فضَرَبَه بالسِّيَاطِ .

وقال لى غيرُ لُقمانَ : لمَّا طالَ تَوَارِى أبنِ سحنونٍ ، رأى : أنْ يَلجأَ بنفسِه إلى الأميرِ ؛ فركِبَ مُتنكِّراً إلى القصرِ ، ولَقِيَهُ مُؤدبٌ — : كان يؤدِّبُ أولادَ أبنِ الأغلَبِ — فسأله ابنُ سحنونٍ : أن يَدْخُلَ على الأميرِ : يَسْتَأذِنُه له : فى الْخروجِ عن القيْروان .

فدَخَل المؤدِّبُ ؛ فبلَّغَ ذلك إلى الأميرِ .

فقال الأميرُ للمؤدِّبِ : ماتَرَى فيما سألَ؟ .

فقال : أرَى : أن تُسْعِفَهُ بذلِك ؛ وتأذَنَ له فى الْخروجِ .

فقال له : أنَّى لكَ العقلُ : وأنتَ باللَّيلِ : معَ النساء ؛ وبالنهارِ : معَ الأطفالِ؟!

وإذا أذِنتُ لابنِ سحنونٍ فى الْخروجِ : معَ مَنْ أبقَى ؟ : معَكَ ومعَ صِنْفِك ؟! أخرُجْ ، فأخْبِرْه : أنّى قد أمَّنْتُه ، ورفعْتُ يدَ سُليمانَ عنه .

فانصرَف ابنُ سحنونٍ : فشَقَّ السِّماطَ الأعظمَ ، حتى نزلَ فى الجامع وصلَّى .

فبلَغ إلى سُليمانَ : أنه شَقَّ السِّماطَ ؛ فعلِمَ : أنه أُمِّنَ : ورُفِعَتْ يدُه عنه .

فأعرَض عن خَبَرِه ؛ وظهر أبنُ سحنونٍ من بعدِ ذلك ، وقامتْ رِياستُه ، وتوفَّرتْ حُرْمَتُه ؛ وشَجِيَ به سُليمانُ ، وجماعةُ العراقيِّينَ .

فأخبرنى بعضُ الشُّيوخِ ؛ قال : بيْنما محمدُ بنُ سحنونٍ يوماً : يَمشى معَ جماعةٍ من أصحابِه ؛ لَقِيَه صاحبُ الصلاةِ فى ذلكَ الوقت — المعروفُ : بابن أبى الْحواجبِ — فأوْمأَ إلى أُذُنِ أبنِ سحنونٍ : فأمْكنَه أبنُ سحنونٍ من نفسِه ؛ فقال له سِرًّا : يازانى ، يا أبنَ الزَّانيةِ .

فأجابَه ابن سحنونٍ جهراً : تُقضَى حاجتُك إن شاء الله . (أَوْهَمَ مَن حضَرَ : أنه سألَه حاجَةً) .

وسار ابنُ أبي الخواجبِ — : مُبْتَهِجاً بما أتى : من ذلك . — إلى سُليمان بن عِمرانَ ؛ فأخبرَه بما كان : من قولِه ؛ و بما كان : من جواب ابن سحنونٍ .

فقال له سُليمانُ بنُ عمرانَ : إنْ كان الأمرُ : عَلَى ما وَصَفْتَ ؛ فتحَفَّظْ .

وركِبَ ابنُ سحنونٍ — من يومه — : إلى الحَضْرَمِيِّ ؛ فسألَه : أنْ يُزَيِّنَ للأمير تَوْلِيَةَ ابنِ طالبٍ : عَلَى الصلاةِ .

فدَخَل الحَضْرَمِيُّ إلى الأميرِ ابنِ الأغلبِ : فزَيَّنَ له ذلك ؛ فأجابَ إليه ، وأمَرَه : أنْ يَخرُجَ ، فيَصْرِفَ حُكمَ الصلاةِ والخُطبةِ : إلى ابنِ طالبٍ .

فخَرَجَ الحَضْرَمِيُّ بذلك : إلى ابنِ سحنونٍ ؛ فسألَه ابنُ سحنونٍ : كَتْمَ ، ذلك إلى ساعةِ الخُطبةِ من يوم الجمعةِ .

وأرسلَ ابنُ سحنونٍ : في ابن طالبٍ ؛ وأعلَمَه بذلك ، وقال له : تَتَهَيَّأ ؛ فإذا رأيتَ ابنَ أبي الحواجبِ ، قد خَرَجَ من المقصورةِ — : فقمْ أنتَ بيْنَ يدَيْه ، وارْقَ المِنْبَرَ ، واخْطُبْ . فكان كذلك.

فلمَّا خرَجَ ابن أبي الحواجِب : وثَبَ ابنُ طالبٍ : على المِنْبَرِ ؛ فبُهِتَ ابنُ أبي الحواجب ، وسليمانُ بنُ عِمرانَ : حيثُ كان [موجوداً] وجماعةُ العِراقيِّين ؛ واندَفَعَ ابنُ طالبٍ ، فقال : « الحمدُ للهِ : الذى شُكِرَ على ما بهِ أنْعَمَ : والحمدُ للهِ : الذى عَذَّبَ على ما لَوْ شاءَ منه عَصَمَ ؛ والحمدُ للهِ : الذى عَلَى عَرْشِه اسْتَوَى وعَلَى مُلكِه احتَوَى ؛ وهو فى الآخرةِ يُرَى » ؛ ثم اسْتَمَرَّ فى خُطبتِه ، وتمّتْ الصلاةُ .

وانصرَفَ سليمانُ إلى منزله ، وجَمَعَ شيوخَ القَيْروانِ ، وأمرَهم : أن يسيرُوا إلى الأميرِ ، فيزكُّوا[1] عندَه ابنَ أبي الحواجب ؛ و يسألوه : رَدَّه على الصلاةِ .

(١) الأصل : « فيزكون ... ويسألونه » .

وبلغ ذلك ابنَ سحنونٍ : فأرسلَ إلى الحضرميِّ ، فأعلمه بالخبرِ .

فلمَّا أطلَّ القومُ إلى القصرِ ، أرسلَ إليهم الحضرميُّ : أما تستحون : أن تسألوا الأميرَ : أنْ يحطَّ ابنَ عمِّه ، ومَن أرادَ التَّنْويهَ به ؛ وأنْ يُشرِفَ صاحبكم ؟ ! ! انصرِفوا : فإنَّا لم نسألكم عن تزكيةٍ ، ولا عن جُرْحةٍ .

فانصرفَ القومُ ؛ فكانت تلك أولَ نكْبةٍ لسُليمانَ .

ثم لم تزلْ أمورُ ابنِ طالبٍ : تنْمِي وتزيدُ ، حتى عُزِلَ سُليمانُ ، ووُلِّيَ ابنُ طالبٍ القضاءَ .

وتوُفِّيَ ابنُ سحنونٍ : سنةَ خمسٍ وخمسينَ ومائتَيْنِ . وكان مَوْلِدُه : عَلَى رأسِ المائتَيْنِ .

***

محمدُ بن إبْراهيمَ بنِ عَبْدُوسٍ

إسْحاقُ بن إبراهيمَ بنِ عَبْدُوسٍ

٢ كان محمدٌ منهما : حافظاً لمذاهبِ مالكِ بنِ أنسٍ ، والرُّواةِ : من أصحابه ؛ إماماً مُتقدِّماً ، غزيرَ الاستِنْباطِ ، جيِّدَ القريحةِ . وله كتابٌ سمَّاهُ : المجموعةَ ؛ ألَّفه في الفقهِ : عَلَى مذهبِ مالكٍ وأصحابه . وكان : ناسِكاً ، عابداً ، مُتواضعاً .

قال لي أحمدُ بنُ زيادٍ يوماً : ما أظنُّه كان في التَّابعين مثلُ محمدِ بن عَبْدُوسٍ .

وقال لي أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ نصرٍ : كنتُ إذا رَحَلْتُ إلى محمدِ بنِ عبْدُوسٍ أجِدُهُ : قد جلسَ : مُحتبِياً ، مُتواضعاً ، زائلاً عن صدْرِ مجلسِه . فالجاهلُ ـ : يُعايِنُه . ـ لا يعرِفُ أنه صاحِبُ المجلسِ .

***

٣ وكان إسحاقُ أخوهُ : صاحبَ شارَةٍ ، ومَرْكَبٍ ، ومَلْبَسٍ . كان إسحاقُ إذا راحَ إلى الجامع يومَ الجمعةِ : يَرُوحُ راكباً ، ومحمدٌ تحتَ ركابهِ راجِلًا .

ويُقالُ : [إنَّ] ابنَ عَبْدُوسٍ ــ بعدَ حَجِّه ــ لم يُسمَعْ مُتكلِّماً في مسألةٍ ــ من مسائلِ الحجِّ ــ : لئلاَّ يَنْفَتِحَ عليه في الرأي ، بابٌ : يظهرُ له به نَقصٌ في حَجِّه .

وكان سِنُّ محمد بن عَبْدُوسٍ ، دُونَ سِنِّ ابنِ سحنونٍ : بسنةٍ واحدةٍ ؛ وتُوُفِّيَ بعدَ ابنِ سحنونٍ بثلاثةِ أعوامٍ .

ويقولُ بعضُ النـاسِ : إنَّه كان مُسْتَجابَ الدَّعْوَةِ ؛ وإنهُ دَعا على أبي الغَرانيق، فعُرِفَتْ فيه اسْتِجابةُ دَعْوَتِه .

* * *

عَبْدُ اللهِ بن سَهل القِبْرَيانى

٤ وعبد الله بنُ سهلٍ القبْرَيانى ؛ سمعَ من سَحنونٍ وغيرِهِ : من رجالِ القَيروان .

وكان : عالماً بمَذاهبِ مالكٍ ؛ حسَنَ الحِفظِ (فيما قيل لى) .

ووُلِّىَ قضاءَ صِقِلِّيَّةَ ، وخرجَ إليها .

وكانَ : من ذَوِى الأموالِ العَريضةِ ، والجاهِ البسيطِ .

* * *

٥ وابنـهُ سهلُ بنُ عبـدِ الله بنِ سهلٍ القِبْرَيانى ؛ سمِـعَ من سحنونٍ ، وكان : معدوداً في أصحابه .

وكان فيما كانَ فيه أبوه من قبلُ : من كثرةِ المالِ وانبساطِ الجاهِ .

* * *

يَحْيَى بن عُمَرَ الأَنْدَلُسى

٦ ويحيى بنُ عمرَ الأندلسىُّ : سمعَ من سحنونٍ ؛ ثم رحَلَ إلى المَشْرِقِ : فسمَعَ حديثاً كثيراً ؛ ثم انصرَفَ : فسكَنَ القَيْروانَ حتى ماتَ .

وكان : مُتقدِّماً فى الحفظِ ؛ إلاَّ أنَّه كان : قليلَ الانْبِساطِ ، نَزْرَ المادَّةِ ؛ لايَبْلغُ مَبْلَغَ محمدِ بنِ عبدوسٍ : فى الفقهِ .

قال لى أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ القُصَرِىُّ : كنتُ أسأله عن الشىءِ ـ: من المسائلِ . ـ فيجيبُنى ؛ ثم أسأله — بعدَ ذلك بزمانٍ — عن تلك الأشياء بأعيانها : فلا يَخْتلِفُ قوله ؛ ولا يَتناقضُ جوابُه . (قالَ لى) : وكان غيرُه : يَختلِفُ على جوابِه ، ولا يَتَّفِقُ قوله .

قال ابنُ حارثٍ : وهذا الوصفُ منه ، يدُلُّ : على رُكودِ النَّظرِ ، وقِلَّةِ الإجالةِ للفِكْرِ ؛ وعلى الاقتصارِ : على المَقالِ المحفُوظِ . وكان ـ فيما قالَ لى غيرُ واحدٍ ـ : لا يَتصرَّفُ فيما يَتصرَّفُ فيه الحذاقُ (أهلُ النظرِ والعلومِ) : من معرفَةِ معانى القولِ ؛ وإعرابِ ما يَنطِقُ به : من الألفاظ .

أخبرنى أحمدُ بن موسى التَّمَّارُ ؛ قال : قرأتُ عليه صحيفةً — ألَّفها سعيدُ بنُ محمدِ بنِ الحدَّادِ —: فما فَهِمَ منها شيئاً . (قال): فجعلْتُ أُقرِّبُ له معانِيَها ،وأُبَيِّنُ له ما فيها ؛ فقال : ياأبا عُثمانَ (يقولُ ما قالتْ الملائكةُ) : (لا عِلْمَ لَنَا إلاَّ ماعَلَّمْتَنَا: ٢ — ٣٢).

وكانتْ له أوضاعٌ كثيرةٌ : فى أصولِ السُّنَنِ عَلَى معانى الآثارِ ، وما أَتى فيها : من الأخبارِ . ككتابِ الصِّراطِ ، وكتابِ الميزانِ ، وكتابِ النظرِ إلى الله تباركَ وتعالى يوم القيامةِ ؛ وله كتابٌ : رَدَّ فيه على الشافعىِّ .

وكان جَليلاً فى قلوبِ أهلِ البلدِ ؛ عظيماً : فى أعْيُنِهِمْ ؛ وَجيهاً : عندَ مُلوكهم . وكان شَجىً : فى نفوسِ العِراقِيِّين ؛ وقَذًى فى أعيُنِهم .

حكى لى بعضُ الشُّيوخِ ؛ قال : كنتُ جالساً (أو قال : أخبرنى مَن كان جالساً) معَ أبى العباسِ بن عَبدُونٍ ، حتى خَطرَ يَحيى بنُ عُمرَ راكباً : وعلى رأسهِ القَلَنْسُوةُ . (قال) : فرأيتُ وجْهَ ابنِ عَبْدُونٍ ، يَتَلَوَّنُ : شوقاً به . ولمَّا صار ابنُ عَبْدُونٍ إلى القضاء : أخافَه وأرادَه ؛ حتى تَوارَى يَحيى بنُ عُمرَ : فرَقاً منه .

قال لى محمدُ بنُ الليثِ : قال لى محمدُ بنُ عُمرَ (أخو يحيى بنِ عمرَ) : كنتُ جالساً بتونُسَ : إذ كان أخى مُتَوارِياً عن ابنِ عَبدونٍ ؛ وكان القاضى بتونسَ : عبدَ اللهِ بنَ هارونَ الكوفيَّ . (قال) : فما شَعَرْتُ : أنْ أتانى رسولُه ؛ فساءَ ظَنِّى ، وخَشِيتُ[1] نفسى .

(قال) فأتيْتُه : فدخلْتُ عليه ؛ فتبيَّنَ فىَّ الذُّعْرَ ، فقرَّبَنى ، وبَسَطَنى ؛ فسَكَنْتُ . (قال) : ثم ناوَلَنى كتابَ ابنِ عَبْدونٍ ؛ فإذا فيه : « قد صحَّ عندى : أنَّ يَحيىَ بنَ عُمرَ مُتَوارٍ بتُونسَ ؛ فاطلُبْه . فإذا ظَفِرْتَ به : فأوْثِقْهُ ، وابعَثْ به إلىَّ معَ مَنْ تَثِقُ بِهِ .

(قال لى محمدٌ) : فارْبَدَّ وجهى لذلكَ .

(قال) : فقال : لا يَسُؤْ بِى ظَنُّكَ ؛ فلم أبعَثْ فيك : لمَكْرُوهٍ ؛ ولكنْ : لأُعجِبَك من ابنِ عَبدونٍ ، أن يُرِيد منِّى : أنْ آتِيَ إلى إمامٍ — : من أئمةِ المسلمينَ . — فأرسِلَ به إليه : ليَمْتَهِنَه . ثم قالَ لى : إنْ كان أخوكَ بهذا البلدِ فهو منِّى : آمِنٌ .

(قال لى محمدُ بنُ اللَّيثِ) : فكانَتْ هذه المكرُمَةُ لعبدِ اللهِ بنِ هارونَ الكوفِيِّ — فى يَحيى بنِ عُمرَ — : معروفَةً مشكُورةً .

---

(١) بالأصل : « وخبثت » هو ولعله تصحيف .

قال ابنُ حارثٍ : وأرانى قد أودَعتُ كتابَ التّعريفِ : من ذكرِ يحيى ؛ ما لم يحضُرْنى فى هذا الكتابِ .

* * *

أبوا العباسِ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ طالبٍ

٧ وأبو العباسِ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ طالبٍ ؛ سمِعَ من سحنونِ بنِ سعيدٍ ؛ وحجَّ فلقىَ : ابنَ عبدِ الحكمِ ، ويونسَ بنَ عبدِ الأعلى .

وَوُلِّىَ القضاءَ لابنِ الأغلبِ مرَّتين : قضاءَ القيْروانِ .

وكان : لَقِناً ، فَطِناً ، جيِّدَ النَّظرِ ، مُطَّلِعاً إلى المُناظرَة ، ومَشْغُوفاً بها . كان : يَجمَعُ فى مجلِسه بيْنَ المُختلِفينَ ؛ ويُغرِى بيْنَهما : فى المناظَرةِ ؛ ويَصِلُ أهلَها : بالصِّلاتِ الجزْلةِ .

وكانت فيه خاصَّةٌ غريبةٌ فى الرجالِ ؛ حكاهاَ عنهُ محمدُ بنُ محبوبٍ ؛ قال : كان ابنُ طالبٍ : إذا تكلَّم : أبانَ وأجادَ ؛ فاستَحْلَى السامعُ لفْظَه ، واستَحسنَ كلامَه ، حتى يَتمنَّى : أن لا يسكُتَ . (قال) : فإذا سكَتَ وأخذَ القلمَ : لم يبلُغْ بقلمِه : حيثُ يبلُغُ بلسانِه . وكان : إذا وافقَ[1] على الحكمِ بين الخصمَين ؛ كتب للمطلوبِ القِصةَ ، وقال له : طُفْ بها على كلِّ من عندَه علمٌ ؛ وجِئْنى بالأجوبَةِ : فى ذلك .

وكان : مجبولاً على كرَمِ النفسِ ، وسماحةِ الكفِّ .

أخبرنى : عباسُ بنُ عيسى ، عن محمدِ بن محبوبٍ ؛ قال :
كُنَّا عندهُ يوماً ، فخاطَبَهُ بعضُ أهلِ مجلِسه بخطابٍ خَشِنٍ جافٍ : لا يُخاطَبُ بمثله أهلُ العلمِ ، ولا القُضاةُ .

---

(١) بالأصل : « وفق » ؛ ولعله تصحيف . فتأمل .

(قال) : فنظرَ بعضُنا إلى بعضٍ ، وتمادَى أبنُ طالبٍ فى مُكالمته . كأنّه لم يَسْمعْ مكرُوهاً : من لفظٍ .

(قال) : ثم قامَ ذلك الرجلُ المخاطِبُ له .

(قال) : فعَطف علينا أبنُ طالبٍ ، فقال : رأيتُكم نظَرَ بعضُكم إلى بعضٍ : عندَ جَفْوته علىَّ ؛ ولكنْ : نظَرْتُ فى ذلك ؛ فقلتُ فى نفسى : رجلٌ : قَصدَنى ، وَوَطِئَ بِسَاطى ؛ يُؤدِّى [1] الذى يَجبُ : من حقِّى ؛ هَفَا علىَّ فى منطِقه — : أَصُولُ عليه بِسُلْطانى ؟ ! : هذا من اللُّؤْم .

قال لى أبو محمدٍ بنُ سعيدِ بنِ الحدَّادِ ؛ قال : قال لى جعفرٌ الأعمى :

وصَلَ إلىَّ من مالِ أبنِ طالبٍ — بآيةٍ من كتابِ اللهِ . — نحوُ السبعين : مِثقالاً ؛ كنتُ : إذا نظرْتُ إليه : قد جَلَس فى مجلِس قضائه — : قمتُ بحذوِهِ ، ثم قلت : (بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ ؛ إنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ : لاَ نُرِيد مِنكُم جزَاءً ولا شُكوراً : ٧٦ — ٩) .

(قال) : فيأمرُ لى : بالمِثقالِ ، والمِثقالين ، وما أمكنَه .

قال لى حُسينُ بنُ أحمدَ بنِ مُغيثٍ : قالَ لى أبى أحمدُ بنُ متعبٍ :

أتيْتُه يوماً : أسألهُ لرجلٍ مَعروفاً ؛ (قال) : فناوَلَنى طرَفَ كُمِّ قميصِه ؛ ثم أدخلَ يدَهُ : ليَنْزِعَها .

فقلتُ [2]: سبحانَ اللهِ ! معاذَ اللهِ : أنْ أُبلِغَكَ هذَا المبلَغَ .

فقالَ لى : لا يَسبِقْ إليكَ أنَّ هذا عن ضَجَرٍ ؛ غيرَ أنى : لستُ — واللهِ —

---

(١) بالأصل : « يوذى » ؛ وهو تصحيف .

(٢) بالاصل : « فقال » ؛ وهو تحريف .

أملكُ هذا الوقتَ : ديناراً ، ولا درهماً ؛ ولا بُدَّ : أنْ تأخُذَها للرجلِ . (قال) : فعزَمَ ، وبَرَى إلىَّ بثوبِه .

(قال) : وكثيراً ما كانَ يَصِلُ بالفُضول الباقيةِ — : من شُقَقِ ثيابِه . — ويقولُ للَّذى يُعطِيها لَهُ : لا تَحْتَقِرْها — : إذْ تراها[1] خرقاء . — وإيَّاكَ : أن تُغبَنَ فى بَيعِها ؛ وامضِ بها إلى فلانٍ البَزَّازِ ؛ فعلَى يدِهِ اشْتَرَيْتُ هذه الثِّيابُ .

وحكى لى بعضُ الشيوخ ؛ قال : أخبرنى مَن أثقُ به ؛ قال :

أتَيْتُ ابْنَ طالبٍ : فشكَوْتُ إليه الإقْلالَ ، وعَرَّضتُ بالسؤال .

(قال) : فاعتَذَرَ : اعتِذارَ مَن قدْ عَزَمَ على رَدِّى ؛ ثم قامَ : فدَخلَ ؛ ثم خَرَجَ فجَعَلَ فى يدِى شيئاً ؛ ثم [قال] : اعقِلْها[2] عليك .

(قال) : فأحسَسْتُ فى يدِى شيئاً : لمْ أشُكَّ أنها دراهمُ . (قال) : فلمَّا خرجتُ : فتحتُ يدِى ؛ فإذا : بعشرةِ مَثاقيلَ .

وله أخبارٌ كثيرةٌ : من هذا الضَّرْبِ .

* * *

مُعتبُ بنُ أبى الأزْهر

٨ ومُعْتِبُ بنُ أبى الأزهرِ ؛ كان : صاحباً لسَحنونٍ ، ومعدوداً فى رجالهِ .

ذكَرَ لى حسنُ بنُ أحمدَ بنِ معتبِ بن أبى الأزهَرِ ، عن أبيهِ ، عن جدهِ معتبٍ ؛ قال :

قال لى سُحنونٌ يوماً : إنى أحِبُّ أن أسِرَّ اليك سِرًّا ؛ فإيَّاكَ : أن تفشِيَه .

---

(١) بالأصل : « يراها » ؛ ولعله مصحف .

(٢) يعنى : تصدق بها على نفسك . انظر المختار : بتأمل .

(قال) : فقلتُ له : يا أبا سعيدٍ ؛ إنْ [كانتْ] مَنزِلَتِى عندكَ منزلةَ مَن يُخافُ منه ـ : فلا تُفْشِ إلىَّ سِرَّكَ .

(قال) فقال لى : ليس الأمرُ : كما تَظُنُّ ؛ ولكنْ : لِكلِّ إنسانٍ صديقٌ : يكون موضعَ ثقتِهِ وراحته ؛ ولذلكَ الصَّديقِ وصديقٌ ؛ ومِنْ مثل هذا : تَخرُجُ(١) الأسرارُ .

* * *

أحمدُ بنُ مُعتبٍ بنِ أبى الأزْهر

٩ وابنه أحمدُ بنُ مُعتبٍ ؛ كان : نبيلاً ، فاضلاً ، صحيحَ اليقينِ . وهو : الذى مات : من ذِكْرِ اللهِ .

أخبرَنى أبو بكرٍ محمدُ بن محمدِ بنِ اللَّبَّادِ ؛ قال : حضَرْتُه فى مجلسِ السَّبتَ ـ : وقد سمع شيئاً من أولئك القرّاء . ـ فصاحَ صيحةً ، ثم خَرَّ ، وانبعثِ الزَّبَدُ مِن فيه ؛ واحتُمِل فى نَعْشٍ إلى دارِه ؛ فما سُمِعَتْ منه كلمةٌ : حتى ماتَ رحمه الله .

قال ابن حارثٍ : ولم أُوقِفْ أبا بكر بن اللَّباد : عنِ الذى سَمِعَ ؛ وقد سمِعت فى ذلك اختلافاً من الناسِ :

فقائلٌ يقول : إنه سمع : (أَلْهَاكُم التَّكَاثُرُ : ١٠٢ — ١) ؛ وقائلٌ يقول : إنه سمع بيتَ شعرٍ : فيه ذِكْرُ النارِ ؛ فكان من أمرِه ما كان .

وكان : لَطيفَ المكانةِ من إبراهيمَ بنِ أحمد ؛ كان يكتبُ إليه إبراهيمُ : يا أخى : فى الإسلامِ ؛ وشقيقى : فى المحبَّةِ .

وكان : قد لاحَى ابنَ عبدونٍ — : وهو على القضاء . — ووَثِقَ بمكانِه من

---

(٢) فى الأصل : « ومن مثل هذا لا تخرج » ؛ والزيادة من الناسخ أو الطابع .

إبراهيمَ؛ فَخَذَلَهُ ومَكَّنَ منه أبنَ عبدونٍ ؛ فضَربَ رِجْلَيْه — فى الفَلَقةِ — بالدِّرَّةِ : حتى أدْمَاهُما .

فكان أحمدُ بنُ مُعتِبٍ — من بعدِ ذلك — يقولُ : إنى لأرجو أنْ تكونَ هذه النَّازِلَةُ ، خِيَرَةً من اللهِ لى : إذ سَلَبَ بها مَحبَّةَ إبراهيمَ بنِ أحمدَ ، من قَلْبى .

قال لى بعض الشيوخ : فلمّا خُتِمَ لأحمدَ بما خُتِمَ له به : تَطلَّعَ إبراهيمُ بن أحمدَ — فى بعض الليالى — فنَظَرَ إلى ما عَلَى قبره — : من بَيَاتِ الناسِ ، وكَثْرةِ الشُّرجِ . — فهالَهُ ذلك ، حتى قال لابنِ عَبدونٍ : هذا الرجلُ : الذى كنت تُهوِّنُ أمرَه عندى ؛ أُنظرْ عاقبةَ أمْرِه .

* * *

أحْمَدُ بنُ أبى سُلَيْمَانَ

١٠ أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ أبى سليمان ؛ كان : فاضلاً ، وجيهاً ؛ وكان : من مقدَّمى رجال سُحنون .

وكان : يحسُنُ الشِّعرِ ويقوله ؛ وكانت عنايتُه به : فى ابتداء أمرِه ؛ ثم لمَّا صار إلى درجةِ العلمِ ، وصُحْبَةِ العلماء — : ترك الشعرَ وصنعتَه .

وهو : الذى كشف وجهه، فى الإشارة على إبراهيم بن أحمد: بتَوْلِيةِ ابن طالبٍ القضاءَ ؛ فى المرّةِ الثانيةِ .

وذلك : أنَّ إبراهيم كان : على كراهيةٍ لابن طالبٍ ؛ وكان : غير نَقِيِّ الضميرله. لأنه كانت لابن طالبٍ فيه ، أيادٍ سمِيَّةٍ : عند أخيه أبى عبد الله، المعروفِ : بأبى الغَرانيقِ .

فلمَّا ولىَ إبراهيم : تمكّن منه الحَضْرميُّ ، وفتًى من فتيانه يُسَمَّى : بلاغاً ؛ وكانا جميعاً يقومانِ بابنِ طالبٍ : القيامَ السَّديدَ ؛ فكانا يُحبِّبانِ من أمر ابن طالبٍ

عند إبراهيمَ ؛ ويوقفانه عن جميع ما يُتَّهَمُ[١] به فيه . حتَّى صار إبراهيمُ : إلى مُداراةِ ابنِ طالبٍ .

فلمّا شاخَ سُليمانُ بنُ عمرانَ ، واضطُرَّ إبراهيمُ إلى قاضٍ غيرِه ـ : جَمَعَ وُجُوهَ القَيْروانِ ، واجتهدَ ؛ وأدخَلَهم على نفسِه : مَثْنَى ، وفُرَادَى ، وجماعةً ، وأفذاذاً ؛ وكلُّهُم يقولُ له : الأميرُ أعلم : الأميرُ أعلمُ . وغَلَبَتْ شَهوَةُ إبراهيم : فى محمدِ ابنِ عبدون بن أبى ثورٍ ـ : وكان من العراقيِّين . ـ فأمرَ : بمَوْكبٍ سَنِيٍّ ؛ وأُخْرِجَ : ليُحمَلَ عليه ابنُ عبدونٍ ؛ فوقف ناحيةً .

فلم يُنفَّذْ ذلك : حتى دخل أحمدُ بنُ أبى سُليمان ؛ فقال له إبراهيم : مَنْ تَرَى للقضاء ؟ .

فقال : أصلَحَ اللهُ الأميرَ ؛ أرى : أن تُوَلِّىَ العدلَ الرِّضَى ، المستَحِقَّ للقضاء .

فقال له : مَنْ هُو ؟ .

فقال : ابن طالب . فاستوى إبراهيمُ جالساً ؛ فقال له : من أينَ : حتى بَلَغْت فيه هذا المبلغ ، وقَطَعْتَ هذا القطعَ . ؟ .

فقال له : إنَّ الصَّلاَةَ عَمُودُ الدِّينِ ؛ فلمَّا اسْتَحقَّ عندَ الأميرِ أن يُقدَّمَ عليها ـ : كان بما هو أقلُّ منها ، أحقَّ .

فقال إبراهيمُ : يُرَدُّ الفرَسُ . (يعنى : الذى كان قد أُبرِزَ لابنِ عَبْدُونٍ) ؛ وأذِنَ لابن أبى سُليمانَ : فى الانصرافِ ؛ وأرسلَ : فى ابن طالبٍ ؛ فَوَلَّاهُ القضاءَ .

قال ابنُ حارثٍ : ولم يكنْ ابنُ أبى سُليمانَ ، معدُوداً : فى أهلِ الحِفظِ ؛ ولا : فى أهلِ المعرفةِ بما دَقَّ : من العِلْمِ .

---

(١) بالأصل : « يهم » ؛ والظاهر : أنه مصحف عنه .

سمعتُ مَن يحكى ـ : ممَّنْ يُحسِنُ القولَ . ـ قال :

قال له قائلٌ : أخبرنى عن طَلْقَةِ[١] الخُلْعِ : لِمَ كانتْ بائنةً ، ولِمَ لمْ يملكْ الزوجُ فيها الرَّجْعةَ ؟ .

فقال له ابنُ [أبى] سُليمانَ : يا ابنَ أخى ؛ لأنها طَلْقةٌ : كبيرةٌ ، عظيمةٌ .

فما زادَ ـ : من الاعْتِلالِ . ـ على هذا شيئاً . إلاَّ : أنه كان معدُوداً فى وُجوهِ رجالِ سَحنونٍ .

* * *

عبدُ الرحمنِ بنُ عمران الملقبُ بالورنةِ

١١ وعبدُ الرحمنِ بنُ عِمرانَ ، المُلقَّبُ : بالورنةِ ؛ كان حَسَنَ الحِفظِ ، جَيِّدَ القَرِيحَةِ ، واقفاً على الأصولِ .

ولم يكنْ : صاحبَ دَوَاوِينَ ، ولا إكثارٍ . وإنَّما كان : مُقتصِرًا عَلَى أُمَّهاتِ ابنِ القاسمِ ؛ لا غيرِ .

سمعتُ مَن يحكِى : أنه حَضَرَ إبراهيمَ بنَ الخَشَّابِ : وهو يقولُ له : قال لى ابنُ طالبٍ : نَسِيتُ العلمَ يا إبراهيمُ . فقال له عبدُ الرحمنِ بنُ عِمران : وكيفَ يَنسى الإنسانُ ما لَمْ يحفظْه مِن قبلُ ؟! .

* * *

حبيبٌ صاحبُ مظالمِ سَحنون

١٢ وحَبِيبٌ صاحِبُ مَظالِمِ سَحنونٍ ؛ كان : معدوداً فى أصحابِ سَحنونٍ ؛ وكان : نَبيلاً فى نفسِهِ . قد أدخَلَ له ابنُ سَحنونٍ سؤالاتِه سُحنوناً ، ومطالَعتَه له فى أحكامِهِ ـ : فى الكتابِ الذى ألَّفَه فى أدبِ القضاءِ .

* * *

(١) بالأصل : « طفلة . . لما » ؛ وهو : تصحيف جاهل .

فرَاتُ بنْ محمدٍ العَبديّ

١٣ أبو سَهل فُرَاتُ بنُ محمدٍ العَبْدِيُّ ؛ كان : من رجالِ سُحنونٍ ؛ ثم : من رجالِ ابنهِ مِنْ بعدِه .

رَوَى : عن سُحنونٍ ، وعن غيرِهِ : من العلماءِ ؛ وكان : قِبْلَةَ[1] حديثٍ كثيرٍ ؛ وكان : يَغلِبُ عليه الرِّوايةَ ، والجَمْعُ ، ومَعرِفَةُ الأخبارِ .

وسمِعتُ مَن يحكِى : أنَّهُ كان : أعلَمَ الناس بمعايبِ الناسِ ، وأوقعَ النَّاس : فى النَّاسِ .

***

عِيسى بن مِسْكِينٍ

١٤ أبو موسَى عيسَى بنُ مِسْكِينٍ ؛ سَمِع : من سُحنونِ بنِ سعيدٍ ، ومن غيرِه : من علماءِ القَيْرَوانِ : ورَحَل ، فلَقِيَ بمصرَ : يونسَ بنَ عبدِ الأعلى ؛ ورَحَل إلى الصَّعيدِ : إلى محمدِ بن سِنْجرٍ .

قال لى لُقمانُ بن يوسُفَ : قال لى عيسى بنُ مِسكينٍ :

قلتُ لابنِ سِنْجرٍ : لِمَ نَزَلْتَ الصَّعيدَ ، وتركْتَ الفُسْطاطَ ؟ .

قال: لأنه يَكْفِينى بالصَّعيدِ —: فى جمع[2] قوتى . — مالا يَكْفِينى بالفُسطاط إلا النِّيلُ ؛ لا غيرُه .

وقال لى لُقمانُ : وكان يَذكُرُ ابنُ مِسكينٍ : أنَّ ابنَ سنجرٍ لَقِيَ نحوَ ألفِ شيخٍ : من أهلِ الحديثِ .

---

(١) كذا بالأصل ؛ أى : مقصد . ولعله مصحف عن : « قبله » بكسر ففتح .

(٢) بالأصل : « جميع » ؛ ولعله محرف عنه . فتأمل .

وكان عيسى بنُ مِسكينٍ : من أهلِ الفضلِ البارِع ، والوَرَعِ الصَّحيحِ ، والصَّمْتِ الطَّويلِ .

كان إبراهيمُ بن أحمدَ : قد أمتحَن يحيَى بنَ عُمر ، واضْطَرَّه إلى ولايةِ القضاء ؛ فقال له : إنْ دَلَلْتُك عَلَى مَن هو أفضلُ منِّى — : فى الوَجهِ الذى تُحِبُّ . — تُعافِينى ؟ .

قال : نعمْ ؛ نَفْعَلُ . فقال له : عيسى بنُ مِسكينٍ .

فأرسَلَ فيه إبراهيمُ بن أحمدَ : إلى كُورَةِ السَّاحلِ ؛ وأَشْخَصَه : إلى نفْسِه ؛ وعَرَضَ عليه [ولايةَ] القضاء : فنَفرمنها وأباهَا ؛ وقال : إنى رجلٌ : طَويلُ الصَّمتِ ، قليلُ الكلامِ ؛ غيرُ نَشيطٍ : فى أُمُورى .

فقال له إبراهيمُ : [إنَّ] عندِى مَولًى من مَوَالىَّ — : نَبيهاً نَشيطاً ، قد تَدَرَّبَ : فى الأحكامِ ، وشىءٍ : من[1] الأقضيةِ . — فأنَا أضُمُّه إليك : يكونُ لك كاتباً ؛ فيَصْدُرُ عنك فى القول ، فى جميعِ مايَرِدُ عليك : من الأمورِ ؛ فما رَضِيتَ — : من قولِه . — أمضَيْتَ ؛ وما سَخِطتَ رَدَدتَ .

فقَبِل منه القضاءَ ؛ وضَمَّ إليه حسنَ بن البَنَّاءِ .

قال لى أبى : فكثيراً ما كنتُ أدخُلُ على عيسى ، فى مجلسِ قضائه : وهو صامِتٌ لاينطقُ : وكاتِبُه ابنُ البَنَّاء : يَقضِى بيْنَ الناسِ .

وكان إبراهيمُ بن أحمدَ : يُبَاهِى ويَبْتَهِجُ : بابنِ مِسكينٍ . فقال له يوماً بعضُ الجُباةِ[2] : لقد نصحتُك نُصْحاً : ما نَصَحك بمثله القُضاةُ . فقال له إبراهيمُ : ولا عيسى بنُ مِسكينٍ ؟! .

ولم يَرْتَزِقْ عيسى لإبراهيمَ قطُّ : فَلْساً واحداً . وكان يتولَّى طَبْخَ خُبزِه بيدِه.

---

(١) بالأصل : « فى » ؛ وهو تصحيف .

(٢) بالأصل : « الحياه » ؛ وهو تصحيف .

فسمعتُ مَن يَحكِى : أنه دَخَل عليه داخِلٌ — : وله رَغيفٌ عَلَى النّار . — فدَخَل عيسى : لبعضِ حاجتِه ؛ وتَرَكَ الرَّغيفَ . وخَشِىَ الدّاخِلُ : أنْ يحترِقَ ؛ فقام : فقَلَبه[1] .

فلمّا خَرج عيسى ، قال له : قَلَبْتَ الرغيف ؟ . قال : نعمْ . قال : لقد جَنَيْتَ علَيْنا جِنايةً . وأخَذَ الرَّغيفَ : فتَصدَّقَ به ؛ ثم عَجَن رغيفاً آخرَ ، وتولَّى طَبْخَه بيَدِه .

ولمّا قدِمَ القَيْروانَ قاضياً : أتاهم عَلَى حمارٍ : عليه إكافٌ : فقام الناسُ إليه : عَلَى أقدامِهم ؛ فقال : مكانَكم رحمكم اللهُ ؛ إنّما يَقومُ الناسُ: لربِّ العالمِينَ .

ويُقالُ : إنه كان مُستَجابَ الدَّعْوةِ . وله أخبارٌ كثيرةٌ .

* * *

جَبَلةُ بنُ حَمُّودٍ الصَّدَفِىُّ

١٥ قال محمدُ بن حارثٍ : ومن رجال القَيْرَوانِ : جَبَلةُ بنُ حَمُّودٍ الصَّدَفِىُّ ؛ كان : من رجالِ سُحنون ؛ وكان : من أهلِ الخيرِ البيِّنِ ، والعِبادةِ الظّاهرةِ ، والوَرَعِ الخالصِ .

وكان أبوه : من أهلِ الدُّنيا والأموالِ ؛ وممَّن يَصحَبُ السُّلطانَ . فنابَذَه : فى حياتِه ؛ وتبرّأَ من تركتِه : بعدَ وفاتِه . عَلَى أنَّ تركتَه كانتْ : نحوَ ثمانيةِ آلافِ مِثْقالٍ .

وشَهِدَ عليه فى حياتِه — : بأنّه قتلَ رجلا عَمداً . — عندَ بعضِ القُضاةِ ؛ فعرّضَ أبوه : بالطَّعْنِ عليه ؛ فقال له القاضى : واللهِ : لئنْ شَهِدَ عليك معه ثانٍ ، لأسْفِكَنَّ دَمَك .

---

(١) بالاصل : « فأقلبه » ؛ وهو تحريف .

كان الغالبُ عليه : النسُكَ ، والتّقشفَ ، والصلاةَ ، والإعراضَ عن الدُّنيا وأخبارِها .

حكى لى رجلٌ من أهل القَيْروانِ — : كان خادمَه ، وكان خبيراً .— قال : أتاه رجلٌ جزّارٌ ، فسأله : أن يُعطيَه دنانيرَ : قِراضاً ؛ فدفعَ[1] إليه نحوَ الثّمانيةِ مثاقيلَ .

(قال) : فأكَلَها الجزّارُ ، واستَهلَكها .

(قال الرجلُ) : فقُمتُ له عليه : فلم أجِدْ عنده ما آخُذُ منه ؛ فضَرَبْتُها عليه نُجوماً : فى كل نَجمٍ رُبعُ مِثقالٍ .

(قال) : ثم : أتَيْتُ جَبَلةَ ، فأخبرْتُه : بفَلَسِه وفَقْرِه .

(قال) : فجَعَل يَتحَنّنُ عليه ؛ فقلتُ له : إنى قاطَعْتُه : عَلَى أنْ يُؤدِّيها نجوماً فى كلِّ نَجمٍ رُبعُ مِثقالٍ .

فقال : رُبعُ مِثقالٍ : كثيرٌ ؛ ولستُ آمَنُ : أن لا يَقدِرَ عليه .

(قال) : فقلتُ له : وكم ترى أنْ يُؤخَذَ منه ؟

قال : أربعةُ دراهمَ . وكان صَرْفُ المِثقالِ — ذلك الوقتَ — أثنَىْ عَشَرَ درهما كيلاً ؛ بمثقالٍ .

(قال) : قلتُ له : إنَّ رُبعَ المِثقالِ[2] هو : أقَلُّ من أربعةِ دراهِمَ .

فقال : حَسَنٌ إذاً .

وله عن سُحنونٍ : مسائلُ يَرْوِيها ، وحكاياتٌ يَحْكيها .

* * *

---

(١) بالأصل : « يدفع » ؛ وهو تصحيف .

(٢) بالأصل : « الربع مثقال » ؛ وهو تحريف .

حَمْدِيسُ القَطَّانُ

١٦ أبو جعفرٍ حَمْدِيسُ بن محمدٍ القَطَّانُ ؛ كان عَلَماً : فى الفضلِ ؛ ومَثَلاً : فى الخيرِ . معَ صَلَابةٍ شديدةٍ : فى مذاهبِ السُّنةِ ؛ وغُلُوٍّ عظيمٍ : فى[1] التَّجَنِّى عَلَى مَن يَنْحَرِفُ عن طريقةِ أهلِها .

وكان : قد لَهِجَ الناسُ : بفَضْلِه ؛ وأقرُّوا : بخيرِه .

وكان : من أصحابِ سحنونٍ ، ومن المعدُودِينَ : فى رجالِه .

وقد ذكرتُ فى كتاب : التَّعريفِ — : من أخبارِه . — مالم أذكرْه : فى هذا الكتابِ .

* * *

عبْدُ الجبَّارِ بنُ خالدٍ السُّرتىُّ

١٧ عبدُ الجبَّارِ بنُ خالدٍ السُّرْتىُّ ؛ كان : من أصحابِ سحنونٍ ؛ ومن المعروفين : بالعبادة .

وكان : صاحباً لحمديسٍ القَطَّانِ ؛ وبهما يَضْرِبُ أهلُ القَيْروانِ المثَلَ : فى الفضلِ والدِّينِ . إلاَّ أنَّ عبدَ الجبَّارِ — فيما أخبرنى لُقمانُ بنُ يوسُفَ — كان : أنْبَهَ وأفْهَمَ .

وكان عبدُ الجبَّارِ : مُنابِذًا لابن طالبٍ القاضى ، ومُعادِياً : بعد مُصَادَقةٍ مُتقدِّمَةٍ .

قال لى عباسُ بنُ عيسى الممسى : قال لى ابنُ محبوبٍ :

ذكَرَ ابنُ طالبٍ يوماً ، عبدَ الجبَّارِ ، فأوْقَعَ به : فى سُوءِ الثَّناء عليه . (قال ابنُ محبوبٍ) : فلمَّا خلَوْتُ بابنِ طالبٍ : عذَلْتُه فى ذلك ، وحَضَضْتُه : على

---

(١) بالأصل : « من » ؛ وهو تصحيف .

الإغْضاء والإعْراضِ عن ذِكْرِه؛ وذكَرْتُ له ما كان بينَه وبينَ [عبدِ الجبَّارِ]: من قَديمِ الصُّحْبَةِ .

(قال ابنُ محبوبٍ) : فقال لى ابنُ طالبٍ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ لو أنَّ عبدَ الجبَّارِ: أخذَ سِكِّيناً ، وجعَلَ يَنْكُثُ به أعْضائى : عُضْوًا ، عُضوًا — : لَصبَرْتُ عَلَى ذلك ، واحتَمَلْتُه : مالم يَعرِضْ لِمَقاتِلِى ؛ فإنْ عَرَضَ[1] لها : اضْطُرِرْتُ إلى أنْ أذُبَّ عن نفْسِى ؛ وقد — واللهِ — تعَرَّضَ مَقاتِلِى ، ولا سَبيلَ للصَّبرِ عليه .

فلمَّا نُكِبَ ابنُ طالبٍ ، وجَلَس إبراهيمُ بن أحمدَ فى مقصورةِ جامعِ (رفادة) وأحْضَرَ وُجوهَ النَّاسِ : من أهلِ كلِّ مَذهبٍ ؛ واسْتَمْطَرَهُم الشَّهادةَ عَلَى ابنِ طالبٍ ، بمَساوِيهِ — : أحجَمَ النَّاسُ كلهم ، غيرَ عبدِ الجبَّارِ : فأوَّلُ مَن صَبَّها عليه ؛ فشَهِد عليه : أنه لم يزَلْ يعرِفُه : يَخطُبُ سَريرَ الأميرِ .

فقال إبراهيمُ بن أحمدَ : هو أخْزَى وأذَلُّ من ذلك .

***

أبو الأحْوَصِ المُتَعَبِّدُ

١٨ أبو الأحْوَصِ أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ ؛ كان : رجلاً من أهلِ الفضلِ ؛ وكانتْ له : صُحبةٌ من سَحْنُونِ بن سَعيدٍ . وكان الخيرُ والعِبادةُ : أغلَبَ عليه من الفقهِ .

أخبرنى أبو محمدٍ الغَنمىُّ ؛ قال : شهِدْتُه يومَ الجُمُعةِ فى الجامعِ ، فرأيتُ : الإمامَ يَخْطُبُ ، وأبو الأحْوصِ يَبْكِى .

وحَكَى لى عنه أبو محمدٍ الغَنمىُّ ؛ قال : قال أبو الأحوصِ : « غابَ إمامُ الجامعِ يوماً ، عن صلاةِ العصرِ : فعُزِمَ علىَّ فتقدَّمْتُ ؛ فلَقد صحَّ عندى : أنِّى ما سلَّمتُ من الصلاةِ : نَعِماً ؛ حتى بَدَأَ قومٌ : يُفتِّشون عن عيوبى » ؛ وما سمعتُ

(١) بالأصل : « اعرض » ، وهو تحريف .

مَن يذكُرُ ذلك من قبلُ ؛ كأنَّه يقولُ : إن الخمولَ : من أسبابِ السَّتْرِ .

وصدَقَ أبو الأحوصِ : مقدارُ كشفِ الناسِ عن عيوبِ الرجالِ : على مقدارِ ظهورِه فيهم .

ويُشْبِهُ هذا المعنَى : أنِّى حضرتُ بعضَ المجالسِ بالقَيْروانِ ، فذكَرُوا شيخًا : من أهلِ العلمِ ؛ قد كان : ظَهَرَ سُؤْدُدُه ، وقامَ جاهُه ؛ ثم انقلبتْ به الحالُ ، وانفرَجَتْ طريقتُه إلى طريقة التَفتُّكِ : لوُلُوعِه بغلامٍ كان يَصْحَبُه .

فقال حُسينُ بنُ أحمدَ بنِ مُعْتِبٍ : عجبًا للناس ! قد أُولِعُوا بفلانٍ : لمَا اقْتَرَفَ : من فعلِ كذا ؛ وفى الناسِ مَن قد تقلَّدَ أمثالَ ذلك : وما أحدٌ يذكُرُه بشىءٍ : من ذلك .

فقال أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ أبى خالدٍ الدَّبَّاغُ — وهو اليومَ : أحدُ عقلاءِ رجالِ القَيْروانِ . — أنا أضربُ لكم فى ذلك مثلاً : لو أنَّ رجلاً : ممَّن شأنُه لُبسُ الثِّيابِ الوَسِخَةِ ، والأَطْمارِ الخلَقةِ ؛ وقعَ فى صدْرِ ثوبِه وسَخٌ شنيعُ[1] المنظرِ ثم شقَّ السِّماطَ كلَّه — : لمَا أنكَرَ أحدٌ عليه شيئًا . ولو وَقَعَ مثلُ ذلك ، فى صدرِ ثوبِ رجلٍ : لبَّاسٍ نقيِّ الثوب ؛ فشقَّ به السِّماطَ — : لمالَتْ الأبصارُ إليه من كلِّ جانبٍ ؛ ولاسْتَفْظَعَ[2] رِضاهُ : بلُبْسِ ذلك الثوبِ .

فقلنا له — من كلِّ موضعٍ — : صدَقْتَ .

فكان أبو الأحْوصِ هذا المُتَعَبِّدُ : ربَّما حكَى حكاياتٍ ؛ أخبرنى أبو بكرٍ محمدُ بن محمدِ بن اللَّبَّادِ ، عن أبى الأحوصِ ؛ قال :

سُئِلَ سُحنونٌ : عمَّا يأتى به أهلُ الشَّامِ : من الرُّخَصِ فى الفُتْيا .

---

(١) بالأصل : « شنع » ، وهو محرف عنه . انظر : المختار .

(٢) بالأصل : « ولاستقطع » : وهو تصحيف .

فقال سحنونٌ : يُؤخذُ هذا العلمُ من الموثوقِ بهم : في دِينهم؛ المحسوس(١) : بخيرهم . فإن أخذوا بالشديدِ : فعن علمٍ ؛ وإن أخذوا بالرخصةِ : فعن علمٍ .

وقال أحمدُ بن محمدِ بن عبدِ الرحمن القصريُّ : أخبرني بهذه الحكايةِ عن سحنونِ بن سعيدٍ — : حَمْديسٌ القطَّانُ ، وعبدُ الله بن أحمدَ بن طالبٍ ، وغيرُهما .

* * *

أبو عَيَّاشٍ

١٩ وأبو عَيَّاشٍ ؛ كان : من أصحابِ محمدِ بن سحنونٍ ؛ وكان : كثيرَ الحكايةِ والرِّوايةِ ؛ سمع منه غيرُ ما رجلٍ : من جِلَّةِ رجالِ القيروانِ .

* * *

سُليمانُ بن سالمٍ ، المعروفُ : بابن الكَحَّالةِ

٢٠ وسُليمانُ بن سالمٍ : المعروفُ : بابن الكحَّالةِ ؛ سمع من سحنونٍ ، ومن غيرِه : من مشايخِ إفريقيَّةَ ؛ وسمعَ من زيدِ بن بشرٍ .

حكى لى أبو محمدٍ الغنميُّ ؛ قال : حدَّثني سُليمانُ بن سالمٍ ، عن زيدِ بن بشرٍ ؛ قال : دخلتُ المدينةَ : فلقيتُ محمدَ بنَ مالكِ بن أنسٍ ؛ فقلتُ له : حدِّثني عن أبيك بشيءٍ . فقال : ما أحفظُ شيئاً .

قال : فقلت له : تذكَّرْ . فقال : سمعتُ أبي ، يقولُ : أدركتُ مسجدَ النبيِّ

(١) أي : الذين أحس وشعر بخيرهم . وفي الأصل : « الحسن » ؛ وهو تصحيف .

(صلى الله عليه وسلم) : يقومُ فيه طائفةٌ من الناسِ : إلى ثلثِ اللَّيلِ ؛ ثم تَذهبُ ؛ ثم تَأتِى طائفةٌ أخرى : فتقومُ فيه الثُّلثَ الأوسطَ ؛ ثم تذهبُ ؛ ثم تَأتِى طائفةٌ ثالثةٌ : فتَقومُ فيه إلى صلاةِ الصُّبحِ .

وكان سُليمانُ بن سالِمٍ هذا : قد وُلِّىَ قضاءَ صِقِلِّيَّةَ ، فى أيامِ إبراهيمَ بنِ أحمدَ . وكان الغالبُ عَلَى سُليمانَ بنِ سالمٍ : الرِّوايَةَ والتّقييدَ .

* * *

سَعيدُ بنُ محمدِ بنِ الحَدّادِ

٢١ ومن أصحابِ سَحنونِ بن سعيدٍ : سَعيدُ بن محمدِ بن الحدّادِ؛ صحِبَ سَحنونَ ابن سعيدٍ ، وكان : يُطْرِيه جِداً ، وَيذهَبُ فى حسنِ الثَّناء عليه كلَّ مذهبٍ .

ولم يَرحَلْ ، ولا حَجَّ : لأنه كان رجلاً فقيراً ؛ وإنما أَثْرَى وتَموَّلَ : بعدَ الشَّيخِ والزَّمَانةِ . ماتَ له وارثٌ بصِقِلِّيَّةَ : بلَغَتْ وِراثتُه منه : نحوَ الخمسِ مائةِ مِثْقالٍ .

وكان أبو عُثمانَ هذا : قليلَ الاشْتِغالِ[1] بجَمْعِ الكتُبِ وبالرِّوايةِ ؛ وكان يقولُ : إنَّمَا هو : النَّظرُ والخَبَرُ ؛ فلو دخَلْتُ المَشرِقَ : ما كانتْ لى فيه حاجةٌ غيرُ الخبرِ .

وَرَحَلَ إلى أبى الحسنِ الكُوفىِّ ـ : إذ نَزَلَ اطرَابُلسَ . ـ فسمِع بعض الحديثِ .

(١) بالأصل: «الأشغال» ؛ وهو تحريف.

وكان : عالمًا باللغة ، نافذًا [١] في النحو : عربيَّ اللسان ، جَهيرَ الصَّوتِ : إذا لَحَن في لفظه : أستغفرَ اللهَ ، وأعادَ الكلامَ : مُعْرَبًا .

وكان : إذا تكلَّف الشِّعرَ أجادَه ؛ ولم يُحفَظْ من شِعره غيرُ مَراثيه : في ولدٍ مات له ، وفي ابنِ أخٍ أُسِرَ له ؛ وشيء [٢] يعرِضُ له : على معنى التمثُّلِ .

أتاه رجلٌ ، فقال له : أنشِدْني شعرك : في ابنك .

فقال : لستُ بشاعرٍ ياهذا : إنَّما حضرَتْني رِقَّةٌ [٣] على ولَدي ؛ فقلتُ فيه ما حضرَني .

وكان مذهَبُه : النَّظرَ والقياسَ والاجتهادَ ؛ لا يَتحلَّى بتقليدِ أحدٍ : من العلماء ؛ ويقولُ : إنَّما أدخَل كثيرًا ـ : من الناسِ ـ إلى التَّقليدِ : نَقْصُ العُقولِ ، ودَناءَةُ [٤] الهِمَمِ . وكان يقولُ : القولُ بلا عِلَّةٍ : تَعَبُّدٌ ؛ والتَّعبُّدُ : لايكونُ إلاَّ من المَعبودِ . وكان يقولُ : كيفَ يَسَعُ مِثلي ـ : ممَّن آتاهُ اللهُ فَهْمًا . ـ أنْ يُقلِّدَ أحدًا : من العلماء ؛ بلا حُجَّةٍ ظاهرةٍ . ؟!

قال لي محمدُ بن مَسرُورٍ النجَّارُ : جلَستُ إلى سعيدِ بن محمدٍ يومًا ، فألقيتُ عليه مسألةً ؛ مُعضِلةً [٥] مُعقَّدةً ؛ من كتاب أشهَبَ بنِ عبدِ العزيز . (قال) : فبدَأ : بتنزيلِها ، وبالنَّظرِ فيها . فلم يزَلْ : يلخِّصُها شيئًا شيئًا ، حتى بلغَ فيها إلى ما بلَغَ أشهب بنُ عبدِ العزيزِ .

فقلت له : أصبْتَ أبا عثمانَ ؛ هكذا قال أشهبُ في كتابه .

---

(١) كذا بالأصل : وقد يكون مصحفا عن : « ناقدا » .

(٢) بالأصل : « وفي شيء » ؛ ولعل الزيادة : من الناسخ أو الطابع . فتأمل .

(٣) بالأصل : « رفة » بالفاء . وهو تصحيف .

(٤) أي : قصر الهمم وخساستها . وفي الأصل : « ودنا » ؛ وهو تحريف .

(٥) بالأصل « مقفلة » ؛ والظاهر ؛ أنه مصحف عما أثبتنا .

(قال) : فقال لى (أى[1] : سعيدُ بن محمدٍ) : لعلَّ أشهبَ ما وضَعَها : حتى تَدَبَّرَها أياماً ، ونظَرَ فيها حيناً ؛ وقد أتَيْنا نحنُ بجوابها : بنظَرِ ساعةٍ واحدةٍ .

وحَكَى عنه رجلٌ من جُلَسائه ـ يُعرَفُ : بابن المكِّىِّ ـ قال : قلتُ[2] له يوماً : يا أبا عُثمانَ ؛ ما أُشَبِّهُ نفْسِى ـ إذا كنتُ بيْنَ يديكَ ـ إلاَّ : بالحمار .

(قال) : فقال لى : لا تَفعَلْ ـ يا أبا محمدٍ ـ : فإنَّك تحِسُّ حِسّاً لطيفاً : وأنت كما قال الشاعرُ :

* وفَوْقَكَ أقْوامٌ : وأنْتَ شَرِيفُ *

وقال له ابنُ الأشَجِّ يوماً ـ بينَ يدىْ إبراهيمَ بنِ أحمدَ ـ : هذا بابٌ لا يحْسِنُه[3] .

فقال له سعيدُ بن محمدٍ : أنَا أعلمُ بهذا من الرَّابعِ : من مُعَلِّميكَ .

وحَضَر يوماً مجلساً ـ : من المجالسِ . ـ فأُتِىَ بوثيقةٍ : ليكتُبَ شهادتَه ؛ فقال : فيها خطأ .

فقال له صاحبُ الوَثيقةِ : إنَّ ابنَ عَبدونٍ كتَبَها ! .

قال له سعيدٌ : هو الذى أخْطَأَ فيها . قال سعيدٌ : حَضَر معى ابنُ عبدونٍ يوماً ، مجلسَ المهْرِىِّ ، فأنشَدَنا المهرىُّ بيْتَيْنِ . (قال سعيدٌ) : فلَقِنْتهما أنا وابنُ عبدونٍ ؛ فلما خَرجْنا ، قال لى ابن عبدونٍ : أنشِدْنيهما ـ يا أبا عثمانَ ـ : فقد أُنسيتهما .

فقلتُ له : إن أقْرَرت على نفسك : أنك حمارٌ ؛ أنشدتُكهما .

(قال) : فقال لى : أنا حمارٌ ؛ وأنشِدْنيهما .

(قال) : فأنشدْتُه : ثم افترَقْنا . فأرسَلَ إلىَّ ـ من بعد ـ يسألنى : أنْ أكْتُبَها له ، وأبعثَ بهما إليه . (قال) : فقلتُ لرسولِه : باللهِ : لا يسمعُهما منى ، ولا كَتَبْتُهما له أبداً .

---

(١) بالأصل : « أيا » ؛ وهو تصحيف (٢) بالأصل : « فقات » ؛ وهو تحريف

(٣) بالأصل : « يحسه » ؛ وهو تحريف .

وأبو عثمانَ (سعيدُ بن محمدٍ) : غَزِيرُ التأليفِ ، كَثِيرُ الوَضْعِ ؛ له كتبٌ مُؤلفةٌ : فى فنِّ الكلامِ ، والجَدَلِ . وله كُتُبٌ : فى فن الفقهِ والمسائلِ . وله كُتُبٌ : فى النَّظَرِ .

وله رَدٌّ على الشافعى : فى كتابٍ لم يَظهَرْ على أيدى الناسِ ؛ وأُراهُ : لم يأخُذْ نسْخَتَه ، وكان مِقدارُ تأليفِه على الشافعى : شُقَّتَيْنِ ؛ كلُّ شُقَّةٍ منهما تُسمَّى : ثُلثَ قِرْطاسٍ ؛ فملأها : ظَهْراً وبَطْناً .

وسمعتُ أحمدَ بن موسى التَّمَّارَ ، يَذكُرُ الصَّدرَ من كتابه هذا — : الَّذى كتَبه إلى أبى إبراهيمَ إسماعيلَ بن يَحيى المُزَنى . — وهو :

« أمَّا بعدُ : فإنَّه لَمَّا بَعُدَتْ دارِى عن أنْدِيَةِ العُلماءِ ، ولم أجِدْ بالمَحَلِّ الذى أنَا به ، مُفيداً : أستَمِدُ منه مَعُونةً ؛ ولا إنْسِيًّا : يُشارِكُنى فى فِكْرَةٍ[1] ، وأعرِضُ عليه ما يَفْرُقُ[2] لى : من تَدْبيرِ مسألةٍ ؛ وكَثُرَ أشْياعُ الباطلِ ، وقامتْ دَولَةُ الجَهلِ — : حاولْتُ النُّهوضَ لأداء ما افْتَرَضَ اللهُ علىَّ : من حجِ بيْتِه الحرَامِ ؛ وأنْ أضرِبَ[3] إلى كل أُفُقٍ : فيه عليمٌ بالحق ؛ أُناصِحُه وأسْتَرْشِدُه . فحالَتْ العَوائقُ : دونَ مَرامى ؛ وحَبَسَتْنى : دُون سُؤْلى . »

« وإنى تَعَقَّبْتُ ديوانَ محمدِ بن إدريسَ الشافعىِّ : فاطَّلَعْتُ على ما ذكرْتُه . » .

قال أحمد بن موسى : فذُكِرَ لى : أنَّه لمَّا وَرَد الكتابُ على المُزَنىِّ : قرأه وسكتَ ؛ وجعلَ فتًى — : من البغداذِيِّينَ . — يحرِّكه : فى جوابِه ؛ والمزنىُّ يُعرِضُ عنه .

فلمَّا أكثرَ عليه : رَمَى إليه الكتاب ، وقال : أمَّا أنَا : فقد قرأتُ وسكتُّ ؛ فمَن كان عندَه عِلمٌ : فلْيَتكلَّمْ .

---

(١) بالأصل : « فكره » ؛ وهو تصحيف .　(٢) أى : يبين ويظهر .
(٣) أى : أسافر وأرحل .

وكان أبو عثمانَ : آنَسَ الفُقهاءِ : مَجلِساً ؛ وأَغْزرَهم : خَبراً . وهذه صفةُ ولدِه: عبدِ اللهِ ؛ إلى اليوم : ما رأيتُ آنَسَ منه : مَجلساً ؛ إذا قَعَدَ مقعَداً : لم يَطمَعْ أحدٌ : فى القولِ ، ولا فى الحديثِ .

***

أبو داودَ العَطَّارُ أحمدُ بنُ موسى بنِ جَريرٍ

٢٢ وأبو داودَ العَطَّارُ أحمدُ بنُ موسى بنِ جَريرٍ ، قد ذَكَرَ أبو العَربِ بنُ تميمٍ : أباه ؛ فى هذا الكتابِ : من قَبلُ . وذَكَرَ : أَنَّ بسببهِ سَمِع أبو داودَ من جِلَّةِ شُيوخِ القَيْروانِ .

وهو : معدُودٌ فى أصحاب سَحنونٍ ؛ وكان : من ذَوِى الوَجاهةِ والتَّقَدُّم .

***

إبراهيمُ بن عتَّابٍ الخَوْلانىُّ

٢٣ وإبراهيمُ بن عتَّابٍ الخَوْلانىُّ ؛ كان : من أصحابِ سَحنونٍ ، ومَذكوراً فى جُمْلَتِهم .

كان : قليلَ الفَهمِ ؛ غالِياً فى مذهبِ ابنِ سَحنونٍ : فى مسألةِ الإيمان ؛ شديدَ الانْتِقاصِ لمحمدِ بن عَبْدوسٍ : عَصَبِيَّةً لابن سَحنونٍ .

بلغ ذلك به : إلى أنْ حَضَر جِنازةً ، فتَقَدَّمَ عليها محمدُ بن عَبْدوسٍ : فانصرفَ ابنُ عَتَّابٍ ولم يُصلِّ خلفَه .

فبَلَغ ذلكَ إلى ابن طالبٍ — وذلك : فى أوّلِ انْبعاثِه ؛ وأُراهُ : كان حاكما عَلَى المظالم . — فقال له: لِمَ انْصَرَفْتَ عن الصلاةِ من[1] وراءِ الإمامِ الفاضلِ ابنِ عبدوسٍ ؟ .

---

(١) بالأصل : « ومن » ؛ ولعل الزيادة من الناسخ أو الطابع .

فقال : لأنه شُكوكيٌّ (١) .

فقال له : وما تقول فى شُكوكيَّته ؟

فقال له : يقولُ : إنه ليس بمؤمنٍ عندَ اللهِ .

وكان حماسُ بن مَرْوانَ حاضراً ؛ فقال : أنا أشهد على ٱبنِ عبدوس ، أنه يقول : من قال : ليس هو مُؤمناً عند ٱللهِ ؛ فهو كافرٌ عند ٱللهِ .

فأمرَ ٱبن طالبٍ — حينئذٍ — بابن عتَّابٍ : إلى السجنِ .

إبراهيمُ بن لِبْدَةَ

٢٤ وإبراهيم بن لِبْدَةَ : كان : ٱبنَ أخى سَحنونِ بن سعيدٍ ؛ ولم يكنْ — : فى الفقهِ . — بُهنَاكَ . إلاَّ : أنَّه قامَ له جاهٌ بالبلَدِ — بعدَ موتِ سحنونٍ — : بتقديمهِ فى شُيوخهِ المُتقدِّمين .

قال لى أحمدُ بن نَصْرٍ : كانتْ المسائلُ تَردُه من كلِّ جانبٍ : فمرَّةً كان يُلْقِيها : إلىَّ ؛ ومرَّةً : إلى موسى القَطَّانِ ؛ فَنتَولَّى ٱلجوابَ عنه .

(قال لى) : وكان يقولُ الناسُ : « ٱبنُ لِبْدةَ : عالِمُ ٱلأميرِ » . لأنهم كانوا يَفْطِنُون : أنه لا عِلْمَ عندَه ؛ وإنَّما ٱلأميرُ جعَله عالماً .

* * *

أحمدُ ٱلمَعْرُوفُ بالصَّوَّافِ

٢٥ وأحمدُ ٱلمَعروفُ : بالصَّوافِ . قال لى أبو محمدٍ الغنمىُّ : كان أحمدُ الصَّوافُ : من الفُضَلاء المتقدِّمين ، والعُبَّادِ المجتهدِين ؛ سمِع من سَحنونِ بن سعيدٍ ؛ وكان : يَغلِبُ عليه الخيرُ والعِبادةُ .

* * *

(١) أى كثير الشك . يعنى المسألة المشهورة بينه وبين ابن سحنون . ذكرها ابن عرفه فى عمله الكلامى . كذا بالهامش .

سَعيدُ بن إسْحاقَ

٢٦ وسَعيدُ بن إسحاقَ ؛ كان : من رجالِ سَحنونٍ ؛ سمِعَ منه ومن غيرِه . حدّثنا عنه كلُّ شيخٍ لقيتُه ؛ وكان : كثيرَ الرِّباطِ ؛ تغلِبُ عليه الرِّوايةُ والجَمْعُ للحديثِ .

* * *

ابنُ عَلاَقةَ

٢٧ وابنُ عَلاَقةَ ؛ وهو : خالُ حَماسِ بن مَرْوانَ . وهو : الذى كان يأتى بحَماسٍ إلى سَحنون — وهو صَبِىٌّ — : يَسمَعُ منه .

* * *

حَماسُ بنُ مَرْوانَ

٢٨ وحَماسُ بنُ مَرْوانَ ؛ يُعدُّ : من مَشايخِ سَحنونٍ ؛ وتَقعُدُ به — فى ذلك —: صُحبتُه له : فى الصِّغَرِ ؛ واُختلافُه إليه : فى الصِّبَا .

ولمّا شَبَّ ، وماتَ سَحنونُ بن سعيدٍ — واظَبَ : على محمدِ بن عَبدوسٍ ؛ فانتَفَع به ؛ وكان من بَعدُ : عالماً أستاذاً ، حاذِقاً بأسبابِ مالكٍ وأصحابه ؛ يحكِى فى مَعانيه ابنَ عَبدوسٍ .

لمّا دخَلَ مصرَ : قَصَد إلى حَلْقةِ ابنِ عبدِ الحكَمِ ، فجلسَ — : وابنُ عبدِ الحكَمِ لا يعرِفُه . — فتكلَّمَ حَماسٌ : فصَرَف إليه ابنُ عبدِ الحكَمِ وَجْهَه . ثم زادَ فى الكلامِ : فسأله ابنُ عبدِ الحكَمِ : عن مسألتَينِ فى الجِرَاحِ ؛ فأجابَه ؛ ثم سأله : عن الفَرْقِ ؛ فأجابَ وجَوَّدَ .

فقال له ابنُ عبدِ الحكَمِ : يَنبَغِى أنْ تكونَ : حَماسَ بن مَرْوانَ .

فقال له : نعمْ . فعَذَرَه فى الجفْوةِ — : إذ لم يَقصِدْ إليه ، ويُعرِّفْه بنفسِه . — وأنزَلَه : بمنزِلةِ المكرَّمِ المعظَّمِ .

* * *

محمدُ بنُ بَسِيلٍ

وممَّنْ أشْبَهَ حَماساً[1] —: في صحبته سَحنوناً: في سِنِّ الصِّبا في حين الصِّغَرِ. —:

٢٩ محمدُ بنُ بَسِيلٍ. كان: يَختلِفُ إلى سَحنونٍ: طفلا؛ ومعَه غِلمانٌ له مَماليكُ: يَحمِلون له مُصلًّى، ويُمسِكون دابَّتَه.

لَقِيتُه أنا، وأدركتُه: وأنا طِفلٌ؛ وسمِعتُه يقولُ: رأيتُ سَحنوناً: يَفعلُ كذا، وسمِعتُه: يقولُ كذا.

وكانتْ لابنِ بَسيلٍ هـذا — بعدَ ذلك — رِحْلةٌ: لَقِيَ فيها ابْنَ رُمْحٍ، وغيرَه: من شُيوخِ أهلِ المَشرِقِ.

* * *

سَعيدٌ المعروفُ: بمزْغَلةَ

٣٠ وسَعيدٌ المعروفُ: بمزْغَلةَ؛ وكان: من أصحابِ سحنونٍ؛ وكان: تَغلِبُ عليه العِبادةُ والتَّنَسُّكُ: وكان: رجلاً صالحاً، حَسنَ النِّيةِ.

* * *

أبو خالدٍ الحامِى

٣١ وأبو خالدٍ الحامِى؛ كان من رجالِ سحنونٍ. وكان: يذكُرُه سعيدُ بن الحدَّادِ، ويُطْرِيهِ.

وكان يَحكِى عنه سَعيدٌ: أنَّه قال: سألتُ سَحنوناً: أنْ أقرأَ عليه كتابَ [ابنِ القاسمِ] من المُختلِطةِ. فقال لى: علَى أنى لا أقولُ منه إلا بخَمس مسائلَ. (شكَّ سعيدٌ فى ذلك).

---

(١) بالأصل: «شبه»؛ وهو محرف عنه أوعن: شابه.

اُلزَّوَاوِيُّ

٣٢ وسمعتُ مَن يَذكُرُ – من شُيوخِ سَحنونٍ – : اُلزَّوَاوِيَّ . ولم أَقِفْ[1] – من مَعرفته – عَلَى مثالِ ذلك[2] . ثم قدَّمتُ اُسمَه .

***

اُبن أبى قَيزُون ؛ وسدورُ ، واُبنُ أختِ جامعٍ

٣٣و٣٤و٣٥ وذَكَرلى لقمانُ بن يوسُفَ : اُبنَ قَيزُون، وسدورا، وابنَ أختِ جامعٍ ؛ وأَطْرَاهم. وذَكَرهم: بالعِلمِ الفائق ؛ فى حكايةٍ : قد نَصَصْتُها فى كتابِ (التَّعْرِيفِ) .

***

محمدُ بنُ زرْقُون بنِ أبى مَرْيَمَ

٣٦ ومِن مُقدَّمِى رجالِ سَحْنونٍ : محمدُ بنُ زرْقُونِ بن أبى مَرْيَمَ .

كان : كاتباً لابنِ طالب : إذ كان قاضياً .

وسمِعتُ أبا بكرِ بنَ اللَّبَّادِ : يُطْرِيهِ كثيراً ، ويَذكُرُ : أنه لم يكنْ فى شُيوخ سَحنونٍ ، آنَسُ : مجلساً منه .

***

٣٧ وكذلك ، رأيْتُ ولَدَه : أبا الحسنِ عليَّ بنَ محمدِ بنِ زرْقُونٍ ؛ أنيسَ المَجلِسِ ، كثيرَ الحكاياتِ . وهو – فى ذلك – نظيرٌ لعبدِ اللهِ بنِ سعيدِ بنِ الحدَّادِ .

***

اُنتهَى الجزء بحمدِ اُللهِ وعَوْنه

يَتلُوه الطَّبَقَةُ الثَّانيةُ الَّتِى تَلِى هـذه :

فى السِّنِّ والإِدْراكِ

---

(١) بالأصل : « افق » ؛ وهو تصحيف .

(٢) بالأصل : زيادة كلمة بعد ذلك ، هى : « معرفتى » .

الجزء الثاني

من

علماء إفْرِيقِيَّة

تأليف

محمدِ بن حارثِ بنِ أسدٍ الخُشَنِيّ

[بتجزئة الأصل]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى اللهُ على سيدنا ومولانا محمدٍ وآلهِ وصحبِه . وسلم

الطَّبَقَةُ الثَّانِيةُ الَّتى تَلِي هذه فى :

السِّنِّ والإدْرَاكِ

***

أبو الأسْودِ مُوسى بن عبدِ الرحمنِ القَطَّانُ

٣٨ مُوسى بنُ عبدِ الرحمن ، المُكَنَّى : بأبى الأسْودِ ؛ المعرُوفُ : بالقَطَّان . صَحِبَ محمدَ بن سَحنونٍ ، وسمِعَ منه . وكان : يُحسِنُ المسائلَ والتَّكلُّمَ فى الرَّأْىِ : عَلَى مَذهبِ مالكٍ وأصحابِه .

ولاَّه إبراهيمُ بن أحمدَ ، قضاءَ اطرابلس : فبَغَى وآذَى؛ وعَزَله وحَبَسَه . فكان مَحبوساً عندَه — فى الكَنيسةِ — دَهْراً؛ ثم أطلقَه .

***

أبو جَعفرٍ أحمدُ بن نصرٍ

٣٩ وأبو جَعْفَرٍ أحمدُ بنُ نَصْرٍ؛ سمِعَ من محمدِ بن سَحنونٍ، ومن محمدِ بن عَبْدوسٍ، ومن يوسُفَ بنِ يحيَى المغامىِّ . وكان : عالمًا مُتقدِّماً : بأصولِ العلمِ ؛ حاذِقاً : بالمُنَاظَرةِ فيه ؛ مَليًّا : بالشَّاهدِ والنَّظائرِ فيه .

وكان : صحيحَ المَذهَبِ ، سَليمَ القَلبِ ؛ بَعيداً من أخلاقِ الناس ، فـ[يما] يَلتزِمُون : من أسبابِ التَّصَنُّعِ ، ووُجُوهِ التَّكلُّفِ ؛ عَلَى معنى : التَّأدُّبِ والتَّزَيُّنِ .

حضَرْتُه يوماً : ونحنُ عندَه وجماعةٌ — : من النَّاظِرين فى المسائلِ ، والمُعنِيِّين بالمناظرةِ . — حتى دخَلَ عليه محمدُ بن عبدِ اللهِ بنِ مَسَرَّةَ القُرطبىُّ ؛ فسلَّم

وجَلَس جانباً ـ : وأنا لا أعرِفه ، ولا أحدٌ من المَجلسِ . ـ فرأيته : يُقَلِّبُ بَصَرَه فى وُجوهِ المُتَكلِّمين ، ويُديلُ النَّظَرَ فيما بيْنَهم : فِعْلَ مَن قد رسَخَ : فى الصَّنعةِ ؛ وعَرَف مانحنُ فيه . فلم أُشكَّ : أنَّه من أهلِ العِلمِ ؛ وما فَطِنَ بذلك منه ، غيرى وغيرُ فتًى ـ : من أصحابى . ـ يُعرَفُ : برَبيعٍ القَطَّانِ .

وطالَ المَجلسُ بنا : على تلك الحالِ ؛ حتَّى أظهرَ الشيخُ : التَّحركَ ؛ وأَوْمَأَ[1] : إلى القيام ؛ وتَداعَى أهلُ المجلسِ : إلى النُّهوضِ ، فكرِهتُ أنا : أنْ أقومَ ؛ حتى أعرِفَ آخراً : مَنِ الرجلُ الدَّاخِلُ علينا ؟ . فثَبَتُّ .

فلمَّا خَفَّ المجلسُ : تَحَوَّلَ إليه أحمدُ بن نصرٍ ؛ فقال له ياشابُّ : جلَستَ منذُ اليومِ ؛ فهلْ مِن حاجةٍ تذكُرُها ؟ .

فانْدَفَع محمدُ بن مَسَرَّةَ ـ بكلامٍ : مَصنوعٍ ؛ إلاَّ أنه حَسَنٌ من الكلامِ جَيِّدٌ ـ فقال : أتَيتُك : مُقتَبِساً من نُورِك ، ومُستَمِدًّا بعلمك إلى مايُشبِهُ هذا : من القولِ . وأتَى به : شَبيهاً بخُطبةٍ مُوجَزةٍ . ولا عَهدَ لأحمد بن نصرٍ ، بمَن يخاطبُه بهذا الضَّربِ : من الخِطابِ .

فجعَل الشيخُ : يَنظرُ إليه ، ويَفهَمُ عنه ؛ حتى أتَى ابنُ مَسَرَّةَ : عَلَى ما أَحَبَّ أنْ يَتكلَّمَ به ؛ ثم سكَتَ .

فكان جوابُ أحمدَ بنِ نَصرٍ له ـ فى ذلك كلِّه ـ : أنْ قال له : ياشابُّ ؛ هذه الصِّفةُ هى : فى القُبورِ ؛ رحِم اللهُ مَن كانتْ هذه صفتَه .

فوَضَع ابن مَسَرَّةَ يدَيْه : فى الأرض ؛ ثم قامَ وقُمنا بإثْرِه .

* * *

وكان : لا ينظرُ ، ولا يَتصَرَّفُ فى شىءٍ : من العِلمِ ؛ غيرِ مذهبِ مالكٍ

---

(١) بالأصل : « وأومى » ؛ والأولى ماأثبتنا : إن لم يكن الصحيح . انظر : المختار .

ومسائلهِ . فكان : إذا سكَتَ عنها : لم يَبْلُغْ مَبْلَغَ الصَّوابِ فى شىء من أمرِه . و إذا تكلَّمَ فيها : كان عالماً فائقاً .

وكان قد تولّى الكتابةَ للقاضى : حَماسِ بنِ مَرْوانَ ؛ هو وسالمُ بنُ حَماسٍ .

***

حَسنُ بن البَنَّاء

٤٠ ومن هذه الطبقةِ : حَسنُ بنُ البَنَّاءِ ؛ إلاَّ : أنّه كان أفْخَمَ سُؤْدُدًا ، وأعظَمَ جاهاً .

وكان موتُه : فى صدْرِ دَولةِ عُبَيْدِ اللهِ .

كان : نبيلاً فاضِلاً ؛ ولاَّهُ إبراهيمُ بنُ أحمدَ قضاء (قصطالية) ؛ فعَرَضَ له فيها مِثلُ الذى عَرَض لموسى القطَّانِ ، من أهلِ إطرابلس : سَعَوْا به ، وخَطبوا فى حَبْلِه ؛ ورَفَعُوا عليه البَغْىَ عندَ إبراهيمَ : حتى عَثَرَ به ، وعزَله : بعدَ أنْ كان له معَ جماعةٍ — : من وُجوهِ البلدِ . — قِصَّةٌ عجيبةٌ .

وذلك : أنه قَدِمَ البريدُ إلى عاملِ (قصطالية) — : بعزلِه وتَخشيبِه ، ورفعِه إلى حبْسِ رقادةَ . — فألْفَى العاملَ : غائباً ؛ وكاتبه فى مكانه : جالساً .

فقال الكاتبُ للبَريدِ : ما ألذى جئتَ به فى هذا الكتابِ ؟.

قال : بعزْلِ ابنِ البنَّاء ، وتَخْشيبه .

فأرسَلَ : بالبُشْرَى ؛ إلى القومِ : الذين كانوا الاحْوَهْ ، و بسببهم نزلتْ به النّازِلة .

فأتَوْا سِراعاً إلى دارِ العاملِ : فاختَبَرُوا ذلك ؛ فصَحَّ عندَهم ما أتى به البريدُ : من عزْلِه ، وتخشيبه .

فاسْتَخفَّهُمُ السُّرورُ بذلك ، إلى أن قالوا : نَسيرُ إلى مجلس قضائه : فنشتمه ونتوَقّعُه(١) ، ونَشْفى صُدورَنا منه .

---

(١) كذا بالأصل ؛ أى : نغتابه ونوجعه . انظر : المختار .

فأتَوْه في مجلسِ حُكمِه ـ : ولا عِلْمَ له بما أتى فيه من عندِ أميرِه . ـ فصَبُّوا عليه : من قَوارِعِ السَّبِّ ؛ ما أَحَبُّوا .

فلم يَشُكَّ الرجلُ : أنهم لم يَجْسُرُوا بذلك عليه ، إلاَّ : وقد أيقَنوا بعَزْلِه . ونَظَر إلى نفسه ، في مجلس قضائه : لم يُبَلَّغْ إليه العَزْلُ ؛ فقال : مَن ههنا من الأعوان ؟ .

فابْتَدَرُوهُ ؛ فأمَرَ : بإمْساكِهم ؛ ثم أمَرَ بهم إلى العَمودِ : رَجُلاً رَجُلاً ؛فضُرِبَ كلُّ واحدٍ منهما :ضرباً وجيعاً ؛ونُكِّلَ بهم جميعاً . وأمرَ : بتَقْييدِهم في الحديد؛ وأَوْدَعهم السِّجنَ . وساعَدَه القَدَرُ فيهم : فلم يَقدَمْ العاملُ حتى نَفَّذَ فيهم كلَّ ما أحَبَّ .

ثم أتى العاملُ بإثرِ ذلك : فأرسلَ فيه ، وأوْثَقَهُ ، وأرسلَه إلى رفادةَ .

فلمَّا قدِم رفادةَ : تولَّى مُناظرَتَه ـ بينَ يدَيْ إبراهيمَ بنِ أحمدَ ـ [أ] بنُ عَبدونٍ فأبانَ ابنُ البنَّاء عن نفسِه ، وكَشفَ عن الشُّبَّةِ المَوْقُوعةِ إليه عليه .

فرَفَع إبراهيمُ رأسَه ـ إلى بَلاغِ الفتَى ـ فقال له بالصَّقْلَبيَّةِ : إني أرى هذاالرجلَ ، اُسْتَحَقَّ : أنْ تُنزَعَ[1] قَلَنْسُوَةُ القاضي ، وتُجْعَلَ في رأسه .

ثم بعدَ ذلك : ضَمَّه إبراهيمُ بنُ أحمدَ ، إلى كِتابةِ قاضيه : عيسى بنِ مِسكينٍ ؛ على الوَجهِ الذي ذكرْتُه ـ قبلَ هذا ــ : عندَ ذِكرِ عيسى بنِ مِسكينٍ[2] .

***

حَمْدُونٌ المعروفُ : بابنِ الطِّينة

ومن هذه الطَّبقةِ ، ثم رجالِ سَحنونٍ ـ :

٤١ حَمْدُونٌ ، المعروف : بابن الطينة ؛ وَلَّوْه قضاء (طينةَ) ؛ وكان بها زماناً .

---

(١) بالأصل : « ينزع » بالياء . والظاهر أنه تصحيف .

(٢) انظر : ص ١٩٤

أبو العبَّاسِ بن بطريقة

٤٢ وأبو العبَّاسِ بنُ بَطْرِيقةَ ؛ كان أيضاً : من رجالِ سَحنونٍ ، ومَعـدُوداً فى أصحابِه . ولَّوه قضاءَ إطرابلس .

* * *

دُحمـانُ بنُ مُعافَى

٤٣ ودُحمانُ بنُ مُعَافَى ؛ كان : شيخاً نبيلاً ، عنـدَه علمٌ وحركةٌ ؛ من أصحاب سَحنونٍ . ماتَ : فى صدْرِ دولةِ عُبيدِ اللهِ .

* * *

عبـدُ اللهِ بنُ الحسنِ ؛ المَعْرُوفُ : بابنِ العَبَّادِىِّ

٤٤ وممَّن صحِبَ ابنَ سحنونٍ : عبدُ اللهِ بنُ الحسنِ ؛ المعروفُ : بابنِ العبَّادِىِّ .

كان : يَميلُ إلى النظَرِ ؛ وخرَجَ عن إفْرِيقِيَّةَ ، ورَحَل إلى بَغدادَ : فظَهَر بها سُؤدُدُه ، وعُرِف حقُّه .

وكان : قد أدْناه الوزيرُ من نفسِه ؛ فقَلَّتْ دَخْلةٌ كانتْ له، إلاَّ به . وتوصَّل إليه إضمارُه[1] كُتُباً : من كُتُبِ أهلِ الحوائجِ .

قال لى أحمدُ بن زيادٍ : ودعاه الوزيرُ إلى إدخالِه على الخليفةِ : فاسْتَعْفَى من ذلك ؛ ونَدَبَه إلى الارْتزاقِ : فلم يَقبَلْ ؛ وقال : أنا مُوَسَّعٌ علىَّ ؛ فما أصنَعُ بالرِّزق ؟ .

وحَكَى لى مِن خبرِه ، أحمدُ بن زيادٍ — وذلك : أنه كان بخَبرِه خبيراً ؛ لِصداقةٍ كانتْ بينَه وبَيْنَه . — قال :

كان ببغدادَ رجلٌ يُعرَفُ : بالشّعيرىِّ ؛ وكان كثيراً ما يَتحكَّكُ بابنِ العبَّادىِّ .

(١) أى إخفاؤه . وفى الأصل : « إضماره كتب » إلخ . وهو تحريف .

فى المُناظَرةِ ؛ فيُعرِضُ عنه ابنُ العبادىِّ : مُستقِلاًّ له . فلم يَزلْ بذلك : حتى اجتمع معَه فى مجلسِ مَحفَلِ جِنازةِ رجلٍ — : من وُجوهِ الناسِ . — فتعرَّضه الشعيرىُّ وتحكَّكَ به ؛ فانبَرى له ابنُ العبَّادى ، وحَقَّق عليه المناظرةَ : ففضَحه .

واتَّصَلَ بذلك قِصةٌ أخرى ؛ وذلك : أنه دَخَل ابنُ العبَّادىِّ عَلَى رجلٍ : من وُجوهِ التُّجارِ ؛ يَعودُه فى مرضِه . فقال الرجلُ المريضُ : وُصِفَ لى : أن آخُذَ التَّرَنْجُبِينَ .

فقال ابنُ العبَّادىِّ : أُعيذُك باللهِ ؛ إنه [أو] إنما هو الطَّلَنْجُبِينُ .

فحَقِد عليه ذلك الرجلُ ؛ ونَفَذ حِقْدُه إلى [أن] رَفَع عَلَى ابنِ العبَّادىِّ إلى الخليفةِ — وأعانَه عَلَى ذلك الشعيرىُّ — : أنْ قد وَجَد بيِّنةً — : من أهلِ القَيْرَوان . — تَشهَدُ[1] عَلَى عبدِ اللهِ بنِ الحسنِ : بالتَّعطيلِ ، وأنه إنما خَرَج هارباً : إذْ نَزَل بالفزَارى ما نَزَل .

فأخرَج الخليفةُ البِطاقةَ إلى الوزيرِ ؛ فرَفَع[2] وقال : الرجلُ محسودٌ عَلَى ما أوتِىَ : من العلمِ والنَّباهةِ ؛ والذى يَدُلُّ على ذلك : أنَّ الشعيرىَّ ناظرَه فى مَحفَلٍ : فلم تَقُمْ له قائمةٌ معَه ؛ وهذا الرجلُ (فلانٌ التاجرُ) حَقَد عليه لوجهِ كذا .

قال له الخليفةُ : فما الرأىُ ؟ .

قال : إنَّ الذين ألَّبُوا عليه الأذى ، ببابِك : يَنتَظِرون ما تأمُرُ به فيما رُفِع إليك ؛ فلو أخرجْتَ إليهم مَن يَزجُرهم عنه ، ويُواعِدُهم فى ذلك — : كان وَجْهَ الرَّأى .

فخَرَج مِن لَدُن الخليفةِ هاتِفٌ ، فهتَف عَلَى بابِ القَصرِ : مَن تَكلَّمَ فى عبدِ اللهِ بنِ الحسنِ القروىِّ — بلَفظةٍ قبيحةٍ — : فجزاؤه خلعُ اللِّسانِ .

---

(١) وردت هذه الكلمة بالأصل ، بعد كلمة : « بينة » .

(٢) أى أخبر الوزير الخليفة بحقيقة القصة ، وفى الأصل : « ورفع » ؛ وهو تصحيف .

ابنُ الرخمةِ

٤٥ وممَّن صحِبَ ابنَ سَحنونٍ ، رجـلٌ يُعرفُ : بابن الرخمـة . كان [له] قبْله طلَبٌ ؛ وكان : يَميلُ إلى النظرِ . فـكان ابنُ سَحنونٍ يَستثقِله : لذلك ؛ ولأنه كان يَختلِفُ إلى غيرِه : من أهلِ المناظرةِ .

ودارتْ عليه مِحْنةٌ فى مجلسِ ابنِ سَحنونٍ : فانقبَض عنه .

***

أبو القاسمِ الطّوريُّ

٤٦ ومن أصـحابِ ابنِ سَحنونٍ : أبو القاسِمِ الطّوريُّ ؛ وُلِّيَ مَظالمَ القَيْرَوانِ : فى آخرِ دَولةِ الأغالِبةِ . فـكان : صارِماً مُنَفِّذاً ، محموداً فى أمورِه . أدركْتُه : وقد أزْمَنَ ؛ وقرأْنا عليـه كثيراً : من كتُبِ ابنِ سَحنونٍ .

وكان ــ فى حينِ نظرِه فى المظالِمِ ــ : ظَرِيفاً مَليحاً ؛ كان : إذا وَجَب علَى الرجل السِّجنُ ــ وهو فى الحينِ الذى يَجِبُ عليه ذلك ــ : استَصْحَبه ، وسألَه : البُلوغَ معه فى حاجةٍ ؛ وضاحَـكَه ؛ ويأخُذُ به إلى طريقِ السجنِ . فإذا وَقَف به علَى السجنِ ، قال له : اصعَدْ ؛ وسننظرُ فى أمرِك . فكان : إذا نُظِرَ إليه يَقصِدُ السجنَ : فزِع كلُّ مَن كان يَمشى معَه .

وأتَى يوماً : من الأيامِ ؛ برجلٍ : فيه حَرَكَةٌ وغَلَيانٌ ؛ لانقطاعٍ كان له إلى بعضِ الملوكِ . فقال له : اصعَدْ إلى السجنِ . فقال له : لا تَفعَلْ . فقال : قد فعلتُ .

فلمَّا صار المسجونُ فى رأسِ السُّلَّمِ ، قال لِصاحبِ المظالِمِ : ستَعرِفُ .

فأنزَله : فضَرَبه ؛ وقال له : تظَلَّمْ الآنَ ، وهَدَّدْنى تهديداً كاملاً .

***

أبو محمدِ بنُ حَـكْمُون

٤٧ ومن أصحابِ ابنِ سَحنونٍ : أبو محمدٍ بنُ حَـكْمُونٍ . كان : شيخاً فاضلاً ، ديِّناً عاقلا ؛ وكانتْ له رِحْلةٌ : سمع فيها مِن رجالِ المَشرِقِ ، وكان الغالبُ عليه : العِبادةَ ، وسُكْنَى الرِّباطِ .

دخلْتُ عليه سنةَ سبعٍ وثلاثِ مِائةٍ ، فسألْتُه : أنْ يُجيزَ لى كتُبَه ؛ فأسْعَفَنى بذلك ، وكَتَب لى الإجازةَ : بخَطِّ يدِه . ثم ماتَ (رحمه الله) مِن بعـدُ . فلمَّا صرتُ إلى حالِ الضَّبطِ ، سألتُ ولَدَهُ : فاباحَ لى كتُبَه ؛ فانْتَخَبْتُ منها ما كان لى فيه — ذلك الوقتَ — حاجةٌ .

* * *

ابنُ أبى الوَليدِ الخَطيبُ

ومن أصحابِ ابنِ سَحنونٍ : ابن أبى الوليدِ الخطيبُ .

٤٨ كان يخطُبُ على مِنبَرِ القيْرَوانِ ، فيقولُ الناسُ : إنه لم يَرْقَ عَلَى أعْوادِه أخطَبُ منه .

كان علمُه : علماً مُقدَّراً ؛ لم يكنْ بالذى لا يُعدُّلُه .

كان ابنُ طالبٍ يُحكى عنه : أنه قال : أهَمَّتْنى عِلَّةُ مسألةٍ ؛ فجعلْتُ أسألُ عنها كلَّ مَن يَدْخُلُ إلىَّ — : ممَّن نَظَر فى العلم . — فلا أجِد فيها عند أحدٍ ما يُعجِبُنى .

(قال) : فدَخَلَ إلىَّ ابنُ أبى الوليدِ ، فسألْتُه[1] عنها : فقال ؛ فأتَانى فى ذلك بكلامٍ : كأنه النارُ . (قال) : فعَظُم فى عينى .

(قال) : ثم سألْتُه بعدَ برهةٍ عن ذلك الشىء بعينِه — وقد حفِظْتُ كلامَه الأوَّلَ — (قال) : فما أتَى بطائلٍ . (قال) : فقلتُ : رَمْيةٌ من غيرِ رامٍ .

---

(١) بالأصل : « فسأله » ؛ وهو تحريف . وقوله : فقال ؛ معناه : فأجاب .

قال محمدٌ : ولَعَمْرِى ما أنصَفَ أبو العباسِ (رحمه الله) : لأنه ليس مِن سعة ابن آدمَ : أن يحفَظَ كلَّ صوابٍ ينطِقُ به ، فلا يَنساهُ مِن بعدُ .

* * *

أبو سعيدٍ محمدُ بن محمدِ بن سَحنونٍ

٤٩ وأبو سعيدٍ محمدُ بن محمدِ بنِ سحنونٍ ؛ سَمِعَ من أبيه : فيما أظنُّ . وكان : منسوباً إلى العلمِ ؛ ولكنْ : غلَبتْ عليه العبادةُ . وكان : جَليلَ القدرِ بحديثه وقديمه .

* * *

أبو عُثمانَ الخَوْلانىُّ

٥٠ وأبو عثمانَ الخَوْلانىَّ ؛ ساكنُ المنستيرِ للرِّباطِ . سَمِعَ : من ابنِ سَحنونٍ ، ومن أبى عِمرانَ المِقدادِ ، ومن غيره : من شُيوخِ القَيْرَوانِ .

لَقِيتُه : سنةَ عشرٍ وثلاثِ مِائةٍ ؛ وكتَبْتُ عنه حديثاً كثيراً : فى غيرِ ما فَنٍّ .

وقال لى : رأيتُ سَحنوناً جالساً فى مجلسِ قضائه : فى مسجدِ القَيْرَوانِ . ولكنْ : لم يَسْمع منه شيئاً .

وكان أبو عثمانَ هذا : قد عَمَّرَ ؛ قال لى — سنةَ عشرٍ وثلاثِ مائةٍ — : أنا ابن خمسٍ أو سبعٍ وتسعينَ . وخرجتُ أنا من إفريقِيَّةَ : وهى حىٌّ ؛ ولا أدرى : أىَّ سنةٍ ماتَ رحمه الله ؟ .

وكان : من أهلِ العبادةِ الدَّائمةِ والفَضلِ ؛ وكانتْ فيه غَفلةُ[1] الشيوخِ . أشْخَصَه عُبيدُ اللهِ إلى نفسه وخاطَبَه ، ثم صَرَفه سالماً .

---

(١) بالأصل : « غلفة » ؛ ولعله مصحف عن ذلك ، أو عن : « عقلية » . إلا : إن ثبت أنه يستعمل بمعنى : عدم الوعى . فراجع المختار والمصباح : (غلف) .

* * *

أبو الغُصْنِ الغَرابيلِىُّ

٥١ قال محمدٌ : ومن أصحاب ابنِ عبدُوسٍ : أبو الغصنِ الغَرابيلِىُّ .

كان : فقيه البَدَنِ ، عالماً مُحرِّراً .

قال لى عنه لُقمانُ بن يوسُفَ : إنه قال : أول ماابتدأْتُ بطلَبِ العلم : اختلفْتُ إلى محمد بن سحنونٍ ، وكتَبتُ مِن كتُبِه ، وأخذْتُ فى الدَّرسِ .

(قال) : فكنتُ آتيه : فأسألُه المسائلَ — : ممَّا ألَّف فى كتُبه . ـ فكان : رُبما أجابنى من نظَرِه : بغيرِ الذى نَصَبَ فى كتُبه ؛ فأقولُ له : فى كتابِك غيرُ هذا ؛ وكلامُك أحسنُ ممَّا فى كتابِك .

فلمَّا شَعَر بمثلِ هذا : كان لا يُجيبُنى ، ويقولُ لى — إذا سألْتُه — : ارجِعْ إلى كتُبِك ، وانظرْ ما فيها .

(قال) : فلمَّا رأيْتُ ذلك : انحرَفْتُ إلى عبدِ اللهِ بن سهلٍ ؛ فكنتُ معَه أياماً : حتَّى أُخرِجَ قاضياً إلى صِقِلِّيَّةَ ؛ فمِلْتُ إلى محمدِ بن عبدوسٍ : فما مرَّت لى معه إلاَّ أشهرٌ يسيرةٌ : حتى بنْتُ عن جميع أصحابى : فى الفِقه .

وكان أبو الغُصْنِ : فاضِلاً عابداً ، حَليماً مُتواضعاً ؛ حسنَ الأخلاقِ .

حَكى لى عنه غيرُ ما واحدٍ : قال : دخل أبو الغُصْنِ الغَرابيلِىُّ ، عَلَى محمدِ بن بِسْطامٍ — : يَعُودُه مع جملةِ عُوّادٍ ؛ فلم يَرَهُ ابنُ بسطامٍ : لمَّا دَخَل . وكانتْ فى ابن بِسطامٍ : زَعَارَّةُ[1] أخلاقٍ ؛ فجعَل يقول: أرأيتُم هذا العبدَ (يَعنِى: أبا الغصن):

---

(١) أى : شراسة ؛ كما فى المختار .

كيف لم يَعُدْنى فى مرضى ؟ فقال له أبو الغصن : ها أنا ذا حاضِرٌ فى جِوارِك : يا سيدى يا أبا عبدِ اللهِ . فاستحيي ابْنُ بِسطامٍ .

وكان أبو الغُصْنِ : لَقِىَ محمدَ بن عبدِ اللهِ بن عبدِ الحَكَمِ ، ومحمد بن إبراهيمَ المَوَّازَ ، وغيرَهما : من حُذَّاقِ الفقهاءِ .

* * *

محمدُ بنُ بِسْطامٍ

٥٢ ومحمــدُ بنُ بِسْطام ؛ كانت له رحلةٌ ؛ وأَدخَلَ القيْرَوانَ ــ : من فقه رجالِ مالكٍ . ــ كُتُباً غريبةً ؛ مثل : كتُبِ المُغيرةِ ، وكتُبِ ابن كِنانةَ ، وكتُبِ ابن دينارٍ . وكان : يُغرِبُ بمسائِلِها عَلَى أصحابِه ؛ ولم يكنْ فقيهاً .

وكان : يَميلُ إلى مذهبِ ابنِ عَبدُوسٍ : فى الوَقفِ فى مسألةِ الإيمانِ(١) .

* * *

أبو جَعفَرٍ أحمدُ بنُ أحمدَ بنِ زِيادٍ

٥٣ وأبو جَعفرٍ : أحمدُ بن أحمدَ بنِ زِيادٍ ؛ كان مذهبُه : النظَرَ ؛ وصَحِبَ محمدَ بن عَبدوسٍ ، وسمِــعَ من محمد بن يحيى بن سلام : تفسيرَ القرآنِ ؛ فكان فيه غالياً .

وسمِـعَ من ابن تميمٍ القفصىِّ ، كتُبَ أنسِ بن عَياضٍ وكان فيها (أيضاً) غالياً .

وكان : يَكتُبُ لعيسى بنِ مِسكينٍ ، السِّـــجِلَّاتِ والأحكامَ . وله فى الوِثاقِ والشُّروطِ عشْرةُ أجزاءٍ ؛ وله كتب : فى أحكام القرآنِ ؛ وله كتابٌ حسنٌ : فى مَواقِيتِ الصلاةِ .

وكان : بَصيراً باللُّغةِ ؛ وكان : بليغَ القلمِ .

---

(١) انظر ص ٢٩٦ .

وكان : من ذَوِى الجاهِ ، ومن ذَوِى المُروءاتِ الكامِلةِ ، ومن أهلِ النِّعمِ في مَنْشإه .

ثم : امْتُحِن في آخرِ عُمرِه : بمَغارِمِ السُّلطانِ الحادثةِ عَلَى أهـلِ الضِّيَاعِ ؛ فانْكَشَفَ ، وأكَبَّ عليه الغُرمُ والإقلالُ ؛ وتَكاملَتْ عليه — معَ ذلك — المَغارِمُ .

فلَجأ بنفْسِه إلى محمدِ بن أحمدَ البغداديِّ : مُتوسِّلا به إلى عُبيدِ اللهِ ، يسأله : التَّخْفيفَ بأىِّ وَجْهٍ رآه .

فأعظَمَ البغدادىُّ قصْدَه ، وهَشَّ إلى حاجتِه ؛ وقال : إنَّ هذه المَغارِمَ لم يَفتح السلطانُ قطُّ فيها باباً — : من التَّخفيفِ . — لولدٍ : من أولادِه ؛ ولا لقائدٍ : من قُوَّادِه . ولكنْ نَسألُه لك صِلةً : تَستعينُ بها عَلَى دهرِك . ولكنْ : كمْ تُحبُّ أنْ نَسألَه لك : من المالِ ؟ .

فقال له أحمدُ بن زِيادٍ : تسألُه عِدَّةَ ما علىَّ : من المَغْرَمِ ؛ فحسْبى : أن آخُذَها منه ، ثم أخرُجَ من فَوْرِى بها : فأُرِيَها لصاحبِ الدِّيوانِ ، وأتفرجَ من المَغْرَمِ وتَخلُصَ لى غَلَّةُ عامِى : من الزَّيْتونِ .

(قال لى أحمدُ بن زِيادٍ) : فقال لى البغدادىُّ : وكمْ عِدَّةُ ذلك ؟ .

فقلت[1] : ستون مثقالاً .

(قال) : فقال لى : دَعْنى أسألُه لك في ثلاثِ مائةِ مثقالٍ : فتَغْرَمَ منها ما عليك ، وتَستعينَ بها على دهرِك .

(قال) : فأبيْتُ عليه الزيادةَ على المَغْرَمِ .

(قال) : فقال : أُكتُبْ كتابَك ، وسَلْ جعفراً الحاجبَ : رَفْعَه إلى السُّلطانِ بحَضْرَتى .

---

(١) هذا هو الظاهر . وفى الأصل : « فقال » . ولعله مصحف .

(قال) : ففعلتُ .

(قال) : فسأل عُبيدُ اللهِ : عن اسمه وحاله وقدْره : فتولّى البغدادىُّ الكلام : فأثنى ووصف ؛ ثم ختم له القولَ بأنْ قال : ومثله لا يقصد مثلك : وينصرفُ خائباً .

فقال : وما مقدارُ ما يحتاجُ إليه ؟ .

فقال له البغدادىُّ : ستُّونَ مثقالاً .

فأمرَ بها : فوُزنتْ له ؛ وخرج بها جعفرٌ الحاجبُ إليه : فقبضها : وخرج : فوزنها فى الدِّيوانِ : وانصرفَ فارغَ اليدَيْنِ من مالِه،واقتصر على غلّةِ عامه .

تُوفِّىَ : سنةَ ثمانَ عشْرةَ وثلاثِ مائةٍ

* * *

أبو عبدِ اللهِ الأَبْزارىُّ ، المعروفُ : بالضَّريرِ

٥٤ وأبو عبدِ اللهِ الأبْزارىُّ ، المعروفُ : بالضَّريرِ . كان به طَرَفٌ : من جُذام .

سمعتُ الشُّيوخَ يصفُونه : بالحفظِ ، وحُسنِ القريحةِ ، وكمالِ العناية .

وكان قديمَ الموتِ ، لم : أدرِكْه . كان معدوداً : فى طبقةِ الحُفّاظِ بالمسائلِ .

* * *

أبو بكرٍ محمدُ بن محمدٍ الطّمارُ

٥٥ ومن أصحابِ يحيى بن عُمر : أبو بكرٍ محمدُ بنُ محمدٍ الطّمارُ . سمع من يحيى ، ومن جميعِ الشيوخِ : الذين كانوا فى عصرِه .

لم تكنْ عندَه : رحلةٌ ولا حجٌّ : عنده حفظٌ وجمعٌ كثيرٌ للكتب . ويغلبُ علَى أخلاقِه : الغِلْظةُ ، والفظَاظةُ ، وشدّةُ الحرج .

وهو ـ اليومَ ـ مُنتصِبٌ للسَّماعِ : يقرأ عليه أهلُ الطَّلبِ . وكان مُتَوَلِّياً لِكتابة ابنِ الخَشَّاب : إذ كان على مظالمِ القَيْرَوانِ .

* * *

أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ القَصْرِيُّ

٥٦ وأبو جَعفرٍ : أحمدُ بنُ محمد بنِ عبدِ الرحمنِ القَصْرِيُّ ؛ نُسِبَ إلى : « القَصْرِ القَديمِ » وهو : قصْرُ ابنِ الأغْلبِ الذى كان دارَ مُلْكِهم : بيْنَ يدَىْ حاضِرةِ القَيْرَوانِ ، من جِهةِ قِبْلتِها ، عَلَى مَسيرةِ مِيلَيْنِ . سَكَنه الناس والعَوامُّ : بعدَ انتقالِ بنى الأغالبِ عنه .

سمع : من يحيى بنِ عُمَرَ ، ومن المغامى ، ومن سُليمانَ بنِ سالمٍ ، ومن عبدِ الله ابنِ أحمد بن طالبٍ ، ومن أحمدَ بنِ يزيد ، ومن كل مَن عندَه عِلْمٌ .

وكان جَمّاعاً ، كثيرَ الكُتُبِ ؛ يَميلُ إلى علمِ الحديثِ . ولم يكنْ عندَه حِفظٌ ، ولا قَرِيحةٌ . وسمِعْنا منه غيرَ ماشىءٍ : من صنوف العلمِ .

* * *

لُقمانُ بنُ يوسفَ

٥٧ ولُقمانُ بنُ يوسُفَ ؛ لَقِيتُه بتُونُسَ . كان : حافِظاً لمذهبِ[1] مالكٍ ، حَسنَ القَرِيحةِ فيه .

سمع : من يحيى بن عمر ، ومن عيسى بن مِسكين ، ومن غيرهما : من أهلِ القَيْرَوانِ . ورَحَل حاجًّا : فسمِع بمصرَ حديثاً كثيراً ؛ وسكَنَ جزيرة صِقِلِّيَّةَ أعواماً .

وكان : عالماً باللُّغةِ وبَصيراً بالحديث ، وعارفاً بالرِّجالِ . وكان : يميلُ إلى معنى ابن عبدوسٍ : فى فِقهِه فى مسألةِ الإيمانِ ؛ وفى جميع مَعانِيه[2] .

تُوُفِّيَ : سنةَ تسعَ عشرةَ وثلاثِ مِائةٍ .

---

(١) بالأصل : « بمذهب » ؛ والظاهر أنه مصحف عنه . (٢) انظر ص ٢٠٦ .

وكان: من آنس الناس: مجلساً؛ وأغزرهم: حديثاً وخبراً؛ وأعرفهم: بأخبار القيروان، وأخبار شيوخها.

***

أحمدُ بنُ موسى التمّارُ

٥٨ وأحمدُ بن موسى التمّارُ؛ سمع من يحيى بن عمر: علماً كثيراً؛ وواظب على سعيد بن الحدّاد: فغلبت عليه معانيه.

يتكلّمُ: فى الفقه والمسائل، وفى النظر واختلاف الناس، ويُعنَى: بالمناظرة والجدل؛ ويتكلّمُ: فى اللغة.

وهو — فى الجملة —: كثيرُ التصرُّف، جميلُ الأدب، كريمُ المروءة، كاملُ الأخلاق، كثيرُ الأخبار والحكايات.

***

ابنُ أبى حفصٍ

٥٩ وابن أبى حفصٍ؛ أُراهُ المكنّى: بأبى إسحاقَ. سمعَ: من يحيى بن عُمر، ومن غيره. وكان: جيّدَ العقل، حسنَ الحكايات؛ يميلُ: إلى النظر.

حكى لى عنه بعضُ إخوانى — ولم أسمعْه منه —: أنه أتاه ابنُ الأشجِّ: فى كتاب يستعيرُه منه؛ فقال له ابنُ أبى حفصٍ: علىَّ فيه يمينٌ: أن لا أعيرَه.

فقال له: تُكفِّرُ عن يمينك.

فقال له: هى من الأيمان: التى لا تُكفَّرُ.

قال له: وما اليمينُ؟.

قال: المشىُ إلى مكةَ[1].

---

(١) راجع فى هذا البحث: آداب الشافعى لابن أبى حاتم الرازى (ص ٣٠٠).

قال له ابنُ الأشجِّ : فإن عائشةَ تذهبُ في المشي : إلى كفارةِ اليمينِ ؛ وقد قال النبيُّ [صلى الله عليه وآله وسلم] : خذوا ثلثَ دينكم عن عائشةَ .

قال له ابنُ أبي حفصٍ : فقولها في المشيِ ، من المنشئين الذين لم تؤمَرْ : بأخذِهما عنها .

وخُتِمَ له — في آخرِ عمرِه — : بالشهادةِ ؛ وذلك : أنه كان مليًّا كثيرَ الناضِّ ؛ وكان منفرداً وحيداً ؛ ولم تكن معه — في دارِه — غيرُ جاريةٍ له ؛ فنزلَ عليه في الليلِ : من ذبحه ، وذبح جاريته ؛ وأخذَ جميعَ المالِ .

* * *

أحمدُ بن يزيدَ

٦٠ وأحمدُ بن يزيدَ سمع : من موسى بنِ معاويةَ الصُّمادحيِّ ، ومن غيرِه : من رجالِ القيروانِ .

حدثنا عنه أحمدُ بن عبدِ اللهِ القصريُّ ، وغيرُه : من الشيوخ . وكان : تغلبُ عليه الروايةُ والتقييدُ ؛ لم أعلمْ : أنه نُسِبَ إليه علمُ فقهٍ .

* * *

أبو عبدِ اللهِ محمدُ بن أبي زاهرٍ

٦١ وأبو عبدِ اللهِ محمدبنأبيزاهرٍ : أدركتُه : شيخاً كبيراً . سمع : من شيوخِ القيروانِ ؛ وحجَّ : فلقي محمدَ بن عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الحكمِ ؛ وسمع منه .

* * *

أبو العربِ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ تميمٍ

٦٢ وأبو العربِ : محمدُ بن أحمدَ بنِ تميمٍ ؛ مؤلفُ كتابِ طبقاتِ رجالِ إفريقيَّة .

سَمِع من جماعــةٍ : من شيوخ سَحنونٍ : تغلِبُ عليه الرِّوايةُ والجمعُ ؛ ولم أحِسّ[1] عنده : علمًا ، ولا فقهًا .

* * *

أبو عبدِ اللهِ محمدُ بن أبى المنظورِ الأندلسىّ

٦٣ وأبو عبدِ اللهِ : محمدُ بن أبى المنظورِ الأندلسىّ : هو : ساكِنٌ موطنٍ بالقيروانِ .

عندَه : روايةٌ وإدراكٌ ؛ لقِىَ الدبرىَّ بصَنْعاءَ ، وسمِع منه : كتابَ عبدِ الرزّاقِ : فى اختلافِ الناسِ فى الفقهِ ؛ وكتب علمًا كثيرًا .

تَحلَّى : بالتَّجرِ ؛ وأغلق عن نفسِه بابَ : العلمِ والسَّماعِ ؛ واعتذر : بأنه[2] لزِمَتْه يمينٌ غليظةٌ : أن لا يُسمِع أحدًا : من أهلِ القيروانِ . فربَّما أتاه الرجلُ الغريبُ : فيُسمِعه .

* * *

أبو علىٍّ المنصورىُّ ، المعروف بالسَّيرافىّ

٦٤ ومن الغرباءِ الطُّرّاءِ : أبو علىٍّ المنصورىُّ المعروف : بالسَّيرافىّ .

كانت عندَه : روايةٌ وكتبٌ سَمِعها .

وكان : يَغلِبُ عليه التَّجرُ ؛ ومات بالقيروان : فدارتْ على كلِّ مَن كان يُعامِله فى حياتِه ، دائرةٌ : بعدَ موته . وذلك : أنه كتَب بخطِّ يده – على قومٍ – : ما بايَعهم به ؛ ولم يَكتُبِ الاقتضاء . فغرَّم الشيعىُّ الناس : تلك الأموالَ : ثانيةً .

* * *

(١) بالأصل : « احسن » ؛ وهو تصحيف .

(٢) بالأصل : « لأنه » ؛ ولعله تصحيف .

مالكُ بنُ عيسَى ٱلقَفصىُّ

٦٥ ومالكُ بن عيسى ٱلقَفصىُّ ؛ كانتْ له رِحْلةٌ : فى طَلَبِ ٱلحديثِ ؛ وكان : به بَصيراً ، وفى علمِه نافذاً . وأخذَ منه جَماعةٌ : من الناس .

وامتحنَه عُبيدُ ٱللهِ الشِّيعىُّ : بصُحْبَتِه . و بتَعديلِ ٱلأرضِ له : لِتَوظيفِ الْخَراجِ ، ٱلذى يُسمِّيه : ٱلمُقَسَّطَ .

وسمِعتُ مَن يقولُ : إنَّه لو عاشَ قليلاً ، وامتدَّ به العُمُرُ — : لَغَلَبَ على أهلِ ٱلقَيْروان ، علمُ ٱلحديث .

قال لى لُقمانُ : أتاه أبو ٱلعبَّاسِ بنُ ٱلبَيَّانىِّ — وكان أبو العباسِ هذا : من أصحابِ لُقمانَ . — فقال له : حدِّثْنى ؛ ولا تُحدِّثْنى إلاَّ : بما يُوافقُ مَذهبى .

فعَطَف مالكُ بن عيسى ، عَلَى الناسِ — فقال لهم : هذا رجلٌ : لا يُحبُّ أنْ يكونَ عالماً .

وقال سعيدُ بن الْخَرَّاطِ : أخْرجْتُ مالكاً يوماً من الحديثِ ، إلى غيرِه ؛ فكأنِّى أجُرُّ ثوْراً .

وكان سَعيدٌ يقولُ : لوعلمتُ أنَّ يَقِظَةَ مالكِ بن عيسى ، أنبَهُ من نَوْمى — : لأزْرَيْتُ عَلَى نفْسى .

***

أبو سَعيدٍ المعروفُ بالوَكيلِ

٦٦ وأبو سَعيدٍ ٱلمعروفُ : بالوَكيلِ ؛ ابنُ أختِ يزيد بن سِنانٍ . كان : من أهلِ العِنايةِ بالحديثِ ؛ كان : يَحفظُ أربعةَ آلافِ حديثٍ ظاهراً .

وكان : من ذَوِى الأموالِ الوافِرةِ ؛ ماتَ : فى صَدْرِ دَولةِ عُبيدِ الله ؛ فلمَّا ماتَ : نَزَل أبو معلمٍ الكتامىُّ ، وابنُ أبى خنزيرٍ ، وأبو زيدٍ ٱلباهِرىُّ — :

علىداره ؛ فأخذوا من داره : أربعينَ ألفَ مثقالٍ سوى البَزّ والجوهر ؛ وضربوا ابنَه بالسياطِ .

وهو : عبدُ الرحمن بنُ عُبيدِ بنِ أحمدَ بنِ الحَكَمِ بن عيسى بنِ عبّادٍ البَصْريُّ، وابنُه أبو محمدٍ الحسنُ : كان من أهلِ الأدبِ .

* * *

أبو بكرٍ ، المعروفُ بالوَكيلِ

٦٧ وأبو بكرٍ المعروفُ : بالوَكيلِ ؛ كان سُكْناه : في سِماطِ العَطّارينَ بالقَيْرَوان، جِوارَ دارِ أبي سعيدٍ الوَكيلِ .

سمِعتُ مَن نَسَبَ إليه : طَلَباً للعلمِ ، وعِنايةً بالحديثِ . ولستُ أعرفُ منه غيرَ ذلك .

* * *

أبو حبيبٍ نَصْرٌ التَّسوريُّ

٦٨ وأبو حبيبٍ نَصْرٌ التَّسوريُّ ؛ سَمِع من غيرِ واحدٍ : من أهلِ العلْمِ بالقيروانِ؛ وهو — اليومَ — : يَقرأُ عليه بعضُ الناسِ .

أبو جعفرِ بنُ خَيْرون

٦٩ وأبو جعفرِ بنُ خَيْرونٍ ؛ كان له طلبٌ وعِنايةٌ ورِحْلةٌ ؛ وأدخَلَ بعضَ كُتُبِ داودَ القَيْرَوانَ .

بلغَني : أنّهُ كان أَلَّفَ لعُبيدِ اللهِ كتابَ نَسَبِ الشيعةِ وأخبارِهم .

وكان : مرَشّحاً للقضاء ؛ وكان محمدُ بنُ عُمَرَ المَرْوذيُّ — فيما قيل لي — : بَغَّضَ به ؛ وهو الذى سَعَى به : حتى قُتِلَ ابنُ خَيْرونٍ .

* * *

الكَبْشُ

٧٠ وكان بالقَيْرَوانِ رجلٌ يُعرَفُ : بالكَبْشِ وكان له طَلَبٌ : وهو كان القارئُ عَلَى يَحيَى بنِ عُمَر : كان يَجلسُ فى الجامعِ على كُرْسِيٍّ ، ويَقرأُ للناسِ : عَلَى يَحيَى بن عُمَر .

دخَلَ على إبراهيمَ بنِ أحمدَ ، فقال له : مِمَّن أنتَ ؟ قال : من قَيْسٍ .

قال : مِمَّن مِن قيسٍ ؟ قال : لا أدرى .

قال : أنتَ أَوْلَى أنْ يقالَ فيك : التَّيْسُ ؛ من أن يُقال فيك : الكَبْشُ .

* * *

إبرٰهيمُ بنُ الخشَّابِ

٧١ وإبراهيمُ بن الخَشَّابِ ؛ وَلِىَ المظالمَ لابنِ طالبٍ ، ثم وَلِيَها لابنِ مِسْكينٍ : ثم ولَّاه زِيادةُ اللهِ القضاء ، ولم يعزِلْه حتى هَرَب .

لم يكنْ عندَه علمٌ ولاحِفْظٌ ؛ ولكن كان : مِمَّن أظهرَه الجدُّ ، وأقامَتْه العِنايةُ.

حَكَى لى عنه بعضُ إخوانى ؛ قال : سمِعتُه يقولُ :

« يَخطُبُ ناسٌ القضاءَ : بتَحْسينِ أبْوابِهم ، وتَهْيِئَةِ سقائفِهم؛ وأنا بابِى صغيرٌ، وجِدارِى طوبٌ : وقد عَفَّنْتُ فى القضاءِ . ! » .

وقال لى بعضُ الفقهاء : عُذِلَ ابنُ طالب فى تَقديمِ ابن الخشَّابِ : على أنه لاعلمَ عندَه ؛ وترْكِ أهلِ الفَهْمِ : على كَثْرَتِهم بالقَيْرَوان .

فقال : إنَّ أهـل الفَهم قائمون بأنفسِهم ؛ وأردتُ : أنْ أُنْهِضَ من لا فَهْمَ عندَه ، ولا علمَ :

* * *

ابنُ أبى سَمْحَانَ

٧٢ وابنُ أبى سَمْحَانَ ؛ كان : قد وَلِىَ قضاءَ بعض الكُورِ ؛ وكان : نَظيرَ ابنِ الخَشَّابِ فى جميعِ مَعانيه .

حَكَى لى حالكٌ : أنه قال رجلٌ لِسعيدِ بن الحدَّادِ : يا أباعُثمانَ ؛ مَنْ أعلمُ : أبن الخشَّابِ ؟ أو ابنُ سَمْحانَ ؟ .

فقال : إنْ سألتَنى : أيُّهما أغرَقُ فى الجَهلِ ؟ أنبأْتُك؛ وأمَّا أعلَمُ[1] : فما علِمتُه .

* * *

عبدُ اللهِ بن مَسْرورٍ، المعرُوفُ بابن الحَجَّامِ

٧٣ وعبدُ اللهِ بنُ مَسْرورٍ ، المعروفُ : بابنِ الحجَّامِ ؛ سَمِع : من عيسَى بنِ مِسكينٍ ، ومن يحيَى بنِ عُمَرَ — فيما أُرَى — ومن غيرِهما : من شيوخ القَيْرَوانِ .

يَغلِبُ عليه الجَمعُ والتَّقْييدُ ، وإسماعُ ما رَوَى : من الكُتُبِ . وما علِمتُ له حظًّا : فى فِقهٍ ؛ ولا يَقطَعُ فى كلامٍ : وهو اليومَ : يُقْرَأُ[2] عليه كُتُبُه .

* * *

أبو محمدٍ الغَنمِىُّ

٧٤ وأبو محمدٍ الغَنمِىُّ ؛ شيخٌ فاضلٌ : من أهلِ الصيامِ والقِيامِ والعبادةِ .

كان : يَتكلَّمُ فى المُدوَّنةِ ، وفى كتابِ أشْهبَ ، وفى كتابِ عبدِ المَلِكِ .

وكان : جَيِّدَ العقلِ ، كثيرَ الإنْصافِ ، طَويلَ الصَّمتِ . شَهِدتُه يوماً — من الأيامِ — عندَ أحمدَ بنِ نَصْرٍ : وقد كَثُرَ كلامُنا ، وطالَ مجلسُنا ؛ فرَمَى ابنُ نَصْرٍ بأصلٍ : من أصولِ العلمِ ؛ فنَظَر إلىَّ أبو محمدٍ الغَنمِىُّ ، فقال لى : لم أسمَعْ فى هذا المجلسِ — اليومَ — غيرَ هذا الأصلِ الذى رَمَى به .

---

(١) بالأصل : «علم» ؛ ولعل النقص من الناسخ أو الطابع .

(٢) بالأصل : «يقرئ» ؛ وهو تصحيف . انظر بتأمل : المختار والمصباح .

وكان يَلْزَمُ حانوتاً يَبِيعُ فيه الفُخارَ — بالقَيْروانِ — : في سُوقِ الأحدِ .
ومات فَجْأةً : في سنةِ ستَّ عشْرةَ وثلاثِ مِائةٍ .

* * *

محمدُ بنُ مَسْرُورٍ النَّجّارُ

٧٥ ومحمدُ بنُ مَسْرُورٍ النَّجارُ ؛ لم يكنْ مذهبُه جَمعَ كُتُبٍ ، ولا سماعاً[1] من شيخٍ ؛ وإنَّما كان مذهبُه : الدَّرسَ ، والحِفظَ ، والمُناظَرةَ .

وكان : حَسنَ القَريحةِ ، فَقيهَ البَدنِ . وكان : شـيخاً مُسِنًّا : إلاَّ أنه كان صاحِبَنا وجَليسَنا : في كلِّ مجلِسٍ ، وفي كلِّ مُجتَمعٍ .

ماتَ بتُونُسَ : سنةَ ثمانٍ وعشرينَ [وثلاثِ مِائةٍ] .

* * *

قال محمدٌ : قد أتَيْتُ — : من ذِكْرِ المتقدِّمين الذين لم أُدْرِكْهم . — ما حَضَرني حِفظُه ؛ ووَصفْتُ الذين صَحِبتُ منهم : بمقدارِ الطَّاقةِ ، ومُنْتَهى العلْمِ .

ولم يَبْقَ — بعدَ ذلك — إلاَّ : الذين أسْنانُهم كسِنِّي ، أو فُوَيْقَ ذلك بيسيرٍ .

* * *

سـالمُ بنُ حَماسٍ

٧٦ (منهم) : سالِمُ بنُ حَماسِ بنِ مَرْوانَ ؛ عُنِيَ : بالمسائل وسمِعَ من أبيـه ؛ وكان يكتُبُ له : إذ كان قاضياً ؛ معَ أحمدَ بنِ نَصرٍ .

---

(١) بالأصل : «سماع» ؛ ولعله مصحف ، أو تكون «من» زائدة . فتأمل .

وهو : مَغْمُورٌ مَخْمُولٌ ؛ بِمَـا يَدُورُ عليه : من مغارِمِ السلطانِ : فى وظائفِ الباديَة .

* * *

حَمُّودُ بنُ حَمَاس

٧٧ وأخوه : حَمُّودُ بن حَماسٍ ؛ شأنه : النُسكُ والتقشُّفُ ، لم يُعْنَ بعلمٍ ولا فقهٍ : فيما علمتُ .

* * *

عبدُ اللهِ البَرْقِيّ

٧٨ وعبدُ اللهِ البَرْقِيّ ؛ كان فتًى متحرِّكاً : فى الفقهِ والأدبِ ؛ مُواظِباً : على صُحبةِ أحمدَ بنِ نَصرٍ ، ومَن ذكرتُه : ممَّنْ تقدَّمتْ صُحبتى له .

وغَلَبَ عليه ـ فى آخرةِ عُمرِه ـ : الوَرَعُ والفَضلُ ؛ وخرَجَ : مُرابِطاً : فمات بسُوسةَ : من رَعْدةٍ سمعها ؛ وكان قد أُغْشِىَ فى حينِ الرَّعْدةِ : بعدَ دُعاءٍ شَديدٍ ، وتَضَرُّعٍ عَظيمٍ ؛ فكان قلبُه : قد أُشْرِبَ الخوفَ ؛ فلمَّا فَجَأَهُ الرَّعدُ القاصِفُ : ذَهبتْ نفْسُه .

كان فى حينِ موتِه : من أبناءِ الأربعينَ ؛ تُوُفِّيَ : سنةَ عشرٍ وثلاثِ مِائةٍ .

* * *

محمدُ بنُ عبَّاسٍ النَّحَّاسُ

٧٩ ومحمدُ بن عبَّاسٍ النَّحاسُ ؛ كان مَذهبُه : المسائلَ والفقهَ خاصَّةً . وكان كثيرَ الحكايةِ عن سعيدِ بن محمدِ بن الحدَّادِ : لأنه كان له جاراً . وكان يُجالسُنا : عند جميعِ الشُّيوخِ .

تُوُفِّيَ : سنةَ خمسٍ وعشرينَ وثلاثِ مِائةٍ .

* * *

عَبَّاسُ بنُ عيسَى ، المَعروفُ : بالممْسى

٨٠ وعبَّاسُ بنُ عيسَى ، المعروفُ : بالممسى : سَمِعَ : من موسى القَطَّانِ ، ومن غيرِه .
يَتكلَّمُ في المسائلِ : كلاما حَسَناً ؛ ويَفهَمُ علمَ الوثائقِ : علماً جيِّداً ؛ ويُناظِرُ مُناظرةً : لا بأسَ بها في الجدالِ ، وفي مذاهبِ أهلِ النظرِ .

وحَجَّ : سنةَ ثمانَ عشْرةَ وثلاثِمائةٍ .

وأظهَرَ — بعدَ ذلك — : الانْقِباضَ والتَّنَسُّكَ ؛ ويغْلِبُ عليه : البُكاءُ والانتِحابُ[1] .

والناسُ فيه فِرْقتانِ : (فِرْقةٌ) : تَبْرأُ منه وتُشنِّعُه[2] ، وتَمقُتُ أخلاقَه .
و (فِرْقةٌ) : تُحِبُّه وتُواليه ، وتَذُبُّ عنه .

* * *

رَبيعُ بنُ سُليمانَ القطَّانُ

٨١ ورَبيعُ بنُ سُليمانَ القَطَّانُ : كان صاحِبي : في كلِّ مجلسٍ [حَضَرْتُ] ؛ ومُساعِدي : في كلِّ علمٍ طلَبْتُ ، وديوانٍ دَرَسْتُ .

حَجَّ : سنةَ أربعٍ وعشرينَ : وانْحرَفَ عن كلِّ ما كان عليه ، وذَهَبَ إلى العلمِ الباطنِ ؛ ووالَى أهلَ ذلك الفَنِّ ، وصار داعِيةً إليه .

فقيل لي ، وكُتِبَ إليَّ : إنه نَفعَ اللهُ به خَلْقاً كثيراً .

ويُكاتِبُني إلى الأندلسِ كثيراً ، يَدعوني : إلى البَراءِ[3] من الدنيا ، والتَّخلِّي منها ؛ والإجابةِ لله في كلِّ ما دعا إليه : من الزَّهادةِ في الدنيا .

* * *

---

(١) بالأصل : « والانتحاء » : وهو تصحيف . (٢) أي : تشنع عليه .
(٣) يعني : الرجوع عنها ، والبعد عن ملذاتها وشهواتها .

أبو بكرٍ الكِتّانى

٨٢ وفتًى كان يُعرَفُ بكُنْيته : بأبى بكرٍ الكِتّانِى : صَحِب موسى القطان .
وسَمِع : منه ومن غيره . وكان يتكلمُ فى المسائلِ : كلاماً صالحاً .
حَجّ : سنةَ سبعٍ وعشرينَ ؛ ثم ماتَ فى رجوعه : بالحَوْراء : وسِنّه نحوُ الخمسِ وأربعينَ .

***

قال محمدٌ : قد أتيْتُ عَلَى ذِكرِ كلِّ مَن عرَفْتُه حياً وميتاً — ممّنْ أدركْتُ ، وممّن لم أدرِكْ — : مِن طَبقةِ المَدَنِيِّينَ خاصّةً .
ولم يَبْقَ إلاّ : مَن سَقَط عن حِفْظى ؛ أو : مَن لم يَبْلُغْ مَبْلَغَ الظُّهورِ : من الأمْواتِ ؛ ولا مَبْلَغَ الرَّجاء : من الأحياءِ : أوْ : مَن قَعَد به السِّنُّ والخمولُ : من الأحداثِ .
وأنا أذكُرُ ـ بعدَ هذا ـ رجالَ العِراقِيِّينَ ، وأهلَ النظَرِ : من الشافِعِيِّينَ وغيرِهم .

بابُ ذِكرِ الرِّجالِ العراقيِّين

سُليمانُ بنُ عِمرانَ ، الملقَّبُ : خروفة

٨٣ قال محمد : كان سُليمانُ بنُ عِمرانَ ، الملقَّبُ : « خَرُوفةَ » ، (وإنما لُقِّبَ خَرُوفةَ : لأنه كان لا يَلقى أسدَ بنَ الفُرَاتِ في موضعٍ ، إلاَّ : ويُلقَى أسَدٌ ماشِياً وراءه . فشُبِّهَ اتِّباعُه له : باتِّباعِ الخَرُوفِ لأمِّه ؛ فشُبِّه بذلك) : تَوَلَّى الكِتابةَ لسَحنونٍ : إذ وُلِّيَ القضاءَ ؛ ثم أخرَجَه قاضياً إلى مدينةِ : « باجةَ » .

قال محمدٌ : قال أبو بكرِ بن اللَّبَّادِ : قال لي أحمدُ بن أبي سُليمانَ :

لم يُوَلِّ سَحنونٌ سُليمانَ بنَ عِمرانَ ، قضاءَ باجةَ : حتى امتَحَنه في مذهبه ، فأظهَرَ له سُليمانُ : أنَّ مذهبَه مذهبُ المَدَنيِّينَ ، وأنه تاركٌ لمذهبِ العِراقيِّينَ .
وأقام سُليمانُ حِيناً من الدَّهْرِ قاضياً بباجةَ : ما يَقْضِي بقَضِيَّةٍ حتَّى يُشاوِرَ سَحنوناً وبَيانُ ذلك : في كتابِ محمدِ بن سَحنونٍ : في أدبِ القاضي .

قال أبو بكرٍ : قال لي أحمدُ : وأخبرَني رجلٌ — : من أهلِ الثِّقةِ عندي . — أنه خاصَمَ إلى سُليمانَ بنِ عِمرانَ بباجةَ — : وهو حاضرٌ . — في ثَورٍ ؛ فشَهِد عليه شاهدٌ : فاستَحْلَفَه معَ شاهدِه ، وقضَى له : بالثَّورِ (١) .

قال محمدٌ : ثم مات سَحنونٌ : فوَلَّى ابنُ الأغلَبِ سُليمانَ بنَ عِمرانَ ، قضاءَ القَيْرَوانِ . وكان : علَى مذاهبِ السُّنةِ ؛ وكان له يومٌ في الجُمُعةِ أو يومان ، يُقرَأُ عليه فيه العلمُ : تفسيرُ القرآنِ وغيرُه .

وكان مُستَيقِظاً : في أمورِه ؛ وكانت له فِراسةٌ ، وكانتْ له — في الأحكامِ — إدارةٌ .

---

(١) مكتفياً بالقمين والشاهد : كما هو مذهب الشافعى والمدنيين ؛ خلافا للعراقين ، راجع فى هذه المسألة : آداب الشافعى لابن أبى حاتم الرازى (ص ١٦٦-١٦٩) .

أخبرنى بعضُ الشيوخِ عن سُليمانَ ، أنه قال :

« يَنبَغِى للحَـكَمِ — : إذا شَهِد عندَه الشاهدُ الغَرِيبُ : الذى لا يَجِدُ أحدًا يَعرِفُه بعدالةٍ ، ولا جُرْحَةٍ . — أن يَتعرَّفَ حالَه : بِحالِ جُلاّسِه ، ومَن يسكُنُ إليه — من طَبقاتِ الناسِ — : فإنه لا يألَفُ الشَّـكْلُ إلا شكلَه . » .

وأخبرنى بعضُ الشُّيوخِ ؛ قال :

تخاصَمَ رجُلانِ إلى سُـليمانَ : فأقامَ المدّعِى عَلَى خَصمِه ، شُهداءَ أربعـةً : فشَهدوا عندَ سُليمانَ ؛ فقَبِلَهم ، ثم أعْذَرَ إلى المطْلُوبِ .

فلمَّا نَظَر المطـلوبُ : إلى أنه أزِفَ الْحُـكمُ ، ولم يَبقَ إلاَّ التَّنفيذُ : وعَلِمَ أنه بَرِئٌ : فى الباطِنِ ؛ ممَّا شَهِدوا عليه فى الظّاهِرِ — : قَصدَ القاضىَ سُليمانَ ، بعد صلاةِ المغربِ ، (فاسْتَأذَنَ عليه : فلم يَأذَنْ له ؛ ثم ألَحَّ فى الاستئذانِ ، وقال : إن لم يَأذَنْ لى ، بتُّ عَلَى بابِ دارِه : حتَّى أكونَ أولَ من يَلقاه[1] صَـــباحًا .

فأذِنَ له سُليمانُ : فدَخَل عليه ، فقال له : عَزَم القاضى عَلَى أنْ يُسجِّلَ عَلَىَّ ؛ وبَقِىَ فى قلبى شىءٌ : أخبِرُه به ، وأقولُه له.

فقال له : قلْ . فأخْرَجَ الرجلُ مُصحفًا من كُمِّه : فحَلَف له به — ثم أتْبعَ ذلك بيَمينِ الطَّلاقِ ، والعَتَاقِ ، والمَشْىِ ، والصَّدقةِ — : أنه بَرِئٌ من ذلك المَطلَبِ ، وأنَّ الشُّهودَ الذين شَهِدوا عليه : قَصَدُوا بشهادتِهم الزُّورَ صُراحًا .

ثم : خرَجَ عنه ، ووَقَع بقَلبِ سُليمانَ : أنَّه صادقٌ .

فلمَّا جَلَس سُليمانُ فى الغَدِ — فى مَجلِسِ القضاءِ ، فى الجامعِ — : أتاهُ الطالِبُ : يَستنْجِزُه التَّنفيذَ .

---

(١) بالأصل : «ألقاه» . وهو مصحف عنه . أو يكون قوله : أكون ؛ مصحفا عن «يكون» . فتأمل .

فقال له[١] : اذهَبْ ، ائْتِنِي بالشُّهداء ـ الذين شَهِدُوا لك عندي ، في أصْلِ الحقّ ـ: حتى يَحضُرُوا تَنْفِيذَ الْحُكْمِ لك .

فذهَب الرجلُ : فأتاهُم[٢] . فلمّا نَظَر القاضي إليهم : أعرَضَ عنهم ، وتَشاغَلَ بغيرِهم طويلا ؛ ثم قال لغلامه : يابِشْرُ ؛ اذهَبْ إلى صاحبِ سُوقٍ ـ : من[٣] سوقِ الجمالِ . ـ وقلْ له : كَيْ يَبْعَثَ إلىَّ بأربعةِ أجمالٍ ؛ حتى أُطوِّفَ عليها رجالاً : شَهِدوا عندي بالزُّور .

ثم اشتغَل ؛ فلم يشُكّ الشُّهودُ الأربعةُ : أنهم أصحابُ المِحْنةِ ؛ فتسَلَّلوا من مجلسِه .

ثم : تقَدّم الطالبُ ، فقال له[٤]: نَفِّذْ لى الحكْمَ . فقال : بحَضْرةِ شُهودِك . قال : قدأحضَرْتُهم . قال : قَرِّبْهم . فقال: هاهُنا كانوا . قال : اذهَبْ فيهم . فلمّا سار إليهم: امتنَعوا عليه من المَسيرِ إلى القاضي .

فبَقِيَ الطالبُ مُتَرَدِّداً : بيْنَ توَقُّفِ القاضي عن الْحُكمِ إلاّ أنْ يحضُرَ الشُّهودُ؛ وبيْنَ امتِناعِ الشهودِ من الحُضورِ . حتّى مَلَّ الطالبُ ، وترَكَ طلبَه .

وهذا ـ وإن لم يكنْ وَجْهَ القضاءِ عَلَى مَمَرِّ الحَقِّ[٥] ـ فهو : من بابِ اللُّطفِ والسِّياسةِ .

* * *

---

(١) بالأصل : «قال ... اتنى» ؛ والظاهر أن كلا منهما مصحف .

(٢) أى : أتى بهم ، وأحضرهم أمام القاضى . وعبارة الأصل هكذا : « فاتاهم » ، وأصلهما ما أثبتناه . أو ما فسرنا به . وانظر المختار .

(٣) عبارة الأصل : «فى سوق الجمال وقلن كى» إلخ . وهى مصحفة مضطربة .

(٤) بالأصل : «لى» ؛ وهو تصحيف .

(٥) أى : موضع مرور الحق وصدوره. انظر المختار . وفى الأصل : «مر» وهو تحريف

وكان من شيمه : أنه يجلس ــ قبل خروجه إلى الناس ــ فى مكان يسمع منه كلامهم ، وما يجرى ــ : من القول . ــ بينهم .

فهو يوماً جالس : حتى سمع جلبة وضوضاء : فأصاخ إليها : ليتعرف : ماهى ؟

فإذا برجل : قد أتى متشبثاً برجل : وهو يقول لجماعة الناس : أتيت بجعلى إلى هذا الرجل ، وسألته : أن يبيعه لى ؛ فباعه : بستة عشر مثقالا : فلما انتقدها : أتانى بها ، وقال : إن البغل لم يكن يساوى إلا : عشرة مثاقيل : فأعطنى مثقالا : فى جعلى .

(قال) : فأبيت عليه : أن أعطيه مثقالا ؛ فضم يده بالمال ، وقال : مالك عندى مال ، ولا بعت لك(١) دابة . فتعلقت به ، وجئت إلى القاضى .

فلم يشك سليمان : أن الأمر على ما قال ؛ فخرج من ساعته : فكان صاحب الدابة أول داخل عليه ؛ فقص عليه قصته :

فخاف سليمان ــ إن سأل المدعى عليه ــ : أن ينكر : فيجب على المدعى : البينة ؛ وليس يشهد الناس العدول فى مثل هذا الأمر .

فترك سؤال المدعى عليه ؛ وعطف بالصولة والتوبيخ : على المدعى ؛ وقال : يأتى أحدكم إلى الرجل الحر ، فيستخدمه فيما لعله : أن يذهب فيه دينه وأمانته ؛ من فرط الاجتهاد ؛ ثم لا يعطيه فى مثل ذلك ، إلا ربع دينار . اذهب : فقد حكمت عليك بجعل : مثقال .

ثم قال لصاحبه : أبرئ إليه بماله . فمد يده إلى كمه ، وحل العشرة وأخرج المال ، وبرئ به إليه .

فقال له سليمان : هذا ماله ؟ . قال : نعم .

---

(١) هذا هو الظاهر المناسب . وفى الأصل : «له» ؛ ولعله مصحف .

قال : اشهدوا : أنى قد فسخت حكمى على الطالب بجعل مثقال ؛ وحكمت عليه : بأجر المثل .

* * *

وكان : كثير النادر ، كثير التحكك بالناس : فى التعريض بعيوبهم وألقابهم .

دخل عليه رجل يلقب : بالقفوسة ؛ فقال له سليمان : كنت أعرف لكم مقثأة ، فما صنع الله بها ؟ .

فقال له الرجل : كانت حسنة ، لولا خروفة دخلتها : فأفسدتها . ! .

ودخل عليه رجل — : من خاصته . — فقال له : لقد أندر فيك اليوم ، على بن حميد بنادر . فقال : ما هو ؟ .

قال : أمر طباخه ، فأتاه فى سفرته ، بصورة رأسك — : بقلنسوتك ، وجميع هيئتك . — فجعل : يأكله هو وأصحابه ! .

فأرسل سليمان إلى على بن حميد : « الناس ينتقلون من حال : إلى أشرف منها ؛ وأنت ترتكس : كنت عند الناس طباخاً ؛ فرضيت : أن تصبح رواساً . »

وذلك : أنه — : بإحكام دار على بن حميد للطبخ . — يضرب المثل بالقيروان .

* * *

انتهى الجزء بحمد الله وعونه

يتلوه وأبو العباس بن عبدون القاضى ؛ كان حافظاً لمذهب أبى حنيفة .

الجزء الثالث

من

علماء إفْرِيقِيَّة

تأليف

محمدِ بن حارثِ بنِ أسدِ الخُشَنِيّ

[بتجزئة الأصل]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا محمدٍ وآلهِ وصحبِه ، وسلم

* * *

أبو العباسِ بن عبدونٍ القاضي

٨٤ وأبو العباسِ بنُ عبدونٍ القاضي ؛ كان : حافظاً لمذهبِ أبي حنيفةَ ؛ وكان مُوَثِّقاً كاتباً للشُّروطِ والوثائقِ . ولاَّه إبراهيمُ بن أحمدَ القضاءَ ، ثم عزَلَه .

سمعت طبقةَ المدَنيِّين : يَنسُبون إليه الغفلةَ ، وقِلَّةَ الحَصافةِ ؛ وأهلَ العراقِ : يَصِفُونه بضدِّ ذلك ؛ وبه يُثْنون ، وبمكانِه يَفخَرُون .

وكان في قضائه : قد استطالَ على طبقةِ المدنيِّينَ وامْتَهَنَهم ، وضربَ جماعةً منهم ؛ ضَرَب : أحمد بن مُعتِبٍ ، وإبراهيمَ المعروفَ : بالدِّمْنِّى ؛ وابن عبدونٍ العطارَ ، وابنَ الداثنِيّ وأبا القاسمِ مولى مهريةَ . وطَلَبَ يحيى بن عُمرَ : حتى تَوارَى عنه :

وكان إبراهيمُ بن أحمد يقول بعد عزلِه له : لو ساعدتُه لجعلتُ له مقبَرةً على حِدةٍ .

وكان إبراهيمُ بن أحمدَ ، بابنِ عبدونٍ - قبْلَ أن يولِّيَه القضاء ، وبعد أن ولاَّه - : شَديدَ الإعجاب ؛ قال يوماً من الأيامِ : حسدَني أهلُ القَيْروان في ابن عبدونٍ . فقال له ابن مُثيبٍ : لو علمت منه ما يعلمُ أهلُ القَيْروانِ منه - : كان عندك بالحالةِ التي هو [بها][1] عندهم .

---

(١) زيادة : مما سيأتي في ترجمة أحمد هذا .

وكان أبن عبدون : قد أمتحِنَ برجلٍ من خدمة إبراهيم ــ : ممن كان يخدمه بين يديه : داخلاً وخارجاً ؛ يُعرَفُ : بابن أبي رُزَيْنٍ الرائض . ــ :

كان : إذا نظر إلى أبن عبدون قد أقبلَ للدخول على الأمير ، فإن كان الأمير نشيطاً مُستبشراً ، قال أبن أبي رُزَينٍ لابن عبدون : إياك أنْ تسأله حاجة : فإنه مغمومُ القلبِ : وإن رأيته متجملاً لك . وإن كان مَكروباً ، قال له : سلْ كلَّ حاجةٍ لك ؛ فإنه مُنشرِحُ النفسِ ، مُنبسِطٌ .

وقال له يوماً من الأيامِ : يَنبَغِي لك : أنْ تتأدَّبَ [معَ] الأمير وأهلِ بيتِه .

فقال له : فبماذا ؟ .

فقال له : أنْ تدخلَ عليه في الصَّيفِ وفي اليوم الحارِّ ، بحشيَّةٍ : لئلاَّ يظهر صدرُك ، وما شحمَ : من جسدِك . ويَنبَغِي لك : أنْ تتركَ على جبهتِك طُرَّةً من شَعَرِك ؛ فيبدُو منها بعضُها تحتَ العمامةِ أو القلنسُوةِ ، ويَنبغِي لك إذا تحدَّثتَ ــ : أنْ تجعلَ يدكَ على فِيكَ ؛ فإن هذه الأخلاق : مما يَستَحِبُّها الملوكُ .

فقَبِل منه ــ فيما حُكِيَ لي ــ وفعَل جميعَ ما أمرَه به .

فلمَّا دخَل على إبراهيمَ بتلك الحالةِ ، ونظَر إلى الطُّرَّةِ ــ : رَفع عينيْه إلى أبن أبي رُزَينٍ (كالقائلِ له : ما هذا ؟) : فأشار إليه أبن أبي رُزَين بيده ، ورفعها إلى فمِه : مُغلَقةً (أيْ : هو زامرٌ) .

وحَكى لي أحمدُ بن موسى التَّمارُ عنه ، خبراً عجيباً ــ : فيه حِكمٌ وعِبْرةٌ . ومِثالٌ للمُحتذِي ، ومنبهةٌ للمُتحفِّظ . ــ قال :

كانتْ بالقيْروانِ طبقةٌ تسمَّى : الرُّكْنيَّة ؛ كانوا : لا شُغلَ لهم : فكان

جُلوسُهم ومُجتمَعُهم : فى رُكنِ الجامعِ ؛ فلَزِمَهم هذا ٱلاسمُ . وكان الناسُ : يُدارُونهم ، ويَتَّقُون ألْسِنَتَهم .

وكان فيهم رجلٌ منهم ، يُعرَفُ : بأبى ٱلقاسمِ ٱلمساجدىِّ ؛ وكان : خاصًّا بأبى العبّاسِ بنِ عَبدونٍ . وكان مُقِلاًّ : فكان ٱبنُ عَبدونٍ يرفقُه ويَصِلُه ، ويُجْدِى عليه ، ويُحسِنُ إليه .

فحَسدَه سائرُ أصحابِه ــ : من الرُّكنيَّةِ . واجتَمع منهم أربعةٌ فى الإدارة ، عليه : لِيَنْقَطِعَ ما بينَه وبيْن ٱبنِ عَبدونٍ ، قَطيعةً : لا يكونُ بعدَها وَصْلٌ أبداً .

فأتى أحدُ ٱلأربعةِ إلى ٱبنِ عَبدونٍ : فجلَسَ إليه وحادَثه ، ثم أخْطَرَ : من ذِكْرِ ٱلصُّحبةِ والصَّداقةِ ، وقلَّةِ ٱلوفاء ؛ ثم قال له : ما ٱلذى حَدَث بيْنك وبيْنَ ٱلمساجِدىِّ ؟.

فقال له ٱبنُ عَبدونٍ : ما أعلَمُ أنه كان حَدَث فيما بيْنى وبينَه ؛ فما ٱلخَبَرُ ؟ فَجعلَ : يَحيدُ له عن أن يُخبِرَه بشىء ؛ ثم خرَج عنه .

فلمَّا كان بعدَ ذلك بيومٍ ، أتى الثانى : فجلَسَ إلى ٱبنِ عبدونٍ ، وأدارَ ٱلحديثَ : حتى خرَج إلى ذِكْرِ ٱلمساجِدىِّ ؛ فقال له : قد كان ٱلمساجِدىُّ لك : صَديقاً ؛ وكنتَ إليه : مُحسِناً ؛ ثم كان مِن أمرِكُما ما كان .

فتحَرَّكَ ٱبنُ عَبدونٍ ، وجعَلَ : يَسْتقْصِيهِ عن حقيقةِ هذا ٱلخبرِ ؛ وذَكَرَ : أنه لا عِلمَ له بشىء[1] من ذلك .

فانْزَوَى عنه وانقَبَض ، وحلَفَ له : أن لا يُخبِرَه ؛ إجلالاً له وإعظاماً .

فلمَّا كان ٱليومُ ٱلثالثُ ، أتاه ٱلثالثُ منهم ، والرَّابعُ : فجلَسا وتحدَّثا ؛ ثم قال له أحدُهما : ما يَنبَغِى لأحدٍ أنْ يَثِقَ بأحدٍ ؛ قد كان المساجِدىُّ لك ، وكنتَ له : عَلَى

---

(١) بالأصل : «لشىء» ؛ وهو تصحيف .

أفضل حالٍ ؛ ثم : قد خرج فيك إلى ما خرج ! .

فقال له ابنُ عبدونٍ : قد تكرَّر علىَّ هذا الخبرُ : من غيرِ إنسانٍ ، وعلى غيرِ ما إنسانٍ : وما أجدُ أحداً : يخبرُني بالحقيقةِ في ذلك ؛ فأخبرْني بذلك : فقد ضجرْتُ من اكْتِتامِ الحقيقةِ عنّي في ذلك .

فقال الرجلُ : لا واللهِ : لا أفعلُ ، ولا أستهينُ بك هذه الاستهانةَ .

فاستجابَ الرّابعُ ، فقال : لأنك — واللهِ — لا تحبُّه ، ولا تنصحُه ؛ إن كنتَ أنتَ لاتُخبرُه : فأنا أخبرُه.

قال له ابنُ عبدونٍ : هاتِ .

فقال : يقولُ : إنك خُنثى ، وإنَّ لك قُرْعةً كقُرْعةِ النِّساءِ ! .

فتلوَّنَ وجهُ ابنِ عبدونٍ ، وجعلَ يحلفُ : ما لَه قُرعةٌ .

ثم : بَلَغَ الخبرُ إلى المساجديِّ ؛ فأتى : متنصِّلاً .

فوجَد في قلبِ ابنِ عبدونٍ — : من التَّصديقِ بما قيلَ له عنه . — ما لا يعملُ فيه الاعتذارُ ، ولا يمحوهُ التنصُّلُ . فأبعدَه ، وأقصاهُ عن نفسِه .

ولعَمْري : إنَّ هذه الإدارةَ للطيفةٌ : من الفِكْرِ ؛ وعجيبةٌ : من الحِيَلِ : ولو قُرِعَ بمثلِها أدهى الناسِ : ما خلَص منها . نستعيذُ باللهِ : من حِيَلِ الماكرين، ومن إفكِ الكاذبينَ .

* * *

أبو العبّاس بنُ زرْزرٍ

٨٥ وأبو العبّاس بنُ زرْزرٍ ؛ كان : حافظاً بمذهبِ أبي حنيفة : وهو مذكورٌ فيهم ، ومعروفٌ عندهم .

أخبرنى بعضُ إخوانى : قال : أخبرنى أبو جعفرِ بنُ شَهرين — : الذى هو اليومَ قاضى بَرْقةَ . — قال :

قلتُ لأبى العبَّاس بن زرْزرٍ : أخبرْنى بدَواء الحفظِ ؟.

(قال) : فقال لى : أوَما تعرِفه؟! .

(قال) : قلتُ : ما أعرِفُه .

قال: الدَّرْسُ باللَّيل ، والمناظَرَةُ بالنَّهارِ .

وكان ابن زرْزرٍ : مُعْرِباً فصيحاً . أخبرنى أحمدُ بن نصرٍ ؛ قال : سمعتُه يوماً — : وقد ذَكَر : أنَّ أهلَ كلِّ صَنعةٍ أعلَمُ بصنعتِهم من غيرِهم .— فقال : إنَّ مالكاً وأبا حنيفةَ ، لو سُئلاَ : أنْ يحوكَا ثوباً أو يخيطاهُ ؛ ما عَرَفاهُ .

وحَكى لى عنه حاكٍ ؛ قال: سمعتُه يقولُ :

خطَرْتُ بأعْرابىٍّ : وهو عَلَى بئرٍ ؛ وهو يقولُ :

مَنْ يُهِنِ المالَ ، ولاَ يَرُبَّهِ : يَهُنْ عَلَى النَّاسِ : هَوَانَ كَلْبِهِ

(قال) : فقلتُ له : أخطأْتَ :

مَنْ يَصُنِ المالَ ، ولاَ يَعِشْ بِهِ : يَصِرْ لِشَانِيهِ جَميعُ كَسْبِهِ

* * *

هِشامُ بنُ العِرَاقىِّ

٨٦ وهِشامُ بنُ العِراقىِّ ؛ كان : رأْيُه رأىَ الكوفيِّينَ ؛ وكان : يتكلمُ فى مسائلِهم .

وبَلغنى : أنَّه كان ممَّن يحضُرُه ابنُ طالبٍ ، مجلِسَه : للمناظرةِ .

وبلغنى : أنه قال له[١] سعيد بن الحداد يوماً : بترك الذى أتى ؛ إذ فاء : أن تُوجَدَ[٢]] لكم مسألة ، إلا : ولكم نقيضها من قولكم .

* * *

أبو المنهال

٨٧ وأبو المنهال : كان : من شيوخ العراقيين ، ومن مقدميهم .

كان علمه علماً مقارباً[٣] لم يكن يحسن عن مذهبه الذب ، ولا كان يقوم دونه بالمناظرة .

حكى لى عن سعيد بن الحداد ، أنه قال : قلت له يوماً : يا أبا المنهال : ما تقول فى كبش بال فى بئر ؟ . قال : ينجس الماء .

(قال) : قلت : فلو بال فى ثوب ؟ فقال : لا ينجس .

(قال) : قلت له : ما الفرق بينهما ؟ لو أن معترضاً اعترضك : فحكم بالطهور فيما حكمت فيه بالنجاسة ؛ وحكم بالنجاسة : فيما حكمت [فيه] بالطهور — : ما كان الفرق بينك وبينه ؟ .

(قال) : فقال لى : يا أبا عثمان : العلم له سواء : فى وقتى .

(قال سعيد) : فسكت عند هذا الجواب البديع !.

* * *

---

(١) أى : تكلم معه . وأشار عليه بترك مذهبه . ولعل قوله : بترك : مصحف عن : « يترك » . فتأمل .

(٢) عبارة الأصل : « أن نجعل لكم » إلخ . وقد اضطررنا إلى تعديلها وإضافة الزيادة إليها . وذلك أولى من إبقائها : قلقة مضطربة .

(٣) أى : متوسطا .

قاسمُ بنُ أبى المِنْهال

٨٨ وقاسمُ بنُ أبى المِنْهالِ : كان مُتَحَرِّكاً : فى العِراقِيِّين ؛ وكان له إخوانٌ :

٨٩ لا أحفَظُ أسماءهم ، وكان أصغرَ الأربعةِ إسحاقُ بن أبى المِنْهالِ : الذى استَقْضاه عُبَيدِ اللهِ .

* * *

ابنُ عُمَيْرٍ

٩٠ ومِن رجالهم ، رجُلٌ يُعرَفُ : بابنِ عُمَيْر ؛ [غيرُ] معروفِ الاسمِ .
لم أقِفْ مِن عِلمِه ، عَلَى وصفٍ أذكُرُه به .

غيرَ أنه كان : مَلِيًّا بخيلاً ؛ فقال له ابنُ أخيه يوماً : يا عمِّ ؛ إنك من الأَمْلياء الكِبارِ ؛ وأنتَ لا تنتَفِعُ بمالِك ؛ فما فَضْلُك عَلَى الفقيرِ ؟ .

فقال له : إذا خافَ الفقيرُ : أمِنْتُ أنا .

* * *

أبو عِقالِ بنُ الزَّعْناء

٩١ ومِن رجالِهم ، رجلٌ يُعرَف : بأبى عِقالِ بنِ الزَّعْناءِ ؛ كان مُتحرِّكاً فيهم : بالفَهْمِ والمُناظَرةِ .

كان يقولُ فى إبراهيمَ بنِ أحمدَ : مَن صَحِبَ إبراهيمَ : فأفعالُه فى ثُلثِ مالِه .
فأدرَكه فى هذا القولِ ، المَثَلُ السّائرُ : « البَلاءُ مُوَكَّلٌ بالقولِ » — :

حَفَر له إبراهيمُ بن أحمدَ حُفَيْراً ؛ ثم أدخَلَه فيه ، وجَعَل ٱلبانِينَ جَمعاً[١] يَدخُلون إليه ، مُسْتأمَنين : يَحدِثُون عليه ؛ حتَّى غَمَرَتْه أوْساخُهم : فمات .

* * *

هَيْثَم

٩٢ ومن رجالهم[٢] هَيْثَمُ ؛ رجلٌ من ٱلعَرب : من قَيْسٍ . وُلِّيَ قضاءَ تونسَ .

قال لي بعضُ التُّونسيِّينَ : حضَرْتُه يوماً : وهو يُملِي وَثيقةً ؛ فأحْسنَ فيها ؛ ثم قال : إنَّما ٱلوَثائقُ : غرَضٌ ؛ فمَن كانتْ فيه مُسْكَةٌ[٣] : رَشَقَها .

٩٣ وكان لهَيْثمٍ ٱبنٌ فَقيه ، ٱسمُه : محمدٌ ؛ ماتَ : في وَباءِ سنةِ سبعٍ وثلاثِ مائةٍ .

* * *

أبو عِقالٍ بنُ جرْجرٍ

٩٤ وأبو عِقالِ بنُ جرْجرٍ ؛ كان : من رجالِ ٱلعراقيِّين .

وكان كاتباً لابنِ عَبدونٍ : إذ كان قاضياً .

* * *

عبدُ ٱللهِ بنُ هارُونَ ٱلكُوفيُّ ٱلسوذَانيُّ

٩٥ وعبدُ الله بنُ هارُونَ الكُوفيُّ السوذَانيُّ ؛ كان مَذهبُه : جميلاً ؛ وكان : عَلَى سُنَّةٍ .

كتَبَ لسُليمانَ بن عِمرانَ : إذ كان قاضياً ؛ ثم ٱستَقْضاه ابنُ طالبٍ : على مَدينة تونسَ ؛ ووُلِّيَ ٱبنُ عبدونٍ : فأثْبتَه عليها .

(١) بالأصل : « عجبا » ؛ ولعله مصحف عن نحو ما أثبتنا .
(٢) بالأصل : « رجالها » أو « رجالهما » ؛ وكلاهما تصحيف .
(٣) أي : بقية من عقل وخير .

ثم عُزِلَ ابن عبدونٍ : فولّى إبراهيمُ بن أحمد عبدَ اللهِ بنُ هارُونَ ، قضاءَ القَيْرَوانِ . ثم كَبِرَ الرجلُ : فعزَلَه إبراهيمُ ، وولّى عيسى بنَ مِسْكِينٍ .

* * *

أحمدُ بنُ مُثِيبٍ

٩٦ ومن رجالهم : أحمدُ بنُ مُثِيبٍ ؛ كان فيهم: ظاهرَ الاسمِ معروفًا ؛ لا أعرفُ مِن أمْرِه خَبراً ، سِوَى : اسمِه ، وقولِه لإبراهيمَ : لو علمتَ مِن ابنِ عَبدونٍ ما يَعلمُ منه أهلُ القَيْرَوانِ — : لكان عندكَ بالحالِ التي هو بها عندهم .

وسمعتُ مَن يحكي : أنّه كان من الكرامِ الأجوادِ ؛ أتاهُ ابنُ أبي الشّوارِبِ — : يَسْتَغِيثُه في دِيَةٍ . — فتحمّلها له بجميعها .

* * *

مَعْمَرٌ

٩٧ ومن رجالهم : مَعْمَرٌ ؛ قد ذكَرَه أبو العَرَبِ في كتابِه ، وأثنَى عليه . وذكرتُ[(١)] أنا في ذلك الموضعِ ما أعرِفُ عن هذا الاسمِ ؛ وقلتُ : إني لا أدري : إنْ كان اسماً واحداً اختلفت[(٢)] فيه الأخبار ، أ [و] هما رجلانِ .

* * *

عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ الأشَجِّ

٩٨ وعبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ الأشَجِّ : كان مذهبُه : مذهبَ الكوفيّينَ ؛ ورَحَل ؛ وكان من أهلِ الجَدَلِ والكلامِ : على مذهبِه .

* * *

(١) بالأصل : « وذكرته . . . . في » ؛ ولعل كلا منهما مصحف عما ذكرنا .

(٢) بالأصل : « اختلف » ؛ وهو تصحيف . والزيادة الآتية متعينة

أحمدُ بنُ وَهْبٍ

٩٩ ومن رجالِهِم : أحمدُ بنُ وَهْبٍ : ولاّهُ إبراهيمُ قضاءَ اطرابلس : في زمن قضاءِ ابنِ عبدون على القيروانِ .

وكان — فيما أرى — : قليلَ العلمِ ؛ وذلك : أنّه كتب إلى إبراهيمَ بن أحمد : « حفظك اللهُ » — فلم يرفعْ الظاء — فقال إبراهيمُ : خفضني : خفضه اللهُ . ثم عزَلَه .

وقيل لي : إنه كان يُكنَّى : بأبي الزِّيرِ ؛ والزِّيرُ — بالقيروان — هو : الذي يُسمَّى بالأندلسِ : الخابيةَ . والخابيةُ بالقيروانِ لها صنعة أخرى : لم أرها بالأندلس

وكُنِّيَ هذا الرجلُ بأبي الزِّيرِ — فيما قيلَ لي — : لأنه عمل نبيذاً في زير ، وأرادَ : أنْ يذوقَه ؛ ولم يجدْ آنيةً يُدْخِلُها في الزِّيرِ : فأدْخلَ رأسه في الزِّيرِ : ثم لم يستطِعْ أنْ يُخرِجَه : حتى كُسِرَ الزِّيرُ . فلُقِّبَ : بأبي الزِّيرِ .

* * *

١٠٠ وابنُه : جعفرٌ شرِقَ . ووَلاَّه إسحاقُ بنُ أبي المِنْهالِ . مظالمَ القيروان : إذ أخرَجَ ابنَ بحرٍ قاضياً إلى اطرابلس .

* * *

محمدُ بنُ أسْوَدَ

١٠١ ومن رجالِهِم : محمدُ بن أسْوَدَ ، المعروفُ : بالصدِّيني . ولاّه إبراهيمُ بن أحمد القضاءَ : عند خروجِه إلى صِقِلِّيَّةَ .

وكان يقولُ : بخَلْقِ القرآنِ ؛ وكان صلباً ، صارماً .

قيل لى : إنه أتاهُ قومٌ ؛ فقالوا : إن فلاناً (وسمَّوا رجلاً خسيساً) يُسَهِّلُ شَتْمَ[1] مَن يقولُ بخَلْقِ ٱلقرآنِ .

فقال : إنْ تعرَّضتُه : أثبَتُّ ٱسمَه ، وجعلتُ له فى ٱلناسِ قَدْراً ؛ ولكنْ : دعُوه على ما هو عليه . فلم يَعرِضْ له .

* * *

ٱبن ٱلكُبْرِ

١٠٢ ومن رجالهم رجلٌ يُعرَفُ : بابنِ ٱلكُبْرِ[2] . كان : من كِبارِهم ، معروفاً فيهم ، ومَشهوراً منهم . وكان : يُقرَأُ عليه المغازى وغيرُها : من أُمَّهاتِ [كُتُبِ] العِراقيِّين .

* * *

أبو عمرٍو مَيْمُونٌ

١٠٣ ومن رجالهم : أبو عمرٍو مَيمونٌ ، المعروفُ : بابن ٱلمَعلُوفِ . وُلِّىَ مَظالِمَ القَيروانِ : فى أيامِ بنى الأغْلَبِ.

وأدركتُه : مُقعَداً شيخاً كبيراً ؛ وكان له دِينٌ ومكانٌ علَى سِنِّه . عَهْدِى به : سنة ثلاثٍ وثلاثمائةٍ ؛ وأنا أقرأُ عليه مُوطَّأَ مالكٍ ؛ فقرأتُ عليه فيه كلاماً لعُمر ٱبن ٱلخطَّابِ ، فجعَل يَبكى : خَشْيةً وتواضُعاً ؛ فإنى لَفى ذلك المجلسِ — بَيْنَ يَدَيْهِ — حتَّى دَخَل عليه داخِلٌ ، فقال له : فُتِحَتْ صِقلِيَّةُ . فجعل : يتأسَّفُ .

وتُوُفِّىَ : سنةَ أربعٍ وثلاثِ مِائةٍ .

---

(١) بالأصل : « يشتم » ؛ والظاهر أنه محرف عما ذكرنا .

(٢) يحسن أن تراجع المختار : (كبر) .

١٠٤ وابنُه : أبو يَحيَى ؛ كان : حافظاً نبيلاً ، ظاهراً فى مذهبِ العراقيين .

وكان : يَلزمُ سُوقَ الصَّوَّافِيِّينَ ؛ حجّ : سنةَ عشرٍ ؛ ومات فى حجّه .

* * *

أبو حَبيبٍ

١٠٥ وأبو حَبيبٍ المَعروفُ : بابنِ حَبيبٍ السَّدْرِيِّ . كان : شيخاً نظيفاً مُتَدَيِّناً ، كثيرَ الكُتُبِ . كانتْ له صَلاةٌ : يَخرجُ فيها عن صلاةِ الجماعةِ ؛ لإفراطِ تَطْويلِه فى الرُّكوعِ والسُّجودِ .

دخَلْتُ عليه يوماً : فدارَتْ بينى و بينَه مُناظَرةٌ ؛ فرأيتُ رجلاً : مُقتَصِراً[1] لاحْتِجَاجِه علَى ما وَجَد خاصَّةً فى كُتُبِهم ؛ لا مادَّةَ عندَه ، ولا قَرِيحةَ له .

وكان يقولُ : بخَلْقِ القرآنِ ؛ ورُبَّما انْتَحَل الوقفَ على القولين جميعاً .

* * *

أبو علىِّ بنُ ابنِ أبى المِنْهالِ

١٠٦ [و] أبو علىِّ بنُ ابنِ أبى المنهال ؛ ابن أخى القاضى إسْحاقَ . كان سِنُّه : قريباً من سِنِّ إسْحَاقَ .

كان عندَه : علمٌ بمذهبِه ، وحَرَكةٌ فيه ؛ ويُناظِرُ مُناظَرةً : لا بأْسَ بها .

* * *

---

(١) عبارة بالأصل : « مقتصرا على ما وجد لاحتجابه خاصة فى كتبهم » ؛ وفيها اضطراب وتصحيف . ولعل أصلها ما أثبتنا .

ابنُ جِـيمالٍ

١٠٧ وابنُ جيمالٍ ؛ كان مذهبه : مذهبَ السكوفيّين .

ولاّه زيادةُ اللهِ بنُ عبدِ اللهِ ، قضاءَ القَـيْروانِ : بعنايةِ ابنِ الصّائغِ ؛ وكان: قليلَ العلمِ ، كثيرَ الغفْلةِ ؛ ثم عزله ، وولّى ابنُ الخشّابِ .

وسمِعتُ مَن يَحكى : أنه تَخاصمَ إليه رجُلانِ ، فثبَتَ الحقّ على المطلوب منهما : فأعذرَ إليه ، فقال له : إن كانتْ عندكَ مَنفعَةٌ ؛ وإلاَّ حكَمْتُ عليك .

فقال له : إنْ شئتَ فاحكُمْ ؛ وإن شئتَ ، فلا تحكُمْ ؛ مِن عندِ ابنِ عَبدونٍ أتيْتُ ، وقد عرَفتَ ما قال لى .

فيَسكتُ ، ويَخافُ : أن يكون فى الحكمِ عليه خطأ ، فـكان كلّما قال له : يُحكَمَ عليك ؛ أعادَ عليه هذا اللّفظ . فوقّفه عن نفْسِه : بهذا الإيهامِ .

ولم تـكنْ معه نَهضَةٌ فى فهمٍ . ذُكِرَ : أنه تَقدّم معَ خَصمٍ له ، إلى إسحاقَ ابن أبى المنهال ؛ فقال له : احكم بينى وبيْنَ خَصْمِى : بالحقّ ؛ ولا تُحابِنى ولا تحابه.

فقال له اسحاقُ : واذ كنتَ أنت قاضياً : كنتَ تُحابِى معَ الخصُوم ؟ ! .

* * *

ابنُ القطونةِ

١٠٨ وكان لهم رجلٌ يُعرَفُ : بابن القطونةِ ؛ ولّىَ مَظالمَ القَيْروانِ : فى أيامِ بنى الأغْلبِ . لا أعرفُ مِن صِفتِه ، أكثرَ : من اشْتِهارِ اسمِه .

* * *

أبو العبّاسِ ابنِ القيّارِ

١٠٩ ومِن رجالهم ، رجلٌ يُعرَفُ : بأبى العبّاسِ بنِ القيّارِ . كان : قِبَله علمٌ وَجدَلٌ

وكان : يَصْحَبُ أبا العبَّاس عبدَ اللهِ بنَ إبراهيمَ بنِ أحمد .

* * *

محمدُ بن أحمد الفارسيُّ

١١٠ ومحمدُ بن أحمدَ الفارسيُّ ، المعروفُ : بابنِ السُّفَيْفِيِّ .

كان : صاحبَ وَثائقَ ؛ وكان كاتباً لإسحاقَ بنِ المِنْهال : في ولايتِه الأولى عَلَى القضاء .

وكان : خَفيفَ العلمِ ، لا بأْس به . ناظَرْته يوماً في شيء — : من الفقهِ . — فما وَجَدتُ فيه : نَهْضةً محمودةً .

* * *

يَحيى بنُ محمدٍ

١١١ ويحيى بنُ محمدِ بنِ قادمٍ ؛ كان : في نِصاب علمٍ ؛ ولم يكن عنده فقهٌ .

أدركْته : شيخاً زَمِناً ، تقرأُ عليه المغَازِي : في مَسجِده المَعروفِ : بمسجدِ ابن قادم .

وكان لي : جاراً مُلاصِقاً .

* * *

بابُ تَسْمِيَةِ مَن انتحلَ النَّظَرَ وتحلَّى بالجدَل : من أهلِ السُّنَّةِ ، وغيرِهم : من طَبَقَةِ العلماء بالقيْرَوان

* * *

محمدُ بنُ نَصْرٍ

١١٢ قال محمدٌ : كان محمدُ بن نَصْرِ بنِ حَضْرمٍ : ذا جَدَلٍ وحُجَّةٍ .

ويقالُ : إنَّه كان مُعَلِّمَ محمدِ بنِ سَحْنُونٍ : فى النَّظرِ .

لمَّا ماتَ بصِقِلِّيَّةَ ، قال محمدُ بن سُحنونٍ : رحم اللهُ أبا الحسنِ ؛ لقد كان : مُعلِّمَنا .

قيل له : فلِمَ لَمْ تقُلْ هذا فى حياته ؟ .

قال : فَنظَلِمه : حيًّا وميِّتاً ؟ ! .

* * *

محمدُ بنُ سَحْنُونٍ

١١٣ ومحمدُ بن سَحنونٍ ؛ كانت له أوْضاعٌ فى المناظرَةِ : فى فِقهِ الفقهاء ، [و] فى كلامِ المتكلمينَ .

قال له سُليمانُ الفرَّاء — المعروف : بابن أبى عُصْفورٍ : يا أبا عبد الله ؛ الله سَمَّى نفْسَه ؟ . (أراد بذلك : أن يقول له : نعم ؛ فيَثبتُ عليه الإقرارُ : بحدُوثِ الأسماء والصِّفاتِ) .

فقال له ابنُ سَحنونٍ : اللهُ سَمَّى نفْسَه لنا ، ولم يزَلْ ؛ وله الأسماء الحُسْنَى .

* * *

أبو العبّاس عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ طالبٍ

١١٤ وأبو العباسِ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ طالبٍ؛ كان له: نَظَرٌ ومُناظَرةٌ؛ وله كتُبٌ: يَرُدُّ فيها عَلَى الشّافعيّ؛ لا بأسَ بها.

وكان يَجمَعُ بيْنَ أهلِ المُناظَرةِ: فى مَجلِسِه؛ وربَّما أباتَهمْ عندَ نفسِه.

***

أبو عُثمانَ سَعيدُ بنُ محمدِ بنِ الحدّادِ

١١٥ وأبو عُثمانَ سَعيدُ بنُ محمدِ بنِ الحدّادِ؛ كان الكلامُ والجدَلُ والمُناظَرةُ: بابَه[1].

قال له سُليمانُ الفرّاء: يا أبا عُثمانَ؛ أيْنَ كان ربُّنا: إذْ لا مكانَ.؟.

فقال له: السُّؤآلُ محالٌ: لأنّ قولَك: «أينَ كان؟» يَقتَضِى المكانَ؛ وقولَك: «إذْ لا مَكانَ» يَنفِى المكانَ؛ فهذا: نعَمْ، لا.

قال: فكيفَ كان ربُّنا: إذ لا مَكانَ؟.

قال له: السُّؤآلُ صحيحٌ. ثم أجابَه بجوابٍ: لم أحفَظْه عن حاكِيه.

(قال سَعيدٌ): فلمّا أبْنَتُّ[1] عليه، جعَل يقولُ لى: يا أبا عُثمانَ؛ إن المسألةَ: عَظيمةٌ كبيرةٌ؛ فتَدبَّرْها. فعلِمتُ: أنّه رجلٌ يريدُ السَّتْرَ عَلَى نفسِه.

***

---

(١) أى: سبيله الذى سلكه، وطريقه الذى التزمه. وفى الأصل: «بأنه»؛ وهو تصحيف

(٢) أى: قطعت عليه سبيل السؤآل والمناظرة، وحلت بينه وبين المجادلة والمهاترة.

قال محمد : وكانت لأبي عثمان مقامات كريمة ، ومواقف محمودة — : في الدفع عن الإسلام ، والذب عن السنة . — ناظر فيها أبا العباس المخدوم (أخا أبي عبد الله الشيعي الصنعاني) — بملء فمه ، ومنى نفسه — : مناظرة القرن المساوي ، بل : مناظرة المتعزز المتعالي ؛ لم يتلعثم : لفظاعة المقام ؛ ولا أحجم لهيبة السلطان ؛ ولا خاف ما خيف عليه : من سطوة الحدثان .

ولقد قال له ابنه محمد يوماً : اتق الله : في نفسك ؛ ولا تبالغ : في مناظرة الرجل .

فقال : حسبي : من له غضبت ، وعن دينه ذببت .

* * *

« المجلس الاول »

قال أبو عثمان سعيد بن محمد : أتاني رسوله (يعني : أبا العباس) ؛ فدخلت عليه ، في قصر إبراهيم بن أحمد بن الأغلب — : وحوله وجوه أصحابه ، ومعي موسى القطان . — فسلمت وجلست ؛ وقد كان أتاه قبل ذلك جميع أهل بلدنا (أعني : من أهل العلم) ؛ بغير إرسال.

فقلت له : قد كان من كان قبلك في هذا القصر ؛ وقد علم الله وعلم من حضر — : من أصحابنا . — :أني لم أكن بجياء للملوك ، ولا آتي أحداً منهم : بغير رسول .

فتكلم ؛ ثم قال لي : من أين قلت بالقياس ؟.

(قال) [قلت] : قلته بكتاب الله .

قال : وأين هو في كتاب الله ؟ .

قلتُ : قال اللهُ : (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لاَ تَقتُلُوا الصَّيْدَ : وأَنْتُمْ حُرُمٌ ؛ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً : فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ، يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ : ٥ـ٩٥ .)

فالصَّيدُ : مَنْصُوصٌ ؛ والذى أُمِرْنا : أن نُمَثِّلَه بالمَنْصـــــوص ؛ ليس : بمَنصوصٍ .

فعلِمْنا بذلك : أنَّ مِن دِينِ اللهِ ، تَمْثيلَ مالم يُنصَّ : بما نُصَّ .

(قال أبو عُثمانَ) : [ثم قال] : ومَن ذَوا عَدلٍ ؟ . (وأَوْمَأَ : إلى أنهم قومٌ دونَ قومٍ) .

فقلتُ : هم الذين قال اللهُ فيهم ـ فى المُرَاجعةِ من الطَّلَاقِ ـ : (وأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ : ٦٥ـ ٢) .

(قال أبو عُثمانَ) : وأجابَه موسى القَطَّانُ ـ من فَوْرِى ـ بحديثِ علىٍّ فى الخمرِ : إذ قال فى السَّكرانِ : « إذا سَكِرَ : هَذَى ؛ وإذا هَذَى : افترى » ؛ [ف] وَجب عليه ضربُ ثمانينَ ، أدْنى أنْ يُضرَبَ ثمانينَ .

فقال له : ألم يَقلْ النبىُّ صلى الله عليه [وسلم] : علىٌّ أفضلكم » ؟ ! .

(قال أبو عُثمانَ) : فقلتُ لموسى ـ وهو إلى جَنْبِى ـ : وفى الحديثِ : « ومُعاذ أعلمكم : بالحلالِ والحرامِ ؛ وعُمرُ أقْواكم : فى دينِ اللهِ » .

فكلّمه بذلك : فغَضِبَ ، وقال : يكون أقْواهم فى دينِ اللهِ ، مَن فَرَّ بالرّايةِ يوم خَيْبَرَ ؟ ! .

فقال له موسى : ماسمِعْنا بهذا .

(قال أبو عثمان) : فقلتُ : قال اللهُ : (إلاَّ مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ ، أَوْ مُتَحَيِّزاً إلى فِئَةٍ : ٨ـ١٦) . فعُمَرُ : ممَّن تحرّف لقتالٍ أو تحيّز إلى فِئةٍ .

فقـــــال : وأىُّ فِئةٍ أكثَرُ من النبىِّ ؟! : وقد كان حاضراً ، ولم يَتحـيَّزْ إليه .

فقلتُ : جاء عنه صلى الله عليه [وسلم] ، أنَّه قال : «عُمرُ : فِئةٌ» ؛ فمَن تحيَّزَ إلى عُمرَ : فقد تحيَّزَ إلى فِئةٍ .

فسكَتَ ؛ فحرَّكه بعضُ أصحابه ، وقال : ألا تَسمَعُ ما يقولُ هذا الشـيخُ ؟!.

فقال . صدَق . أو نحوَ هذا : من القولِ ، سمِعتُها أنا منه ، ومَن كان يَليه .

(قال أبو عُثمانَ) : ثم عَطفَ ، فقال : أنتم تُبْغِضـون عليًّا ؛ يا أهــــلَ المدينةِ .

(قال أبو عُثمانَ) : [فقلتُ] : عَلَى مُبْغِض علىٍّ : لعنــةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعينَ ؛ وكيفُ أُبْغضُ عليًّا : وقد سمِعت سَحنونَ بن سَعيدٍ ـ : وهو إمامُ أهلِ المدينةِ بالمَغربِ . — يقولُ : « علىُّ بن أبى طالبٍ إمامى فى دِينى : أهْتَدِى بهَدْيه ، وأسْـتَنُّ بسُنَّته ؛ رحمةُ اللهِ عليه » ؛ ؟! .

فقال لى : بَلْ صَلوَاتُ اللهِ عليه .

(قال) : فرفَعتُ صَوتى ، وقلتُ : إنَّ الصلاةَ — فى كلامِ العَربِ ـ : الدُّعاء . وقلتُ : قال الأعشَى :

تقولُ بِنْتِى ـ وقدْ قرَّبْتُ مُرْتَحِلاً ـ : يَارَبِّ ؛ جَنِّبْ أبى الأوْصَابَ والوَجَعَا
عَلَيْكِ مِثلُ الذِى صَلَّيْتِ ؛ فاغْتَمِضِى نَوْماً : فَإِنَّ لِجَنْبِ الْمَرْءِ مُضْطَجَعَا

(قال أبو عثمانَ) : ثم قلتُ : نعمْ ؛ فصَـلَّى اللهُ عَلَى علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، والحسَنِ والحُسيْنِ ، وأهلِ طاعةِ اللهِ أجمعـينَ مِن أهلِ السَّمواتِ والأَرَضِينَ .

(قال أبو عُثمان) : ثُم قال لى : أَلَيْس علىٌّ مَولاكَ ؟ ! يقولُ ٱلنبىُّ : « ٱللَّهمَّ : والِ مَن والاَهُ ، وعادِ مَن عادَاهُ .

(قال) : قلتُ : هو مَولاىَ : بالمعنى ٱلذى أنَا به مَولاهُ ؛ ولا وَلايةَ ، لا ولا عَتاقةَ ؛ لأنَّ المَوْلَى ـ فى كلام العربِ ـ مُتَصَرِّفٌ : يَكونُ المَوْلَى[1]؛ ويكونُ : ٱبنَ العمِّ : ويكونُ : ٱلْمُعتَقَ ؛ ويكونُ : المُنعَمَ عليه .

ثم قلتَ : قال ٱللهُ ـ حكايةً عن زكريَّاءَ ـ : (وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَالِىَ مِنْ وَرَآئِى : ١٩ ـ ٥) ؛ يُريدُ : ٱلعَصَبةَ .

وقال : (ذَلِكَ : بِأَنَّ ٱللهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا ؛ وَأَنَّ ٱلْـكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ : ٤٧ ـ ١١) ؛ يُريدُ : أنَّ ٱللهَ وَلِىُّ ٱلمؤمنينَ ؛ وأنَّ ٱلـكافرينَ لا وَلىَّ لهم .

وقال فى المؤمنينَ : (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ : ٩ ـ ٧١) ؛ فعلىٌّ مَولَى المؤمنين : لأنه وليُّهم ؛ وهم مَواليه : بأنهم أولياؤه . فعلىٌّ مَولاىَ : بالمَعنى ٱلذى أنَا به مَولاهُ .

(قال أبو عُثمان) : ثم قال لى : فالحديثُ ٱلآخَرُ : « أنتَ مِنِّى : بمَـنْزِلَةِ هارُونَ مِن مُوسى » ، ؟ .

(قال) : قلتُ : هارُونُ كان حُجَّةً[2] : فى حياةِ مُوسى ؛ وعلىٌّ لم يكنْ حُجةً : فى زمانِ محمدٍ صلى الله عليه [وسلم] ؛ ولم يكنْ بأخيه . وإنما كان له : وَزيراً ؛ والمؤمنون : وُزَراءُ رسولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلَّم .

(قال) : ثُم قال لى : أَلَيْس علىٌّ بأفضَلِهم ؟ ! .

(قال) : فقلتُ له : ٱلحقُّ مُتَّفَقٌ عليه ، غيرُ مُختلَفٍ فيه .

قال لى : نعمْ .

---

(١) أى : السيد المعتق ؛ وراجع : المصباح لمزيد الفائدة .

(٢) أى : نبيا معصوما ينزل الوحى عليه ، ويجب اتباعه .

(قال) : فقلتُ له : قد مَلَكْتَ مَدائنَ كثيرةً ، قبْلَ مَدينتِنا هذِهِ — : وهى أعظَمُ مَدينةٍ . — واسْتَفاض الخَبَرُ عنك : أنّك لم تُكْرِهْ أحداً — : خالَفَك فى مذهبِك . — : عَلَى ٱلدُّخولِ فيه . فاسْلُكْ بنا ، مَسْلَكَ غيرِنا .

(قال) : فألَحَّ عليه بعضُ أصحابِه — : فى قَصْدِنا[1] . — فقال بقولٍ — كما قال سَعيدٌ[2] — : « وَإِنْ كَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ آمَنُوا بِالَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ ، وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا — : فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ [بَيْنَنَا] ؛ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَاكِمِينَ » . ثُمّ : خرَجْنا .

* * *

« المجلس الثانى »

قال أبو عُثمان : ثُم دَخلْتُ عليه فى مَجلسٍ ثانٍ ، فأقْبَلَ : يَسألُ مَن حَضَرـ : من ٱلمَدَنيِّينَ ، والعِراقيِّينَ . — : ٱلسُّنَّةُ ما هىَ ؟ .

فقال بعضُهم : ٱلسُّنةُ ، ٱلسُّنةُ ! ! . وما دَرَى أحدٌ منهم : ما يُجيبُ .

(قال) : ثُم حَوَّل وجْهَه إلىَّ ، وقال : بَلَغَنى : أنّك تقولُ بالكِتابِ والسُّنةِ ؛ ولكنَّ ٱلسُّنةَ : ما هىَ ؟ .

فقلتُ له : ٱلسُّنةُ مَحصُورَةٌ فى ثلاثةِ أوْجُهٍ .

فقال : وَجِّهْها .

---

(١) أى : مماثل لما حكاه سعيد . وفى الأصل : «سعيت» وهو تصحيف .

(٢) أى : فى العدل معنا . وقوله : فقال ؛ أى : ذلك البعض ؛ مقتبسا آية الأعراف (٨٧/٧) : ببعض تصرف ، والزيادة الآتية : من الطابع الأول .

فقلتُ : الائتمارُ بما أمَر به رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) ، والانتهاء بنَهْيِه ، والإيتساء به : فى فِعله صلى الله عليه [وسلم] .

(قال) : فقال لى : فإذا اختُلِفَ عليك ، فيما نُقِل إليك عنه : من الحديث ؟!

(قال) : قلتُ : أطلُبُ الدَّليلَ عَلَى مَوضِع الحقِّ فى أحدِ الأحاديثِ ؛ ويكونُ سَبيلِى فى ذلك : سَبيلَ مَن شَهِد عندَه شهودٌ ، فاختلفُوا فى شهادتهم : فقال بعضهم : أعلَمُ ؛ وقال بعضُهم : لا أعلَمُ . فلابُدَّ مِن طلَبِ الدَّليلِ عَلَى موضع الحقِّ : فى إحدَى الشَّهادات .

فقال أبو العبَّاسِ : أُناظِرُكم عَلَى أنِّى إنْ وجَدتُ الحقَّ فى مَذهبِكم : رَجَعتُ إليه ؛ وإنْ وَجَدتُم الحقَّ فى مَذهَبِى : رَجَعتُم إليه . أليْس هذا الإنصافَ : كما قال اللهُ : (قُلْ : فَأْتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ ـ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا ـ : أَتَّبِعْهُ ؛ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِين : ٢٨ ـ ٤٩) ؛ ؟! .

(قال أبو عُثمان) : فقلتُ له : أَبَى اللهُ ما ذكَرْتَ ؛ ولَمْ تَدْرِ ما أرادَ اللهُ . إنَّما أرادَ : النَّفْىَ لِأنْ يَأْتُوا بكتابٍ هو : أهْدَى مِنهما ؛ لا : عَلَى أنَّه يُمكِنُ أنْ يَأْتُوا بكتابٍ أو بسُورةٍ : مِن مِثْلِه ؛ وهو القائلُ : (قُلْ : لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ والْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ ـ : لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ؛ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً : ١٧ ـ ٨٨) . فنَفَى عنهم : الإتْيانَ بكتابٍ هو : أهْدَى منهما كما قال عز وجل : (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، وادْعُوا[1] شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ ؛ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا : ٢ ـ ٢٣ و ٢٤) .

فعُلِمَ بذلك : أنَّه إنما دعاهم عَجْزُهم عن الإتْيانِ بسُورةٍ : مِن مِثْلِه .

---

(١) بالأصل : « وادعوا من استطعتم » وهو تصرف من ناسخ أو طابع : ناشىء من الاشتباه بآية يونس : (٣٨/١٠) .

(قال) : فبَدَرَ إليَّ ابنُ عَبدون ، وقال لى : يا أبا عُثمان ؛ الحَقْ بِنا[1] .
فنَهَضْنا ؛ فقال لى : ــ بعدَ الخرُوجِ ــ خِفْنا[2] : أنْ يطَّرِدَ الكلامُ ؛
فبادَرْناكَ بالقيامِ .

* * *

« المجلس الثالث »

قال أبو عُثمان : دَخَلْتُ عليه ، فأجْلَسَنى معَه فى مكانه : وهو يقولُ لرجلٍ
ــ من أهلِ العِراقِ ــ : المُعَلِّمُ يكونُ أعلمَ مِن المتعلِّمِ أبداً ؛ والعِراقِىُّ يقولُ :
نعمْ ؛ وأهلُ المجلسِ لا ينطِقُون .

(قال) : فقلتُ : بقِىَ شىءٌ ؟ أو أتكلَّمُ ؟ .

فتمادَى ، وقال : أليس المُتعلِّمُ يكونُ أبداً : مُحتاجاً إلى المُعلِّمِ ؟ ! والعِراقِىُّ
يقولُ : نعمْ .

(قال أبو عُثمان) : وفَهِمتُ مُرادَه وقَصْدَه ، و[أنَّه] إنّما أرادَ : توكيدَ
الطَّعنِ عَلى أبى بَكرٍ الصِّدِّيقِ : إذْ سألَ عليًّا عن فَرْضِ الجَدَّةِ ؛ وذكَرَ لى
مَعْنى ذلك ؛ فبَدَرْتُ وقلتُ : أسمَعُ كلاماً يَجبُ للهِ علىَّ فيه : أن لا أسكُتَ .
فقال لى : وما ذلك ؟ .

---

(٢) هذا هو الظاهر الصحيح . وفى الأصل : « ينالنا » ؛ وهو تحريف .
(٣) بالأصل : « حقنا » ؛ وهو عبث وتصحيف .

فقلتُ المتعلِّمُ يكونُ : أعلَمَ من المعلمِ وأفْقَهَ ؛ ويكونُ أفْضَلَ منه أيضاً .

فقال لى : وما دَليلُكَ عَلَى ذلك ؟ .

(قال) : قلتُ : رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) ؛ حيثُ يقول : « رُبَّ حاملِ فِقْهٍ إلى مَن هو أفْقَهُ منه ؛ ورُبَّ حامِلِ فِقْهٍ غيرِ فَقيهٍ » .

(قال) : قلتُ : وأُخْرَى[1] : ما هو مَعروفٌ بيْنَ الخَليقةِ : أنَّ المُعلِّمَ يُعلِّمُ الصِّبْيانَ ، فلا يَزال يُعلمُ : حتَّى يَكْبَرَ الصَّبِيُّ ؛ فيُعطِى اللهُ الصبيَّ ـ : من الفهم بخاصِّ القرآنِ وعامِّه ؛ وغيرِ ذلك : من أسْبابِ العِلمِ ووُجُوهِهِ . ـ مالا يَقدِرُ عليه مُعلِّمُه .

قال لى : أُذْكُرْ : من خاصِّ القرآنِ وعامِّه شيئاً .

فقلتُ : نعمْ ؛ قال اللهُ : (وَلاَ تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ : ٢ ـ ٢٢١) ؛ فكان ظاهِرُها : لِعُمومَ .

فلمَّا قال فى موضعٍ آخَرَ : (يَسْأَلُونَكَ : مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ؟ قُل: أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ؛ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ: حِلٌّ لَكُمْ ؛ وَطَعَامُكُمْ: حِلٌّ لَهُمْ ؛ والمحْصَنَاتُ : مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ ؛ وَالْمُحْصَنَاتُ : مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ :٥ـ٤و٥) ؛ دَلَّ على الآيةِ الأولى : أنَّه إنَّما أرادَ بها : الخصوصَ والمشْرِكاتِ غيرَ الكتابيَّاتِ .

(قال أبو عثمانَ): ثم قال لى : فمَن المُحْصَناتُ ؟ .

(قال) : قلتُ : العفائفُ .

فقال : المُحصَناتُ المتزوِّجاتُ .

---

(١) أى : وحجة أخرى على ذلك .

(قال) : فقلت له : الإحْصانُ[١] فى كلامِ العَرَبِ ــ التى نَزل بلسانِها القرآنُ : الإحْرازُ ؛ فمن أحرزَ شيئاً : فقد أَحْصَنَه . فالإيمانُ : إحْرازٌ لِدمِ صاحبِه ومالِه.

والعِتْقُ يُحْصِنُ المَمْلُوكَ : لأنه يُحرِزُه مِن أنْ يَجرِىَ عليه ما يَجرِى عَلى المَملوكِ .

والتَّزْويج يُحصِنُ الفَرْجَ : مِن أنْ يكونَ له مُباحاً ما كان له قبْلَ التَّزويج .

والعَفَافُ إحْصانٌ : لأنها أَحْرزَتْ فرجَها: بالعَفافِ .

(قال أبو عثمانَ) : فقال لى : ما الإحْصانُ عندى إلاَّ النكاحُ .

(قال) : فقلت له : مُنزَل الفُرقانِ يَأْبَى ما ذكرْتَ ــ :

قال اللهُ جلَّ وعزَّ : (وَمَرْيَمَ ٱبْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا : ٦٦ــ١٢) ؛ يُريدُ: أعَفَّتْه ؟

قال : أعفَّتْه .

(قال) [قلتُ] : نعمْ أَعفَّتْه

وقال: (مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ ٤ ــ ٢٥) ؛ يقولُ : عَفَائفَ غيرَ زَوَانٍ .

قال : فقد قال فى الإماء : (فَإِذَا أُحْصِنَّ فإن أَتيْنَ بِفَاحِشَةٍ : فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا على ٱلمُحْصَنَاتِ : مِنَ ٱلْعَذَابِ : ٤ ــ ٢٥) ؛ فكيْفَ يقول : ٱلعَذابُ على ٱلمحصَنات ؛ وهُنَّ عندك : قد يَكُنَّ عَفائفَ . ؟ !

(قال) : قلتُ سَمَّاهُنَّ : بِمتَقَدِّمِ أسمائِهنَّ ، قبْلَ زِنَائِهنَّ . قال اللهُ تبارك وتعالى : (وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزواجُكُم : ٤ ــ ١٢) ــ : وقد ٱنْفَصَمَتْ

---

(١) للشافعى (رضى الله عنه) : كلام جامع عن معانى الإحصان ، ومفيد فى هذا المقام فراجعه : فى الرسالة ١٣٣ ــ ١٣٧ ، وأحكام القرآن ١/٣٠٧ ــ ٣١٢ و ٢/١٨٤ ــ ١٨٥ وانظر : آداب الشافعى لابن أبى حاتم الرازى ٢٩٦ .

العِصْمةُ : بالمَوتِ . — يريدُ : اللاَّتِى كُنَّ أزْواجَكم . وهذا كثيرٌ .

(قال أبو عثمانَ) : وذكَرْتُ أشياءَ : من ذلك فعارَضَنى بعضُ أحداثِ العِراقيِّين ؛ فقلت له : أمْسِكْ يا حَدَثُ . (قال) : فلم يَنْطِقْ .

فقال : لى أبو ٱلعبَّاسِ : فعَذابُ ٱلمُحْصَناتِ : الرَّجْمُ ؛ فكيفَ يُعقَلُ نِصْفُ الرَّجم : وقد يُقْتَلُ[1] بواحدةٍ ، ورُبَّما لم يُقتَلْ بأكثرَ من ذلك ؟ ! .

(قال) : فقلتُ : هذا ممَّا كُنَّا فيه ؛ أرادَ : خاصًّا دونَ عامٍّ ؛ أرادَ : نصفَ ما عليهن : من عَذابِ الجَلْدِ ؛ دونَ ٱلرَّجْمِ .

فقال لى : ومَن يقولُ بالجَلْدِ معَ الرَّجْمِ ؟ .

(قال) : قلتُ : علىٌّ بن أبى طالبٍ[2] (رضى الله عنه) : جَلَد شُراحَة مائةً ورَجَمَه ؛ وقال : « جَلَدتُك : بكتابِ ٱللهِ ؛ ورَجَمتُك بسُنَّةِ رَسولِ ٱللهِ . » .

(قال) : فقال لى : ياشيخُ ؛ أنت تَلُوذُ .

(قال) : فقلتُ : ليْسَ أنا الذى ألوذُ — : لأنِّى أنا ٱلمجيبُ . — وأنتَ الذى تَلوذُ : لأنِّى إذا وَقَفْتُك — من ٱلمسألةِ — على حدّ : لُذْتَ أنتَ إلى مسألةٍ أخرَى : غيرِ ما سألْتَنى عنه .

(قال) : ثم صِحْتُ : ألا أحدٌ يكتُبُ ما أقولُ ويقولُ ؟ . فوَقَى الله شرَّه[3] .

قال : فكأنَّك تقولُ : إنَّك أعلَمُ ٱلخلقِ ؟ ! .

(قال) : قلتُ : أمَّا بدِينِى : فنَعمْ ؛ لأن دِينِى هو الحقُّ : الذى ليْس الحقُّ فى سِواهُ .

---

(١) أى ؛ من يراد رجمه . وانظر فى هذا البحث : أحكام القرآن وهامشه ١/٣٠٨ .

(٢) خلافا لبعض الصحابة : كابن عباس ؛ وبعض الأئمة : كالشافعى ؛ فى أن الجلد قد نسخ : بحديث عمر ، وحديث أبى هريرة وزيد بن خالد الجهنى . انظر : أحكام القرآن وهامشه ٢/٣٠٥ — ٣٠٧ .

(٣) يعنى : فلم يغضب أبو العباس ، ولم يأمر بالتنكيل به .

قال : أفَمَا تحتاجُ فيه إلى زِيادةٍ ؟ ! .

(قال) : قلتُ : لا .

قال لى : فأنتَ ــ إذاً ــ أعلمُ من موسَى : حين قال للخَضِرِ : (هلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً : ١٨ ــ ٦٦) ؟ ! .

(قال) قلتُ : قائلُ هذا القولِ ، غامِطٌ[1] على موسى فى نُبُوَّتِهِ : إذْ يَزْعُمُ : أنَّ الله اصْطفَاهُ برسالتِه ، و بكلامه ونُبوَّتِهِ ؛ وهو يحتاجُ إلى أن يَعلَمَ ــ بعدَ ذلك ــ شيئاً : مِن دينه . مَعاذَ اللهِ .

إنَّما كان العلْمُ ــ الذى كان عندَ الخَضِرِ ــ : علْمَ سَفينةٍ كان غَرَّقَها : لِعلْمِه بالمَلِكِ الذى يأخُذُ كلَّ سفينةٍ غَصْباً ؛ وغلاماً[2] قتَله : لِعلْمِه بكُفره وإيمانِ أبوَيْهِ ؛ وجِداراً أقامَه : عِلْماً بالكَنْزِ الذى كان تحتَه . وذلك: لا يَزِيدُ فى دينِ موسى شيئاً .

(قال أبو عثمانَ) : ثم قال لى : فأنا أسألُكَ .

(قال) : قلتُ أوْرِدْ أبداً ؛ وعَلَيَّ الإصْدارُ بالحقِّ : بلا ثَنْوَى[3] .

(قال) : قال لى : ما تفسير « اللهِ » ؟ .

(قال) : قلتُ ذُو الإلاهَةِ .

قال : وما الإلاهَةُ ؟ . قلتُ : الرُّبُوبِيَّةُ .

---

(١) أى : من زعم أن موسى (عليه السلام) كان محتاجا إلى معرفة شيء من دينه ؛ عن طريق الخضر ــ : فقد غمط حقه ، وازدراه واحتقره . وفى الأصل : « غامض » ؛ وهو تصحيف .

(٢) يعنى : وعلم غلام . . . وعلم جدار . ولعل أصلهما : « وغلام . . . وجدار » .

(٣) أى : بلا استثناء ؛ انظر المختار : (ثنى) . وعبارة الأصل : « مثنوية » ؛ ولعلها مصحفة عما ذكرنا .

قال : وما الرُّبُوبيَّةُ ؟ . (قال) : قلتُ : المِلْكُ للأشياء .

(قال) :فقال لى : فقُرَيْشٌ كانت فى جاهِليَّتِها تعرِفُ اللهَ ؟ .

قلتُ : لا . قال : لا ؟ .

قلتُ : لا ؛ لأنَّها كانتْ تقولُ : اللهُ ذُو الشُّرَكاء ، والآلِهَة ؛ فلم تعرِفْه : إذ قالتْ : ذو الشُّرَكاء ؛ وإنما يعرِفُ اللهَ مَن قال : إنَّ اللهَ وحْدَه ، لاشريكَ له .

قال : فمَنْ « الذين آمنوا » ؟ .

(قال) : قلتُ : نحنُ ومَن تَرَى ؛ وأوْمَأْتُ[1] إلى أصحابِنا : وهمْ بيْنَ يدَيْه .

فقال[2] : مَن « الذين هادُوا » ؟ .

(قال) : قلتُ : هذا : مِن ذالكَ الذى تقدَّم ذِكْرُه[3] ؛ سمَّاهم بمتقدِّمِ كلمةٍ — : كانتْ منهم يأْتُونَها ، وكانوا بها مُسلِمين . — يقولون : هُدْنَا إليْكَ .

قال : فمَن « النَّصارَى » ؟ .

(قال) : قلتُ : المُتكلِّمُون فى المَسيحِ صلَّى الله عَلَى نَبِّينا محمدٍ وعليه .

قال : فمَن « الصَّابِئُونَ » ؟ .

(قال) : قلتُ : هم : الذين عَبَدُوا الملائكةَ ، وزَعَموا : أنَّهم بناتُ اللهِ . —

(قال أبو عثمان) : وهذا قولُ أهلِ العلمِ ؛ فبدَأْتُ بجوابِهم : قبْلَ أنْ أُجيبَه بكلامِ المُتكلمينَ . —

(قال أبو عثمانَ) : فقال لى : هم الذين عَبَدوا الملائكةَ ؟ ! .

(قال) : قلتُ : نعمْ ؛ وزَعم هشامٌ[4] : أنَّهم أصْلُ المَانِيَّة[5] .

---

(١) بالأصل : «واوميت » ؛ وهو خطأ كما نص عليه فى المختار : (و م أ) .

(٢) بالأصل : « وقال » ؛ والظاهر أنه مصحف عنه .

(٣) عند الكلام على آية النساء (٣/٢٥) : ص ٢٦٦

(٤) المراد به : هشام بن الحكم ؛ أحد كبار الرافضة ، وزعيم الفرقة الحكمية .

(٥) كذا بالأصل . ويقال لهم : المانوية ؛ أتباع مانى الفارسى . راجع : اعتقادات الفرق للفخر الرازى (ص ٨٨) .

قال : فمن « الذين أشركوا » ؟ .

(قال) : قلتُ : هم : الذين عبدُوا ٱلأصنامَ ؛ ٱلذين أرسَلَ إليهم رسولُ ٱللهِ (صلى الله عليه وسلم) ، علىَّ بن أبى طالبٍ — بآيةٍ من سُورةِ [براءة] (بَرَاءةٌ مِنَ اللهِ وَرسولِهِ ، إلَى الذينَ عاهَدتُّمْ : مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ؛ فَسِيحُوا فى ٱلأرْضِ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ : ٩ — ١ و ٢) .

(قال) : فقال لى : وما كانتْ تَعبُدُ قُرَيْشٌ ؟ . قلتُ : ٱلأصْنامَ .

قال لى : وما ٱلأصنامُ ؟ . قلتُ : ٱلحِجارةُ .

قال لى : والحِجارةُ كانتْ [تُعْبَدُ] ؟ ! . (عَلَى النَّكِيرِ : لِأنْ تكونَ ٱلحجارةُ هى ٱلأصْنامَ) .

(قال) : قلتُ : نعمْ ؛ والعُزَّى كانتْ تُعْبَدُ : وهى شَجرةٌ ؛ والشِّعْرَى كانتْ تُعْبَدُ : وهى نَجْمٌ ؛ .

[قال] : اللهُ يقولُ : (أَمَّن لاَّ يَهِدِّى إلاَّ أنْ يُهْدَى : ١٠ — ٣٥) ؛ فكيفَ تقولُ : إنها ٱلحِجارةُ ؛ والحجارةُ لا تَهدِى إذا هُدِيَتْ : لأنها ليستْ مِن ذَواتِ العَقلِ . ؟ ! .

فعارَضَنى بعضُ أهلِ ٱلمجلسِ — : كالمُعِينِ له . — فقال : كيفَ تعقل[1] ٱلحِجارةُ : وليستْ من ذَواتِ النُّطْقِ . . ؟ .

(قال) . فقلتُ للمُعارِضِ : أمْسِكْ ؛ مالَكَ ولذا ؟ ! .

ثم قلتُ : قد أخبرَنا الله : أنَّ ٱلجُلودَ تَنطِقُ فى الآخِرةِ ؛ وليْستْ من ذَواتِ النُّطقِ .

(قال) فقال : نُسِبَ إليها النُّطقُ عَلَى المَجازِ ؛ والنُّطقُ للأفواه .

---

(١) بالأصل : « تفعل » ؛ وهو تصحيف .

(قال) : فقلتُ : مُنزِل القرآنِ يأبَى ما ذكرتَ ؛ قال الله : (الْيَوْمَ: نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ ، وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ ، وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ[1] ٣٦ — ٦٥) — (قال : أبو عثمانَ) : وأشرتُ بإصبعي السبّابةِ إلى فمي ، فقلتُ : خَتَمَ اللهُ على أفواهِهم . — ثم نَفَى بقولِه : (وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ : لِمَ شَهِدتُّمْ: عَلَيْنَا ؟ قَالُوا : أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ : ٤١ ـ ٢٤) .

وما الفَرقُ بيْنَ جِسمِك وأجْسامِنا والحجارةِ ، إلاّ : أنَّه عَقَّلْنا اللهُ : فعَقَلْنا ؛ ولولم يُعَقِّلْنا : ما عَقَلْنا . ؟ ! .

وكذلك الحجارةُ : إذا شاء [اللهُ] أنْ يُعَقِّلَها : عَقَلتْ .

هذا الجَبلُ لَمَّا عَقَّلَه الله عقلَ جَلالِ تجَلّيه : اندَكَّ ؛ قال اللهُ تباركَ وتعالى : (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ : جَعَلَهُ دَكًّا : ٧ ـ ١٤٣) .

* * *

« المجلس الرابع »

قال أبو عثمانَ : هذا مَجلِسٌ دارَ بيْني وبيْنَه : ما رأيتُه أقربَ إلى الإنْصاف منه فيه ؛ وكأنَّه ـ : في مُناظَرتِه لي . ـ إنما يُناظِرُني عن مَذهبِ غيرِه .

وذلك : أنَّ المسألةَ جرَتْ بيْننا وبينه ، في بابِ : « الفاضِلِ والمَفضُولِ » ؛ لأنَّ مِن أصْلِ مَذهبِه ، القول : بأنَّه لا يَجوزُ تقديمُ المفضُولِ على الفاضلِ ، بعد الاتِّفاقِ ـ من الخصْمَيْنِ ـ : على الفاضِلِ .

---

(١) بالأصل : «يعملون» ؛ وهو تصحيف بالمعنى

فقال لى : ألَيس قولكَ : إجازةَ تقديمِ المَفْضُولِ على الفاضِلِ . ؟ ! .

فقلتُ : أعزَّكَ [اللهُ] بتوفيقِه ؛ أنا مُتَّبِعٌ — فى ذلك — لِكتابِ اللهِ ، وسُنةِ نبيِّه عليه السلامُ . وذلك لا يَخفَى عن ذِى لُبٍّ : نَظَر فى كتابِ اللهِ وسُنةِ رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) ؛ ولا يَعْدُوهما إلى غيرِهما .

قال لى : وأيْنَ تجِدُ ذلك : فى كتابِ اللهِ . ؟ .

(قال) : قلتُ له : قال اللهُ :) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ : إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً ؛ قَالُوا : أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا : وَنَحْنُ أَحَقُّ منه [بِالْمُلْكِ] ؛ [وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ] ؟ ! قَالَ : إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عليكم ، وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ : ٢ — ٢٤٧) .

فقال عندَ [ذ] لك — كالمُغْضَبِ — : ليس القِصَّةُ كما تَوَهَّمتَ .

فقلتُ له : والأمر الذى لم أتوهَّمْه — : وفيه الحقُّ عندَك . — هلْ إلى ذِكْرِه من سبيلٍ ؟ .

فقال : نعمْ ؛ ذكرْتَ خبرَ طَالُوتَ ، واحْتَجَجْتَ فيه : بقولِ نَبِيِّهم وقولِ أهلِ الجَيشِ .

فقلتُ له : قال اللهُ : (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ : إِنَّ اللهَ قد بعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكاً) ؛ فاقْصِدْ إلى موضوعِ حُجَّتِك ها هنا .

ثم قلت : أعزَّ اللهُ الأميرَ ؛ لمَّا كان خُروجُ طالوتَ من فوقِ إذْنِ نَبِيِّهم ، ثَبتَ : أن اللهَ قدَّم المَفْضُولَ على الفاضِلِ ؛ إذْ كنَّا لا نشُكُّ ـ نحن ومن خالفَنا ـ : أنَّ نَبِيَّهم أفضلُ من طالوتَ وطالوت هو المفضولُ .

فقال لى : وهكذا اعتقادُك ؟ .

فقلتُ : نعمْ ؛ أيُّها الأميرُ .

فقال لجميعِ من حَضَره ـ ممَّن حولَهُ : من أهلِ المجلسِ ـ : افهَمُوا عنَّا ؛

(ثُمَّ أَوْمأَ إلىَّ، وقال لى): إنَّما كان خُروجُ طالُوتَ: مِن تحتِ يدِ نبيِّهم؛ لا كما توَهَّمْتَ: أنَّه مِن فوقِ إذْنِه. لأنَّ نبيَّهم هو الذى أخبرَهم: أنَّ طالُوتَ مُقدَّمٌ عَلَى الجيشِ؛ فلمَّا كان هذا هكذا: كان الفاضِلُ بعدُ هو المَفْضُولَ. فقد تبيَّنَ فسادُ قولِكَ وتَناقُضُه.

فقلتُ له: إنِّى — : بإذْنِك. — أسْتَوْفِى حُجَّتِى؛ فإنْ أذِنتَ لى فى الكلامِ: أتيتُ عَلَى ما أُريدُ.

فقال لى: قلْ، ولا تُبْقِ: من حُجَّتِك؛ شيئًا.

فقلتُ له: نفسُ الآيةِ لى شاهدٌ؛ ولا تكونُ الحجةُ من غيرِها.

وذلك: أنَّ اللهَ أخبرَ عن نبيِّهم: أنَّه قال لهم: (إنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً)؛ ولم يقلْ: إنِّى بَعثْتُه لكم. فلمَّا جاء الخَبَرُ من نبيِّهم، وأضافَه إلى اللهِ، لا إلى نفسِه — : وَجَب بهذا: أنَّ أمْرَ طالُوتَ مِن فَوقِ إذْنِ نبيِّهم، وكذلك قالتْ الآيةُ.

ثم قلتُ له: وهذه سُنةُ رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم)؛ فانظُرْ منها: إلى تَقديمِ المَفضُولِ على الفاضلِ؛ وهو مالا يُنكِرُه أحدٌ.

مِن ذلك: أنَّ رسولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) أمَّرَ على جيشٍ: عَمْرَو بنَ العاصِ؛ فكان: يَقْسِمُ الفَىْءَ، ويأمُرُ ويَنهَى: فيُطاعُ؛ ويُصلِّى لهم الصَّلَواتِ؛ ويُشاوِرونَه ويَستأْذِنُونَه: فى جميعِ شأنِهم. وتحتَ يدَيْه فى الجيشِ: أبو بكرٍ وعُمَرُ؛ وهما جميعاً أفضلُ منه: لا يَشُكُّ فى ذلك أحدٌ.

وأيضاً: أنَّ النبىَّ (صلى الله عليه وسلم) أمَّرَ على جَيشٍ: زَيدَ بنَ حارِثةَ؛ فكان: يَفعَلُ فى ذلك، وفيمَن تحتَ يدِه: من المسلمينَ — : كفعلِ عَمرِو ابن العاص، فيمَن تحتَ يدِه من المسلمينَ — : وتحتَ يدَيْه فى الجيشِ: ذُو الجناحَيْنِ جعفرُ بنُ أبى طالبٍ؛ وهو أفضلُ من زيدِ بن حارِثةَ.

فلمَّا ثَبَتَ ذلك عندَنا ، وقام مَقامَ الْعِيانِ ـ : جاز للأمَّةِ : تقـديمُ المَفضُولِ عَلَى الفاضِلِ .

فقال لى : نحنُ لا نقولُ كقولِك : إنَّ للأمَّةِ : أنْ تَجتَمعَ ، فتَقدّمَ عَلَى نفسِها إماماً . وإنَّما يكونُ الإمامُ : مَن اصطَفاهُ اللهُ ورسولُه . وأمَّا مَن لم يُقدِّمْه اللهُ عَلَى خلقِه ، ولم يُقدِّمْه رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسـلم) ـ : فكيفَ له التَّقديمُ ؟! :

فقلتُ : أعزَّ اللهُ السَّيدَ ؛ إنَّ الذى اصْطَفاهُ اللهُ ورسولُه ، لا يَعدُو إحدَى مَنزِلَتَيْن : إمَّا أنْ يَنطِقَ به كِتابٌ ناطِقٌ ، أو سُنَّةٌ ثابتةٌ عن رسولِ اللهِ .

ولمَّا لم نَجِدْ فى كتابِ اللهِ : أنَّ اللهَ نَصَبَ إماماً ، أو فَرَضَ طاعتَه ـ : ورسولُه[1] لم يُقِمْ إنساناً بعَينِه ، فيقولَ : «أيُّها الناسُ : هذا وَصِيِّى وخَليفَتِى مِن بَعدِى» ؛ وكان يقولُ صباحاً ومَساء : «خَلَّفْتُ فيكم ما إنْ تَمسَّكْتُمْ به : لم تَضِلُّوا ؛ كتابَ ربِّى ، وحَوارِىَّ أصْحابى» ؛ وعَلِمْنا[2] : الحَلالَ والحَرامَ ، وما نَأْتِى وما نَذَرُ . ـ : كان مَن اجْتَمعَ عليه المسلمونَ : ثابتَ الأمرِ صَحيحَ الأحْكامِ ؛ يَعمَلُ : بكتابِ اللهِ ، وسُنةِ رسوله . وما لم نَجِدْه[3] فى كتابِ اللهِ ، ولا فى سُنةِ رسولِ اللهِ ـ فهو مأخوذٌ : مِن الاجْتِهادِ ، ومن أتْباعِ السَّلَفِ المُتقدِّمينَ .

هذا : قولُنا ؛ والأمرُ : على ذلك ؛ إلى هذا الوَقتِ .

فقال لى : قد ثَبَتَ فسادُ هذا عليك ، فى صَدْرِ مُناظَرتِنا : ممَّا أوْرَدْتُه عليك فى تَقديمِ المَفضُولِ عَلَى الفاضِلِ[4] .

---

(١) بالأصل : «ولا رسوله» ؛ والظاهر : ما أثبتنا ؛ وأن الزيادة من الناسخ أو الطابع . وإلا : كان الكلام غير مستقيم المعنى ، ومحتاجا إلى تعديل آخر . فتأمل .

(٢) بالأصل : «علمنا» ؛ وزيادة الواو متعينة ، «وجواب (لما) قوله : «كان» الآتى .

(٣) بالأصل : «تجده» بالتاء ، ولعله مصحف عما أثبتنا . (٤) انظر صفحة : ٢٧٢

فلمَّا سمعتُ كلامَ رجلٍ يُباهِتُ العِيانَ ، ويَزُولُ عن الحقِّ - : رأيتُ الصَّوابَ : فى الإعراضِ عن مُعارضته .

وذلكَ: أنى لم أحْتَجَّ عليه بحُجَّةٍ : عَقلٍ ، ولا وَزْنٍ : من قِياسٍ . وإنما قابلته : بكتابِ اللهِ ، وأفعالِ نبيه (صلى الله عليه وسلم) وإجماعِ المسلمينَ . وجَعَل : يُدْخِلُ عَلَىَّ كَثْرةَ الاستفهامِ ، وكَثْرة التَّكرارِ - : بلا حُجَّةٍ حاسِمَةٍ ، ولا بُرْهانٍ مُبينٍ . نَعُوذُ باللهِ : من الحَيْرةِ فى الدِّين ؛ وإيَّاهُ أسألُ المَعُونةَ والتَّوفيقَ .

* * *

قال أبو بَكرٍ محمدُ بن محمدٍ اللَّبَّادُ : حدَّثنى أبو عُثمانَ ؛ قال :

بَلغَنى عن رَباحِ بنِ يَزيدَ : أنه كان قَسَمَ خِدْمَةَ دارِه - عليه ، وعلى زَوجتِه ، وعَلَى خادِمٍ له سَوداءَ - : يَخدُمُ يوماً ، وتَخدُمُ زَوجتُه يوماً ، وتَخدُمُ خادِمُه يوماً .

فأقبلَتْ خادِمُه فى يومِها - الذى كانتْ تخدُمُ فيه - : بحُزْمةِ حَطبٍ ؛ فَقلَبَتْها عنها فى بعضِ الطَّريقِ : فوضَعَتْ الحُزْمَةَ بالأرضِ ، ووَضَعتْ رأسَها عَلَى الحُزْمةِ ثُم رَقَدتْ .

فأقبلَ رباحٌ : فرأَى ما فعلَتْ الخادِمُ ؛ فرَفَع رأسها برِفْقٍ - : وقد اسْتَثْقَلتْ نوماً . - حتَّى نَحَّى الحُزْمَة من تحتِ رأسِها ، ووَضع كِساءَه تحتَ رأسِها ؛ وانْطَلَقَ بحُزْمةِ الحطَبِ : حتَّى أدخلها داره .

ثُم عاد : فكان قريباً من السَّوداء ، ينتَظِرُ : أنْ تَهُبَّ من منامِها ، ويَأخذ كِساءَه ، وكَرِهَ : أنْ يُوقِظَها ؛ فينغَصَ عليها نَومَها .

فانْتَبهَتْ السَّوداء - : ولم ترَ الحُزْمة ، ورأتْ رَباحاً . - فارْتاعَتْ : خوفاً عَلَى نفسِها منه .

فجعَل يقولُ لها : أنتِ حُرةٌ ، أنتِ حُرةٌ ؛ لِتأمَنَ عَلَى نفسِها : حينَ أعتقها.

* * *

قال أبو بكرٍ : وحدثنى أبوعُثمانَ ؛ قال : حدثنى داودُ بن يحيى ؛ قال : حدثنى أبو خالدٍ القباب ؛ قال :

بينَا أنا ذاتَ يومٍ فى دارِى : إذْ سمِعتُ قرْعَ البابِ ؛ فقلتُ : مَن هذا ؟ . قال : أبو يَزيدَ .

فقلتُ : مَن أبو يَزيدَ ؟ . قال لى : رَباحُ بن يزيدَ .

فنَهضتُ إليه ، وجَعلْتُ أقولُ : لا حَولَ ولا قُوةَ إلاَّ باللهِ ؛ لا تَدخلْ : حتَّى تَستأذِنَ ؟ ! هل عندى أحدٌ : يَحتجِبُ منك ؟ ! .

فدَخَل ـ : وفى كُمِّه دَراهِمُ ، وعَلَى مَنْكِبِه الأيْمَنِ كِساء ، وعَلى مَنكبه الأيْسَرِ كِساء . ـ فقال لى : لى إليك حاجةٌ .

فقلتُ له : وهذا مِثْلُ الأولِ ؛ لا تَأخذُ[1] حاجتَك : حتى تَسألَنى فيها ؟ ! (أو نحوَ هذا : من القولِ) .

قال لى : خُذْ أحدَ هذَيْنِ الكِساءَيْنِ .

فمَدَدتُ يدِى إلى أدْناهما، فقال: ليس هذا يَصلُحُ لك؛ أنا : بَدَوِىٌّ ؛ وأنتَ : حَضَرِىٌّ ؛ والحضَرِىُّ أوْلَى بالجَيِّدِ . فعُدْتُ إلى الجَيِّدِ : فأخذْتُه .

ثم صَبَّ الدَّراهِمَ من كُمِّه ، فجَعَل : يَعزِلُ دِرهماً هاهُنا ، ودِرهماً هاهُنا ؛ حتى لمَّا فرَغ منها ، قال لى : خُذْ إحداهما .

فمَدَدتُ يدِى إلى إحدَى الصُّرَّتَيْنِ : فأخذْتُها .

ثم قال لى : هلْ لك فى أنْ تَدعُوَ ونُؤَمِّنَ ؛ أو ندعُوَ وتُؤَمِّنَ ؟

فقلتُ له : بلْ تَدْعُو وأُؤَمِّنُ .

---

(١) بالأصل : « نأخذ » بالنون . وهو تصحيف .

فأخذَ : يدعُو وأنا أُؤَمِّنُ ؛ حتى رَقَّ : فبكَى ؛ ورَقَقْتُ لبُكائه : فبكَيْتُ ، ورَقَّتْ أهلي لِبُكائنا : فبكَتْ ؛ وسمِعتُ بُكاءَنا جارةٌ ـ من جيرانِنا ـ : فبكَت لبُكائنا ؛ ثم سمِعت البُكاءَ امْرأةٌ أخرى : فبكَتْ : واتّصل البكاء فى نِساء جيرانِنا : حتى صِرْنا فى مأْتمٍ .

وجعلَ يقولُ فى دعائه : اللّهم ؛ افتحْ لنا فى الحجِّ مِن عامِنا .

ثم خرَجَ عنِّى : فأقامَ ما شاء اللهُ أنْ يُقيمَ ؛ ثم أقبلَ قادِماً من منزِله ـ : ومعه خمسونَ دِيناراً . ـ فقال لى : أوْصَى رجلٌ صالحٌ ـ من جيرانِنا ـ : أن يُحَجَّ عنه بهذه الخمسين ؛ وأنا خارجٌ إلى الحجِّ .

فاغْتَمَمْتُ ، وقلتُ فى نفْسى : رجلٌ صالحٌ دعا لنفسِه ولى ؛ فاسْتُجيبَ له : فى نفْسِه ؛ وبَقيتُ أنا .

فأقمتُ : حتّى لم يبقَ ـ : من رِفَاقِ الحجِّ . ـ إلاّ رُفْقةٌ : تخرُجُ فى غدِ اليوم الذى كنتُ فيه ؛ فلم أشعُرْ إلاّ برسولِ ابن غانمٍ القاضى : قد وَقَف بى ، برسالةٍ : فى مجيئى إليه .

فنَهَضتُ إليه ؛ فلمّا رآنى قال : أنتَ ـ أبا خالدٍ[1] ـ : من إخوانِ اللّيالِ ؛ ما تُرَى إلاّ فى الغِبِّ .

ثم قال لى : هذه أربعونَ دِيناراً أوصَى بها رجلٌ صالحٌ : أنْ تُدفَعَ إلى مَن يَحُجُّ بها عنه ؛ ونحن نَرَى : أن لا تُدفَعَ إلاّ إلى مَن تُرجى بَركتُه ؛ فخذْها .

فقلتُ له: ما بَقِيَتْ إلاّ الرُّفقةُ التى تخرُجُ غداً . . ؟ .

فأقبَلَ على صاحبٍ له ، فقال له : اذهَبْ معه ؛ فلا يُنادَى بالعَصرِ : و بقَيتْ له حاجةٌ .

---

(١) بالأصل : « أبو خالد » : والظاهر أنه تصحيف .

(قال) : فما نودِىَ بالعَصرِ : حتى قضيتُ جميعُ حَوائجى : ثم غدَوْتُ معَ مَن غَدَا إلى الحجِّ : فما أبصرْتُ رَبَاحاً إلاَّ بعرَفاتٍ .

* * *

محمدُ بنُ محبُوبٍ

١١٦ ومحمدُ بن محبُوبٍ ؛ كان : جَلِيساً لابنِ طالبٍ ؛ وكان ، حَسنَ ٱلمُنَاظَرةِ ، جَيِّدِ ٱلقَرِيحةِ .

قال لى عباسُ بن عيسى : قال لى ٱلرقّادىُّ : لم يكن ٱبنُ محبُوبٍ يتَعادقُ فى علمِ الـكلاَمِ ؛ وإنّما كان كلامُه : فى ٱلمُنَاظَرةِ ٱلدّائرةِ بيْنَ ٱلفقَهَاءِ فى ٱلفقْهِ .

(قال) : فَشهِدْتُهُ يوماً : وقد جالَسَهُ بعضُ ٱلقَدَرِيّةِ ؛ فتخاوَضا الـكلامَ : فى القَدَرِ .

(قال) : فأخذ ابنُمحبوبٍ كَتِفاً بَيْنَ يدَيْه . وجعَل يُوَقِّعُ فيها نَناقُضَ مَقَالَةِ القَدَرِيّةِ : حتّى مَلأَها ؛ ثم قرأْتُها : فما رأيتُ كلاماً أوعَبَ لِعيونِ المعـانى ؛ مِن كلامهِ

قال محمدٌ : وقد ذكرْتُ بعضَ كلامِ ٱبنِ محبوبٍ معَ ٱبنِ طالبٍ فى كتابِ : (ٱلاقتِباسِ)[1] فاستَغنَيْتُ عن ذكرهِ فى هذا المكان .

* * *

أبو عبدِ اللهِ البَجَلِيُّ : محمدُ بنُ علىٍّ

١١٧ وأبو عبـدِ اللهِ البَجَلِيُّ : محمدُ بن علىٍّ ؛ كان يَغلِبُ عليه : مَذهبُ الشّافعىِّ : ومُعارضاتُ المُزَنِىِّ ، ومعانى النُّظّار فى الفقهِ .

---

(١) بالأصل : « الا ق . . » ؛ ولعل أصله ما أثبتنا .

وكان يَذهَبُ مَذهبَ المُزَنيِّ : في أنَّ الاسمَ غيرُ المُسَمَّى ؛ ويقول : لو كان الاسمُ هو المُسَمَّى ، لكنتَ إذا قلت : ناراً ؛ وجدتَها تَلْفَحُ ؛ وإذا قلتَ كلباً : وَجَدْتَه يَنْبَحُ .

وكانتْ له أوضاعٌ في الفقهِ ــ حَسنةٌ : على معاني النَّظرِ ــ : ككتاب الْحُجَّة في الشَّاهدِ واليَمِين(١) ؛ أربعة أجزاء ؛ وكتابه : في الرَّدِّ على الشكوكيَّةِ .

وكان : جليلَ المِقْدارِ ، رئيساً ومن رُؤساء العلماء ؛ صَحِبَ المُزَنيَّ ، ومحمدَ ابن عبد اللهِ بنِ عبد الحَكَمِ ؛ وعَرَضَ عليه أبو العبَّاسِ بنُ إبراهيمَ [ولاية](٢) القضاء ؛ فأبى : أنْ يَقْبَلَها .

* * *

أبو إبراهيمَ إسحاقُ بنُ نعمانَ

١١٨ ومِن رجالِهم ، رجلٌ اسمُه : إسحاقُ ؛ يُكَنَّى : بأبي إبراهيمَ بن نعمان .

كان مَذهبُه : مذهَبَ الشافعيِّ ، والنَّظرَ ، والحديثَ .

ولم يكنْ من أهلِ المُناظَرَةِ ؛ إلاَّ أنَّه لَقِيَ الرجالَ الكِبارَ : بالمَشْرِق ؛ وسَمِعَ منهم ؛ وسمع بالقَيْرَوانِ : من يَحيى بن عُمر ، وغيرِه .

كان يُحكَى : أنَّهُ جَمَعَه الطريقُ بالْحِجازِ : برجلٍ بَغداديٍّ ــ : وكان إذْ ذاكَ : يَرَى رأي مالك . ــ فقال(٣) البغدادي : رُوِي عن النبي صلى الله عليه وسلم .

فقال له ابنُ نُعمانَ ــ فيما ذُكِر ــ : مالكٌ لايَرَى ذلك .

---

(١) بالأصل : «ويمين» ؛ ولعله محرف عنه . (٢) زيادة حسنة .

(٣) يعني : فتناظرا في مسئلة فيها خلاف بين مالك والعراقيين ؛ فشرع البغدادي : يحتج عليه ــ من السنة ــ بما يثبت مذهبه ؛ فلم يكد ينطق بها : حتى قاطعه ابن نعمان : بأن مالكا لايرى ذلك . فلا تتوهم : أن الحديث المحتج به قد سقط من الأصل .

فقال البغداذى : شاهَتْ وُجوهُكم يا أهلَ المغربِ ؛ تُعارِضُون قولَ النبىِّ بقولِ مالكٍ ؟ ! .

* * *

أبو بكرِ بن ٱلقموديّ

١١٩ وأبو بكرِ بنُ ٱلقموديِّ ؛ كان : حادَّ القَنا؛ بَصيراً : بوُجوهِ الكلامِ ؛ عارفاً : بأبوابِ ٱلمُناقضةِ ؛ مُتدَرِّباً : فى صنعةِ ٱلمعارَضةِ .

صَحِبَ : سَعيدَ بن ٱلحدَّادِ ، وغيرَه : من وُجوهِ ٱلعُلَماء .

وناظرَ أبا العبَّاسِ الشِّيعيَّ مناظرةً : أفْحَمه فيها ؛ فجَعَل أبوعبدالله ٱلشِّيعيُّ : يحرِّكُ له إصْبَعَه ، ويقولُ له : وإنكَ لَتُظْهِرُ لأهلِ البيتِ ، ما أرَى منكَ : البَغْضاءِ ؛ وتَنْصِبُ فى تَوْهِينِ أمْرِكَ[1] ، ما أسمَعُ : من حِجاجِكَ :

فاضْطُرَّ الرجلُ إلى الأعْتِذارِ ؛ وخافَ سَفْكَ ٱلدَّمِ . ولم يَدْخُلْ فى قلوبِ ٱلقومِ له — من الإجْلالِ والمَهابَةِ . — ماذَخَلَ لِسعيدِ بن ٱلحدَّادِ .

* * *

أبنُ الصَّبَّاغ

١٢٠ ورجلٌ يُعرَفُ بابنِ ٱلصَّبَّاغِ ؛ كان : كِلْماً نِيّاً[2] حادًّا جَسوراً .

وكان : لا يُقرُّ بحُجَّةِ الإجْماعِ — : التى نَصَبَها النُّظَّارُ[3] فى كُتُبِهم . — ويقولُ : لم يكونوا فى بيتٍ واحدٍ ، ولا مِصرٍ واحدٍ — : فيُسْألُوا ، فيُعرَفَ

(١) أى : تقيم فى إضعاف شأنك عندنا . ولا يبعد أن يكون مصحفا عن: «أمرهم »؛ أى : أهل البيت . فتأمل .   (٢) أى : منطيقا ؛ كما فى المختار .

(٣) بالأصل : « ابن النظار » ؛ وهو تصحيف .

اجتماعهم ؛ من ادَّعى الإجماعَ : فقد ادَّعى المحالَ الذى لا يَصحُّ أبداً[١] .

وكان يقولُ : ما أُبالِي إذا قامتْ لقولٍ حُجَّةٌ ـ من كتابِ اللهِ أو من سُنةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم . — لو أُوتِيَ بها على قَرْنِ جبلٍ .

قيل لِبعض المتكلمينَ ببَلدِنا : مَنْ أَحَدُّ : ابن الصَّبَّاغ ؟ أَوْ ابنُ التَّمارِ ؟ .

فقال : ابن الصَّبَّاغ أحدُّ وأَجرَأُ[٢] على اللهِ .

* * *

إبراهيمُ بنُ محمدٍ الضَّبِّيُّ

١٢٠ وإبراهيمُ بن محمدٍ الضَّبِّيُّ، المعروف : بابن البِرْذَوْنِ ؛ كان : تَرْبيةً لِسعيدِ بن محمد بن الحدَّاد ، وتلميذاً له . وكان : ذا بأْسٍ[٣] شديد : وأُبَّهةٍ نَبيلةٍ : وكان لى جاراً .

فأخبرَنى عليُّ بن منصورٍ الصَّفَّارُ — : وهو ابن خالته . — قال : سمعته يقولُ: إنِّى أتكلمُ فى سبعةَ عَشَرَ فنًّا : من العلمِ .

وكان : شديدَ التحكُّكِ بالعِراقيِّينَ : دارَتْ عليه دائرةٌ — : من أسْبابِ مُلاحاةِ الرجال . — فضُرِبَ فيها : بالسِّياط ، ثم خُلِّصَ من تِلْكَ .

ثم دارَتْ عليه ـ من [بعدِ] ذلك . ـ دائرةٌ أخرَى : فَضُمَّ إلى السِّجنِ هو ورجلٌ كان يُعْرَفُ : بابنِ هُذَيلٍ ؛ وعُيِّنَ[٤] عليهما المَرْوَذِيُّ القاضى ، وابنُ ظَفَرٍ ، والكَلاعِيُّ .

---

(١) لا تتأثر بهذا الكلام الواهى ؛ وارجع إلى الكتب الأصولية ، وانظر : آداب الشافعى وهامشه (ص ٢٣٢ و ٢٣٤) .

(٢) بالأصل : « وأجرى » ؛ ولعله من باب التسهيل .

(٣) بالأصل : « بأو » ، ولعله مصحف عما ذكرنا .

(٤) أى : ألزم بحفظهما وحراستهما ، أو بالنظر فى قضيتهما . وفى الأصل : «وعنى» ؛ أى : اهتم بأمرهما . والظاهر أنه مصحف عما أثبتنا .

فَخَرَج فيهما التوقيعُ إلى حسنِ ابنِ أبي خِنزِيرٍ العاملِ ، من عندِ أبي عبدِ اللهِ الشِّيعي ــ أو من عندِ أخيه أبي العبَّاسِ ، بعــدَ خروجِ أبي عبدِ اللهِ ــ : أنْ يَضرِبَ ابن هُــذَيلٍ خمسمائةِ سَوطٍ ، وأن يَخْبطَ رَقبةَ إبراهيمَ بنِ البِرْذَوْنِ .

فغَلِطَ ابنُ أبي خِنزيرٍ : فأَخْرَج إبراهيمَ ابن البِرْذَونِ ــ لَيْلاً ــ : فضربه العِدَّةَ المذكورةَ ؛ ثم أعادَه إلى السجنِ . ثم أَخْرَج ابن هُذَيلٍ : فضرب رَقَبتَه . ثم انْتَبَه للغَلَط : فأَخْرَج إبراهيمَ فضَرَب أيضاً رَقبتَه .

فقيل لى : لمَّا جُرِد إبراهيمُ للسَّيفِ ، قال له : حسنُ ابن أبي خِنزيرٍ : تَرجِعُ عن مذهبك ؟ . فقال له : عن الإسلامِ تَنْهَيَنِّي ؟ ! : فَخَبطَ رَقبتَه رحمه الله .

ثم لمَّا أَصْبَحا مَقتُولَيْنِ : رُبِطَت أرجلُهما بالحبالِ ؛ ثم جَرَّهما النَّقَّالُ ــ مَكشوفَيْنِ ، غيرَ مستورين . ــ من دارِ الإمارة ــ : وهى بقُرْبِ الجامع : والجامع : أولَ السماط . ــ إلى باب أبي الربيعِ ؛ ثم صلبا نحو الثلاثةِ أيامٍ ؛ ثم أُنزِلا ودفنا

* * *

أبو جعفر أحمد بن زيادٍ

١٢٢ وأبو[١] جعفر : أحمدُ بن زياد ؛ كان مذهبه : النظر ؛ وكان لا يرى التَّقْليد .

وكان : يتكلم في ذلك كلاماً حسناً .

وكان ــ في تأليفِه ، وما يَنْظِمُه بعلمِه[٢] ــ : من المُتقدمينَ المجيدِينَ .

وكان ــ في المُناظَرةِ باللِّسانِ ، والمُناهَضَةِ في الحِجاجِ ــ غيرَ بالغٍ ، ولا مُنْتَهٍ حيثُ يَنتَهى غيرُه في ذلك .

---

(١) عبارة الأصل : «وكان أبو جعفر .. مذهبه» ؛ والظاهر أن (كان) قدمت عن موضعها .

(٢) أى : وما يجمعه بفهمه ، ويرتبه بعقله . وفى الأصل : «فعلمه» ؛ وهو تصحيف .

أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ موسى التَّمَّار

١٢٣ وأبو جعفر : أحمدُ بنُ موسى التَّمَّارُ ؛ يتكلَّمُ في الجدلِ على معاني المتكلِّمين ؛ وفي النَّظَرِ عَلَى مَذاهبِ الفقهاء — : كلاماً جيِّداً .

وهو : ممَّن صَحِبَ ابنَ الحدَّادِ ، واحتَذَى عَلَى مَعانيهِ .

* * *

أبو العبَّاسِ بنُ السِّنْدِيِّ

١٢٤ ومن رجالهِم ، رجلٌ يُعرَفُ : بأبي العبَّاسِ بنِ السِّنْدِيِّ ؛ كان مَذهبُه : مذهبَ الشَّافعيِّ ، والنَّظرَ . إلاَّ أنَّه لم يكنْ — فيما علِمتُ — : من أهلِ المُناظَرَة .

وكان : ممَّن ضَرَبه الشِّيعِيُّ وعذَّبه ، وأخذ نعمتَه . مات : قبلَ سنةِ عشرينَ .

* * *

عليُّ بنُ منصورٍ الصَّفَّارُ

١٢٥ ومن أصحابِ سَعيدِ بنِ الحدَّادِ : عليُّ بن مَنصُور الصَّفَّارُ ؛ يتكلَّمُ في الجدلِ وفي مَعاني الفقهِ ؛ كلاماً : لا بأسَ به . وله قَريحةٌ صالحةٌ .

غيرَ أنَّه اضطَرَّه الفقرُ والإقلالُ ، ومحبَّةُ السُّؤدُدِ — : إلى أنْ تَشَرَّقَ .

ورامَ : أنْ يُسْتَرَ له ذلك عن العامَّةِ والجماعةِ ؛ فأبَى اللهُ أنْ يُستَرَ ذلك عليه .

ولم يَزَلْ لائذاً بأبي جعفرٍ البغداذيِّ : حتَّى ولاَّهُ قضاءَ « ميلةَ » ؛ فهو بها إلى اليومِ : نكَحَ بها ، ووُلِدَ له .

* * *

محمدٌ ٱلرَّقادِيُّ

وكان قد نَشأ بالقَيْرَوانِ — : فى آخرِ أيّامِ سَعيدِ بنِ الحدّادِ. — فتًى يُعرَفُ :
١٢٦ بمحمدٍ ٱلرَّقادِيِّ. فتقلّدَ مذهبَ السُّنةِ ، وأخذ فى الذَّبِّ عنها عَلَى مَعانِى سَعيدِ ابنُ الحدّادِ .

وكان : حاذًّا حاذِقًا ، بَصيراً بحدودِ المُناظَرةِ ؛ حاضِرَ الجوابِ ، مَليحَ المُناظَرةِ ؛ وألّف كتُباً كثيرةً فى ذلك .

وكان ظُهورُه واشْتِهارُه : بعدَ سَعيدِ بن الحدّادِ ؛ ولم يكنْ له منه صُحبةٌ .
ركِبَ بحرَ ٱلقَيْرَوانِ إلى مصرَ [فى مَركَبٍ لمؤْمنٍ البلوقىِّ : مُوَكَّلاً[1] له عَلَى مالِه]] فغَرِق سنةَ ستٍّ عشْرةَ وثلاثِ مِائةٍ .

* * *

عبدُ ٱلمَلِكِ بنُ محمدٍ ٱلضَّبِّيُّ

١٢٧ وعبدُ ٱلمَلِكِ بنُ محمدٍ الضبيُّ المعروفُ : بابنِ البِرْذَوْنِ . كان مَذهبُه : مذهبَ الشافعىِّ ؛ وكان به مَعْنيًّا . وكان : مُواظباً عَلَى صُحبةِ البَجَلِيِّ محمدِ بن علىٍّ . وكان يُناظِرُ فى الفقهِ والجدَلِ مُناظَرةً : لا بأسَ بها .
غلَبَ عليه حُبُّ الدَّراهمِ ، أنْدادُهُ : من كُتّابِ الوَثائقِ . فتَشرَّقَ ، وافتَخَر بذلك ؛ ولم يَسْتَتِرْ[2] به : كاسْتِتارِ ابنِ خالتِه : علىِّ بنَ مَنصورٍ . فهو — اليومَ — ممّن أثْرَى وأفادَ واكتَسَب ، بما ٱلتزَمَه : من أخْذِ ٱلدَّراهمِ فى كُتُبِ الوَثائقِ .

* * *

---

(١) بالأصل : « متوكلا » ؛ والظاهر أنه مصحف عنه .
(٢) يعنى : ولم يرم الاستتار ، كما رامه ابن منصور المتقدم : (ص ٢٨٣) .

عبَّاسُ بنُ عيسَى المِمْسِي

١٢٨ وعبَّاسُ بنُ عيسَى الممسى ؛ يتكلمُ فى الجدَلِ على معانى كلام المتكلمينَ ؛ وفى النَّظَرِ علَى رَسمِ كلام المتفقهين(١) ؛ كلاماً : لا بأسَ به .

وهو — : فى المُناظرةِ : فى الفقهِ . — أبزُ(٢) منه : فى الجدَلِ : علَى مذهبِ المتكلمينَ .

وهو : من أهلِ الفقهِ ، والوَثائقِ ، والحُجَجِ(٣) .

* * *

أبو إبراهيمَ بنُ أبى مُسْلِمٍ

١٢٩ ورجلٌ يُعرَفُ : بأبى إبراهيمَ بن أبى مُسْلِمٍ ؛ يتكلمُ : فى الأسْماء والصِّفاتِ ، ومَذاهبِ الجدَلِ ؛ ويُشيرُ إلى الكلام فى الفقهِ : علَى مَعانى النَّظَرِ .

ويقولُ فى اللهِ عز وجل : « إنَّه جِسْمٌ لا كالأجْسامِ » ؛ ويقولُ فى ذلك — مُعارضاً لِمَن خالفَه — : كما تقولُ أنتَ : « [إنَّه](٤) شىءٌ لا كالأشياء » .

* * *

محمدٌ المَعروفُ : بابنِ أحدِ الشُّرَكاء

١٣٠ ورجلٌ يُسَمَّى : محمداً ؛ يُعرَفُ : بابنِ أحدِ الشُّرَكاء . يَتكلَّمُ فى الجدَلِ : عَلَى مَعانِى سَعيدِ بنِ الحدَّادِ .

---

(١) بالأصل : «الفقه» ؛ والظاهر أنه محرف عنه أو عن : « الفقهاء » ؛ فالخشنى ليس ضيق العبارة إلى هذا الحد

(٢) بالأصل : « أبزل » : ولعل أصله ما ذكرنا ، أو « ابرز » .

(٣) بالأصل : « والحج » ؛ وهو تحريف ، (٤) زيادة حسنة .

يَلزَمُ سُوقَ الصَّرفِ : وله خاصَّةً : مِن أبى محمدٍ عبدِ اللهِ بنِ سَعيدِ بنِ الحدَّاد فأفادَهُ — : مِن كلامِ أبيه . — ما لم يُفِدْ غيره .

* * *

هذه تَسْمِيَةُ مَن علِمتُه : يَنهَضُ فى المناظَرةِ والنَّظَرِ ؛ من أهلِ السُّنة بالقَيْرَوانِ ممَّن علِمتُه بالخَبَرِ ، أو امْتَحَنتُه بالمُشاهَدةِ : ممَّن قد ماتَ ، أو كان حيًّا .

* * *

وهذه تَسمِيةُ أهلِ المُناظَرةِ والجدَلِ : من طَبَقةِ العِراقِيِّينَ .

* * *

سُليمانُ بنُ أبى عُصْفُورٍ

١٣١ سُليمانُ بنُ أبى عُصفور ، المَعروفُ : بالفرَّاء . كان يقولُ : بخَلْقِ القرآنِ[١] ؛ وكان من أهلِ الجدَلِ والمُناظَرةِ : فى ذلك
رَحَل ، ودَخَل بغداذَ . وله كلامٌ : فى مُشْكِلِ القرآنِ ؛ وكتابٌ ألَّفه فيه .
وسمِعتُ مَن يَذكُرُ : أنه سَلَخَه من كتاب (مُشكِلِ القرآنِ) ؛ لقُطْرُبٍ النَّحويِّ .
وله كتابٌ : فى أعْلامِ النُّبُوَّةِ ؛ وله كتُبٌ فى مذهبِه : فى خَلقِ القرآنِ .

* * *

عبدُ اللهِ بنُ الأشَجِّ

١٣٢ وعبدُ اللهِ بنُ الأشَجِّ ؛ كانتْ له (أيضاً) رِحْلةٌ ، ودَخَل العراق ؛ وكان : من أهلِ المناظَرةِ والجدَلِ .

---

(١) انظر فى ذلك : آداب الشافعى وهامشه (ص ٨ — ٩ و ١٩٣ — ١٩٥) .

سمعتُ مَن يذكُرُ عنه : أنَّه لمَّا قَدِمَ من العراقِ : دَخَل عليه أحْداثُ القيْرَوانِ ،

فقال لهم : ما الذى يتكلَّمُ فيه أهلُ القيروانِ اليومَ ؟ .

فقيل له : فى الأسماءِ والصفاتِ .

فقال : إنما تركتُ الناسَ بالعراقِ ، يتوافقُون فى مسألتين : مسألةِ القَدَرِ ؛ ومسألةِ الوَعْدِ والوَعيدِ .

* * *

الفَزَارِىُّ

١٤٤ والفَزَارِىّ ؛ المقتولُ على ما شُهِد به عليه ، من التَّعْطِيلِ .

كان : من أهلِ المُناظرةِ والجدَلِ ؛ سمعتُ مَن يحكى :

أنه دَخَل على أبى يحيَى بنِ قادِمٍ : فقال له أبى يحيى : ما الذى تنظرُ فيه اليومَ يافَزَارِىُّ ؟ .

فقال له : كِتابُ ابنِ عُليَّةَ .

فقال له : ذاكَ الذى يُفْتِى باجازةِ صَلاةِ اليهودِ .

فقال له الفَزارِىُّ : وكَيْفَ ذلك ؟ ! .

قال ابنُ قادِمٍ : لأنَّه يقولُ : إن الصَّلاةَ بغيرِ قراءةٍ جائزةٌ ؛ وصلاةُ اليهودِ هى صلاةٌ بغيرِ قراءةٍ .

فقال له الفَزارِىُّ : فما تقولُ أنت : إن قرأ فى ركعتَيْن ، وترَكَ القِراءة فى ركعتين ؟ .

قال له ابن قادِمٍ : الصلاة جائزة .

قال له الفزارى : فما أراكَ إلا وقد تقلدت بعض ما أنكرت : أجَزْت نصف صلاة اليهود ، وأبطلت النصف .

فقال له ابن قادم : ما أراكَ : تموتُ موتك [١] يا فَزارىُّ .

* * *

---

(١) كذا ، بالأصل . أى : موتا طبيعيا .

أبو إسحاقَ ، المعروفُ : بالعَمْشَاء

١٣٤ ومِن أعلامِ رجالِهم : فى الكلامِ ؛ رجلٌ يُعرَفُ : بالعَمْشَاء ؛ ويُكَنَّى : بأبى إسحاقَ . وإنَّما عُرِفَ بالعَمشاء : لأنَّهُ أعمَشُ العينَيْن .

يَذهبُ : إلى خلقِ القرآنِ ، ويُناظِرُ فيه : المُناظَرةَ الشَّديدةَ . وله فى ذلك داعِيَةٌ ، وله لِمَةٌ[1] وأصْحابٌ وأحْزابٌ فى ذلك : يُجالِسُونَه ، ويَختلِفُون إليه .

وقيل لى : إنَّه يُحسِنُ الفَرائضَ ؛ وإنَّه حَسَنُ الأدبِ ؛ صَحِبَ ابنَ عَبدُونٍ ، وغيرَه : من رجالِ العِراقيِّين . وهو — اليومَ — : علَى هذه الحالِ .

* * *

أبو الفَضْلِ ، المَعروفُ : بابنِ ظَفَرٍ

١٣٥ ومِن رجالِهم ، رجلٌ يُعرَفُ : بابنِ ظَفَرٍ ؛ يُكَنَّى : بأبى الفَضلِ . كان يَقولُ : بخلْقِ القرآنِ ؛ ويُناظِرُ فيه . كان : كثيرَ التَّصَرُّفِ ؛ كان مُجادِلاً فيما ذكرتُ : من ذلك .

وكان : من أهلِ الرُّسُوخِ فى علمِ الطِّبِّ ؛ معَ أَنفتِه من أنْ يُنسَبَ إليه[2] .

وكان : شاعِرًا مُرَسِّلًا ؛ وكان : أديباً .

اُبتُلِيَ — فى آخرِ أيَّامِه — : بمرضِ الجذامِ ؛ فاحْتَجَبَ أعواماً : فى بيتِه ؛ ثم ماتَ .

* * *

---

(١) اى : اشكال ونظراء؛ انظر المختار: (ل م ى) .

(٢) انظر . آداب الشافعى (ص ٣٢١ — ٣٢٢) ؛ فستعجب من هذه الأنفة المضحكة .

مُحمدُ بن ٱلكلاَعِيِّ

١٣٦ ومِن رجالِهم، رجلٌ يُعرَفُ : بمحمدِ بن ٱلكلاَعِيِّ ؛ من أهلِ ٱلمُناظَرة والجدَلِ ، والمُبايَنةِ : بخلْقِ ٱلقرآنِ .

وكان : قد ألَّفَ عَلَى سَعيدِ بن ٱلحدَّادِ، كتاباً : يُناقِضُه فيه ما ألَّفَ عَلَى مَن يقولُ : بخلْقِ القرآن .

فتولَّى إبراهيمُ بن محمدٍ ٱلضَّبِّيُّ ٱلمقتُولُ ، مُناقَضةَ ٱلكلاَعيِّ في كتابه ؛ فشَفَى غيْظَه عليه في صدْرِه ، وفي بسْطِ أوَّلِه ـ قبلَ أنْ يَصيرَ إلى فُصولِ ٱلحِجَاجِ ـ : بما نبَّهَ عليه : من ٱلتَّقصيرِ الشَّديدِ ، والخطإِ الشَّنيعِ .

فكان ذلك : سَبباً لِعنايتِه عليه ـ مع ٱبن ظَفَرٍ ـ : في سَفْكِ دَمِه[1] .

* * *

محمدٌ ٱلمَعروفُ : بالمسحيِّ

١٣٧ ورجلٌ كان يُسمَّى : محمداً ؛ ويُعرَفُ : بالمسحي ؛ وكان : فرَّاءً .

كان من مقدَّميهم في ٱلمُناظَرةِ : في خلْقِ القرآنِ ؛ كانوا : يَقصِدونه ، ويَلُوذُون به . خرَجَ إلى الحجِّ : فماتَ في الطَّريقِ .

* * *

ٱلقمُّوديُّ

١٣٨ ورجلٌ من سِماطِ ٱلعطَّارينَ ، يُعرَفُ : بالقموديِّ . مَذهبُه : الاعْتزالُ ، والمُناظَرةُ فيه وعليه .

* * *

(١) انظر : ص ٢٨١

ابنُ أبي رَوْحٍ ، المُلقَّبُ : بالبَغْلةِ

١٣٩ ورجلٌ يُعرَفُ : بابنِ أبي رَوْحٍ يُلقَّبُ : بالبَغلَةِ . يُعنَى بالجدَلِ : فى خلْقِ القرآنِ ، وفى الأسماءِ والصِّفاتِ . هوَ ـ اليومَ ـ حَىٌّ : فيما بَلَغَنى .

***

أحمدُ بن محمدٍ

١٤٠ وأحمدُ بن محمدٍ المَعروفُ : بابنِ شهرين ؛ قاضى « بَرْقةَ » يُعنَى بالجدَلِ : فى خلْقِ القرآنِ ، وفى غيرِ ذلك : من مَذاهبِ العِراقيِّينَ . ولكنْ : على غيرِ المُبالَغَةِ ؛ كالذين تَقدَّمَ ذِكْرُهُم .

بابُ ذِكرِ مَن تَشرَّقَ : ممَّن كان يُنسَبُ إلى علمٍ ؛ من أهلِ القَيروَانِ

* * *

محمدُ بن حيَّان

١٤١ كان بسوسةَ شيخٌ مُسِنٌّ ، يُسمَّى : محمدَ بن حيَّان . فكان: صاحبَ صلاتِها.
وكان : مَدنيًّا ؛ صَحِبَ ابنَ سحنونٍ ؛ فتَشرَّقَ . فكان بذلك : مُستَتِراً .

* * *

أبو بكرٍ القموديُّ

١٤٢ وأبو بكرٍ القمودى [تَشرَّقَ] : للسَّببِ الذى قدَّمنا ذكرَه مِن قبلُ[١] .

* * *

علىُّ بنُ منصورٍ الصَّفَّارُ

١٤٣ وعلىُّ بن منصورٍ الصَّفَّارُ ؛ [تَشرَّقَ] : للوَجهِ الذى وصفتُه قبلَ هذا[٢] .

* * *

عبدُ الملكِ بنُ محمدٍ الضَّبِّىُّ

١٤٤ وعبدُ الملكِ بنُ محمدٍ الضبىُّ ، المعروفُ : بابنِ البِرذَونِ ؛ أخو إبراهيمَ المقتولِ.
[تَشرَّقَ] : للوَجهِ الذى قدَّمتُ ذكرَه[٣] .

* * *

---

(١) فى ترجمته رقم (١٣٧) : من أنه كان معتزلياً كثير الجدل فى مذهبه .

(٢) انظر : ص ٢٨٠ (٣) انظر : ص ٢٨٤

أُبن الصَّبَّاغ

١٤٥ وَبَلَغنى : أنَّ أُبنَ الصَّبَّاغِ — : ألمذكورَ فى طَبقةِ نظارِ أهلِ السُّنةِ (١). — كان : قد تَشَرَّقَ لِوجْهٍ لا أعلَمُه ؛ والذى لا أشُكُّ فيه : أنَّه كان له عُذرٌ .

* * *

رَبيعُ بن سُليمانَ بنِ سالِمٍ ألمعروفُ : بابنِ الكَحَّالةِ

١٤٦ ورجلٌ كان : عليه سترٌ ؛ وكان : يَتحَلَّى بانْقِباضٍ وعدالةٍ وخيرٍ ؛ كانأبوه : من رجالِ سَحنونٍ ؛ وهو : رَبيعُ بن سُليمانَ بنِ سالِمٍ ؛ المَعروفُ : بابنِ الكَحَّالةِ قد تَقدَّم ذِكْرُ أبيه : فى طَبقةِ رجالِ سَحنونٍ (٢) .

وكان سببُه (٣) الكَلفَ بغلامٍ ألفَه ، وابتُلِىَ به ؛ معَ الخِذْلانِ السَّابقِ .

* * *

قاسمُ بنُ خَلَّادٍ ألواسِطىُّ

١٤٧ ومِن رجالِ العِراقيِّينَ : قاسمُ بن خَلَّادٍ ألواسِطىّ ؛ دعَوهُ إلى التَّشْريقِ ، ووَعَدُوه : بقضاءِ « باجَةَ » فلمَّا تَشرَّقَ ، قيلَ له : قد أُستَغنَيْنا عن قاضٍ لباجةَ .

* * *

أبو رَبْدَةَ بنُ خَلَّادٍ

١٤٨ وأبو رَبْدَةَ بنُ خَلَّادٍ (أبنُ عمِّ قاسمِ بنِ خَلَّادٍ) ؛ تَشَرَّقَ — فى أوَّلِ دُخولِ ألقومِ — : طائعاً (٤) فيما يأتى . فلمَّا أُحتُضِرَ : أوْصَى بجميعِ مالِه للسُّلطانِ ؛ وأخْرَجَ ولَدَه .

* * *

(١) انظر: ص٢٨٠ (٢) انظر ص ٢٠٠ (٣) أى : سبب تشرقه ؛ انظر: ص ٢٠٠
(٤) كذا بالأصل . أى : مختاراً ؛ بدون ترغيب ولا ترهيب .

جَعفَرُ بنُ أحمدَ بنِ وَهْبٍ

١٤٩ وجَعفَرُ بن أحمدَ بنَ وَهْبٍ ؛ تَشرّقَ ، ووَلاَّه إسْحاقُ بنُ أبي المِنْهالِ : مَظالِمَ القَيْرَوانِ .

* * *

أحمـــــدُ بنُ بَحْرٍ

١٥٠ وأحمدُ بنُ بَحْرٍ ؛ كان : جنَح إلى مذهبِ العِراقيِّين ؛ فتَشرّقَ[1] ؛ ثم ولاَّه إسْحاقُ : مَظالِمَ القَـيْرَوانِ . ثم وُلِّيَ : قضاءَ اطْرابُلُس . ثم ماتَ إسْحاقُ : فنُقِلَ إلى قضاءِ القَـيْرَوانِ .

* * *

إسْحاقُ بنُ أبي المِنْهالِ

١٥١ وإسْحاقُ بن أبي المِنْهالِ ؛ تَشرّقَ ، ووُلِّيَ : قضاءَ « صِـقِلِّيَة » ؛ ثم [نُقِلَ من بعدُ : إلى قضاء القَيْرَوانِ .

* * *

أبو عليٍّ بنُ المِنْهالِ

١٥٢ وأبو عليٍّ بنُ المِنْهالِ ؛ تَشرّقَ : في أوّلِ الأمْرِ .

* * *

---

(٢) بالأصل : « تشرق » ، ولعله محرف عنه .

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ شهرين

١٥٣ وأحمدُ بن محمدِ بنِ شهرين ؛ قاضِي « بَرْقَةَ » تَشرَّقَ ؛ إلاَّ : أنَّه ـ في قضائه ببَرْقةَ ـ يحكمُ : بإجازةِ الطَّلاقِ ثلاثاً ، ويُجيزُه : عَلَى مَن طَلَّق به . وليس هو : مَذهبَ الشِّيعةِ .

***

أبو عبدِ اللهِ الكِنْدِيُّ

١٥٤ وأبو عبدِ اللهِ الكِنْدِيُّ المَعروفُ : بابنِ اللَّقَّاطَةِ . تَشرَّقَ : شيخاً كبيراً ؛ وكان : عراقيًّا من قبلُ ، قليلَ العلمِ .

***

أبو بَكرِ بنُ سليمانَ

١٥٥ وابنُ سليمانَ المكَنَّى : بأبي بكرٍ ؛ كان رأيُه : رأيَ أبي حنيفةَ . وكان : قد اختلَفَ إلى ابن عَبدُونٍ ؛ فتَشرَّق . للتَّمكُّنِ بالوَثائقِ .

وذلك : أنَّه كان في إمْلاَقٍ شَديدٍ ؛ ولا يَنتَصِبُ لكِتابِ الوَثائقِ بالقَيْرَوانِ ، إلاَّ : مَن تَشَرَّقَ ؛ سِيَّما : إنْ كان ممَّن يَأخذُ عليها جُعْلاً .

فلمَّا تَشَرَّقَ : أَستَحْكَمَ له كِتابُها ؛ فقد كَسَبَ منها مالاً جَسيماً .

***

أبو محمدِ بنُ شِهرام

١٥٦ ورجلٌ : من أهلِ « سُوسَةَ » ؛ يُكَنَّى : بأبي محمدٍ ؛ يُعرَفُ : بابنِ شهرام . تَشرَّقَ : في أوَّلِ دُخولِ القوم ؛ وتولَّى كِتابةَ محمد بن عمر المَرْوذيِّ .

***

زُرَارَةُ بنُ أحمدَ

١٥٧ وزرارة بن أحمد ؛ كان يَصحَبُ المَدنِيِّينَ والعراقيينَ ، ويَتحلَّى بالعلمِ والنظر : فى اُختِلاَفِ الناسِ .

تشرَّقَ ، ووَلاَّه عُبيدُ اللهِ : قضاءَ مَدينتِه التى سمَّاها : « اُلمَهْدِيَّةَ » . وهو — فى مذهبِ الشيعةِ — : من الغالينَ .

***

بابُ ذِكْرِ مَنْ دَارَتْ عليه مِحْنَةٌ من اُلسُّلطانِ : من عُلماء اُلقَيْرَوانِ

***

اُلبَهْلُولُ بنُ راشِدٍ

١٥٨ قال محمدٌ : دارَتْ عَلَى اُلبَهْلولِ بنِ راشدٍ [مِحْنَةٌ] من اُلعَكِّيِّ[1] عاملِ اُلقَيْرَوانِ : فضَرَبه بالسِّيَاطِ

***

اُبنُ أبى اُلجَوَادِ

١٥٩ ودارَتْ عَلَى اُلقاضى : اُبنِ أبى اُلجَوَادِ ؛ مِحْنَةٌ — بعدَ عزْلِه — من سَحنونٍ : ضَرَبه بالسِّياطِ ؛ لأموالٍ : كان اُحْتَجَنَها[2] ، وتَلدَّدَ فى قضائِها .

---

(١) بالأصل : « العكاى . . فرضبه » وكلاهما مصحف . والزيادة متعينة .

(٢) كذا بالأصل . يعنى : اجتذبها لنفسه . ولعله مصحف عن : « احتجزها » .

سَحْنُونُ بنُ سَعيدٍ

١٦٠ ودارَتْ عَلَى سُحْنُونِ بنِ سَعيد ، مِحْنَةٌ لم يكنْ منها : غيرُ أَنْ تَوَارى من أبي جَعفر بن ٱلأغْلَبِ ؛ على ٱلقَولِ بخلْقِ ٱلقرآنِ ؛ ثُمّ : ظَهَرَ وقَصَدَه بنفسِه ، وقال له لمَّا دَخَلَ عليه : كنتُ خائفاً حتَّى دخلتُ عليك ؛ فقد أَمِنْتُ . فأَمَّنَه .

* * *

محمدُ بنُ سُحْنُونٍ

١٦١ ودارَتْ على محمدِ بن سُحْنُونٍ (أيضاً) مِحْنَةٌ من سُليمانَ بنِ عِمْرانَ : فتَوَارَى عنه ؛ في قِصَّةٍ : قد ذَكَرْتُها فيما تَقدَّمَ[1] .

وكان (أيضاً) : قد تَوَارَى مع أبيه سَحنُونَ : في محنةِ أبي جعفرٍ ؛ فلمَّا أتَى بابَ ٱلقَصرِ : بَدَرَ ٱلشُّرَطُ إلى ٱنتِهارِه ، فأَخِذَ لِجَامُ دابَّتِه .

فلمَّا دَخَلَ على أبي جعفرٍ : سَكَتَ ؛ فقال له تَكَلَّمْ .

فقال : إنَّمَا يَتَكَلَّمُ من معه عقْلُه ؛ وأمَّا أنا : فقد ذَهَبَ عقْلِي .

قال له : وما ٱلذي أذْهَبَه ؟

فأعلمَه . أنَّه أُخِذَ لِجَامُ دابَّتِهِ على بابِ قصرِه ، قبْلَ ٱلوُصولِ إليه .

فأمَرَ : بصَرْفِ ٱللُّجامِ ؛ وأمَّنَه .

* * *

فُرَاتُ بنُ محمدٍ ٱلعَبْدِيُّ

١٦٢ ودارَتْ على فُراتِ بن محمدٍ ٱلعَبْدِيِّ ، محنةٌ من سُلَيمانَ بنِ عِمْرانَ : فضَرَبه بالسِّياطِ ؛ بفَضْلِ غَضبِه على محمدِ بن سَحنُونٍ .

---

(١) انظر: ص ١٧٩ :

عَبْدُ ٱللّٰهُ أحمدَ بنِ طالبٍ

١٦٣ ودَارَتْ عَلَى عبد ٱللّٰهِ بن أحمدَ بن طالبٍ ، دائرةٌ من إبراهيمَ بنِ أحمدَ : فعزَله عن ٱلقضاءِ ، وحَبَسَه ؛ وأحالَ عليه ٱلسُّودان : فركَضُوا بطْنَه حتَّى ماتَ .

وكان السَّببُ فى ذلك : أنَّ إبراهيمَ بن أحمدَ طلَبَ من أهـــلِ « اساتة » — : قريةٌ تُجاوِرُ تونسَ : — أن يَبيعُوها منه ؛ فأبوْا عليه : فقهَرَهم عليهـا ، وأدْخَلَ فيهـا السُّودانَ ؛ فتطَاوَلَ بعضُ السُّوادنِ ، علَى بعضِ بَناتِ أهلِها : فافْتَضَّها ؛ فأتَتْ أمُّها بثَوبِها بما[1] فيـه : من أثَرِ دمِها . — فرَمَتْه : فى حِجْرِ ٱلقاضى ٱبنِ طالبٍ ؛ وأخبرَتْه ٱلخَبَرَ : فتَفَجَّعَ ؛ ثم قال لمَن حَضَره : ما أظُنُّ هذا ٱلرجلَ : يُؤْمِنُ باللّٰهِ ، ولا بيوم ٱلحسابِ .

فبَلغ ذلك إبراهيمَ : فكان مِن أمرِه ، ما كان .

* * *

يَحيَى بنُ عُمَـرَ

١٦٤ ودارَتْ علَى يَحيَى بنِ عُمَر ، دائرةٌ يَسيرةٌ من ابن عَبْدُونٍ : تَوَارى منه واسْتَتَرْ ، فسلَّمه ٱللّٰهُ منه .

ودارَتْ من ٱبنِ عَبدونٍ ، دائرةٌ على رجالٍ : من المَدَنيِّينَ ، فضرَبَهم ونَـكَّلَ بهم ، وطَوَّفَ بعضَهم . منهم : أحمدُ بن مُعَتِبٍ ، وإبراهيمُ ٱلدَّمنيُّ ، وأحمدُ بن عَبدونٍ الاسَدِيُّ العطَّارُ ، وابنُ المَدائنيِّ . وأبو القاسِمِ مَولَى مهريَّةَ .

* * *

---

(١) بالأصل : « محا » والظاهر تصحيفه .

حَسَنُ بن البَنَّاءِ

١٦٥ ودارَتْ على حَسَنِ بنِ البَنَّاءِ ، دائرةٌ من إبراهيمَ بنِ أحمدَ عَزَلَه عن قضاء «قَصْطَلية» ثم حبَسَه .

* * *

مُوسَى بنُ ٱلقطَّانِ

١٦٦ ودارَتْ علَى مُوسى بنِ ٱلقطَّانِ ، دائرةٌ من إبراهيمَ : عَزَلَه عن قضاء «اطرابُلس» ثم حَبَسَه .

* * *

إبراهيمُ بن عَتَّابٍ

١٦٧ ودارَتْ علَى إبراهيمَ بنِ عَتَّابٍ ، دائرةٌ من أبنِ طالبٍ : حَبَسه لانْصِرافِه عن عن ٱلصَّلاةِ : خلْف أبنِ عَبْدُوسٍ[١] .

* * *

أبو القاسِمِ ٱلطُّوريُّ

١٦٨ ودارَتْ على أبي القاسِمِ ٱلطُّوريِّ : (صاحبِ المَظالمِ مرةً بالْقَيروَانِ) ؛ دائرةٌ من ٱلقاضى المَرْوَذِيِّ : ضَرَبَه فى الجامعِ : على رُؤُوسِ الناسِ ؛ وحَبَسَه .

وفعَلَ ذلك المَرْوَذِيُّ بجماعةٍ من رجالِ المَدنيِّين : ممَّن لم يكنْ لهم أُسمٌ فى ٱلعلماءِ ؛ ولكنْ : دَخلوا فى جُملتِهم : بالمحبَّةِ والصُّحْبةِ . مثلُ أبنِ سَلمونٍ القطَّانِ ، والخلاميِّ المُحْتَسِبِ ؛ وقَومٍ مُرابِطِينَ : من أهلِ تُونُسَ .

فكان قتْلُ المَرْوَذِيِّ بعدَ ذلك : بِسَبَبِهم ؛ بوَجْهٍ : سأَصِفُه عندَ ذكْرِه : فى بابِ ٱلقُضاةِ إن شاء الله[٢] .

---

(١) انظر: ص ٢٠٥ (٢) انظر أواخر باب قضاة القيروان.

* * *

إبراهيمُ بن ٱلبِرْذَوْنِ ، وابْنُ هُذَيْلٍ

١٦٩ ودارتْ على إبراهيمَ بن ٱلبِرْذَوْنِ ، وعلى ابنِ هُـذَيْلٍ ـ دائرةٌ : فَقَتَلاَ فتنهُما رحمةُ ٱللهِ . وقد فسّرتُ خبَرَهما فى ذلك : من قبلُ[1] .

أبو القاسِمِ مَوْلَى مهريَّةَ ، والسَّدْرِىُّ

١٧٠ ودارت على أبى ٱلقاسم مَولَى مهريَّةَ ، والسَّدْرِىِّ (رجلٌ يُعرَفُ : بالخير والعِبَادةِ) ؛ دائرةٌ ـ : سنة ثمانٍ وثلاثِ مِائةٍ . ـ بالمَهْدِيَّة : ضُرِبا ، ثم قُتِلاَ ، ثم صُلِبا ؛ لكلامٍ ـ حُفِظَ عليهما ـ : فى السُّلطانِ .

أحمدُ بنُ زيادٍ

١٧١ ودارَتْ على أحمـد بن زياد ، دائرة من السلطان : عُبَيْدِ الله ؛ على يدَىْ أبى زيدٍ الشَّاهِدِىِّ : فضرِبه بالعِصِىِّ بَطْحاً .

ثم دارَتْ عليه دائرة أخرى ـ بعد ذلك ـ من إسحاق بن أبى المِنْهالِ .

وذلك : أنه كتب فى كتاب صَدَاقٍ شروطاً : وقد تقدم[1] إلى الناس كافّةً : أن لا يكتب فى نكاح شرطٌ بيمين طلاق .

فأرسل فيه إسحاقُ : لحبسه ثلاثة أيّام ؛ ثم أطلقه .

* * *

أحمدُ بنُ نَصْرٍ

١٧٢ ودارَتْ عَلَى أحمدَ بنِ نَصْرٍ ، دائرةٌ من إسْحاقَ بنِ أبى ٱلمِنْهالِ : سنةَ ثمانٍ وثلاثِ مِائةٍ .

وذلك : أنّه كان أحمدُ بن نَصرٍ : يَجلِسُ فى مَسجدِ رَحَبةِ ٱلقُرَشِيِّينَ ، ويَجلِسُ إليه مَن أتاهُ .

---

(١) انظر : ص ٢٨١

فخَطَر به صاحبُ(١) ٱلحَرَسِ يوماً : ومعَه بعضُ ٱلغالِينَ — : من ٱلمَشارِقةِ . — فاسْتفْظَعُوا(٢) : جُلوسَه ، وٱجْتِماعَ ٱلناسِ حَولَه ؛ فوَكَّل صاحبُ ٱلحرسِ عليه ٱلشُّرَطَ وعَلَى كلِّ مَن كان معه .

ثم سار إلى عليِّ بن إسحاقَ ٱلطَّبيبِ ، فأعلَمَه بخَبَرِه — : وكان متخلِّفَ أبى سَعيدٍ ٱلضيفِ حِينئذٍ عَلَى ٱلقَيْرَوانِ ؛ وكان أبو سَعيدٍ غائباً . — فأبَى ٱبنُ ٱلطَّيبِ أنْ يَنظُرَ فى شيءٍ : من أمْرِه .

فسار إلى إسحاقَ بنِ أبى ٱلمِنْهالِ ، فأرسَلَ إليه جماعةً : من ٱلعُدولِ ؛ فعايَنُوا ٱلحالةَ ٱلتى هو عليها . ثُم أمَرَ به إلى ٱلسِّجنِ — : من غيرِ أنْ يُدْخِلَه إلى نفْسِه . — وأمَرَ : بتَقْيِيدِه . ووَاصَلَ مَن كان معَه إلى نفْسِه ، واسْتَكْنَهم : رجُلاً رجُلاً ؛ ثم كَتَب : بخَبَرِ أحمدَ بنِ نَصرٍ ، وبأسماءِ مَن كان معَه إلى عُبيدِ ٱللهِ .

فأعرَضَ عُبيدُ ٱللهِ عن خَبَرِه ، وأظهرَ ٱلتَّهاوُنَ بأمْرِه .

وأقامَ فى ٱلسِّجنِ تسعةَ أشهرٍ ؛ ثُم عُنِيَ أبو سَعيدٍ ٱلضَّيفُ ، بأمْرِه : عندَ عُبيدِ ٱللهِ ؛ فأمَرَ : بإطْلاقِه .

فلَزِم بيتَه : حتَّى ماتَ ؛ وفى داخلِ بيتِه ، كان : يَجتَمِعُ إليه إخوانُه ، ومَن أرادَ ٱلوُصولَ إليه .

* * *

ٱبنُ ٱللَّبَّادِ

١٧٣ ودارَتْ عَلَى ٱبنِ ٱللَّبَّادِ ، دائرةٌ : فى حِينِ تَغريمِ ٱلناسِ ؛ فحُبِسَ وضُرِبَ : عَلَى يدَىْ أبى زيدٍ ٱلشَّاهِدىِّ .

---

(١) بالأصل : « تقوم » ؛ والظاهر أنه مصحف عنه ، فتأمل .

(٢) أى : رئيس أعوان السلطان . وبالأصل ـ هنا وفيما سيأتى ـ « صاحب المحرس » ؛ وهو مصحف على ما يظهر . وانظر الصباح . (٣) بالأصل : «فاستقطعوا» ؛ وهو تصحيف .

***

أحمدُ بنُ مُوسَى ٱلتَّمَّارُ ، وأخوه محمدٌ

١٧٤ ودارَتْ عَلَى أحمدَ بنِ مُوسَى ٱلتَّمَّارِ ، وعَلَى أخيـــهِ — دائرة :[1] من مَغْرَمٍ فادِحٍ .

ثم — من بعدِ ذلك — دارَتْ عليه : فى أخيه محمدٍ . دائرة عظيمةٌ .

وذلك : أن أخاه محمدَ بن موسى ، دَخَل فى جماعةِ رجالِ ٱلقَيْرَوانِ ، عَلَى عُبَيْدِ ٱللهِ : فى سَلامِ عِيدٍ ؛ فانْدَفَع : يَصِفُ سُوءَ حالةِ ٱلرَّعِيَّةِ ، وما نَزَل بهم : من ظُلْمِ ٱلعُمَّالِ .

فوَقَع ذلك — من عُبيدِ ٱللهِ — موقِعَ الـكَرَاهِيَةِ .

واُتَّصَلَ ذلك بمَن أسْماهُ — : من أهلِ ٱلقَيْرَوانِ . — فعقَدُوا عليه شهادةً : عندَ صاحب ٱلخَبَرِ ؛ ورَفَعَها — : على يَدِ محمدِ بن أحمدَ ٱلبغداذِىِّ . — إلى عُبَيْدِ ٱللهِ .

فأمَرَ : بضَرْبِه مِائَتَىْ سَوطٍ ؛ فضُرِبَ ضرْباً مَعْنِيّاً[2] : فمات رحمه ٱللهُ .

***

١٧٥ ودارَتْ علَى ناسٍ كثيرٍ ، دَوائرُ : من قَتْلٍ ، وضَربٍ . إلاَّ أنَّهم ليْسوا من العلماء .

١٧٦ كدائرةِ عروسٍ : فى خَلْعِ لسانِه ؛ وابْنِ مُعْتِبٍ : فى ضرْب ظهرِه .

وأشياءُ كثيرةٌ من هذا البابِ : من جهةِ تَرْكِ : « حَىَّ عَلَى خَيْرِ العَمَلِ » : فى الأذانِ ؛ وتَرْكِ قِراءةِ « بسمِ ٱللهِ ٱلرَّحمنِ الرَّحيمِ » : فى صلاةِ الفَرِيضةِ .

***

---

(١) بالأصل : « دائرة وعلى أخيه » إلخ . والظاهر : ما صنعنا .

(٢) كذا بالأصل . يعنى : مقصوداً قاسيا ، على ما يظهر .

أبو العبَّاسِ بنُ التُّسْتُرِيِّ

١٧٧ وأبو العبَّاسِ بنُ التُّسْتُرِيِّ ؛ كان شافعياً : فى مذهبِه ؛ دارَتْ عليه دائرةٌ : ضُربَ ، وعُذِّبَ ، وأُخِذَ مالُه .

***

أبو جَعفرِ بنُ خَيْرُونٍ

١٧٨ ودارَتْ علَى أبى جعفرِ بنِ خَيْرُونٍ ، دائرةٌ سَعى فيها لَمرْوَذِىُّ : حتَّى قُتِـلَ .

***

أبنْ علىٍّ بنِ أبى المِنْهَالِ

١٧٩ ودارَتْ عَلَى أبنِ علىٍّ بنِ أبى المِنْهَالِ ، دائرةٌ : سَعَى عليه فيها زُرَارَةُ ، وأقامَ عليه ثمَـانينَ شاهداً : أنَّ عندَه حِمـلَ مالٍ : من مالِ أبنُ الصَّائغِ ، أو من مالِ رقادةَ .

فضُربَ وعُذِّبَ أصنافَ العَذابِ ؛

وكان يُدْخَلُ رأسُه فى جِرابِ جيرٍ ؛ فلم يُطعْ[1] : بغُرمِ دِرهمٍ واحدٍ .

ثُم : عَفَا عنه عُبيدُ اللهِ ، ووَهَبَه لعمِّه : إسحاقَ ؛ وولَّىَ إسحاقَ بن أبى المِنْهَال — حِينَئذٍ — القضاء : ثانيةً ؛ بعـدَ موتِ أبنِ عِمْرانَ النّفطىِّ : الذى كانَ أسْتَقْضاهُ : بعدَ عزلِه إسحاقَ بنَ أبى المِنْهَالِ .

***

---

(١) كذا بالأصل . ولعل المراد : فلم يعترف بشىء أصلا .

بابُ أسْماءِ قضاةِ ٱلقَيْرَوانِ

* * *

عبدُ ٱلرَّحمن بنُ رافِعٍ ٱلتَّنُوخِيُّ

١٨٠ قال محمـدٌ : فمِن قُدَماء قُضَاتِهم — فيما ذَكَرَ أبو ٱلعَرَبِ بنُ تميمٍ — : عبدُ ٱلرَّحمنِ بنُ رَافِعٍ ٱلتَّنُوخِيُّ ؛ لم يَزِدْه : عَلَى أنْ ذَكَر : أنَّه كان قاضياً بإفْرِيقِيَّةَ .

* * *

عبدُ ٱللهِ بنُ ٱلْمُغِيرَةِ

١٨١ وعبدُ ٱللهِ بنُ ٱلْمُغِيرَةِ بنِ أبى بُرْدَةَ ٱلقُرَشِيُّ ؛ ذَكَر أبو ٱلعَرَبِ : أنَّه وُلِّيَ قضاء إفْرِيقِيَّةَ ؛ لم يَزِدْ عَلَى ذلك .

* * *

يَزيدُ بنُ الطُّفَيْل

١٨٢ قال أبو العرَبِ : وقد كان يزيدُ بنُ الطُّفَيْل التُّجِيبِيُّ ، وُلِّيَ قضاءَ إفْرِيقِيَّةَ : قبْلَ عبدِ الرَّحمن بن زِيادٍ ؛ وأظُنُّ الذى ولاَّهُ : يَزيدَ بنَ حاتِمٍ .

* * *

عبدُ الرَّحمن بنُ زيادٍ

١٨٣ وعبدُ الرَّحمن بنُ زِيادِ بن أنْعَمَ ؛ ذَكَرَ أبو العرَبِ : أنَّه وُلِّيَ قضاءَ إفْرِيقِيَّةَ. وذَكَرَ فيمَنْ ولاَّهُ القضاءَ ، اخْتلافاً : من الرِّوايةِ ؛ فذَكَرَ ابنُ وَضَّاحٍ : أنَّه قال: ولاَّه أبوجَعفَرٍ. وذَكَرَ رِوايةً أخْرَى : أنه إنَّما ولاَّهُ :مَرْوانُ بن محمدٍ .

* * *

ماتِعُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ .

١٨٤ قال : وعزَل يزيدُ بن حاتمٍ : عبدَ الرحمنِ بن زيادٍ ؛ ووَلّى بعده : ماتِعَ بن عبدَ الرَّحمنِ الرُّعَيْنِيَّ . وكان ماتِعٌ — فيما ذُكِرَ — : رجلَ سَوْءٍ .

أبو كُرَيْبٍ

١٨٥ قال أبو العربِ : ووَلّى يزيدُ بنُ حاتمٍ (أيضاً) : أبا كُريبٍ عبد الرَّحمنِ بنَ كُرَيْبٍ البَصْرِيَّ ؛ [القضاءَ] . وكان : رجلاً صالحاً . ذكَرَ أبو العربِ أخبارَه : في كتابِه .

* * *

عبدُ اللهِ بنُ فَرُّوخ

١٨٦ وعبدُ اللهِ بنُ فَرُّوخ ؛ ولاَّه رَوْحُ بنُ حاتمٍ القضاءَ : مُكْرَهاً ؛ فجَعَل : يَبْكِي ، ويَسْتَعْفِي الخصومَ ، ويَسْتَرْحِمُ . فأعفاه من القضاء .

* * *

عبدُ اللهِ بنُ عُمَرُ

١٨٧ وعبدُ اللهِ بنُ عُمرَ بنِ غانمٍ الرُّعَيْنِيُّ ؛ وُلِّيَ القضاءَ : بعدَ ماتِعِ بنِ عبدِ الرَّحمنِ ؛ ولاَّه رَوْحُ بنُ حاتمٍ : سنةَ إحدَى وسبعينَ ومِائةٍ ؛ وهو — يومئذٍ — ابنُ اثْنَتَيْنِ وأربعينَ سنةً . وماتَ : سنةَ تسعينَ ومِائةٍ .

* * *

أَسَدُ بنُ ٱلفُرَاتِ ، وأبو محْرزٍ

١٨٨ و ١٨٩ ثم وُلِّىَ أَسَدُ بنُ ٱلفُرَاتِ ، وأبو محْرزٍ : جَميعاً .

قال أبو العَرَبِ : ولم يَكنْ ببَلدِنا قاضيانِ[1] : فى وقتٍ واحدٍ ؛ غيرُهما .

***

أحمدُ بن أبى محْرزٍ

١٩٠ ثم وُلِّىَ أحمدُ بنُ أبى محْرزٍ ، ٱلقضاء : بعدَ أبيه ؛ فكان : عَفِيفاً صالحاً .

وكلُّ هؤلاء — ٱلذين سَمَّيتُ من : ٱلقُضاةِ . — هم : ٱلذين ذَكَرهم أبو ٱلعَرَبِ : فى كِتابِه . ولم أجِدْ فى كتابِه ، زِيادةً عَلَى هؤلاءِ .

***

اُبنُ أبى ٱلجَوَادِ

١٩١ قال محمدٌ : ووُلِّىَ ابنُ أبى ٱلجَوَادِ ؛ وكان مَذهبُه : مَذهبَ ٱلكُوفِيِّينَ ؛ فيما بَلغَنى . وعَزَله محمدُ بن الأغْلَبِ .

***

سُحنونُ بنُ سَعِيدٍ

١٩٢ ووُلِّىَ سُحنونُ بنُ سَعيدٍ ٱلقضاءَ ، وأحالَه عَلَى ابنِ أبى ٱلجَوَادِ : فاستَقْصَى عليه ، وظَهرَتْ له عليه أموالٌ : تَلدَّدَ فى قضائها ؛ فضَرَبه عَلَى ذلك : بالسَّوطِ .

وكان محمدُ بن ٱلأغْلَبِ : قد أدارَ سَحنونَ بن سَعيدٍ : عَلَى ٱلقضاءِ ؛ حَولاً

---

(١) بالأصل: «قاضيين» وهو خطأ وتصحيف

كاملاً ؛ ثم قيل[١] : قَبِلَ منه بعدَ ذلك : عَلَى أن لا يَرتَزِقَ له شيئاً ؛ وعَلَى أنْ يُنفِذَ الحُقوقَ عَلَى وَجْهِها : فى الأميرِ ، وفى أهلِ بيتِهِ . وماتَ سَحنونٌ سَنةَ أربعينَ : وهو قاضٍ لم يُعزَلْ .

* * *

سُلَيْمانُ بنُ عِمْرانَ

١٩٣ ثم وُلِّيَ القضاءَ — بعدَ سَحنونٍ — : سُليمانُ بن عِمرانَ ، المُلقَّبُ : خَرُوفةَ . ثم عُزِلَ .

* * *

عبدُ اللهِ بنُ طالبٍ

١٩٤ فوُلِّيَ عبدُ اللهِ بنُ طالبٍ ؛ وأمَرَه الأميرُ محمدُ بن أحمدَ — المعروفُ : بأبى الغَرَانيقِ . — : بالنَّظرِ عَلَى سُليمانَ بنِ عِمرانَ .

ثم لمَّا وُلِّيَ إبراهيمُ بن أحمدَ : عَزَلَ ابنَ طالبٍ واسْتَقْضَى سُليمانَ بن عِمرانَ ؛ وأمَرَه : بالنَّظرِ عَلَى ابنِ طالبٍ . فنَظَرَ عليه : فى ثُلثُ الجِدَةِ ؛ ودارَ فى ذلك — : عند إبراهيمَ . — مَجلسُ مُناظَرةٍ : بحضرةِ شُيوخِ القَيْرَوانِ ؛ قد ذَكَرْتُه : فى كتابِ : (التَّعْرِيفِ) .

وسمِعتُ مَن يَحكِى : أنَّ إبراهيمَ ، لمَّا وُلِّيَ المرَّةَ الثَّانيةَ ، أرْسَلَ : فى ابنِ طالبٍ .

فلمَّا حَضَرَ[٢] : أجْلَسَه خارجاً طويلاً — قَبْلَ أنْ يَصِلَ إليه . — ثم : أدْخَلَه ، فأجْلَسَه بيْنَ يدَيْه : مَجلِسَ الخُصومِ .

---

(١) بالأصل : « قبل » ؛ وهو مصحف ، أو زائد ؛ فتأمل .

(٢) بالأصل : « حضره » ؛ ولعله محرف .

فلمَّا وُلِّيَ ٱبنُ طالبٍ ٱلمرَّةَ ٱلثانيةَ : أحْضَر سُليمانَ بنَ عِمرانَ .

فلمَّا حَضَر : أدْخَلَه عَلَى نفْسِه عاجلاً ؛ ثم : أجْلَسَه إلى جَنْبِه ، وكَلمَه فيما وَجَب عندَه : أنْ يُكلِّمَه فيه .

* * *

أبو العبَّاسِ محمدُ بنُ عَبْدُونٍ

١٩٥ ثُم : وُلِّيَ — بعدَ ٱبنِ طالبٍ — : أبو العباسِ محمدُ بن عَبدونٍ بن أبي ثَوْر ؛ وأقام قاضياً : نحوَ ٱلثلاثينَ شهراً .

ثُم : عَزَله إبراهيمُ ، ولم يُحِلْ أحداً بعدَه : عَلَى النَّظرِ عليه ؛ وكان : قد وَعَد عيسى بنَ مِسْكينٍ : بأنْ يُبيحَ له النَّظر عليه ؛ ثُم لم يَفعلْ ذلك .

* * *

عبدُ اللهِ بنُ هارُونَ السُّوذانيُّ

١٩٦ ثُم : وُلِّيَ — بعدَ ٱبنِ عَبدونٍ — : عبدُ ٱللهِ بن هارُونَ السُّوذانيُّ الكُوفيُّ ؛ وكان قبْلَ ذلك : [كاتبا][1] لسُليمانَ بنِ عِمرانَ .

ثُم : ولاَّه ٱبنُ طالبٍ قضاءَ تُونُسَ ، وأثْبتَه عليها ٱبن عَبدونٍ : إذ وُلِّيَ ٱلقضاءَ .

ثم : ولاَّه إبراهيمُ قضاءَ ٱلقيْرَوانِ ؛ فكان قاضياً : نحوَ ٱلسَّنتَيْنِ ؛ ثم: عزَله ،

---

(١) لعل هذه الزيادة متعينة .

ووَقَفَه[١] فى جامعِ رقادةَ : فى بيتٍ من حُصرٍ .

وأمَرَ عيسى بنَ مِسكينٍ : بالنّظرِ عليه ؛ فلم يَجِدْ قِبلَه شيئاً مَكْرُوها ، ولا أحداً مَطْلُوباً . فدَخَل عيسى : عَلَى إبراهيمَ ، فقال له : هذا ٱلشيخُ عَقَلْتَه فى ٱلمسجدِ : وقد كَبِرَتْ سِنُّه ، ولا غِنًى [له] عن قِيامِ ٱلنِّساء .

فقال : نَظَرْتَ عليه ؟ .

فقال : قد فُعِلَ ؛ فلم أجِدْ إليه سبيلاً .

فقال إبراهيمُ : ٱلحمدُ للهِ ٱلذى صدقَ ظَنّى به : فما ظَنَنْتُ إلاَّ خيراً .

* * *

عِيسَى بنُ مِسْكِينٍ

١٩٧ ثم : وَلَّى ٱلقضاء عيسَى بنُ مِسكينٍ ؛ فكان : زاهِداً مَحْمُوداً ؛ أقامَ قاضياً ، نحوَ ٱلثَّمانيةِ أعوامٍ . ثم عَزَله : عندَ خُروجِه إلى صِقِلِّيَّةَ .

* * *

ٱلصَّدنىُّ محمدُ بنُ أسْوَدَ

١٩٨ ووَلَّى ٱلصَّدنىَّ : محمدَ بنَ أسْودَ ؛ ٱلقضاء : لأنَّه عَلِمَ : أنَّ ٱبنَه عبدَٱللهِ [يقولُ] : بخَلْقِ ٱلقرآنِ ؛ وأنه لايَدَعُ بعده عيسى على ٱلقضاء .

فكان ٱلصَّدنىُّ : قاضياً لأبى ٱلعبَّاسِ ؛ حتَّى قتل أبو ٱلعبَّاسِ ، ووُلِّىَ زِيادةُ ٱللهِ ٱبنُه : فعزَل ٱلصَّدنىَّ .

* * *

---

(١) أى : حبسه .

حَماسُ بنُ مَرْوانَ

١٩٩ ووَلَّى حَماسَ بن مَرْوانَ ؛ فكان قاضياً : نحوْ ٱلسَّنَتَيْنِ ؛ ثم عزَله .

* * *

ٱبنُ جيالٍ

٢٠٠ ووَلَّى ٱبنَ جيالٍ : بِعِنايةِ ٱبن ٱلصَّائغ ؛ فكان قاضياً: مُدةً يَسيرةً ؛ ثُم عزَله .

* * *

إبراهيمُ بنُ ٱلخشَّابِ

٢٠١ ووَلَّى ٱلقضاءَ : إبراهيمَ بن ٱلخشَّابِ ؛ فدخَل ٱلشِّيعِيُّ إفْرِيقيَّة .

* * *

محمدُ بن عُمَر ٱلمَرْوذِيُّ

٢٠٢ فولَّى أبو عبدِ ٱللهِ ٱلصَّنْعانِيُّ : محمد بنعُمَر ٱلمَرْوَذِيَّ ؛ وهو : من أهلِ ٱلقيْرَوانِ .

كان : مُتَشَيِّعاً[١] من قبْلُ ؛ وكانتْ ٱلقُضاةُ : تُكلِّمُه ؛ فتطاوَلَ على رجالٍ صالحينَ: فضَربَهم وحَبَسَهم ؛ وأتى عُبيدُ ٱللهِ من «سجلماسةَ» : فأقَرَّ المَرْوَذِيَّ: على القضاءِ .

ووَضَع ٱلقَوْمَ ـ : ٱلمحبُوسونَ فى حَبْسِ ٱلمَرْوَذِيِّ . ـ أيديَهم فى ٱلرَّفْعِ على ٱلمَرْوَذِيِّ : بالارْتِشَاءِ وٱقْتِناءِ ٱلأموالِ ؛ وأكثَرُوا مِنْ ذلك .

فوصَّى إليهم محمدُ بن أحمدَ ٱلبغداذيُّ : هذا الفنُّ من الرَّفْعِ دَعُوهُ ؛ إن كان عندَكم سَببٌ ـ : من قَدْحِه فى ٱلدَّولةِ . ـ فهو : يَنْفَعُكم .

فعَطَفَ ٱلقَوْمُ عَلَى ٱلرَّفْعِ عليه : من هذا الباب ؛ فعزَله ، وعَذَّبه ؛ ثم قتَله .

* * *

---

(١) بالأصل : « مشيعا » ؛ وهو محرف عنه . أو عن « شيعيا » .

محمدَ بن ٱلمَحْفوظِ

٢٠٣ ووُلِّى ٱلقضاءَ ـ بعدَ ذلك ـ : محمدُ بن ٱلمَحْفُوظِ ؛ من أهلِ « لموزة » وكان شِيعياً من قبلُ .

فكان قاضياً : حتَّى ماتَ : سَنة ستٍ وثلاثِ مِائةٍ .

* * *

إسحاقُ بنُ أبى ٱلمِنْهالِ

٢٠٤ ثم : وَلَّى[1] أبو سَعيدٍ ٱلضَّيْف ـ إذ كان عاملاً على القَيْرَوانِ . ـ إسحاقَ بن أبى المِنهَالِ : على القضاءِ ؛ بأمْرِ عُبَيده ٱللهِ .

فكان أمْرُه : ضَعيفاً واهِنا ؛ وكان زُرارةُ[2] يَتَسوَّر عليه : فى النَّظَرِ بالْقَيْرَوانِ ؛ فلا يَمتَعِضُ ، ولا يَنْتَصِرُ ؛ حتَّى عُزِلَ .

* * *

محمـدُ بن عِمْرَان ٱلنفطىُّ

٢٠٥ ثم : وَلّى عُبَيدُ الله : محمد بنَ عِمران النّفطِىَّ ؛ وكان من قبلُ : قاضياً باطْرَابُلس ـ : و « نفطة » التى نُسِب إليها : مَدينةٌ بقَصطلية . ـ فأقامَ : نحوَ السَّنةِ ؛ ثُم ماتَ .

* * *

إسْحاقُ بنُ أبى المنْهَالِ

٢٠٦ فوَلَّى عُبَيْدُ ٱللهِ : إسحاقَ : بن [أبى] المِنهال[3] ؛ فكان قاضياً : حتى مات

---

(١) بالأصل : « ولاه » ؛ وهو محرف عنه .

(٢) بالأصل : « درارة » ؛ والظاهر أنه مصحف عنه .

(٣) أى : مرة ثانية .

عُبَيْـــدِ اللهِ ؛ فوَلَّى ولدُه أبو القاسِم : فثَبَّتَه عليها ؛ حتى مات إسحاقُ بنُ أبي المِنْهالِ .

* * *

أحمدُ بن بَحْرٍ

٢٠٧ فوَلَّى أبو القاسم : أحمـدَ بنَ بَحْرٍ ؛ قضاءَ القيرَوان . وكان من قَبْلُ : قاضياً باطْرابُلس ؛ فهو قاضيها اليوم .

* * *

وكانت قُضاة الجماعةِ فيما سَلَف ـ فى دَولةِ بَنى الأغْلَبِ ـ إنَّما يجلس القاضى : ـ إذا كان من غيرِ أهلِ القَيْرَوانِ . ـ بمَدينة السُّلطانِ برقادةَ .

فلمّا دَخَل الشِّيعِىُّ : استَقْضَى على « رقادةَ » شيخاً (أعنَى : كتاميًّا) يُعرَفُ : بأفْلَحَ ابنِ هارُونَ ؛ ثم مات .

٢٠٨ وانتَقل إلى المَدينة ـ : التى سمَّاها : المهدِيَةَ . ـ فوَلَّى زُرَارَةَ بن أحمـدَ : على القضاء ، بها فهو قاضيها اليوم .

انتهى الجزء بحمد الله

* * *

[و بانتهائه تم كتاب علماء إفريقية]

لمحمد بن حارث الخشنى

فهارس الكتاب

فهـــــــرس الموضوعات

لـكتاب قضاة قرطبة

فهرس الأعلام والطوائف
لقضاة قرطبة

الرقم المسلسل | الاسم | الصفحة

الرقم المسلسل	الاسم	الصفحة
	عبدالله بن يونس	١٣١،١١٩
	عبدالملك بن أبان بن معاوية بن هشام	٢٩
	عبدالملك بن أيمن	٦٧
	عبدالملك بن جهور : أبو مروان الوزير	١١٥
	عبدالملك بن حبيب	٩١،٩٠،٨١،٨٠،٧٧،٧٢،٤٩
	عبدالملك بن الحسن	٥٧،٤٦
	عبدالملك بن زونان	٨٧،٧٢
	عبدالملك بن العباس القرشي	١١٤
	عبدالملك بن عمر المرواني	٤٧
	عبدالملك بن قطن الفهري	٢٨
	عبدالملك بن مغيث	٦٢
	عبدالله بن عبدالعزيز	١١٠
٢٥	عبيد الله بن موسى الغافقي	٦٨
	عبيد الله بن يحيي : أبو مروان	١٤،١٥،٣٨،٥٥،٥٦،٦٢،٧٣،٨٧،٨٨، ١٦٤
٦	عثمان بن أيوب بن أبي الصلت	١٦
	عثمان بن سعيد الزاهد	٧٨،٧٧،٧٤
	عثمان بن عبدالرحمن بن عبدالحميد بن أبي زيد	٧٢،٧١
	أبوعثمان العراقي : الفقيه	٩٢
	عثمان بن عفان : رضي الله عنه	١١٥،١٧
	عثمان بن محمد	١٥٣،١٠٣،٧٣،٦٢،٥٦،١٥،١٤
	عجب	٩٠
	ابن أخي عجب	٩٠
	العجم	١٥٦
	عدول قرطبة	١١٩
	العرب	١٠١،٨٣،٦٦،٦٥
	عرب الشام : العرب الشاميين	١٣٧،٧٠،٦٨،٢٩
	عرب مصر	٤٧
	عقبة بن الحجاج السلولي	٢٢،٢١
	عقبة : رجل من أهالي قرى قرطبه	١٠٣
	العقيلي	١٧٣

(غ)

فهرس البلدان والأماكن

لكتاب قضاة قرطبة

فهرس الموضوعات

لعلماء إفريقية

الموضـــوع	الصفحة

فهرس الأعلام لـلكتاب

علماء إفريقية .



فهرس الأماكن والبلدان

لكتاب علماء إفريقية

بعض تصويبات واستدراكات

الصفحة	السطر		
٦	٨	الصواب	: تسكين الكاف من كلمة : « أكسفرد » .
٦	١٥	«	: « الديباج المذهب » .
٨	١٣	«	: « قرطبة » (بفتح التاء) .
٩	١٥	«	: « من ذى الحجة » .
١٠	١٥	«	: « طرائق « (بكسر القاف) .
١١	١٠	«	: « الخلفاء » (بكسر الآخر) .
١١	٢٢	«	: « المثل » .
١٣	١٣	«	: « مغيث (بضم الميم) .. لماذا عرضتما » .
١٤	١	«	: « عبيد » (بفتح الباء) .
١٩	١٥	«	: « أما إذا أبيت » .
٢٠	١٤و١٥و١٧	«	: تنوين آخر كلمة : سكن » .
٢٤	٢٠	«	: «القاضى (بفتح الياء)..ويمتثله (بضم اللام)» .
٢٦	٢٠	«	: « إذا لحظت الناس » .
٢٧	٢	«	: « شبكة » (بكسر التاء) .
٢٨	١٩	«	: كسر آخر كلمة : « قطن » وتنوينه .
٢٨	٢٠	«	: « « « : « بلح » .
٢٩	١٤	«	: « « « : « بن » .
٣٢	١٢	«	: « « « : «جبير» بدون تنوين .
٣٥	١١	«	: ضم « « : « خلة » .
٣٥	١٥	«	: فتح « « : « غير » .
٣٨	١٧	«	: « ووكل » إلخ .
٣٨	١٩	«	: ضم آخر كلمة : «توسعت » .
٣٨	٢١	«	: « معزولا » .
٣٩	٤	«	: حذف أول الآية المزيد بين مربعين .
٣٩	٩	«	: فتح آخر كلمة « عمر » .
٤٦	٧	«	: تنوين آخر كلمة: «شفى» إن كانت بكسر الفاء
٤٦	١٣	«	: « كاتبه » (بفتح الباء) .

الصفحة	السطر	الصواب :	
٤٦	١٥	«	: « المجالسة » .
٤٧	٨	«	: « حداثته »
٤٩	٤	«	: « أرجاء » .
٥٢	٧	«	: « الزى » (بكسر الزاى).
٥٣	١٢	«	: « والمروءة » .
٥٤	٢١	«	: رفع آخر كلة : « تنفذ » .
٥٦	٢٠	«	: « لباس » .
٥٧	١٢ و١٥	«	: « دمثا . . أراه ».
٦٠	١٧	«	: « اخرج » (بدون همزة) .
٦١	١٤	«	: « إن ربيعا » .
٦٧	٥	«	: « وتمنون » (بضم النون الأولى) .
٧٢	٨	«	: فتح آخر كلة : « أصبغ » .
٧٣	١٦	«	: « الواو من كلة : « مشاروا » .
٧٨	١٧	«	: ضم أول كلمة : « ينهوا »
٨٠	١٣	الأحسن	: كسر آخر كلمة : « غير » .
٨٣	٧	الصواب	: تنوين « « : « يخامر » .
٨٦	٥	«	: ضم « « : « ويحقق » .
٨٦	١٠	«	: (يا أولى) .
٨٦	٢١-٢٢	«	: (١) .. (٢) .. (٣) .. (٤)
٨٨	١٦	«	: تنوين كلمة : « سحنون » .
٩٢	٩	«	: فتح اللام من كلمة : بالسكم » .
٩٢	١٠	«	: « . ولا تجعلوا . . » .
٩٢	١٦	«	: ضم آخر كلمة : « العراق » .
٩٣	٤	«	: فتح « « : « دمشق » .
٩٤	٢٢	«	: ضم « « : « رفع » .
٩٥	١	«	: « « « : « وثلاثة » .
٩٧	٧	«	: « « « : « بن » .
١٠٥	١٩	«	: « إذ أتاه » .
١٠٨	٢١	«	: « ولعله أنث مراعاة . . » .
١٠٩	٣	«	: « وأما » : رفع الرقم المذكور.

الصفحة	السطر	الصواب
١٠٩	١٣	« : « أن يعده » .
١٠٩	٢٠	« : فتح الذال من كلمة : « الذهاب » .
١١٢	١	« : « .. تركته (بدون الواو) » على مايظهر .
١١٢	١٠	« : « الناس مثل » .
١١٥	١٢	« : « أرسلت » (بضم الثاء) .
١١٧	٣	« : « يضر » (بضم فكسر) .
١١٨	١٥	« : « الرعيني » (بضم الراء) .
١٢١	١١	« : « عمرا » .
١٢٣	٥	البيت ورد كذلك بالأصل ؛ وشطرتاه مذكورتان فى بيتين : بتاريخ قضاة الأندلس (ص ٥٨) .
١٢٣	١٢	الصواب : « فمات ذلك العدل » .
١٢٤	٦	« : « مبرأ » (بفتح الباء) .
١٢٤	١٦	« : « أشد » (بضم الدال) .
١٢٥	١٠و١٣	« : « إذ .. بقى بالكسر » .
١٢٦	٤	« : « رافعها » (بضم العين) .
١٢٨	١١	« : « جلوس الصحة »
١٣١	٢	كلمة : « فقال » زائدة من الطابع . وهى المشار إليها بالهامش .
١٣٤	٥	قوله : « حسنة مهذبة مشتملة » ؛ بضم آخر الجميع .
١٣٤	١٤	الصواب : فتح القاف من كلمة : « بيقظته » .
١٣٥	١٥	« : ضم آخر كلمة : « أهدم »
١٣٨	١	« : « المروءة » .
١٤١	٢	« : فتح اللام من كلمة : « قبولها » .
١٤٢	٢١	« : « فارسى » .
١٤٣	٢	« : فتح آخر كلمة : طريق » .
١٤٦	٩	« : « لا بنى » (بدون همزة) .
١٥٢	٧	« : « وصيتك » (بفتح الباء والتاء) .
١٥٣	١	كلمة : « إن » ؛ زائدة من الطابع .
١٥٤	٨	الصواب : « ومروءة » (بضم الميم) .
١٥٤	١٥	« : « ففهمناها » (تشديد الهاء) .
١٥٦	٢و٣	« : ضم آخر كلمة : « الناس » ؛ وآخر كلمة : « طريق » .

الصفحة	السطر	الصواب
١٥٦	٨	« : ضم آخر كلمة : أمير »
١٥٨	١٠	« : فتح « « : «ليلة» بدون تنوين
١٦٠	٦	« : «تغنيه» (بكسر النون)
١٦١	٢٣	« : «وهى محرفة على ما يظهر؛ وإن كانت صحيحة المعنى. أى: واسبق»
١٦٣	١٧	« : فتح آخر كلمة : «حيان»
١٦٩	٩	« : فتح «الراء» من كلمة : «أباعمر»؛ وتنوين «فلان» ـ.
١٦٩	١٩	لعل قوله «فما شك»؛ أصله : «فيه شك»، وعليه : فلا داعى للزيادة المذكورة بعده، فتأمل.
١٧٢	١٨	الصواب : «ما» بدون الواو
١٧٥	٦	« : «فتوفى» (بكسر الفاء الثانية) .
١٨٢	١١	« : « وإسحاق »
١٨٥	٢١	كلمة : « هو »؛ زائدة من الطابع.
١٨٦	٨	الصواب : ضم آخر كلمة : « يجمع ».
١٨٩	٤	« : « ولذلك الصديق صديق».
١٩٣	٥	« : ضم آخر كلمة : « الرواية ».
١٩٣	١٥	قوله : « إلا النيل » إلخ؛ ورد كذلك بالأصل. ولعل أصله : « إذ ليس به إلا النيل » الخ.
١٩٧	١	الصواب : تنوين آخر كلمة: « حمديس ».
١٩٨	٧	« : « رقادة » (بالقاف) .
٢٠٥	٦	قوله : فى هذا الكتاب من قبل»؛ ورد كذلك بالأصل. ولعل بأوله نقصاً
٢٠٦	٢	لعل الصواب : « وما يقول » إلخ .
٢١٤	٩و١٠	الصواب : « رقادة (بالقاف)
٢١٦	٨	« : فتح القاف» من كلمة: «فحقد».
٢١٨	٢	« : تنوين آخر كلمة : «حكمون» .
٢٢١	١٣	« كسر العين من : « عياض » .
٢٣٢	١٥	« : « أو تسكون».
٢٣٤	١٨	« : «وهو تصحيف؛ إلا أن يكون المراد منه: «الانزواء».
٢٣٦	١٩	« « باليمين» .
٢٣٨	٧	« : فتح اللام الأولى من كلمة : فتسللوا » .
٢٤٤	١٤	« :« قد كان المساجدى » (بالضم) .

الصفحة	السطر	الصواب
٢٤٧	٤	« : فتح الدال من كلمة : « مقدميهم » .
٢٤٨	٤	« : ضم آخر كلمة : « عبيد »
٢٦٢	١٦و١٧	قد حدث – من الطابع – تأخير التعليقة الأولى ، وغلط فى رقمها.
٢٦٥	١١	الصواب : « العموم »
٢٦٦	١٤	« : « أحصن » (بالصاد) .
٢٦٩	٤	« : تنوين آخر : « كلمة »
٢٧٠	١٢	قوله تعالى : (أمن لا يهدى) بكسر الهاء وتشديد الدال.
٢٧١	١	الصواب : فتح الزاى من كلمة : « منزل » .
٢٧١	٣–٥	« : (لم شهدتم)
٢٧٢	٧و٩	« :(أحق بالملك منه) .. (العلم) بكسر العين .
٢٧٨	٢	« : « بتنوين آخر كلمة « بعرفات »؛ أو فتحه.
٢٧٨	٥و٦	« : « جيد (بالفتح) ... يتعارف » .
٢٧٩	٦	« : « ورئيساً من » الخ .
٢٨٠	٩	« : «من البغضاء»
٢٨١	٢٢	قولنا : والظاهر أنه مصحف الخ .لكن ذكر بعد ذلك – فى ترجمة الكلاعى ص٢٨٩ – ما يفيد صحته ، وأن المراد منه: الإعانة على قتلهما
٢٨٢	٣	الصواب : « فتح أول كلمة : « تخبط »
٢٨٤	٣و١٤	« : كسر آخر كلمة : « ابن »
٢٨٧	٢	المطلوب : ضم همزة «أراك» ، وضم آخر « يا فزارى »
٢٩١	١٢	الصواب : (١٣٨). وانظر بتأمل : ص ٢٨٠
٢٩٤	١٣	« : « استحكم » بهمزة وصل ، وبدون فتح
٢٩٥	١٣	قولنا : «وكلاهما مصحف» إلا إن ثبت أنه من قبيلة : «عكل».
٢٩٩	٢٢	رقم (١) صوابه : (٢) والكلام عنه بأول ذيل الصفحة التالية.
٣٠٠	٥	الصواب : « فأبى ابن الطبيب».
٣٠٠	٢٠–٢٣	« : = (٢) .. (١) .. (٢)
٣٠١	١٦	« : « حى » (بكسر الآخر)
٣٠٦	٩و١٠	« : « سليمان » (بالفتح). «واستقضى».
٣٠٨	١	« : ضم الصاد من كلمة: «حصر».
٣١١	١	« : الواو من كلمة: « قولى »
٣٣٥	١٠	الصواب : ١ و ٢٠ .